مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والسنة حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين: نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم ، أما بعد :

فإنه لما كان العلماء هم ورثة الأنبياء : كان هذا الشرف متناسبا مع الواجبات العظيمة التي استُؤْمنوا عليها، والحقوق التي لهم على أمتهم؛ ومن هنا كان القيام بحقوق العلماء من لوازم تعظيم الأنبياء بيد أنهم ورثة الأنبياء.

وقد قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي :

(لا توجد في الإسلام وظيفة أشرف قدرا، وأسمى منزلة، وأرحب أفقا، وأثقل تبعة، وأوثق عهدا، وأعظم أجرا عند الله من وظيفة العالم الديني !

ذلك لأنه وارث لمقام النبوة، وآخذ بأهم تكاليفها وهو الدعوة إلى الله، وتوجيه خلقه إليه، وتزكيتهم وتعليمهم، وترويضهم على الحق حتى يفهموه ويقبلوه، ثم يعملوا به ويعملوا له.

فالعالم بمفهومه الديني في الإسلام قائد، ميدانه النفوس وسلاحه الكتاب والسنة، وتفسيرهما العملي من فعل النبي-صلى الله عليه وسلم-وفعل أصحابه، وعنوانه الأكبر على الانتصار في هذا الميدان أن ينسى نفسه، ويذوب في المعاني السامية التي جاء بها الإسلام، وأن يطرح حظوظها وشهواتها من الاعتبار، وأن يكون حظه من ميراث النبوة أن يزكي ويُعلّم، وأن يقول الحق بلسانه، ويحققه بجوارحه، وأن ينصره إذا خذله الناس، وأن يجاهد في سبيله بكل ما آتاه الله من قوة)[(١)] .

وعودا على ما ابتدأت به أقول: ومن حقوقهم القيام بجمع جهودهم والتذكير بها وحفظها للأمة، خصوصا من جمع منهم بين العلم والعمل والخلق الرفيع والدعوة إلى

---

(١) في مقال له بعنوان: وظيفة العلماء، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ١٠٩/٤

التوحيد، كأمثال العلامة محمد بهجة البيطار الدمشقي موضوع البحث، أحد أركان مجمع اللغة العربية بدمشق، تشرف بالتدريس في الحرم المكي، وإدارة المعهد العلمي السعودي بمكة، ودار التوحيد السعودية في الطائف، وذلك برغبة من الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، أخذ العلامة البيطار عن الأعلام أمثال القاسمي، ومحمد الخضر حسين، ومحمد بدر الدين الحسيني، وتوفي سنة١٣٩٦هـ

- **أسباب اختيار الموضوع وأهدافه :**

١- إبراز جهود العلامة البيطار في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها؛ إذ لم تنل جهوده في العقيدة حظها من الاحتفاء والذكر والشيوع، كما نالها غيره من أهل طبقته.

٢- أخذ الدروس والعبر من طريقة وكيفية دفاع هؤلاء العلماء عن عقيدة السلف ونشرها اقتداء وتأسيا.

٣- القيام ببعض حقوق هذا العالم على أمته بمثل هذه الدراسات، شكرا لقيامه بحق عقيدة السلف نشرا لها ودفاعا عنها.

٤- إيجاد مرجع للباحثين يجمع جهود هذا العلامة في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها.

- **الدراسات السابقة :**

لم أجد بعد البحث مؤلفا مستقلا عن جهود العلامة محمد بهجة البيطار في باب العقيدة، والذي وجدته مما له تعلق بمشروع بحثي:رسالة علمية للباحث حسن بن علي الشمراني بعنوان (جهود الشيخ محمد بهجة البيطار ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى) تقدم بها لنيل العالمية (الماجستير) في جامعة أم القرى عام ١٤٣٤هـ.

والفارق الإجمالي: أن رسالة الباحث في جهوده-رحمه الله- في جانب الدعوة إلى الله-عز وجل-، ومشروع بحثي في جانب العقيدة.

أما الفوارق التفصيلية : فإني رتبت خطتي على بابين رئيسين:

الأول: جهوده في تقرير العقيدة، والثاني: جهوده في الدفاع عنها.

والباحث لم يتناول فيما يتعلق في الباب الأول إلا مبحثا واحدا–في الفصل الأول–حوى أربعة مطالب[1] ، وهو عندي في باب كامل فيه ثلاثة فصول واثني عشر مبحثا وتسعة عشر مطلبا.

وفي الباب الثاني لم يتناول الباحث إلا ثلاثة مطالب متفرقة[2] مما هو عندي في عشرين مطلبا وثلاثة عشر مبحثا وثلاثة فصول .

- **خطة البحث** :

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس .

أما **المقدمة** : فاحتوت على :

أولا : عنوان الموضوع .

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع .

ثالثا : الدراسات السابقة .

رابعا: خطة البحث .

خامسا: منهج البحث .

وأما **التمهيد** :ففي التعريف بالعلامة محمد بهجة البيطار، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سيرته الشخصية، ويحتوي على أربعة مطالب:

---

(١) المطالب الأربعة هي : ١–بيان الشيخ محمد بهجة البيطار لأهمية التوحيد، وتعريفه، وبيان أقسامه. ٢–جهود الشيخ رحمه الله في إبراز عقيدة السلف في الأسماء والصفات. ٣–بيان الشيخ رحمه الله لبعض مسائل الإيمان. بيان الشيخ رحمه الله لبعض مسائل الكفر والنفاق والتكفير.

(٢) المطالب الثلاثة هي: ١–بيان الشيخ رحمه الله لمنهج بعض الفرق المخالفة لمنهج السلف. ٢–جهود الشيخ رحمه الله في محاربة البدع. ٣–دفاعه رحمه الله عن المنتسبين لمنهج السلف.

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبته .

المطلب الثاني: مولده ونشأته .

المطلب الثالث: وفاته ورثاؤه .

المطلب الرابع: صفاته الخُلقية .

المبحث الثاني: سيرته العلمية، ويحتوي على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: طلبه للعلم .

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه .

المطلب الثالث: سماته العلمية .

المطلب الرابع: أعماله ووظائفه .

المطلب الخامس: مؤلفاته .

المطلب السادس:عقيدته .

المطلب السابع : ثناء العلماء عليه.

المطلب الثامن : الكتب العقدية التي أجرى عليها قلم التعريف والنقد

.

المبحث الثالث: جهوده العملية لنشر عقيدة السلف، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : محاضراته .

المطلب الثاني : مقالاته في الصحف والمجلات .

المطلب الثالث : رحلاته .

الباب الأول

جهود العلامة محمد بهجة البيطار في تقرير عقيدة السلف

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول : **جهوده في تقرير الإيمان بالله**، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في تقرير توحيد الربوبية، ويحتوي على أربعة مطالب:

المطلب الأول : معنى توحيد الربوبية .

المطلب الثاني : الاستدلال على توحيد الربوبية .

المطلب الثالث : علاقة توحيد الربوبية بتوحيدي الألوهية والأسماء والصفات.

المطلب الرابع : عدم كفاية توحيد الربوبية في تحقيق التوحيد .

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الأسماء والصفات، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في تقرير توحيد الأسماء الحسنى .

المطلب الثاني : جهوده في تقرير توحيد الصفات العلى

المطلب الثاني: الإيمان بالقدر.

الفصل الثالث: جهوده في تقرير بقية مباحث العقيدة، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان.

المبحث الثاني: الصحابة.

المبحث الثالث: الإمامـة.

المبحث الرابع: أهل الذمة.

المبحث الخامس: نواقض الإيمان.

المبحث السادس: الأسماء والأحكام .

المبحث السابع : الولاية الإلهية .

الباب الثاني

جهود العلامة البيطار في الدفاع عن عقيدة السلف

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جهوده في الدفاع عن مصادر العقيدة والذب عن السلف ومن سار على نهجهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في الدفاع عن مصادر عقيدة السلف.

المبحث الثاني: جهوده في الدفاع عن السلف الصالح وبيان فضلهم والثناء عليهم.

المبحث الثالث: جهوده في الدفاع عمن سار على طريقة السلف من العلماء.

الفصل الثاني: جهوده في التحذير من البدع وتقرير كمال الدين، والرد على المبتدعة، ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول : جهوده في التحذير من البدع، وتقرير كمال الدين، ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : معنى البدعة والتحذير منها .

المطلب الثاني : نشأة البدع وتطورها .

المطلب الثالث : التحذير من البدع القولية .

المطلب الرابع : التحذير من البدع الفعلية .

المطلب الخامس : تقرير كمال الدين .

المبحث الثاني : جهوده في الرد على المبتدعة، ويحتوي على خمسة مطالب :

المطلب الأول : الفلاسفة .

المطلب الثاني : الرافضة .

المطلب الثالث : الصوفية .

المطلب الرابع : الخوارج .

المطلب الخامس : المتكلمون .

الفصل الثالث:جهوده في الرد على الأديان والمذاهب والدعوات الباطلة،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهوده في الرد على الأديان الباطلة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اليهودية.

المطلب الثاني: النصرانية.

المطلب الثالث : عبدة الشيطان .

المبحث الثاني: جهوده في الرد على المذاهب والأنظمة والدعوات الباطلة، ويحتوي على سبعة مطالب:

المطلب الأول : المادية .

المطلب الثاني : التغريب .

المطلب الثالث : التنصير .

المطلب الرابع: الشيوعية .

المطلب الخامس: الاستشراق .

المطلب السادس: القوانين الوضعية .

المطلب السابع : الدعوات الباطلة المتعلقة بالمرأة .

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس العلمية:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

- **منهج البحث:**

أما المنهج الذي سلكته، فهو كما يلي:

١- قرأت جميع تراث العلامة البيطار، ثم انتقاء جميع ما يتعلق بالعقيدة، ثم تقسيمه على الأبواب العقدية المتنوعة.

٢- قدَّمت تمهيدا يُعَد مدخلا للموضوع العقدي الذي تناوله البيطار : أذكر فيه مذهب أهل السنة، مُتْبِعَنْهُ تلخيص رأي الشيخ العلامة فيه، فذكر نصوصه مُوَثقة .

٣- الحرص على سياق كلام العلامة البيطار بنصه دون تصرف ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٤- جمع ما تفرق من كلام العلامة البيطار في مكان واحد؛ ليكتمل التصور عن جهده في المسألة العقدية، إلا إن تكرر كلامه دون فائدة علمية زائدة تذكر، فاكتفيتُ بالإحالة عليه بذكر مصدره.

٥- إن تم الإطلاق في الرسالة بلفظ : (الشيخ) فالمقصود منه محمد بهجة البيطار – رحمه الله تعالى- .

٦- جعلتُ من ضمن جهود الشيخ كلَّ ما يصح أن يطلق عليه جُهد لغة[(١)]، ويستحق على مثله الإثابة الأخروية، ويشمل ذلك : الكلام الذي يختصره أو يوجزه، أو ينقله عن غيره – وذلك إن لم أجد ذلك المعنى من إنشائه ابتداء – ؛ إذ عادته التي استقرأتها من كلامه أنه إذا عارض شيئا ينقله بينه،

---

(١) قال ابن فارس: (الجيم والهاء والدال أصله المشقة، **ثم يحمل عليه مايقاربه)** مقاييس اللغة ٤٨٦/١

لا سيما إذا عرف أنه كثيرا ما كان (إذا سئل خطيا أجاب بما ورد في الكتب حول الموضوع، أما إذا سئل شفهيا فيكتفي بإيراد النص)(١) .

٧- التعليقُ على ما يحتاج التعليقَ من كلام العلامة البيطار.

٨- عند توثيق الأقوال : رجعتُ إلى المصادر المعتمدة عند أهل كل فن وفرقة بأفضل طبعاتها على حسب المكنة والقدرة.

٩- تَمَّتْ كتابة الرسالة وفق قواعد الإملاء الحديثة، وكذا العناية بعلامات الترقيم؛ لما لها من أثر في فهم الكلام، وأيضا الضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط .

١٠- ترجمة الأعلام غير المشهورين، والتعريف بالفرق و البلدان من مصادرها المعتمدة.

١١- عزو الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية .

١٢- تخريج الأحاديث النبوية، وبيان درجتها، فإن أخرج الحديث البخاري ومسلم في الأصول : اكتفيت به عن التنصيص على درجة الحديث، وإلا بينتُ درجته مستعينا بكلام المحدثين .

١٣- تخريج الآثار من مظانها، ولا ألتزم بيان درجتها .

١٤- شرح الكلمات والألفاظ الغريبة، خصوصا التي لها ارتباط بالبحث .

---

(١) مقدمة تلميذه ظافر القاسمي لكتاب كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٢٤

تمهيد
في التعريف بالعلامة محمد بهجة البيبطار

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سيرته الشخصية .

المبحث الثاني : سيرته العلمية .

المبحث الثالث : جهوده العلمية لنشر عقيدة السلف.

المبحث الأول : سيرته الشخصية

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول : اسمه، وكنيته، ولقبه، ونسبته .

قال البيطار –رحمه الله– في ترجمته الذاتية :

(ترجمة الضعيف : محمد **بهجة**[1] بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن البيطار **الدمشقي**)[2]

فاسمه : محمد، ولقبه : بهجة، ونسبته :إلى دمشق المعروفة، حيث استوطنتها أسرةُ البيطار منذ أكثر من مائتي عام[3] وأما كنيته : فأبو يسار[4] .

---

(١) بهجة –في أصل الاشتقاق اللغوي– : مصدر بَهِجَ الشيءُ بهجا وبهجة : حسُن ونضِر، وبهج فلانٌ: فرح وسُرَّ. انظر: المعجم الوسيط ص٧٣. ثم سُمِّي بها بعض الناس، على أنها علَم منقول .

(٢) الرحلة النجدية الحجازية، صور من حياة البادية بقلم محمد بهجة البيطار ص ٦٩ وانظر أعلام المكيين لعبد الله المعلمي ص٣١٧، وتاريخ أمة في سير أئمة لصالح بن حميد ص١٢١٢ ، وعلماء الشام في القرن العشرين لمحمد حامد الناصر ص١٦٦.

(٣) انظر : الحلة النجدية الحجازية، للبيطار ص٧٠

(٤) انظر كلمات وأحاديث لبهجة البيطار ص١٣٥، وقال الشيخ بهجة البيطار في رحلته ص٧٦ : (وكان صحبني في هذه المرة ولداي: يسار وعاصم، وكانا عونا لي في الإدارة والتعليم، وقد عاد الأول بعد انتهاء السنة الدراسية الثانية، وعاد الثاني بعد انتهاء السنة الثالثة) وانظر رجال من التاريخ للطنطاوي ١/ ٤١٨

المطلب الثاني : مولده ونشأته

وُلد الشيخ البيطار –رحمه الله– بدمشق في الثاني من رمضان عام ألف وثلاثمائة وأحد عشر للهجرة النبوية ١٣١١هـ ، الموافق لعام ألف وثمانمئة وأربعة وتسعين ميلادية ١٨٩٤م [١].

ونشأ رحمه الله في ظل أسرة البيطار المعروفة بالفضل والصلاح، وأصل الأسرة القديم من بَلِيدَة[٢] من أعمال الجزائر، وقدمت من هناك مهاجرة إلى دمشق منذ أكثر من مئتي عام [٣].

---

(١) كما نص على ذلك في ترجمته لنفسه حيث قال : (كانت ولادتي بدمشق الشام ثاني يوم من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١١هـ و١٨٩٤م) رحلته ص٧١

(٢) ولاية سياحية، تقع شمال الجزائر، وتبعد عن عاصمتها حوالي ٣٠ كم. انظر الموقع الإلكتروني الرسمي لولاية البليدة http://www.wilayadeblida.dz/، ولم أهتد لتعريف بهذه البلدة في كتب البلدان.

(٣) قال –رحمه الله– : (فالمشهور أن أصلنا القديم من بَلِيدَة وهي بلدة من أعمال الجزائر، هاجر منها جد جدي الأدنى، الشيخ حسن، واستوطن دمشق الشام منذ أكثر من مئتي عام) المصدر السابق ص٦٩–٧٠ وفصَّل في المصدر نفسه الكلام عن بعض جوانب أسرته فذكر جماعة ممن عرفوا بالعلم والأدب من أسرته .

وتربى الشيخ البيطار -رحمه الله- في حِجر والده بهاءِ الدين[1]، وجده لأمه عبدالرزاق[2] رحمهما الله، وتعلم على يدي والده مبادئ علوم الدين والعربية .

---

(١) انظر الرحلة النجدية ص٧٠-٧٦، ومحمد بهجة البيطار حياته وآثاره لعدنان الخطيب ص١٣، ووالده: بهاء الدين سبق سياق نسبه، ووُلد عام ١٢٦٥هـ وتوفي عام **١٣٢٨هـ فقيه أديب شاعر، عالم بالتصوف على الطريقة الشاذلية ! من القائلين بوحدة الوجود!** ولا يضير ذلك الشيخ رحمه الله؛ فقد تلقى عنه في حال الصغر. انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق بن حسن البيطار مع تعليق محققه الشيخ بهجة عليه حيث أقر بتصوف والده ١/٣٨٠-٣٨١، والأعلام للزركلي ٦/٢١١-٢١٢، ورجال من التاريخ للطنطاوي ١/٤١٦

(٢) انظر محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص١٣ و **ذكر أحمد راتب النفاخ أنه نشأ في حجر أبيه وجده لأمه** في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق محرم ١٣٩٨هـ مجلد (٥٣) ١/٢٢٥ ، **واقتصر الخطيب على حجر أبيه** في الصفحة السابقة نفسها، وستأتي ترجمة جده عبد الرزاق ص١٢

المطلب الثالث : وفاته ورثاؤه

اتفق المترجمون للشيخ –رحمه الله– على أنه توفي في سنة ١٣٩٦هـ، ودُفِنَ في مقبرة باب مصر بجنوب حي الميدان في دمشق، واختلفوا في اليوم والشهر الذين توفي فيهما اختلافا مقاربا على قولين:

القول الأول : في الثلاثين من جمادى الأولى [١].

القول الثاني : في ضحى اليوم الأول من جمادى الآخرة [٢].

والخلاف بمقدار يوم لا يؤثر ولا ينبني عليه حكم عملي وإن كنت أرجح القول الثاني لكونه أدق وفيه زيادة علم؛ إذ لم يذكر أصحاب القول الأول وقت وفاته في ذلك اليوم.

لما توفي الفقيد –رحمه الله– إثر مرض ألم به عدة أسابيع ، سرعان ما انتشر خبر وفاته في العالم الإسلامي، فتبادلت الهيئات والمؤسسات التعازي في وفاته، ونعتَتْه الرابطة الإسلامية في مكة المكرمة إلى مختلف البلاد الإسلامية، وتوجه الألوف إلى تشييع جثمانه[٣].

---

(١) قال به عدنان الخطيب في السابق ص١٢، و عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١٧٣/٣

(٢) قال به محمد حامد الناصر في علماء الشام ص١٧٠، والنفاخ في خطابه السابق مجلد (٥٣) ١/ ٢٤٣، وعبد الله خياط في لمحات من الماضي ص٣٣٢ **ووقع فيه أن سنة وفاته عام ١٣٦٩ وهو خطأ طباعي واضح**.

(٣) انظر ترجمة الشيخ البيطار لعدنان الخطيب ص٤٧-٤٨

وقد عدّد جماعة من العلماء والأدباء مآثره وما تمثل فيه من أخلاق السلف الصالح، أشهرهم في تلك الفترة صديقه منذ أربعة وخمسين عاما علامة العراق محمد بهجة الأثري[1] ، فبعث برسالة إلى عدنان الخطيب[2] كان مما قال فيها :

(وقد هالني النبأ فذهبت من فوري أرثي الصديق العزيز وأبكيه؛ لما تعلم من قدم مودتنا وصفائها طوال ٥٤ عاما)

وبعث قصيدة يرثي بها الفقيد بعنوان :

صلى على أثوابه الطهر

يقول في مطلعها :

واصلتِ ثُم هجرتِ والهجر-يا نفسُ- مَسُّ مذاقه مُرُّ

و من أجمل أبياتها :

كم نزه الإسلام من بدع قد باضها الشيطان والكفر
مقبوحةٍ شوهاءَ ... شاهَ بها وجهُ الهدى وتشوه الطُّهر

وأيضا :

أبقيةَ السلف الكرام زهت بجلالك الحرُمات والذكر
بَرَدَى إلى اللقيا به ظمأٌ، ودمشق في أحشائها حرُّ
بل عالم الإسلام قاطبة قطانه البادون والحَضْر

---

(١) هو محمد بهجة بن محمد عبد القادر العراقي، عالم محدث أديب موسوعي، نبغ مبكرا، وتسلم مناصب عدة منها: عضوية المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ ، ولازم الألوسيان : علي نعمان (ت:١٣٤٠) ، ومحمود شكري (ت: ١٣٤٢) ولقبه الأخير بالأثري لولوعه بالأثر. انظر : تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ليونس الشيخ إبراهيم السامرائي ص١١٣-١١٨، وإتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد رياض صالح ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) عدنان عبد القادر الخطيب الدمشقي، حقوقي لغوي أديب، عضو المجامع العربية والعلمية في دمشق ومصر والعراق والأردن والهند، ومنزعه السلفي ظاهر فيما وقفتُ عليه من كتاباته، توفي عام ١٤١٦هـ. وانظر ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص١٣٨-١٢٩

لهــفــا إلى وجــه.. تهــلــل في أســــراره الإخـــلاص والخـــير

نــظــراتــه لــطــف، وبســــمــتــه رُحمــى، وعــذب حــديــثــه نَشْـــرُ

خــلــع الحــيــاءُ عــلــيــه بهــجــتَــهُ، ولــه جــلال السِّـــن والــقَــدْر

هـــذا الـــوداع.. أثَمَّ مـــن أمـــل لــلــقــائــنــا؟ أم يــومُــه الحشْـــر؟[1]

(١) انظر فيما سبق محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٤٧-٥١، وخطاب الأستاذ أحمد راتب النفاخ في حفل استقباله عضوا مكان الفقيد في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق محرم ١٣٩٨هـ مجلد (٥٣) ١/٢٤٣-٢٤٥

المطلب الرابع : صفاته الخُلقية

أما الحديث عن أخلاق هذا العَلَم فحديث ذو شجون، فأخلاقه الحسنة التي توشَّح بها رحمه الله من أعظم ما تفرد به عن غيره من أهل طبقته، وهي أيضا من أقوى الأسباب التي جعلت الملك عبد العزيز –رحمه الله– يختار هذا المصلح المربي للمشاركة في تأسيس الدعوة السلفية في أرض الحرمين.

فانظر –رعاك الله– ماذا يقول الشيخ ظافر بن جمال الدين القاسمي[1] ، قال –رحمه الله– :

(وقد دهش عبد العزيز من هذا الرجل الذي لم يجد له مثيلا بين جميع المشاركين في أعمال المؤتمر، فهو لم يقبل عطاء، ولا هدية، ولا منحة، ولا مساعدة، ولا أي شيء آخر....)[2].

ولم يكن حرص الشيخ البيطار –رحمه الله– على التحلي بأحاسن الأخلاق وأفاضلها إلا وهو يدرك قيمة الأخلاق في حياة المجتمعات والمصلحين.

قال البشير الإبراهيمي –رحمه الله– :

(والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير ، وخصوصا في أحوال المسلمين، بصير بعللهم وأدوائهم، طب بعلاجهم ودوائهم، **يرى أن ذهاب ريحهم**[3] **من ذهاب أخلاقهم**)[4]

---

(١) ستأتي ترجمته عند تعداد تلامذة البيطار رحمه الله ص٢٩

(٢) في مقدمة بعنوان : مع محمد بهجة البيطار في كتاب: كلمات وأحاديث لمحمد بهجة البيطار ص١٣

(٣) أي : قوتهم ، انظر: المعجم الوسيط ص٣٨١

(٤) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٣/٥٦٤

وبلوغ الشيخ –رحمه الله– من حسن الخلق المقام الذي ميزه عن غيره مع ما وهبه الله من أسباب العلم ، ما جعله يتبوأ خلافة شيخه جمال الدين القاسمي –رحمه الله–[1]

ومحاسن أخلاق الشيخ البيطار –رحمه الله– كثيرة، فقد ضرب من كل خلُق بسهم كما قال صفيُّه بهجة الأثري [2] [3]:

متفردٌ بخلائقٍ غررٍ بجمالها يتفاخر الفخْر
في كل صالحة... له خَبرٌ ولكل محمدة...له صَوْرُ

لكن أشهرها التي بلغت منه مبلغا :

١) عفة نفسه وإيثاره وزهده، فقد قال في ترجمته الذاتية : (أُهديت إلي في عهد جلالة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود تغمده الله برحمته ورضوانه سيارة بعد سيارة فوهبتهما إلى دار التوحيد السعودية التي كنت رئيسها في مدينة الطائف، وقدَّم إلي المجمعُ العلمي الروسي الذي لبَّيْنا دعوته سنة ١٩٥٤م مبلغا يقرب من ألف ليرة سورية لأشتري به هدايا شاكرا فضلهم، وقُدم إلي ألف ليرة سورية تبرعا من بعض أمراء آل سعود الكرام، إذ شرفوا وحلوا ضيوفا في الشام، فتبرعت بالمبلغ كله لدار الأيام السعودية بدمشق. أما تبرعاتي من مالي الخاص للمعاهد الدينية والخيرية ولإسعاف طلبتها ، أو العَجَزة المقيمين فيها ، فاسأل به خبيرا، وأما المعاشات المرتبة لأولي

---

(١) انظر: خطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة مجلد (٥٣) ١/ ٢٣٠

(٢) سبقت ترجمته ص١٨

(٣) محمد بهجة البيطار للخطيب ص٤٩

الأرحام فيعرفها أهلها)[١] وقال النفاخ[٢] : (فأعرض عن المناصب والطريق إليها لائحة وزهد في الوجاهة والثراء وأبوابها أمامه مفتحة)[٣].

٢) رقته وخشوعه وورعه ، فإنه لما خدم في القضاء ورئاسته تطوعا لم يقض فيه بشيء، ثم لم يزل على الاستعفاء من القضاء تورعا وخشية حتى أُجيب، ولم يكن –رحمه الله– إذا سئل عن الأحكام يفتي بأن يقول: حلال أو حرام، بل إذا سُئل خطيا أجاب بما ورد في الكتب، وشفهيا بإيراد النصوص، وكان إذا اضطر للأكل عند من يشتبه حاله تصدق بضعف ما أكل حسب تقديره، وكان لا يدخل عليه مالا مشتبها قط . وكان –رحمه الله– لا يحتمل أن يرى أذى ينزل بأحد من الخلق، وما جاء معزيا بأحد إلا ودموعه تفيض، ولما انتهى إلى باب الحرم النبوي أثر فيه الخشوع واغْرَورقت عيناه بالدموع، واشتد خفقان قلبه حين دخوله على قبر النبي – صلى الله عليه وسلم – [٤]

وانظر في تواضعه القصيدة التي أرسلها له تلميذه محمد سعيد كمال[٥].

---

(١) الرحلة النجدية ص٧٨-٧٩

(٢) هو أحمد بن موسى النفاخ، ولد بدمشق، عالم باللغة والأدب، حالُّ معضلات محققي التراث الكثيرة، **خليفة الشيخ بهجة في عضوية مجمع دمشق،** لازم محمود شاكر، كان عضوا عاملا نشطا في مجمع اللغة العربية بدمشق توفي عام ١٤١٢هـ. انظر: إتمام الأعلام ص٢٥، وذيل الأعلام ص٢٦-٢٧، وتكملة معجم المؤلفين، لمحمد خير رمضان اليوسف ١/٣٦

(٣) مجلة مجمع اللغة مج ٥٣ ١/٢٤٣، وانظر لزاما فيه أيضا مج٥٣ ١/٢٣٦، ومقدمة زهير الشاويش لكتاب كلمات وأحاديث للبيطار ص٧ ط٢ للمكتب الإسلامي.

(٤) انظر فيما مضى الرحلة النجدية ص٧٥ ، ٥٣ ، ومقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص٢٣-٢٤، ٢٧ وخطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٥٣ ١/٢٣٤

(٥) انظر كلمات وأحاديث ص١٣٩

وأيضا ذكر مترجموه إخلاصه ووفاءه وعقله وبعده عن الهوى ولباقته وحلمه وكرمه وسماحته ووقاره وجرأته، وسعة صدره، ولين قوله [1].

(١) انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ٥٦٤/٣، ورجال من التاريخ لعلي الطنطاوي ٤١٤/١-٤١٥، ٤١٩ وخطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج ٥٣ ٢٣٦/١، ٢٤١ ، وعلماء الشام في القرن العشرين لمحمد حامد الناصر ص١٦٩-١٧٠، محمد بهجة البيطار للخطيب ص٤٩ وما بعدها، وذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص١٦٧-١٦٨

المبحث الثاني : سيرته العلمية

ويحتوي على ثمانية مطالب :

المطلب الأول : طلبه للعلم

لما بلغ الشيخ البيطار -رحمه الله- سن التمييز درس الابتدائية في المدرسة الريحانية[1]، فتعلم فيها القرآن والإملاء والحساب، وفي عام ١٣٢٣هـ بدأ دراسته الثانوية، فدخل المدرسة العثمانية التي أصبحت تعرف فيما بعد بالكاملية [2] وتعلم فيها العلوم الدينية واللغوية والمدنية، وفي السنة التي تليها عام ١٣٢٤هـ دخل المدرسة العازارية [3] الميدانية وتعلم فيها قواعد العربية واللغة الفرنسية، ودرس دراسة خاصة على المِسْيو موريس (وهو الأستاذ عبد الله الرَّيْحاني [4] الذي أسلم على يدي البيطار)، ثم في سنة ١٣٢٦هـ ترك المدارس -على سنة أسلافه في تلك الحقبة-، وانقطع لتعلم العلوم العربية والدينية والعقلية على أهلها (بنشاط كبير وهمة)[5]، فدرس على والده النحو والفرائض والفقه والأدب إلى حين وفاته منتصف عام ١٣٢٨هـ، وتعلم بعد وفاة أبيه على جده عبد الرزاق (نحو أربع سنوات)[6] فأخذ عنه طرفا من الأصول والحديث والتفسير والتوحيد[7] .

---

(١) مدرسة في دمشق، أوقفت قديما على متفقهة الحنفية عام ٥٧٥هـ. انظر منادمة الأطلال لا بن بدران ١٧٢/١، والدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ٤٠١/١

(٢) تطلق على عدة مدارس، ولعلها المدرسة التي أنشأها بدمشق الشيخ كامل القصاب (ت: ١٣٧٣هـ) ، وكانت هذه المدرسة من أوائل العوامل في بعث الروح القومية العربية. انظر الأعلام للزركلي ١٢/٧-١٣

(٣) لم أعثر لهذه المدرسة على تعريف في المصادر.

(٤) لم أجد له ترجمة .

(٥) الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان ، لزكريا بن بيلا بالمشاركة ٥٠٨/٢

(٦) حلية البشر ٤٣٩/١

(٧) انظر فيما سبق خطاب استقبال النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٢٦/١-٢٢٧ ، والرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٢-٧٣

وتتلمذ في تلك الفترة على جمال الدين القاسمي مدة ثلاث سنين إلى وفاته عام ١٣٣٢هـ، فلزمه وحضر دروسه الخاصة في التوحيد والتفسير والحديث والمصطلح والأصول والبلاغة، وعلى يدي القاسمي تمرس الشيخ البيطار -رحمه الله- بالبحث والنظر، وفي تلك الأثناء تعرف على مجلة المنار، واتصل بمحمد رشيد رضا عن طريق مجلته[١] وعن طريق الرسائل المتبادلة[٢] بينهما وقويت العلاقة بينهما[٣].

وتتلمذ أيضا على محدث الشام بدر الدين الحَسَنِي[٤]، فأخذ عنه علم الحديث.

وتتلمذ أيضا على محمد الخضر حسين حين إقامته بدمشق، وهو خاتمة شيوخه، فقرأ عليه في مستصفى الغزالي في أصول الفقه، وبداية المجتهد لابن رشد، وصحيح مسلم، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، والكامل في الأدب لابن المبرد[٥].

ولم تذكر المصادر أنه رحل لطلب العلم خارج بلاده.

---

(١) انظر خطاب النفاخ في الموضع السابق

(٢) ذكر رسالة منها في رحلته ص٦٢-٦٣

(٣) انظر علماء الشام في القرن العشرين لمحمد حامد الناصر ص١٦٦

(٤) انظر رحلته ص٧٢

(٥) المصدر السابق وانظر فيما تقدم أيضا:محمد بهجة البيطار للخطيب ص١٣-١٤، وأعلام المكيين للخياط ص٣١٨، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/ ١٧٢، وتاريخ أمة لابن حميد ص١٢١٣

المطلب الثاني : شيوخه وتلامذته

ذكرت شيوخ الشيخ البيطار -رحمه الله- خلال المطلب السابق عند الحديث عن طلبه العلم على شيوخه، وأُعَدِّد في هذا المطلب شيوخه ذاكرا بعضا ممن لم أذكره قبلُ.

فشيوخه هم :

١) جمال الدين القاسمي، فقد تتلمذ عليه مدة أربع سنوات إلى وفاته عام ١٣٣٢هـ[١]، فلزمه وحضر دروسه الخاصة في التوحيد والتفسير والحديث والمصطلح والأصول والبلاغة، وعلى يدي القاسمي تمرس الشيخ البيطار -رحمه الله- بالبحث والنظر، وكان البيطار (التلميذ الأكبر علما)[٢] للقاسمي ، وأخصهم به[٣]، ورغم قصر المدة إلا أن الشيخ البيطار -رحمه الله- قد تأثر جدا بالقاسمي، وأعقب ذلك التأثر وفاء بالغا لشيخه، قال عاصم بهجة البيطار عن والده : (وكان تلميذا لشيخه القاسمي، وكان ملازما له، شديد التعلق به،وكان للشيخ رحمه الله أثر كبير في والدي، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة .... والثبات على العقيدة[٤]، والصبر على المكاره في سبيلها، ودفع كيد المفترين ودعاوي المبطلين بالحكمة والموعظة الحسنة. وكنت أشعر بسعادة والدي رحمه الله وهو يعمل فيما طَبَع من كتب شيخه، يخرج الأحاديث، ويقوِّم أخطاء الطباعة ويكتب المقدمات، وكم كنت أراه يبكي وهو يعمل ويبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي رحمه

---

(١) انظر تعليق الشيخ بهجة على حلية البشر لجده ص ٤٣٩، وجمال الدين القاسمي وعصره ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٦١/٤٢ رمضان ١٣٨٥هـ

(٢) رجال من التاريخ للطنطاوي ص٤١٢

(٣) مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١٠، وانظر مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث للبيطار ص١٠

(٤) انظر خطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٢٧/١

الله)[1] وقال : (وما سمعته يذكره مرة إلا والبكاء يكاد يغلبه)[2]وقال ظافر القاسمي عن البيطار: (فقد أبى عليه وفاؤه لشيخه جمال الدين القاسمي إلا أن يقرأ الكتاب[3] من أوله إلى يائه بعد الطبع، ليحصي الأخطاء المطبعية فيه)[4]وقد بلغت عنايته بشيخه أن دوَّن أمكنة دراسته عليه واختلافها حسب الأوقات [5].

٢) والده محمد بهاء الدين البيطار[6]، فقد درس عليه النحو الفرائض والفقه والأدب إلى حين وفاته منتصف عام ١٣٢٨هـ

٣) جده لأمه عبد الرزاق بن حسن البيطار[7]، وتعلم عليه بعد وفاة أبيه نحو أربع سنوات فأخذ عنه طرفا من الأصول والحديث والتفسير والتوحيد.

---

(١) مقدمة عاصم البيطار لكتاب الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين للقاسمي ص٦

(٢) المصدر السابق ص٢١

(٣) أي كتاب : جمال الدين القاسمي وعصره لابنه: ظافر بن جمال الدين القاسمي

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره لظافر بن جمال الدين القاسمي ص٦٩١

(٥) في مقدمة كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لابن بدران ص(ل)

(٦) سبقت ترجمته ص١٦

(٧) هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقيّ، جد المترجم له لأمه ولد عام ١٢٥٣هـ وتوفي عام ١٣٣٥هـ عالم بالدين والعربية، **كان صوفيا مقلِّدا إلى سن الخمسين ثم عَدَل سلفيا آخذا بالدليل،** امتُحن بعد أوبته بحكم تغلغل الصوفية في بلاده، ثم مُكِّن له بعدما ظهر لوالي سورية براءته من تهمة تأسيس مذهب جديد وتسليم سورية لنجد. قال حفيده بهجة البيطار- في تعليقه على حلية البشر لجده عبدالرزاق٢/٢٠٠٧-: وكان الأستاذ المؤلف رحمه الله صوفيا قبل أن يكون سلفيا. وانظر مقدمة الكتاب السابق ص٩-٢٠ وانظر الأعلام ٣٥١/٣، وخطاب الأستاذ أحمد راتب النفاخ عند تعيينه عضوا في المجمع مكان المترجم له في مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد (٥٣) ٢٢٣/١، وانظر ترجمة موسعة له في مقدمة محمد ناصر العجمي لكتاب نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبة النسر ص١٣-٨١

٤) محمد البشير الإبراهيمي، وأخذ عنه أثناء وجوده بدمشق، ولم تذكر المراجع ماذا أخذ عنه[(١)] .

٥) محدث الشام بدر الدين الحَسَني وتتلمذ عليه، وقرأ عليه في أصول الفقه، والحديث[(٢)] .

٦) محمد رشيد رضا، في أثناء تلمذته على القاسمي، تعرف على مجلة المنار لرشيد رضا، ثم صحبه وتتلمذ على يديه في سفره وإقامته في الشام والحجاز ومصر ستة عشر عاما، وكانت للبيطار منزلة خاصة عنده، وقد تأثر بمنهجه في الإصلاح [(٣)] .

٧) محمد الخضر حسين، خاتمة شيوخه، تتلمذ عليه حين إقامته بدمشق، فقرأ عليه في مستصفى الغزالي في أصول الفقه، وبداية المجتهد لابن رشد، وصحيح مسلم، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، والكامل في الأدب لابن المبرد[(٤)] .

---

(١) انظر كلمات وأحاديث للبيطار ص١٢٧

(٢) محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الغني المغربي، عالم عامل، محدث الشام في عصره، أصله من مُرَّاكش، كان منقطعا للعبادة والتدريس ورعا بعيدا عن الدنيا، **ارتفعت مكانته عند الحكام وأهل الشام حتى بويع بالخلافة فزجرهم، وكان لا يخالف صحيح النص وإن خالفته نصوص المتون**. انظر الرحلة النجدية الحجازية ص٧٢، والأعلام للزركلي ١٥٧/٧، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ص ٣٧٥-٣٧٦

(٣) انظر مقال المصاب العام بوفاة السيد الإمام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٦٦/١٥ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ، وخطاب النفاخ ١٣٣،٢٢٧/٥٣ ، وعلماء الشام في القرن العشرين لمحمد حامد الناصر ص١٦٦

(٤) انظر خطاب النفاخ في مجلة المجمع ٢٢٨/٥٣

أما تلامذته، فمنهم :

١) أحمد راتب النفاخ[١].

٢) أسد رستم[٢] .

٣) زهير الشاويش[٣].

٤) القاضي سعدي أبو جيب[٤] .

---

(١) خليفته في عضوية مجمع دمشق انظر خطاب استقباله في مجلة المجمع مج٥٣ ١/ ٢٤٤ ، وهو أحمد راتب بن موسى النفاخ، **لغوي أديب، عالم بالتراث، محقق،** ولد بدمشق ، لازم محمود شاكر حين دراسته بالقاهرة، توفي عام ١٤١٢هـ. انظر : ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص٢٧، وإتمام الأعلام ص٢٥، وتكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان اليوسف ١/٣٦-٣٧

(٢) أحد أساتذة التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت. انظر مقدمة عاصم البيطار لكتاب نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبة النسر لعبد الرزاق بن حسن البيطار ص (ج).

(٣) انظر مقدمة البيطار لمنادمة الأطلال لابن بدران ص(ن) حاشية٦، وهو محمد زهير مصطفى بن أحمد الشاويش، عرف بزهير الشاويش ، **من نسل الحسين بن علي الهاشمي،** ولد في حي الميدان بدمشق، **ناشر، فاضل، صاحب المكتب الإسلامي، شارك في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسوريا عام ١٩٤٥م، وانتُخب نائبا عن دمشق سنة ١٩٦١م، فأسهم في منع الربا، وتعطيل اقتراح إقامة النصب والتماثيل،** توفي عام ١٤٣٤هـ انظر: ترجمة ذاتية خلال كلمة له ألقاها يوم تكريمه في الندوة الإثنينية بجدة بتاريخ ٢١ شوال ١٤١٦ هـ، موقع أهل الحديث، تاريخ النشر: ١١/١٠/ ٢٠٠٣م، الرابط

&hi١٣١٩٣http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t= ١ED%D٪٥E٪٢ghlight=%D

(٤) انظر إمام الشام في عصره للعجمي ص٢٥٣، وهو سعدي بن حمدي بن سعيد بن محمد أبو جيب، ولد بدمشق، قاض، فقيه، ولد بدمشق، من مؤسسي مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، شارك بالموسوعة الفقهية الكويتية مساعدا علميا لخبير الموسوعة مصطفى الزرقا، لازم شيخه البيطار مدة خمس وعشرين سنة، من مؤلفاته: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، والقاموس الفقهي. انظر : حوار لرواد موقع أهل الحديث قام به : سليمان الحرشفي بدمشق في ١/١٢/١٤٢٩هـ، نشر في ٣/٥/ ٢٠١٢م، الرابط:

٥) سعدي ياسين الصباغ[1].

٦) صبري العسلي[2].

٧) ظافر جمال الدين القاسمي[3].

٨) عاصم بهجة البيطار ، ابنه [4].

---

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٨٢٧٠٤ ،

وأيضا : سعدي أبو جيب القاضي الفقيه،لضرار شاكر بن يحي، موقع رابطة العلماء السوريين، تم النشر في ١٤٣٤/٣/١٨هـ، الرابط http://www.islamsyria.com/portal/cvs/show/٥٧٠

(١) انظر مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١٢، وهو محمد سعدي بن أسعد عبد المجيد ياسين، الشهير بالصباغ، **عالم**، ولد بدمشق، **شارك في الثورة السورية**؛ فهدم الفرنسيون بيته، فهاجر واستوطنها تاجرا ومعلما، **كان أمين سر المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بلبنان، وعضوا في رابطة العالم الإسلامي**، توفي عام١٣٩٦هـ، من تصانيفه : النبوة إصلاح تقتضيه رحمة الله، وشرف العفاف. انظر: إتمام الأعلام ص١٣٧، وذيل الأعلام ص٩١

(٢) انظر مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص٢١، وصبري العسلي، ولد بدمشق، **وشارك في الثورة ضد الفرنسيين، رئيس الوزراء، ونائب رئيس الجمهورية حين الوحدة مع مصر**، ثم اعتزل الحياة السياسية بعد انقلاب البعث، ومصادرتهم ممتلكاته، توفي عام ١٣٩٧هـ. انظر إتمام الأعلام ص ١٣٠

(٣) انظر مقدمة ظافر لكتاب كلمات وأحاديث لبهجة البيطار ص١٠،ومقال تعريفي لكتاب مكتب عنبر لظافر القاسمي، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ٣٣٣/٤٠، شعبان ١٣٨٤هـ وهو ظافر بن محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، **عالم أديب لغوي مفسر**، رئيس نقابة المحامين بسوريا وعمل في السياسة حينا، ثم تركها إلى العلم بعد الاستقلال السوري، درَّس في جامعات سوريا وجامعة عمَّان وغيرها كان كاتبا مترسلا ومحاضرا متمكنا ومحدثا بارعا، ولد عام ١٣٣١هـ وتوفي عام ١٤٠٤هـ انظر : الأعلام للزركلي ٢٣٦/٣ ، وتتمة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان اليوسف ٢٥٩/١-٢٦٠

(٤) سبق سياق نسبه عند ذكر نسب أبيه ، **لغوي أديب مربٍّ**، وُلد في دمشق، وعمل في التدريس والتربية في سوريا والسعودية وقطر إلى أن انتهى به الحال عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق توفي

٩) عبد القادر الأرناؤوط[١].

١٠) عبد الله خياط[٢].

١١) مازن عبد القادر المبارك، عالم العربية [٣].

عام ١٤٢٦هـ. انظر : عاصم بن محمد بهجة البيطار علم من أعلام الشام، لأيمن بن أحمد ذوالغنى صحيفة الأسبوع الأدبي (دمشق) ، الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب، العدد (٩٨٠)، تاريخ: ٢٦ من رمضان (١٤٢٦هـ) بواسطة موقع الألوكة، رابط الموضوع: nKX٧vwhC٣/#ixzz١٧٢/٠http://www.alukah.net/culture/

(١) ارجع إلى لقاء مرئي معه بعنوان: (صفحات من حياتي) على قناة المجد رابط: https://www.youtube.com/watch?v=gMqVgmp-pco

و عبد القادر الأرناؤوط هو قَدْري بن صَوْقَل بن عَبْدُول بن سِنَان، واسم الشهرة : عبد القادر، والأرناؤوط لقب كان يطلق على كل ألباني، **محدث محقق للتراث،** ولد في كوسوفا ثم هاجر مع عائلته إلى دمشق وهو ابن ثلاث سنوات، **كان يشبَّه في سمته بالشيخ بهجة رحمه الله تعالى، وقد خلفه في التدريس في مسجده،** توفي عام ٢٠٠٥م رحمه الله تعالى. انظر : نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ المحدث عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله ،لأحد تلامذته (لم يذكر اسمه)،انظر: موقع صيد الفوائد، الرابط:

/alarnaut.htm١https://saaid.net/Warathah/

(٢) انظر : لمحات من الماضي له ص٣٣٠ ، وهو عبد الله بن عبد الغني بن محمد بن عبد الغني بن إبراهيم خياط، **إمام الحرم المكي ثلاثين عاما ويزيد،** كان عضوا في هيئة كبار العلماء منذ تأسيسها، **وهو الذي عرض على ولي الأمر تشكيل هذه الهيئة، وصدر الأمر المكي بتعيينه رئيسا للجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٣٨٠هـ لكنه اعتذر، تولى تدريس أنجال الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وحظي بمرافقته في معظم رحلاته،** ولد بمكة وتوفي عام١٤١٤هـ. انظر : لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبد الله خياط) ص٩-١٣ (مقدمة ابنه) وص٢٣٥، ٢٤٤، وتكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان اليوسف ١/٣٣٥-٣٣٧

(٣) انظر إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي لمحمد ناصر العجمي ص٢٥٣-٢٥٤ ط١ لدار البشائر، وهو مازن عبد القادر المبارك، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي -رضي الله عنهما-، لغوي مؤرخ محقق، تقلد مناصب أكاديمية عدة في جامعات سوريا والخليج، والجزائر، وهو حاليا عضو مجمع

١٢) محمد فريد جُحا[١].

١٣) محمد سعيد حسين كمال [٢].

١٤) مسلم الغنيمي الميداني[٣].

والشيخ البيطار –رحمه الله– قد تقلد في سلك التدريس والتربية أعمالا كثيرة وتخرج على يديه الكثير، لكن يجدر التنبيه أن ليس كل من كان يحضر دروسه في بيته ، هو من تلامذته، قال الأستاذ النفاخ :(ودروسه الخاصة في بعض حُجَره يتدارس فيها **مع ثلة من صحبه**، وخواص تلامذته طائفةً من الأمهات في الأصول والتوحيد) [٤]

والكتب التي كان يدرسها لتلامذته هي : الموافقات للشاطبي، والمستصفى للغزالي، واجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية[٥] لابن قيم الجوزية، ودلائل الإعجاز للجرجاني[٦]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني، والعلو للعلي الغفار للذهبي، والأسماء والصفات للبيهقي، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والإبانة لابي الحسن الأشعري، وإرشاد الفحول للشوكاني، وعلوم الحديث لابن الصلاح[٧].

اللغة العربية بدمشق، وأستاذ الدراسات العليا في معهد الشام العالي. انظر : صفحته الشخصية في موقع فيسبوك رابط:

https://www.facebook.com/مازن–عبدالقادر–المبارك /

(١) انظر مجلة الفيصل عدد (٢٥٦) شوال ١٤١٨هـ ص٩٢–٩٤ بواسطة إمام الشام للعجمي ص ٢٥٠–٢٥١ ، ولم أجد له ترجمة بعد بحث متكرر.

(٢) شاعر الطائف، كان أحد طلاب الشيخ في دار التوحيد. انظر كلمات وأحاديث ص١٣٨

(٣) إمام جامع الساحة وخطيبه وهو حفيد الشيخ عبد الغني الميداني الحنفي الشهير انظر خطاب النفاخ مج ٥٣ ١/٢٢٩ ، والرحلة النجدية للبيطار ص٧٧

(٤) خطاب استقباله في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ١/٢٣٧

(٥) فرقة تُنسب إلى الجهم بن صفوان تقول : بأن الإيمان هو المعرفة ، والكفر هو الجهل مع تعطيل الصفات، والجبر في القدر . انظر: مقالات الإسلامين للأشعري ١/٢١٩

(٦) انظر الرحلة النجدية ص٧٨

(٧) انظر ترجمة القاسمي للعجمي ص٢٥٤

فلكتب العقيدة نصيب الأسد من الكتب التي كان رحمه الله يدرِّسها.

المطلب الثالث : سماته العلمية

أما سماته العلمية فسأذكر منها ما يحدد معالم شخصيته العلمية، ويَبِين عن درجته كذلك، فهاك سماته على شكل نقاط :

١) فصاحة اللفظ، وقوة البيان وحسن تسلسله وسلاسته قال النفاخ : (.. وقد مَكَّن له في نفوسهم –أي : نفوس طلابه– وزاد في إقبالهم عليه : ما أوتيه من قدرة على الاحتجاج والإقناع، وحسن إبانة عما يعِن له من سوانح الفكر، وما وعاه صدره من أفانين العلم)[١] وقال النفاخ أيضا : (وإذا كان لا بد لي أن أعقب على ما قدمت من لغة الشيخ وأسلوبه: فمجمل القول في ذلك : أنه جرى في الفصاحة والبيان على عِرق من سلَفَيْه: أبيه وجده، فكان يصدر في كتابته وخطابه عن طبع مُواتٍ، ترفده معرفة بأحكام العربية وأساليبها محكمة، وقد كان في أول أمره يجنح إلى التزام السجع، ثم أخذ يتخفف منه إلا ما أطفّ له من غير ما تعمُّل[٢] ، وخلص في كتابته وخطابه وأحاديثه إلى أسلوب سهل عذب، له من إشراق ذهنه إشراق، وفيه من صفاء نفسه صفاء. وكان رحمه الله قد راض لسانه على الفصحى منذ حداثته، حتى صارت له طبعا فما يحسن الكلام بغيرها، وكان إذا ما ارتجل –وما أكثر ما يرتجل– لا يكاد يتعلق عليه –مهما امتد به نفس الكلام بسقطة، ولا يطوع لسانه بلحنة، وهو أمر تفرد به من بين أقرانه أو كاد)[٣] . وقال ظافر القاسمي : (فلا والله ما عرفت طبعا أرق، ولا خلقا أرضى، ولا لفظا أصح وأفصح، ولا معنى مسلسلا منتظما كعقد اللؤلؤ المنظوم، كما عرفت ذلك كله وأكثر منه عند الشيخ بهجة كما كنا نناديه)[٤] .

---

(١) خطاب النفاخ مج٥٣ ١/٢٣٠

(٢) أطف له من غير ما تعمل، أي : فَطِن له من غير تكلف. انظر: المعجم الوسيط ص٥٥٩

(٣) خطاب النفاخ مج٥٣ ١/٢٣٩–٢٤٠

(٤) مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١١

٢) تنوع معارفه. قال الطنطاوي: (وهو مطلع على جوانب من علوم شتى)[١].

٣) رجل مصلح تأثر بمشرب شيخه القاسمي وجده عبد الرزاق والشيخ محمد رشيد رضا في الإصلاح قال البشير الإبراهيمي: (وله في الإصلاح الديني سلف صدق، حققوه علما، وطبقوه عملا، يعتمد في تحصيله وتربيته على طودين شامخين من أطواد العلم والعمل: أحدهما الإمام عبد الرزاق البيطار، والثاني: المحدص جمال الدين القاسمي، عنهما أخذ، وفي كنفهما نشأ، وعلى يديهما تخرج فجاء عالما من ذلك الطراز الذي نقرأه في التراجم، ولا نجده فيمن تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون وينقلون ولكنهم لا يفقهون)[٢] وقال النفاخ عن الشيخ رحمه الله : (وأما المنهاج الذي ارتضاه له: فكان تطبيقا عمليا لآرائه –أي : آراء الشيخ رشيد رضا – في الإصلاح والتعليم)[٣].

٤) التمكن من العربية واستحضاره للشواهد، ونظم الشعر. قال الطنطاوي : (ولقد رأيت آلافا من الرجال، وعاشرت مئات منهم، فما رأيت مثله إلا قليلا في فهمه للإسلام، وتمكنه من العربية، واستحضاره للشواهد، وقدرته في نظم الشعر)[٤] .

٥) إجادته التحدث بالفرنسية قال عند الكلام على دراسته الثانوية : (ودرَست اللغة الفرنسية في المدرسة العازارية) [٥].

---

(١) رجال من التاريخ للطنطاوي ص٤٢٥/١ ، وانظر: خطاب النفاخ السابق ص٢٣٠، والجواهر الحسان لابن بيلا ٥٠٨/٢، ومقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١٦

(٢) آثار البشير الإبراهيمي ١/ ٥٦٤

(٣) خطاب النفاخ السابق ص٢٣٣، وانظر: منه ص٢٢٧ ، وانظر أيضا: مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص٢٣، ، وعلماء الشام للناصر ص١٦٦

(٤) رجال من التاريخ للطنطاوي ص ٤٨٩/١، وانظر: ترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٥) رحلته ص٨١،٧٤،٧١، وانظر: رجال من التاريخ للطنطاوي ٤٢٥/١

٦) سعة اطلاعه على نصوص الكتاب والسنة وتفسيرهما، وعلى كلام العلماء، وعلى أسماء الكتب ومؤلفيها قال ظافر القاسمي : (كان الشيخ –أي : بهجة البيطار– من أعلم الناس، إن لم يكن أعلمهم، بالنصوص :كل النصوص، أعني : فصول الكتاب العظيم، والسنة قبل كل شيء، ثم هذه النصوص المبثوثة في الكتب المختلفة، بعد أن قعدت القواعد، ووضعت المبادئ، وأخذ كل فريق يفلسف الشريعة على النحو الذي يراه. كنت ربما أشكل علي أمر؛ فسألته على الهاتف، فإذا هو يجيبني من صيد الخاطر، ومن حفظه القوي المتين، فإذا ما سألته آراء المذاهب وأهلها في الموضوع، أجابني أيضا على الشكل الذي يبسط الموضوع بسطا يتوخى فيه حدود المختصر الوافي. فإذا سألته أسماء المؤلفين والمراجع : أعطاني إياها، وإذا طلبت إليه الجزء والصفحة : استأناني قليلا، وعاد إليَّ بالجزء والصفحة والنص يقرأه عليَّ. ولا والله لم يخيب سؤالي مرة واحدة...)[١] ، وقال البشير الإبراهيمي عن الشيخ رحمه الله : (واسع الاطلاع على آثار المفسرين والمحدثين)[٢].

٧) بلوغه مرتبة الاجتهاد. قال البشير الإبراهيمي: (..ثم له رأيه الخاص يوافق ما يوافق عن دليل، ويخالف ما يخالف إلى صواب، لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك)[٣] .

٨) الجرأة على قول الحق في العلميات قال البشير الإبراهيمي عن الشيخ رحمه الله : (جريء على قَوْلَة الحق في العلميات، ولكن الجرأة منه يلطفها الوقار، والوقار فيه تزيّنه الجرأة، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف، متساوي الأجزاء، ملتحم الخلايا، قل أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين)[٤]

---

(١) مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص٢١-٢٢

(٢) آثار البشير الإبراهيمي ٥٦٤/٣

(٣) آثار البشير الإبراهيمي ٥٦٤/٣

(٤) المصدر السابق.

٩) بلوغه مرتبة عالية في فهم أسرار الشريعة ومقاصدها. قال البشير الإبراهيمي عن الشيخ رحمه الله: (الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة السلفية الحقة، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة، واسع الاطلاع على آثار المفسرين والمحدثين، سديد البحث في تلك الآراء، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينهما، ثم له رأيه الخاص يوافق ما يوافق عن دليل، ويخالف ما يخالف إلى صواب، لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك)[١]

١٠) نبوغه المبكر. قال النفاخ : (وتشهد –أي : تأليف البيطار نقد عين الميزان في مقبل عمره– أن في أطوار هذا الفتى الغض الإهاب الذي لم يتجاوز العشرين، عالما سيبلغ في مستقبل أيامه من العلم أبلغ غاياته)[٢]

١١) الثبات على الحق. قال أحمد راتب النفاخ : (وكان أبلغ ما خلفته قراءةُ الشيخ على أستاذه القاسمي هذا، وعلى جده الشيخ عبد الرزاق أن ورِث عنهما مشربهما في الإصلاح وتمسكهما بمذاهب السلف. وكانت المحنة التي امتحن بها جده وثباته عليها، ثم ما كان من جِدِّ شيخه الآخر : القاسمي في نصرته فيها ، قد بصرته في أول أمره –وكان إذ ذاك في الثالثة عشرة– كيف يكون توخي الحق من وجوهه ثم الثبات عليه، والصبر على المحنة فيه من غير التفات إلى كيد الكائدين، ولا إلى إرجاف المرجفين، واحتساب الأجر في ذلك عند الله)[٣] .

١٢) متفردا من بين أقرانه في قوة جداله وسرد حججه، وترويض المعاندين وحل المشكلات. قال ظافر القاسمي : (..فكنت أراه –قدس الله روحه– مغردا علما من بينهم –أي: من بين أقرانه– جميعا، ولا سيما في طريقة الجدل

---

(١) آثار البشير الإبراهيمي ٥٦٤/٣ ، وانظر: خطاب النفاخ مج٥٣ ٢٣٥/١

(٢) خطاب النفاخ مج٥٣ ٢٢٨/١، وانظر: رسالة القاسمي لمحمد نصيف سنة ١٣٣١هـ بواسطة ترجمة القاسمي للعجمي ص٢٦٢، والرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي ص٢٢٧

(٣) خطاب النفاخ مج٥٣ ٢٢٧/١

والنقاش، وفي سرد الحجج، وفي ترويض المعاندين —وما أكثرهم–، وفي حل المشكلات، وفي مزج العقيدة باللغة والتاريخ والسيرة النبوية والأدب، فيخرج من هذا كله (الكريستال) الصافي الذي تقبله الأذواق والأفهام)[1] .

---

(١) مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١١

المطلب الرابع : أعماله ووظائفه

تولى الشيخ البيطار -رحمه الله تعالى- أعمالا ووظائف كثيرة، سأسردها حسب الترتيب الزمني، وهي :

١) تولى الإمامة والخطابة والتدريس في جامع محلة القاعة في حي الميدان بدمشق -بضع سنين[١]- خلفا لوالده بعد وفاته عام ١٣٢٨هـ[٢].

٢) ولما ناهز العشرين عمل سنة ١٣٣١هـ معلما للدين والعربية في مدرسة التوفيق الأهلية[٣] ، وبقي يعمل فيها عندما ضمت للمدرسة الكاملية[٤] - التي دَرَس فيها سابقا- حتى عام ١٣٣٨هـ[٥]

٣) تولى الخطابة والتدريس والإمامة في جامع كريم الدين الشهير بالدَّقَّاق عام ١٣٣٤هـ بأمر جده خلفا لخاله أحمد ابن الشيخ عبد الرزاق بن حسن

---

(١) تاريخ أمة في سير أئمة لصالح بن حميد ص١٢١٣

(٢) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وترجمة البيطار للخطيب ص١٤

(٣) لم أجد لها تعريفا في المصادر .

(٤) التربة (أي: القبر الذي يبنى فيه مدرسة انظر: المعجم الوسيط ص٨٣) الكاملية اثنان: الكاملية البرانية ، والكاملية الجوانية، والمقصود هي الثانية؛ إذ هي التي نص ابن بدارن على أنها الموجودة الآن، وهي شرقي الخانقاه السميساطية ولها باب الى جامع بني أمية قال عز الدين الانصاري الحلبي ان الكامل لما ملك دمشق عمدت بناته الثلاث الى أماكن في جوار باب الناطفانيين (وهو باب الجامع الشمالي كما قال ابن بدران في منادمة الأطلال ص١٦١) فاشترينها وعمرتها تربة مفتوحة الشبابيك الى الجامع وبها قراء. انظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لابن بدارن، ص٣٤٨

(٥) خطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٢/١

البيطار بعد وفاته[١]، ثم تولى الإمامة فيه ابن عمه محمد نعيم البيطار[٢]، وبقي الشيخ بهجة خطيبَ الجامع ومدرّسَه[٣] إلى وفاته[٤] لم ينقطع عنه إلا لمرض وسفر.

٤) ثم عمل مدرسا في مدرسة التوفيق الميدانية، وكان يلقب برئيسها أيضا، إذ قد أسسها مع صديقه عبد الحكيم الطرابلسي[٥] وذلك عام ١٣٣٨هـ[٦]

٥) وفي عام ١٣٤٠هـ دعته وزارة المعارف[٧] لتدريس مادتي الدين واللغة العربية والفرنسية في مدرسة خالد بن الوليد في حي الميدان، وبقي فيها لمدة خمس سنوات[٨].

---

(١) انظر خطاب النفاخ مج٥٣ ٣٣٠/١، وتعليق الشيخ بهجة على حلية البشر لجده ص٤٦٤، **وخلط بين التعيين في هذا الجامع، وجامع القاعة الذي قبله الأستاذ كحالة في معجم المؤلفين** فجعلهما واحدا فقال: (وتولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع القاعة بحي الميدان الشهير بالدقاق)، وأحمد عبد الرزاق البيطار لم أجد له ترجمة.

(٢) **نص** على ذلك الشيخ بهجة في رحلته ص٧٧، وجعل الشيخ صالح بن حميد في تاريخ أمة ص١٢١٤ اسمه جميل البيطار. ومحمد نعيم البيطار لم أجد له ترجمة كذلك.

(٣) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦

(٤) نص على ذلك بلَدِيُّه عدنان الخطيب في ترجمته المفردة عن البيطار ص١٤، وقال الشيخ صالح بن حميد في تاريخ أمة في سير أئمة ص٢٢١٣ أنه بقي في ذلك الجامع إلى سنة ١٣٨٧هـ

(٥) هو عبد الحكيم محمود بن محمد بن عبد الوهاب الطرابلسي، ولد بسوريا، **سياسي، بلغ درجة وزير مفوض في السفارة السعودية في دمشق، مشارك في العلوم الشرعية**، وتوفي سنة : ١٩٦٢م. انظر : ذكريات لعلي الطنطاوي، ٢٦٨/٣

(٦) انظر خطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٢/١

(٧) في عهد وزارة الأستاذ محمد كرد علي، انظر: الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ .

(٨) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣، وترجمة البيطار للخطيب ص١٤

٦) وفي العام نفسه[١] تم انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق.

٧) عمل مديرا مؤسِّسا للمعهد العلمي[٢] السعودي بمكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ، وذلك بطلب من الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- عند مشاركة البيطار -رحمه الله- في المؤتمر الإسلامي العام[٣]، وعمل فيه لمدة خمس سنوات[٤] تقلد خلالها المناصب التالية :

٨) عضوا بمحكمة مكة الشرعية الكبرى، ونائبا لرئيس هيئة المراقبة القضائية عام ١٣٤٦هـ[٥]، وما زال رحمه الله يستعفي القضاء من الملك عبد العزيز -وكان يقول له: خلقت معلما ولم أخلق قاضيا[٦]- حتى أجابه وأعفاه[٧].

٩) عين مفتشا للعلوم الدينية في مدارس الحجاز[٨] عام ١٣٤٧هـ[٩]

١٠) أستاذ مادتي التوحيد والتربية العلمية في العام نفسه[١٠] - وكان يجمع لهما مديري وأساتذة مكة[١١]- .

---

(١) هذا الذي ذكره البيطار في رحلته ص٧٣، وهو الأصح، وذكر النفاخ في خطابه في مجلة المجمع مج٥٣ ٢٣٢/١، والخطيب في ترجمة البيطار ص١٧ أن ذلك كان في ١٤٣٢هـ، وذكر الخطيب في المصدر السابق تفصيل عمل الشيخ بهجة البيطار في مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٢) **انفرد** كحالة في معجم المؤلفين ١٧٢/٣ فقال: (العالي) وتبعه على ذلك عبد الله المعلمي في أعلام المكيين ص٣١٨ ، أما بقية المصادر فقالت : (العلمي) وهو الصواب.

(٣) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(٤) انظر خطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٤/١،وترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٥) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(٦) انظر رجال من التاريخ للطنطاوي ٤١٢/١

(٧) انظر خطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٤/١، وترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٨) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٩) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(١٠) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦

(١١) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٥، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

١١) عين عضوا في مجلس المعارف العمومية[١] كذلك في العام نفسه[٢].
١٢) وكذلك عين مدرسا في المسجد الحرام[٣] في العام نفسه [٤] .
١٣) عضوا في هيئة مراقبة الدروس والتدريس في الحرم المكي من العام نفسه[٥].
١٤) كذلك عين إماما للمصلين في صلاة العصر في الحرم المكي .
١٥) وكذلك درَّس في الحرم المدني مدة شهر واحد [٦].
١٦) في عام ١٣٥٠هـ التمس من الملك عبد العزيز –رحمه الله– العودة إلى دمشق، فعاد[٧] إلى الإمامة والخطابة والتدريس في جامع الدقاق[٨] .
١٧) دعته جمعية المقاصد الخيرية ببيروت عام١٣٥٣هـ للعمل مدرسا في كلتي البنين والبنات[٩] ، فأجاب.
١٨) وفي العام نفسه انتدبته وزارة معارف الشام للتدريس في تجهيز كلية البنات بدمشق [١٠].

---

(١) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٢) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(٣) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٤) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وخطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٤/١

(٥) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦

(٦) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وخطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٤/١

(٧) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وخطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٤/١

(٨) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٥

(٩) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وخطاب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية مج٥٣ ٢٣٥/١، وترجمة البيطار للخطيب ص١٦، ومقدمة الشيخ بهجة لكتاب قواعد التحديث للقاسمي ص١٩

(١٠) انظر معجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣، وخطاب النفاخ مج٥٣ ٢٣٥/١، وترجمة البيطار للخطيب ص ١٦، ومقدمة الشيخ بهجة لكتاب قواعد التحديث للقاسمي ص١٩، **وذكر الشيخ البيطار**

١٩) في عام ١٣٥٥هـ عين مدرسا عاما في مدارس دمشق[١] من قبل دائرة الإفتاء العامة[٢] .

٢٠) أعيد تعيينه مدرسا للعلوم الشرعية في مدارس حي الميدان الابتدائية من قِبل وزارة المعارف السورية[٣] وذلك في العام نفسه[٤].

٢١) وأيضا في نفس العام دَرَّس في معهد جمعية العلماء بدمشق[٥]، وكان عضوا فيه[٦].

٢٢) عين مدرسا للتفسير والأخلاق في الكلية الشرعية بدمشق سنة ١٣٦١هـ من قِبل مديرية الأوقاف[٧].

٢٣) وفي نفس السنة عهدت إليه وزارة المعارف السورية بتفسير القرآن الحكيم من الوجهة الأدبية في دار المعلمين العليا[٨].

٢٤) وفي عام ١٣٦٢هـ انتخبته وزارة المعارف مدرسا لمادتي التفسير والحديث في دارَيْ المعلمين والمعلمات.

في رحلته ص٧٥ كيفية التوفيق بين هذ العمل والذي قبله فقال : (**وكنت أسافر إلى بيروت أصيل الجمعة وأعود منها مساء الثلاثاء من كل أسبوع**).

(١) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦

(٢) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٦

(٣) انظر معجم المؤلفين لكاحالة ص١٧٣

(٤) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٦

(٥) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وعلماء الشام في القرن العشرين للناصر ص١٦٧

(٦) انظر علماء الشام في القرن العشرين للناصر ص١٦٧

(٧) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، وترجمة البيطار لعدنان الخطيب ص١٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(٨) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣، وترجمة البيطار للخطيب ص١٦

٢٥) وفي عام ١٣٦٣هـ استدعاه الملك عبد العزيز –رحمه الله– إلى إنشاء دار التوحيد[١] بالطائف فاستجاب وتم الإنشاء وبقي فيها ثلاث سنوات إلى أن أصبحت ثانوية[٢] وتخرج منها القضاة والمفتون والدعاة[٣].

٢٦) وبعد عودته من الطائف عين بدمشق مدرسا لمادتي التفسير والحديث في كلية الآداب في الجامعة السورية وذلك عام ١٣٦٧هـ[٤]

٢٧) وانتخب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية العراقي[٥] عام ١٣٧٥هـ[٦].

٢٨) ثم عين مدرسا للتفسير في كلية الشريعة بالجامعة السورية[٧] عام ١٣٨٧هـ[٨].

٢٩) وبعد قرار توحيد مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة عام ١٣٨٠هـ اعتبر القرارُ الأعضاءَ في المجمعين أعضاءً في المجمع الجديد[٩].

٣٠) وكان رحمه الله عضوا في رابطة العلماء بدمشق[١٠].

٣١) كتابة منهاج المواد الدراسية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وسلم نسختين منه أحدهما للملك سعود رحمه الله، والثانية للعلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، وقد نال استحسانهما، وكان ذلك عام

---

(١) انظر معجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(٢) انظر ترجمة البيطار للخطيب ص١٦

(٣) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦

(٤) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣، وترجمة البيطار للخطيب ص١٦

(٥) انظر معجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣، وترجمة البيطار للخطيب ص١٧

(٦) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦

(٧) انظر معجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(٨) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦، وترجمة البيطار للخطيب ص١٦

(٩) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٧٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ص١٧٣

(١٠) انفرد بذكر ذلك الناصر في علماء الشام في القرن العشرين ص١٦٧

١٣٨١هـ، وكانت كتابته للمنهاج بعد دعوة الملك سعود للشيخ بهجة للمذاكرة بشأن إنشاء جامعة إسلامية في رحلته للرياض عام ١٣٨٠هـ[1].

---

(١) انظر الرحلة النجدية لبهجة البيطار ص٨٣ وذكر في ص٨٤ **أنه زار الجامعة الإسلامية واطلع على سير العمل فيها، وألقى فيها محاضرات،** وانظر أيضا خطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ٢٣٧/١

تنبيه : هناك مصادر ذكرت أعماله بإجمال وهذه مواضعها : الجواهر الحسان لابن بيلا ٥٠٨/٢، وأعلام المكيين لعبد الله المعلمي ص٣١٨، ورجال من التاريخ للطنطاوي ٤١٣/١

المطلب الخامس : مؤلفاته

للشيخ رحمه الله مؤلفات عدة [1][2] وهي كما يلي :

١- **نقد عين الميزان**، ألفه الشيخ بهجة البيطار -رحمه الله- ردا على الرافضي محمد حسين آل كاشف الغطاء[3] في نقده شيخه القاسمي فيما ذهب إليه في كتابه الميزان في الجرح والتعديل من قبول التحمل والرواية عن المنسوبين للبدعة إذا ما ثبت صدقهم وعدالتهم[4].

٢- **الرحلة النجدية الحجازية، صور من حياة البادية**[5]، ضمنها رحلاته وطرفا من رسائله وترجمته الذاتية.

---

(١) جميع ما سيذكر من المؤلفات مطبوعة سوى : الديوان الصغير، وأغلب المطبوع نشر قديما، وللاستزادة حول بيانات النشر يُرجع لفهرس المصادر.

(٢) قال خليفته في عضوية مجمع دمشق : أحمد راتب النفاخ : ولا يفوتني هنا أن أقول : إنه على ما لآثار الشيخ التي عددت جملة منها في ثنايا هذه الكلمة من قيمة علمية، فالحق الذي لا يخالجني فيه أدنى ريب أن الرجل في نفسه كان أكبر من هذه الآثار، وما أظنه إلا كذلك عند كل من عرفه.

(٣) هو محمد حسين بن علي بم الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء : من أهل النجف، مجتهد في مذهب الإمامية الانثي عشرية، وأديب، كان من دعاة الوفاق بين المسلمين، وكان من أعضاء المؤتمر الإسلامي في القدس، توفي عام: ١٣٧٠هـ انظر : الأعلام ١٠٦/٦

(٤) انظر خطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ٢٢٨/١ ، والرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٤، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٧، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣، وتاريخ أمة لابن حميد ص١٢١٤

(٥) انظر محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

٣- **الكوثري وتعليقاته** ، ألف هذه الرسالة ردا على الكوثري فيما افتراه في تعليقاته على عقائد السلف[١].

٤- **النفخة على النفحة** ، ألف هذه الرسالة دفاعا عن عقيدة السلف باسم مستعار هو : ناصر الدين الحجازي الأثري يرد بها على عبد القادر الإسكندراني[٢] في رسالته النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية[٣].

٥- **نظرة في النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية** ، وهذه الرسالة (دعوة إلى مذهب السلف الصالح ونبذ المعتقدات الزائفة والآراء الفاسدة)[٤] باسم مستعار أيضا هو : أبو اليسار الدمشقي، نشرها الشيخ -رحمه الله- ذيلا للرسالة السابقة، ردا على الإسكندراني السالف ذكره[٥].

٦- **كلمات وأحاديث،** أصله محاضرة ألقاها في بداية عمله في مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي التي ذكرها المؤلف في رحلته باسم الثقافتان الصفراء والبيضاء ووصفها بأنها (جامعة للأصول السديدة في الثقافتين القديمة والجديدة)[٦]، جددت طباعتها في حياة المؤلف باسم كلمات وأحاديث[٧]، فظنها صاحب معجم المؤلفين كتابين[٨].

---

(١) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٦، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣، وتاريخ أمة لابن حميد ص١٢١٤

(٢) هو عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني الشهير بالإسكندراني، ولد بالإسكندرية، ونشأ بدمشق، **فقيه، شارك بأعمال جمعية العلماء، من معارضي دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب،** توفي سنة:١٣٦٢هـ . لم أظفر له على ترجمة في المصادر، وانظر : الشاملة، رابط:
http://shamela.ws/index.php/author/١٧٦٤

(٣) انظر محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٧ ، وتاريخ أمة لابن حميد ص١٢١٤ووقع فيه هكذا :(النفحة على النفخة والمنحة)

(٤) الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٤

(٥) انظر محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٧، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣

(٦) الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٤، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٧) انظر محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨-٢٩

(٨) ١٧٣/٣

٧- **حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (محاضرات ومقالات ودراسات)** ، أصله محاضرات قديمة في حياة ابن تيمية عام ١٣٧١هـ عمد إليها فنقحها وزاد فيها وأخرجها في مجلة مجمع دمشق وأتبعها مقالات أخرى تضمنت اختياراته وتحقيقاته في مواضيع شتى، ثم اجتمع له من ذلك كتاب نشره في المكتب الإسلامي بالاسم المذكور[(١)].

٨- إكمال ونشر تفسير سورة يوسف، أكمل الشيخ بهجة رحمه الله التفسير الذي بدأه العلامة الشيخ محمد رشيد رضا في مجلته المنار ووصل فيه إلى قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[(٢)]. فأكمله الشيخ بهجة على طريقة الشيخ رشيد رضا إلى نهاية السورة في نفس المجلة وكتب له مقدمة، ثم نشره مستقلا بدمشق[(٣)].

٩- **الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة**[(٤)]، وهو رد على الرافضي محمد الخالصي[(٥)] في شبه واتهامات للصحابة الكرام خصوصا لأبي بكر وعمر.

١٠- **الإنجيل والقرآن في كفتي الميزان**[(٦)]، وهو رد أيضا على القس يوسف الحداد[(٧)] في كتابه الإنجيل في القرآن.

---

(١) انظر خطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٧-٢٣٨ ،والرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٢) سورة يوسف:٦

(٣) انظر خطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ٢٣٥/١ ، الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٤) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٦، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٥) ستأتي ترجمته ص١٣٥

(٦) محمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٣٠، ومعجم المؤلفين ١٧٣/٣

(٧) ستأتي ترجمته ص١٧٧

١١- ديوان صغير، قال الخطيب : (ترك لنا ديوانا صغيرا فيه شعر يمدح الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - ، كما يتضمن أبياتا ومقطوعات ومساجلات كان يتعاورها مع بعض أصدقائه وزملائه المجتمعين ..)[١].

١٢- إكمال وكتابة مقدمة وخاتمة لكتاب المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا لمحمد رشيد رضا[٢]

١٣- بحث في حياة أبي حامد الغزالي بعنوان : حجة الإسلام : أبوحامد الغزالي، أصله ورقة ألقاها في مجمعي اللغة العربية في دمشق والقاهرة، ثم طبعه مجمع القاهرة مستقلا[٣].

١٤- بحث في الاشتقاق والتعريب بعنوان: بين الاشتقاق والتعريب، أصله كسابقه بحث ألقاه في مجمعي اللغة العربية في دمشق والقاهرة، طبعه مجمع القاهرة مستقلا[٤].

١٥- تحقيق وشرح كتاب أسرار العربية للأنباري[٥].

١٦- تحقيق واستدراك على كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، والثلث الأول من القرن الرابع عشر لجده لأمه عبد الرزاق بن حسن البيطار، ألف جده هذا الكتاب في مراحل مختلفة من حياته، فوقع تأليف قسم من الكتاب قبل رجوعه إلى طريق السلف، فذكر مخالفات صوفية، ثم لم يُتح له مراجعة الكتاب وتنقيحه وتهذيبه؛ بسبب

---

(١) ترجمة البيطار للخطيب ص٢٥

(٢) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨، وخطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٦، والكتاب طُبع باسم : الربا والمعاملات في الإسلام.

(٣) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٦، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩

(٤) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٦، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٣٠

(٥) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩، وخطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٨، ومعجم المؤلفين ٣/١٧٣

شلل أصابه إلى أن توفي، فأذن لحفيده الشيخ بهجة بالاختصار والتصرف بالحلية ففعل، لكنه بعد استشارة نشر الأصل وعلق على المخالفات في الكتاب[1].

١٧- تحقيق وشرح الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكنغراوي[2]

١٨- تحقيق وشرح قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لشيخه القاسمي[3].

١٩- تحقيق وتعليق مسائل الإمام أحمد، رواية تلميذه أبي داوود السجستاني[4].

٢٠- تخريج أحاديث كتاب البخلاء للجاحظ، الذي حققه وصححه بعض رجال المجمع العلمي بدمشق[5].

٢١- كتابة مقدمة وترجمة لصاحب كتاب : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لابن بدارن، طبعه المكتب الإسلامي عام ١٣٧٩هـ.

٢٢- الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى، منظومة في الرد على يوسف النبهاني في منظومة (الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا) التي كفَّر فيها أمثال القاسمي ومحمد رشيد رضا.

---

(١) انظر مقدمة حلية البشر ص٣-٧، وخطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٨-٢٣٩، والرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٦، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٩، ومعجم المؤلفين ٣/١٧٣، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٢) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨،وخطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٦، ومعجم المؤلفين ٣/١٧٣، والكنغراوي هو عبد القادر بن عبد الله بن حسن الكنغراوي الإستانبولي الحنفي، ولد بالآستانة، **قاض** ، **نحوي، مؤرخ، كان عضوا في مجلس المعارف بالآستانة،** من مؤلفاته: تارخ دول الإسلام، توفي عام ١٣٤٩هـ انظر: مقدمة بهجة البيطار لكتاب الموفي ص، ومعجم المؤلفين ٥/١٧

(٣) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨، وخطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٥، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٤) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨، وخطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٥، وعلماء الشام للناصر ص١٧٠

(٥) انظر الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٨٥، ومحمد بهجة البيطار لعدنان الخطيب ص٢٨، خطاب النفاخ في مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٣٥

ويلاحظ من التعداد السابق لمصنفات الشيخ بهجة أن أكثر مصنفاته المستقلة كانت في العقيدة .

تنبيه : في كتاب علماء الشام في القرن العشرين لمحمد حامد الناصر [1] جعل الشيخ بهجة محققا ومعلقا لكتاب الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين، لجمال الدين القاسمي **وهو وهم؛ إذ الذي قام بذلك هو ابنه عاصم؛ كما هو مثبت على طرة الكتاب، وكما يعلم من مقدمة الكتاب أيضا.**

(١) ص٧١

المطلب السادس : عقيدته

وصفه البشير الإبراهيمي رحمه الله بأنه (إمام من أئمة السلفية الحقة)[(١)]وقال عاصم بهجة البيطار عن والده : (وكان تلميذا لشيخه القاسمي،... غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة)[(٢)] .

وقد أخذ الشيخ بهجة رحمه الله تعالى التمسك بالمنهج السلفي والثبات عليه من شيخيه القاسمي وجده لأمه عبد الرزاق بعد أوبته إلى طريق السلف، قال أحمد راتب النفاخ : (وكان أبلغ ما خلفته قراءةُ الشيخ على أستاذه القاسمي هذا، وعلى جده الشيخ عبد الرزاق أن ورِث عنهما مشربهما في الإصلاح وتمسكهما بمذاهب السلف. وكانت المحنة التي امتحن بها جده وثباته عليها، ثم ما كان من جِدٍّ شيخه الآخر : القاسمي في نصرته فيها ، قد بصرته في أول أمره –وكان إذ ذاك في الثالثة عشرة–كيف يكون توخي الحق من وجوهه ثم الثبات عليه، والصبر على المحنة فيه من غير التفات إلى كيد الكائدين، ولا إلى إرجاف المرجفين، واحتساب الأجر في ذلك عند الله)[(٣)]

و منذ تتلمذ على القاسمي وهو في مقتبل عمره ظلت كتب الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية المورد التي ينهل منها ويَعِل طوال حياته[(٤)].

ومع سيره على عقيدة السلف الصالح في عموم أبواب العقيدة، إلا أنه خالف في مسائل قليلة وهي:

١. حصر آيات الأنبياء بالقرآن، وعدم الاعتراف بخوارق المعجزات؛ لأنها تخالف قوانين الطبيعة ![(٥)].

---

(١) آثاره ٣/٥٦٤

(٢) مقدمة عاصم البيطار لكتاب الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين للقاسمي ص٦.

(٣) مجلة المجمع مج٥٣ ١/٢٢٧

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر ص٨٧ من هذه الرسالة.

٢. اختيار الإمام يكون للأمة، وأن الحاكم المسلم إذا لم يستقم فإنه يقوم باللسان أو السيف ! فإن لم يرجع وجب خلعه ![١]

٣. دافع عن ردِّ الشيخ رشيد رضا حديثَ سجود الشمس تحت العرش، بأنه اجتهد بما رأى أنه الأحرى[٢] .

٤. موافقة شيخه القاسمي في رفض وصف الرواة المبتدعة (الذين روى عنهم الأئمة المحدثون) بالمبتدِعين ووصفهم القاسمي بالمبَدَّعين؛ وأن وصفهم بالابتداع من باب التنابز بالألقاب التي عَقَّ بها المتأخرون سلفهم، وأنه يسبب الفرقة المجتمعية، ولأجل ذلك لم يرتض الشيخ البيطار وصف ابن بطة رحمه الله الفرق الإسلامية المبتدعة ورؤساءها باللعن والطعن والتنفير منهم[٣] .

٥. وصف أعيان الرافضة بالإمامة والاجتهاد ونحوها[٤] .

٦. جعل من يقول : إن المسيح إله وابن الرحمن، ويموت من أجل ذلك ، شهيدا ! وجعل الخلاف بينهم وبين من يصدهم عن ألوهية المسيح خلافا صوريا[٥] .

٧. كان في الشيخ نوع غفلة عن مكر بعض النصارى[٦] .

٨. تمجيد الرابطة الوطنية على حساب الرابطة الدينية[٧] .

---

(١) انظر ص٢٦٦ من هذه الرسالة.

(٢) انظر ص٣٤٢ من هذه الرسالة.

(٣) انظر ص٣٥٤ من هذه الرسالة.

(٤) انظر ص٣٩٦ من هذه الرسالة.

(٥) انظر ص٤٦٠ من هذه الرسالة.

(٦) انظر ص٤٦٨ من هذه الرسالة.

(٧) انظر ص٤٣٨ من هذه الرسالة.

٩. الثناء على القول بإيمان عم النبي عليه الصلاة والسلام أبي طالب، بأنه يسر كل مسلم[١] .

١٠. الغلو في مدح أبي حامد الغزالي، فوصفه رحمه الله بالمجدِّد والمصلح، بل نقل القول بأنه لا يبغضه إلا ملحد أو زنديق دون تعقيب[٢] .

١١. اعتذاره عمن **يصرِّح** بالاستجارة بالنبي ﷺ من الضيم ، بأنه يعتقد أن النفع والضر بيد الله عز وجل !![٣]

١٢. حمل ذم الخوارج في النصوص على متقدميهم دون متأخريهم، وبالتالي لا يُقتلون، وأن تقتيلَهم لأطفال المسلمين ونسائهم هم فيه مجتهدون مستدلون !![٤]

وكان للشيخ موقف سابق يدعو فيه إلى إنشاء دور علم دينية مشتركة بين السنة والرافضة، وكان يحكي مذهب الرافضة بعصمة الأئمة الاثني عشر دون تعقيب، لكنه تراجع عن ذلك[٥] .

وكان الشيخ متأثرا تأثرا يسيرا بالمدرسة العقلية الحديثة[٦] التي كانت لها صولة وجولة في زمانه، فقد كان يرجع كثيرا في التفسير وغيره

(١) انظر ص٢٢٢ من هذه الرسالة.

(٢) انظر ص٤١٠ من هذه الرسالة.

(٣) انظر ص١٧٧ من هذه الرسالة.

(٤) انظر ص٤٢٠ من هذه الرسالة.

(٥) انظر ص٣٩٣ من هذه الرسالة.

(٦) تسمى أيضا بمدرسة العصرانيين ، وهي مدرسة تسير على أصول المعتزلة الأقدمين لكن على استحياء، وأهم أصل قلدت فيه المعتزلة هو تقديم العقل على النقل عند التعارض (وإن زعموا بأنه تأويل)، وهي مدرسة لم تتضح معالمها بعدُ خصوصا مع تفاوت آراء رُوَّادها، وتنحو هذه المدرسة منحى تضييق مجال الغيبيات وحصر آيات الأنبياء بالقرآن فقط، وتمجيد رابطة القومية الوطنية على

إلى كتب أصحاب هذه المدرسة والمتأثرين بها كمحمد عبده، والمراغي[(١)] ومحمد رشيد رضا[(٢)]، وقد نص على أنه تأثر بمنهج رشيد رضا في الإصلاح أحد تلامذته[(٣)]،وقد مر قريبا أنه تتلمذ على الشيخ رشيد رضا[(٤)]، وما مخالفته في بعض ما سبق[(٥)] إلا نِتاج تأثره بتلك المدرسة.

حساب الرابطة الدينية. انظر: شبهات عصرية مع أجوبتها لسليمان الخراشي ص٥-١٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ٦٦/١

(١) هو أحمد بن مصطفى المراغي ، عالم مفسر من أهل مصر، أكاديمي، كان متأثرا بمنهج المدرسة العقلية الحديثة؛ فممن نسبه إلى رجالاتها د/فهد الرومي في كتابه: منهج الدرسة العقلية في التفسير ص٢٠٨، من أشهر كتبه : تفسير المراغي، وتوفي عام : ١٣٧١هـ. انظر : الأعلام للزركلي ٢٥٨/١

(٢) انظر من هذا البحث الصفحات: ٨٦، ٣٤١، ٤١١، ٤٣٩، ٤٥٢، ٤٦٠، ٤٦٦ ٤٨، ٤٩،٧١، ٥٧، ٢٩٠، ٣٧٧، ٣٣٥، ٣٧٧

(٣) هو أحمد راتب النفاخ، خليفته في عضوية مجمع اللغة العربية بدمشق انظر في ترجمته: ص٢٢

(٤) انظر: ص٢٨

(٥) ذات أرقام : ١، ٣، ٤، ٥، ٨ فيما سبق تعداده من مخالفات الشيخ رحمه الله.

المطلب السابع : ثناء العلماء عليه

جميع ما سبق من سمات الشيخ العلمية تصلح هنا في الثناء عليه، وكلام أهل العلم في الثناء عليه كثير أقتصر منه على أبلغِه :

- قال علي الطنطاوي : (.....فقوله درس، وسلوكه قدوة، ومجالسته متعة ما بعدها من متعة -رحمه الله-. ولقد رأيت آلافا من الرجال، وعاشرت مئات منهم، فما رأيت مثله إلا قليلا...)[(١)] .
- وقال البشير الإبراهيمي : (الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الإسلام، وإمام من أئمة السلفية الحقة، دقيق الفهم لأسرار الكتاب والسنة، واسع الاطلاع على آثار المفسرين والمحدثين، سديد البحث في تلك الآراء، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينهما، ثم له رأيه الخاص يوافق ما يوافق عن دليل، ويخالف ما يخالف إلى صواب، لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك.......والأستاذ البيطار مجموعة فضائل، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خلق فاضل إلا رأيته فيه، .....وله في الإصلاح الديني سلف صدق، حققوه علما، وطبقوه عملا، ....فجاء عالما من ذلك الطراز الذي نقرأه في التراجم، ولا نجده فيمن تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون وينقلون ولكنهم لا يفقهون)[(٢)].
- وقال النفاخ بعد نقله الكلمة السابقة : (وإن كان لي أن أعقب به على هذه الشهادة -وأكرم بها من شهادة ومن صاحبها من شاهد- فجملة ذلك أني لم أجلس إلى شيخنا البيطار -رحمه الله- وأستمع إليه، ولا تدبرت سيرته في نفسه، ثم سيرته فيمن حوله إلا ألقي في روعي أنه واحد ممن

---

(١) رجال من التاريخ ٤١٩/١

(٢) آثاره ٥٦٤/٣-٥٦٥

تختارهم عناية الله[1] -جلت قدرته- لتتدارك بهم نقصا في حياة من حولهم، ويوجد فيها معنى ما كان ليوجد إلا بهم، .... وشيخنا رحمه الله قد تهيأ له من المواريث الكريمة، وأسباب التنشئة الصالحة، وموارد العلم الصحيح، والدين القويم ما جعل منه الرجل الفاضل الذي لا تقدح في فضله شبهة، والعالم الحق الذي لا يتطرق إلى علمه زيف، وقد أورثه الدين القويم خلقا ثابتا لا يتزعزع، وعزما دائبا لا يفتر، وتطلعا إلى الخير لا ينتهي، فما يشك من اتصلت أسبابه بأسبابه أنه رجل جعل الله في قلبه نورا فما يخفق إلا بالإيمان، وفي لسانه نورا فما يلهج إلا بالحق، وبين يديه نورا فما يسعى إلا إلى الخير)[2].

- وقال محمد رشيد رضا عنه : (هذا الأستاذ جامع بين العلم الصحيح والعمل به والدعوة إليه قولا وكتابة وخطابة ومناظرة وبذلا مما يملك من مال قليل)[3]
- وقال ظافر القاسمي عنه أيضا : (وفي عام ١٩٣٥ كانت لي تجربة جديدة مع الشيخ، رسخت قناعتي بأنه من أكثر خلق الله علما وفهما)[4].

---

(١) المعنى -كما هو ظاهر-: المعية الخاصة، فيجوز -على قواعد أهل السنة في الأسماء والصفات- إطلاق: عناية الله ﷻ، ما دام المعنى ليس سيئا، ولم يكن في حال الدعاء، ويكون إطلاقه على سبيل الإخبار. والأصل حمل الكلام على الصحة لا على البطلان . انظر: موقف أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للدكتور: محمد خليفة التميمي ص٥٠-٥٩

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٥٣ ٢٤٢/١-٢٤٣

(٣) الوحي المحمدي لرشيد رضا ص ٢٠ حاشية ١

(٤) مقدمة ظافر القاسمي لكتاب كلمات وأحاديث لبهجة البيطار ص١٨

المطلب الثامن : الكتب العقدية التي أجرى عليها قلم التعريف والنقد[1]

سيتم تقسيم الكتب العقدية إلى قسمين :

أولا: الكتب التي عرَّف بها، وأثنى عليها :

١) الإمام محمد عبد الوهاب لأحمد عبد الغفور عطار[2]، عرف الشيخ بالكتاب وأثنى على موضوعاته وهي : الحياة في نجد، وولادة الإمام، وحجه البيت وزيارة المدينة، من المدينة إلى نجد، والمشابهة بين عهدين[3]، والدعوة الوهابية[4].

٢) الشيوعية والإسلام لعباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور العطار، من أوله إلى ص١٠٨ للعطار، وإلى ١٦٠ للعقاد تكلم فيه عن معايب الشيوعية وماديتها في قضايا متعددة، وقد أثنى الشيخ على الكتاب [5].

٣) الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة لأبي محمد عثمان بن عبد الله بن حسن العراقي الحنفي، تعرض فيه للفرق المنتسبة إلى الإسلام من أهل

---

(١) بالنسبة للتعريف سأذكر تعريفا موجزا للكتب غير المشهورة فقط.

(٢) ولد بمكة ، أصله من البنغال، **أديب باحث محقق، أنشأ جريدة عكاظ، نال جائزة الدولة التقديرية في الأدب** عام ١٤٠٤هـ، من مؤلفاته الكثيرة: الإسلام والشيوعية، توفي عام : ١٤١١هـ. انظر: ذيل الأعلام ص٢٩-٣٠، وإتمام الأعلام ص٢٩-٣٠

(٣) أي عهد الضلالة قبيل دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ومثلها قبيل دعوة الإمام.

(٤) انظر: الإمام محمد عبد الوهاب لأحمد عبد الغفور عطار(تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٤/٦٦٣-٦٦٧، ربيع أول ١٣٧٩هـ.

(٥) انظر: الشيوعية والإسلام لعباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور العطار،(تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٤/٢٦٨-٢٦٩، ربيع أول ١٣٧٩هـ.

النصب والرفض والجبر والقدر والتشبيه والتعطيل لا غير، وقد أثنى الشيخ على الكتاب[1].

٤) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد كلاهما للبقاعي ، تحقيق وتعليق : عبد الوكيل، ففي الأول : نقل البقاعي نصوصا كثيرة من فصوص الحكم لابن عربي، وفي الثاني : نقل أبياتا منوعة من تائية ابن الفارض ، " وفي هذا وذاك الكفر الصريح الذي لا يحتمل الجدل ولاالتأويل" ، وبنى البقاعي حكمه هذا على النقول الكثيرة من نثر الأول ونظم الثاني، وقد عدَّد في كتابه العلماء القائلين بالتكفير، وقد أثنى الشيخ على الكتابين[2] .

٥) كتاب الإيمان للحافظين أبي بكر بن أبي شيبة وأبي عبيد القاسم بن سلام، تحت عنوان من كنوز السنة، وقد أثنى رحمه الله عليهما[3].

٦) أضواء وأنوار لعبد الرحمن الكيالي، تطرق في أهم مباحث كتابه إلى تاريخ الأديان، وقد أثنى عليه الشيخ بهجة -رحمه الله-[4].

٧) الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، وقد أثنى عليه أيضا[5].

---

(١) انظر: الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة لأبي محمد عثمان بن عبد الله بن حسن العراقي الحنفي (تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٧/٦٦٤-٦٦٦، جمادى أولى ١٣٨٢هـ.

(٢) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي (تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣١/١٣٠-١٣٦، جمادى الأولى ١٣٧٥هـ.

(٣) انظر: من كنوز السنة، محمد بهجة البيطار، المصدر السابق٤٠/ ٣٥٦-٣٥٩ ذو الحجة

(٤) انظر: أضواء وأنوار لعبد الرحمن الكيالي (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٥/٢٩٨ شوال ١٣٧٩هـ.

(٥) انظر: الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٥/ ١٣٩ شوال ١٣٧٩هـ.

٨) أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لعبد الغني حمادة[١]، أثنى عليه مجملا، لكن نقده في قوله عن الصديق : (ويستند في أعماله إلى الله **لا إلى نبيه ورسوله**، بدليل أنه حين توفي رسول الله لم يطش كما طاشت عقول الصحابة) [٢].

٩) الأئمة الاثنا عشر للمؤرخ ابن طولون، فهو ترجمة للأئمة الاثني عشر المعصومين عند الرافضة، وقد حكى الشيخ بهجة -رحمه الله- القول بعصمة الأئمة دون تعقيب، وسكت عن نقل ابن طولون نظما في الشوق إلى لقاء الأئمة الاثني عشر، ومدَح وصفَ مفاخرهم **!** وجعل أنه بمثل ذلك من قِبل علماء السنة يرجى زوال الإحن[٣] وتوحيد الكلمة بين السنة والشيعة، وإنشاء مراكز علمية مشتركة بينهما ! [٤][٥]

١٠) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للإمام النسائي، حققه وصحح إسناده، ووضع فهارسه : محمد هادي الأميني، أثنى على الكتاب لكنه – رحمه الله– قال عن إثبات المحققِ إيمانَ عم النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) وهو عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقيّ الميداني، ولد بدمشق، **فقيه حنفي ، مشارك في بعض العلوم**، أخذ عن ابن عابدين، ومن مؤلفاته: **سل الحسام على شاتم دين الإسلام**، واللباب شرح مختصر القُدُوري، توفي عام ١٢٩٨هـ. انظر : حلية البشر ٨٦٧/١، والأعلام ٣٣/٤، ومعجم المؤلفين ٢٧٤/٥

(٢) انظر: أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لعبد الغني حمادة (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٦٨/٤٣-٨٧٠ رجب ١٣٨٨هـ.

(٣) الإحن: جمع إحْنَة، وهو الحقد . انظر: العين للخليل بن أحمد ٣٠٥/٣، وتهذيب اللغة للأزهري ١٦٦/٥، والمعجم الوسيط ص٨

(٤) انظر: الأئمة الاثنا عشر للمؤرخ ابن طولون (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٥١/٣٤-٣٥٣ رمضان ١٣٧٨هـ.

(٥) انظر: ص٣٩٧

أبي طالب : (إن القول بإسلام عم النبي أبي طالب يسُر كل مسلم)[١]، وهذا فيه ثناء على هذا القول

١١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، وقد أثنى عليه[٢].

١٢) ولاية الله والطريق إليها، دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي على حديث الولي للشوكاني، بقلم إبراهيم هلال[٣]، وقد أثنى عليه[٤] .

١٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية لمصطفى الخالدي[٥] وعمر فروخ[٦]، وهو عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، وقد أثنى عليه[٧].

---

(١) انظر: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للإمام النسائي (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦/٨٦٨-٨٧٢ شعبان ١٣٩١هـ.

(٢) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦/١٤٦-١٤٩ ذو القعدة ١٣٩٠هـ.

(٣) لعله: أستاذ الفلسفة والعقيدة الإسلامية بجامعة عين شمس، ولم تسعفني المصادر ببيان حاله لإطلاق هذا الاسم في حق أكثر من شخص.

(٤) انظر ولاية الله والطريق إليها، دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي على حديث الولي للشوكاني، بقلم إبراهيم هلال (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٥/٨٥٥-٨٥٨ شعبان ١٣٩٠هـ.

(٥) طبيب وأديب ، ولد ببيروت، عرف بدفاعه عن القضايا العربية والإسلامية، عمل أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكذلك في جمعية المقاصد التي كان يدرس فيها البيطار، وكان دمث الخلق، توفي عام ١٣٩٧هـ. انظر : إتمام الأعلام ص٢٨٦ وذيل الأعلام ص٢٠٩

(٦) هو عمر عبد الله فروخ، من أعلام الأدب العربي، عمل أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكذلك في جمعية المقاصد التي كان يدرس فيها البيطار، وهو عضو فعال في المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق والعراق، توفي عام ١٤٠٨هـ. انظر : علماء الشام في القرن العشرين لمحمد الناصر ص٤٤٦، وتكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان اليوسف ١/٤٠٢

(٧) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية لمصطفى الخالدي وعمر فروخ (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٨/٣٧٤-٣٧٦ رجب ١٣٧٢هـ.

١٤) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش[١]، أورد فيه تسعة وتسعين اسما من القرآن، وأضاف إليها ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم، بدأها باسم (الله) وختمها باسم (العظيم)، وقد فسر تلك الأسماء وقد أثنى رحمه الله على الكتاب[٢].

١٥) كتاب لماذا أسلمنا، وهو مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم الإسلام، وقد أثنى عليه الشيخ –رحمه الله–[٣].

١٦) الرد الشافي الفاخر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر لأحمد بن حجر آل بوطامي، الكتاب جاء ردا على أستاذٍ نفى أمية الرسول – صلى الله عليه وسلم – في عصر المؤلف[٤]، فرد عليه، وقد أثنى على الكتاب[٥].

---

(١) ولد بسوهاج مصر، **مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج، مفتٍ، من دعاة التوحيد الصافي، من أهم كتبه: صيحة حق،** توفي عام ١٣٨٢هـ. انظر: الشيخ أبو الوفاء محمد درويش "مؤسس جماعة أنصار السنة بسوهاج" لتلميذه فتحي أمين عثمان، موقع الألوكة رابط:

http://www.alukah.net/authors/view/home//٣٨٦٩

(٢) انظر: الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦/ ١٤٠-١٤٦، ذو القعدة ١٣٩٠هـ

(٣) انظر: كتاب لماذا أسلمنا (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٥/ ٦٦١-٦٦٤ ربيع آخر ١٣٩٠هـ.

(٤) و لم يذكر البيطار اسم قائل ذلك، وأظنه متعمدا؛ حيث لم يشتهر الرجل.

(٥) انظر: الرد الشافي الفاخر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر لأحمد بن حجر آل بوطامي (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٧/ ٨٦٧-٨٦٩ رمضان ١٣٩٢هـ.

١٧) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري، وقد أثنى عليه في الجملة، لكنه انتقد إتيانه بالأحاديث معرَّاةً عن الأسانيد غير معزوة إلى مخرِّجيها[١].

١٨) كتاب القضاء والقدر لعبد الغني حمادة ، ذكر فيه القضاء والقدر في الكتاب والسنة، وحكمة إرسال الرسل، وإرادة العبد وقدرته، والدعاء والسعادة والشقاوة، والهداية، والقضاء المعلق، والضلال والإضلال، وأثنى عليه أيضا[٢].

---

(١) وقال : وقد ذكر الفرق الإسلامية ورؤساءها وطعن ولعن وكفَّر ونفر منهم ثم قال: وإنما يعرف ما في هذا الكتاب من خطإ وصواب = من كان واسع الاطلاع على النصوص ومناشئ الفرق ومذهبها وقربها من الحق أو بعدها منه، وما يذكر إلا أولو الألباب. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٤/ ٣٤٩-٣٥٤ رمضان ١٣٧٨هـ

(٢) انظر: كتاب القضاء والقدر لعبد الغني حمادة (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٣/٨٦٦-٨٦٧ رجب ١٣٨٨هـ.

ثانيا : الكتب التي عرف بها ، ونقدها:

١٩) حياة الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية للدكتور الكيالي[١]، نقده فيما ذهب إليه من أن البحث في وجود الله الأصيلة[٢] في الإنسان ما يغني عن البحث في القضايا التي هي مصدر الخلافات من توحيدي العبادة والصفات.[٣]

٢٠) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضاء في الأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد منصور بن حيُّون التميمي المغربي (ت:٣٩٥)، هذا الكتاب

---

(١) هو الدكتور عبد الرحمن بن رباح الكيالي، ولد برملة فلسطين، **شاعر أديب، عمل قاضيا شرعيا في يافا، عُين مستشارا ثقافيا للأردن في الجزائر، ومنح وسام الاستحقاق (القدس) للثقافة والآداب** سنة ١٩٩١م، توفي عام ١٩٩٨م. انظر : معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، لعبد الفتاح الصعيدي، ومعجم الأدباء الأردنيين، وزارة الثقافة الأردنية رابط:
http://www.bluerayjo.com/culture/node/٣١٠٢١

(٢)أي : أن وجود الله متأصل ومركوز في فطرة الإنسان، والعبارة بذلك صحيحة، ووجه نقدها من الشيخ البيطار إنما هو الاكتفاء بذلك عن أنواع التوحيد الأخرى.

(٣) انظر: حول ما كتبه الدكتور الكيالي عن كتاب حياة شيخ الإسلام ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٧/٥١٢-٥١٦، محرم ١٣٨٢هـ.

يعرض نظرية الإمامة والإيمان والعبادات والمعاملات من وجهة النظر الباطنية الفاطمية(١) وقد انتقد الشيخ الكتاب مجملا (٢).

٢١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري، نقده بأنه على طريقة المتكلمين في طريقة البحث والمناظرة والاستدلال العقلي، ثم أحال على كتب ابن تيمية في ترجيح مذهب السلف(٣).

٢٢) رسالة المفاضلة بين الصحابة لابن حزم، وهي مستلة من كتابه الفِصَل، نقده في جعل كلمة التوحيد دليلا على موجد الكون ونفي تعدد الذات والتركيب(٤).

٢٣) أوائل المقالات في المذاهب المختارات، وشرح عقائد الصدوق كلاهما للشيخ المفيد محمد بن النعمان(٥) ، كتاب عن الفرق من جهة نظر الرافضة،

---

(١) الباطنية: فرقة تنتسب للإسلام تزعم أن لكل نص في الكتاب والسنة ظاهر وباطن، والفاطمية نسبة للدولة العبيدية الفاطمية التي أسسها عبد الله بن ميمون القداح، وحكمت مصر وما جاورها في القرنين الرابع والخامس. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص٢٠٩-٢١٠، والموسوعة الميسرة في الأديان والفرق المذاهب المعاصرة ٣٨٤/١

(٢) وهذا الكتاب يعتبر أقدم مصدر لمعرفة عقائد الدولة الفاطمية، وكان يعد الدستور الفعلي لتلك الدولة في المباحث التي تطرق إليها. انظر السابق ٤٣/ ٤٣٩-٤٤٣، محرم ١٣٨٨هـ

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٦٥٢/٣٩-٦٥٤ جمادى الأولى ١٣٨٤هـ.

(٤) انظر رسالة المفاضلة بين الصحابة لابن حزم (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٩٤/١٧-٩٥ صفر ١٣٦١هـ.

(٥) هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، ولد بعكبرا العراق، إمامي، انتهت إليه رياسة الشيعة في وقته، ذو مكانة عند الخلفاء، أكثر من الطعن على السلف ومن التأليف، منها : الإعلام فيما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام، توفي عام ٤١٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٤/١٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٧٢/٣ ، والأعلام ٢١/٧

وقد نقده الشيخ نقدا بالغا لما فيهما من تكفير ولعن للصدر الأول وغيرها من الأمور[١] .

٢٤) الإسلام للمستشرق ألفريد جيوم[٢]، أغلبه في العقيدة؛ فقد حوى مباحث : الفرق الإسلامية، ونشأة العقائد، والتصوف، وصلة المسيحية بالإسلام. وقد قدَّم الشيخ بهجة -رحمه الله- نقده بقوله : (ولا يخفى أن الأجنبي الذي لا يؤمن بالقرآن، ولا يدين بالإسلام، ولا يتلقى العلم عن أهله، يبقى علمه فيهما ضعيفا) وقد نقده في زعمه أن أجداد رسولنا - صلى الله عليه وسلم - من الوثنيين، وأن الصلة غير واضحة بين الله والإله، وخطَّأه في فهمه لإطلاق لفظ المشرك، وأن الوهابية مذهب خاص[٣].

٢٥) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي، نقده الشيخ مجملا في مباحث : الكلام على العرش، وأفعال الله تعالى، وتكليف العباد ما لا يطيقون، وعدم رعاية الأصلح لهم، وعدم وجوب الثواب لمن أحسن عملا[٤]

---

(١) انظر: أوائل المقالات في المذاهب المختارات، وشرح عقائد الصدوق كلاهما للشيخ المفيد محمد بن النعمان (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٩/ ١٢٩-١٣٢ ربيع الآخر ١٣٧٣هـ.

(٢) الفريد جيوم (أو غيوم) مستشرق بريطاني، أكاديمي: عمل أستاذا في جامعات: أمريكا، ولندن، وتركيا، وكان عضوا بمجمعي اللغة : في سوريا والعراق، له مصنفات عديدة، منها: أثر اليهودية في الإسلام، ومدخل إلى علم الحديث –مذيل بمعجم-، وملاحظات على القدرية والجبرية في الإسلام، توفي عام ١٩٦٦م. انظر : المستشرقون ، لنجيب العقيقي ص٥٤٣

(٣) انظر: الإسلام ، تأليف: ألفريد جيوم (تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٥/٦٨٢-٦٨٤ ربيع الآخر ١٣٨٠هـ.

(٤) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي(تعريف ونقد) ، محمد بهجة البيطار، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٧/٤٧٩-٤٨١، محرم ١٣٨٢هـ

المبحث الثالث : جهوده العلمية لنشر عقيدة السلف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : محاضراته

سيكون البحث في هذا المطلب عن جهوده القولية في نشر عقيدة السلف، وهي متنوعة كالتالي:

١) تدريسه في المدارس الابتدائية والثانوية، وسبق في أعماله ووظائفه تفصيل تعداد وظائفه التدريسية منذ أن كان في العشرين من العمر، وقد بقي في التدريس من حين كان في دمشق مرورا بمكة والطائف إلى أن تقاعد عام ١٣٧٤هـ عن عمر يناهز أربعة وستين عاما.

٢) محاضراته في الكليات الجامعية، أما محاضراته في الكليات فبدأت بعد عودته من مكة عام ١٣٥٣هـ كما سبق، وانقطع عن التعليم الجامعي مدة ثلاث سنوات ثم رجع إليه بعد عودته من الطائف وبقي فيه حتى بعد تقاعده. وبعض كتبه التي نشرت كانت في الأصل محاضرات له، ككتابيْه: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلمات وأحاديث، فأصلهما محاضرتان ألقاهما في مجمع اللغة العربية بدمشق[١].

٣) خطبه، أما خطبه فعلى قسمين : **الأول** : خطب الجمعة، وبدأ خطيبا للجمعة سنة ١٣٢٨هـ وهو في الثامنة عشرة من العمر! وكان الناس يتهافتون على خطبته في جامع الدقاق من أنحاء مدينة دمشق، ويسمعون فيها ما لا يسمعون في غيرها على كثرة الخطباء، كان يلقي خطبته ببيان عذب مشرق يتدفق كالرحيق السلسل[٢]، بلا لحن، ومن غير ورقة[٣].

---

(١) انظر خطاب النفاخ في مجلة مجمع دمشق مج٥٣ ١/٢٣٢-٢٣٣

(٢) انظر مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١٤

(٣) انظر رجال من التاريخ للطنطاوي ١/٤١٣

الثاني : خطبه الأخرى، فكان رحمه الله يتخذ من أفراح الناس[1] مجالا رحبا للدعوة وتبليغ الرسالة الصحيحة للإسلام، فيخطب ويعظ ويرغب ويرهب. وقد عصم الله بخطبته فتنة كادت أن تقع بين الناس[2]، وعندما سافر إلى خطوط النار بفلسطين خطب مستفزا الحمية؛ فبلغ مجموع التبرع خمسة آلاف ليرة سورية[3]

٤) الأحاديث الإذاعية، كان الشيخ البيطار -رحمه الله- يلقي أحاديث في الإذاعة السورية، وقد نشرت بعض المقالات التي كانت في أصلها أحاديث إذاعية، مثل حديثه الإذاعي في التعريف بابن قيم الجوزية، فقد نشر في مجلة التمدن الإسلامي[4].

قال عدنان الخطيب : (في سنة ١٣٧٤هـ أحيل الفقيد للتقاعد من وظيفته الحكومية؛ فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف إلقاءها في كلية الشريعة، وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية)[5].

---

(١) **وذلك بعد أن عاد من المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في مكة عام ١٣٤٤هـ**. انظر مقدمة ظافر القاسمي لكلمات وأحاديث ص١٤

(٢) في أوائل الثلاثينيات انقسم المجاهدون في حي الميدان بدمشق إلى فريقين وكانت الأسباب سياسية، وكادت أن تقع فتنة، فاتفق أن يعقد اجتماع عام في أحد بيوت الميدان ويحضره الفريقان، وأن يكون خطيب المجلس الشيخ بهجة البيطار -عليه رحمة الله-، فكان ذلك وخطبهم ودعا إلى الاعتصام بحبل الله جميعا وعدم التفرق والتنازع. انظر المصدر السابق ص١٧

(٣) انظر الرحلة النجدية ص٨٣

(٤) بعنوان ابن قيم الجوزية مجلد ٣٣ ص٢٠١-٢٠٥ عدد ربيع الأول ١٣٨٦هـ

(٥) ترجمة البيطار ص١٧

المطلب الثاني : مقالاته في الصحف والمجلات

أما بالنسبة لمقالاته فقد كتب –رحمه الله– عشرات المقالات في صحف ومجلات أربع دول : سوريا والسعودية ومصر والعراق[١].

وكان حين نشر مقالاته ربما اقتصر من اسمه على رموز تخفيفا على الطابع، والرموز هي : م ب ب، م ب، ب ب، ب [٢].

وبعض مقالاته كانت في الأصل إما محاضرات ألقاها في مجمع دمشق، أو في المعهد العلمي السعودي بمكة[٣]، أو حديثا إذاعيا في المحطة السورية[٤].

وهذه قائمة بأسماء المجلات التي نشر فيها مقالاته :

١) مجلة المجمع العلمي بدمشق، التي أصبح اسمها مجلة اللغة العربية بدمشق (جميع الأعداد التي صدرت من عام ١٩٣٣م إلى عام ١٩٥٩م)[٥].
٢) مجلة التمدن الإسلامي بدمشق أيضا (الأعداد[٦] : ذو الحجة من عام ١٣٦٩هـ. وصفر، ربيع الأول، جمادى الأولى، جماى الآخرة، من عام ١٣٨٦هـ. ورجب وشوال من عام ١٣٨٨هـ).
٣) مجلة العالم الإسلامي في بغداد (المجلد الأول عام ١٣٥٧هـ) .

---

(١) الرحلة النجدية الحجازية للبيطار ص٨٦، وترجمة البيطار للخطيب ص٢٧

(٢) ترجمة البيطار للخطيب ص٢٦–٢٧

(٣) كمقال التربية الاجتماعية في عهد الإسلام الذي نشر في مجلة المنهل السعودية العدد ٣/٦ في ربيع الأول عام ١٣٦٥هـ وكان في أصله محاضرة ألقاها في المعهد العلمي السعودي .

(٤) كمقال ابن قيم الجوزية الذي نشر في مجلة التمدن الإسلامي ٢٠١/٣٣– ٢٠٥ ربيع الأول ١٣٨٦هـ، فقد كان في الأصل حديثا إذاعيا في سيرة ابن القيم.

(٥) حيث كانوا يرقمون أعداد كل سنة ترقيما مستقلا، وكانت أعداد كل سنة ربما تختلف عن أعداد السنة التي تليها، ويجدر التنبيه إلى أن أغلب مقالات الشيخ –رحمه الله– نشرت في هذه المجلة، وما نشر في المجلات الأخرى نزر قليل وأغلبه مكرر لما هو موجود في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٦) حيث لم يكونوا يرقمون الأعداد، بل يميزون بين الأعداد بذكر الشهر الهجري .

٤) مجلة الرابطة العربية في مصر (العددين :١٠٧، ١٠٨) .

٥) مجلة الرسالة المصرية (الأعداد: ٢٨١، ٣١٩، ٣٢٣)

٦) مجلة المنار (الأعداد : ٣-٥)

٧) مجلة المنهل في السعودية (الأعداد: ٣، ٤، ٦-١٠)

٨) مجلة الحج في السعودية أيضا (الأعداد: ٢، ٣، ٨-١٠)

المطلب الثالث : رحلاته

١) الرحلة إلى الحجاز ونجد عام ١٣٣٨هـ

عندما زال حكم الأتراك عن سوريا ووُلي الأمير فيصل الأول[١] ملكا عليها ، وقام بدعوة الشيخ محمد رشيد رضا ليكون له عونا ، أرسلا رسالتين إحداهما دينية يمثلها الشيخ بهجة، والثانية سياسية يمثلها شلاش النجدي[٢] لإيصال الرسالتين إلى الأمير عبد العزيز آل سعود أمير نجد حينها، يدعوان فيها لنصرة الإسلام، وعقد اتفاق عام بين أمراء الجزيرة دفعا للعدوان الأجنبي[٣]، وتعرض فيها الشيخ البيطار لأهوال شديدة ، وتكلل مقصود الرحلة بالنجاح؛ إذ جرى التفاهم التام بين الملك عبد العزيز آل سعود والإمام محمد رشيد رضا على الإصلاح المنشود في البلاد العربية والإسلامية[٤].

٢) الرحلة إلى الأقطار العربية عام ١٣٦٣هـ

وكان سبب الرحلة دعوة من الملك عبد العزيز رحمه الله لإنشاء دار التوحيد السعودية بالطائف، وكان ترتيب الرحلة هكذا دمشق – بغداد – البصرة – الكويت – الرياض – المدينة – مكة – الطائف.

٣) الرحلة إلى القاهرة والإسكندرية عام ١٣٧٤هـ

فانطلق من دمشق إلى القاهرة فالإسكندرية؛ لحضور مؤتمر مواصلة العمل الإسلامي المسيحي قال الشيخ بهجة: (لإحلال السلام محل الحروب والخصام،

---

(١) هو فيصل بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي، أبو غازي : أشهر ساسة العرب في الحصر الحديث، بعدما نودي به ملكا على سوريا، احتل الفرنسيون سوريا، فرحل إلى أوروبا، ثم أصبح ملكا على العراق عام ١٣٣٩هـ، فانصرف إلى الإصلاح الداخلي، وأصلح كذلك ما بين العراق وجيرانه، توفي بالسكتة القلبية عام ١٣٥٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٦٥/٥

(٢) لم أجد له ترجمة بعد بحث متكرر.

(٣) انظر الرحلة النجدية ص١٣-١٤،٧٩-٨٠

(٤) انظر السابق ص٦٣-٣٩، وخطاب النفاخ مج٥٣ (٢٣١/١)

بين الشعوب والأقوام)[١] ، وقد ألقى الشيخ بهجة –رحمه الله– الخطاب الرئيس في نصرة فلسطين[٢].

٤) الرحلة إلى البلاد الروسية عام ١٣٧٤هـ

وكانت عبارة عن تلبية رسمية لباها المجمع العلمي العربي بدمشق لدعوة مجمع العلوم الروسي، زار فيها المجامع العلمية والمكتبات الكبرى والمصانع والمزارع والمعارض[٣].

٥) رحلته إلى خطوط النار[٤] في فلسطين عام ١٣٧٥هـ

بعد حضور مؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد بدمشق سافر مع أعضاء المؤتمر الممثلين لستة عشر دولة إلى خطوط النار بفلسطين، وقد خطب فيها الشيخ بهجة مستفزا الحمية فبلغ مجموع التبرع خمسة آلاف ليرة سورية[٥].

٦) الرحلة إلى الولايات المتحدة في رجب من عام ١٣٧٥هـ

وكانت بدعوة من جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط ، قال الشيخ بهجة : (كانت الدعوة موجهة إلي من أصدقاء الشرق الأوسط؛ لزيارة بلادهم، ولتقريب وجهات النظر بين الأمتين الإسلامية والمسيحية، وكان في شباط ١٩٥٦م ورجب ١٣٧٥هـ، والذي كلمني في ذلك ودعاني هو الدكتور هوبكنز[٦] نائب رئيس الجمعية المنفذ ؛ ذاكرا ما يتوقع من فوائد للبلدين،

---

(١) انظر: الرحلة النجدية ص٨٠

(٢) انظر السابق ص٨٠، وانظر القرار الإجماعي(البيان الختامي) للمؤتمر في مجلة المجمع ص٦٦٢-٦٦٣ عدد جمادى الأولى ١٣٧٥هـ.

(٣) انظر: الرحلة النجدية ص٨١

(٤) أي: جبهات القتال.

(٥) انظر المصدر السابق

(٦) لعله السير فريدريك غاولند هوبكنز: كيميائي حيوي بريطاني، منح جائزة نوبل في الفيسيولوجيا والطب؛ لاكتشافه الفيتامينات، توفي عام ١٩٤٧هـ. انظر: معجم أعلام المورد ص ٤٨٠

فلبيت الدعوة)[1] وقد خطب الشيخ بهجة في جامع واشنطن بتكليف من رئيس المركز الإسلامي دعا فيها المسلمين هناك أن يمثلوا المسلمين هناك أفضل تمثيل بأخلاقهم الفاضلة، وألقى في عدة مدن محاضرات، ونص خطابه الرئيس تحت عنوان : مصدر الكتب السماوية هو الله، والرسل لا تختلف في أسس دعوتها[2].

وجمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط جمعية ذات دوافع متعددة، منها دوافع تهم السلم العالمي، ومنها دوافع سياسية؛ لمجابهة النفوذ الروسي في الشرق الأوسط ومشروعه الشيوعي في ذلك الوقت، وامتصاص غضب العرب باحتلال فلسطين، وقد أُسست في حدود سنة ١٩٤٨م، وهي نفس سنة قيام دولة يهود في فلسطين، وقد عقدت هذه الجمعية أول مؤتمر تقارب إسلامي مسيحي في لبنان عام ١٩٥٤م نتج عنه تكوين لجنة دائمة لمواصلة العمل الإسلامي المسيحي، عقدت لقاءين فقط: الأول في الإسكندرية عام ١٩٥٥م ، والثاني في لبنان عام ١٩٥٦م[3] .

قال د/ أحمد القاضي: (ولعل القائمين على الجمعية شعروا بالحاجة إلى تدعيم موقفهم ببعض القيادات والزعامات العلمية ؛ فاستدرجوا الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، وسوغوا له المشاركة حتى قَبِل بمنصب نائب رئيس الجمعية ، وسافر إلى الولايات المتحدة الأميركية بهذه الصفة، بدعوة من الجمعية، واشترط لذلك أن يصطحب ترجمانا من بلاد الشام يثق بأمانته، وأن يعقد له في كل ولاية يزورها لقاء مع رجال الدين النصارى؛ فألقى العديد من المحاضرات، وأجرى بعض المناظرات، ولكنه اكتشف أن منصبه ذاك ليس ذا معنى، ولم يحقق

---

(١) الرحلة النجدية ص٨٢

(٢) انظر المصدر السابق ص٨٢

(٣) انظر: دعوة التقريب بين الأديان –دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية–، للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي ٢/١٠٧٩-١٠٨١

فيه شيئا للإسلام كما كان يؤمل، وقال لاحقا: "كنت أدعو إلى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل")[1] .

قال الباحث: في كلام الدكتور أحمد القاضي تنبيهان:

الأول : قرر الدكتور بأن الشيخ بهجة قَبِل منصب نائب رئيس الجمعية وسافر بهذه الصفة إلى أمريكا، وقد صرح الشيخ -كما سبق في النقل عنه قبل صفحتين- بأن نائب رئيس الجمعية المنفذ هو غارلند إيفانز هوبكنز، فإما أن تكون المعلومة غير صحيحة أو يكون هناك منصب فخري وليس بتنفيذي لنائب رئيس الجمعية، قد أعطي للشيخ بهجة رحمه الله.

الثاني: قرر الدكتور كذلك بأن الشيخ بهجة **اكتشف** أن منصبه في الجمعية ليس ذا معنى مستدلا بقول الشيخ بهجة : "كنت أدعو إلى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل"، ويوهم هذا الكلام بأن الشيخ تراجع عن المنصب وعن الفكرة بأكملها، وهذا فيه نظر؛ فإن العبارة منقولة بشكل مجتزَإٍ، والعبارة كاملةً في كتاب الشيخ بهجة : الإنجيل والقرآن هكذا :

(لما زرت الولايات المتحدة الأمريكية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٦م بدعوة من جمعية التعاون الإسلامي المسيحي ، كنت أدعو إلى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل، وفي مدينة الاسكندرية من بعد، وكنا -**ولا نزال**- نرجو أن يكون الاتحاد أساسا راسخا؛ لأننا ننشد من ورائه الخير العميم لهذه البشرية المهددة بالفناء، بما أحدثت المدنية في الشرق والغرب من القنابل الذرية والهيدروجينية، وغيرهما.

وإن الحرب إذا وقعت-لا قدر الله- يكون وقودها هذا العالم المعذب، ويكون من ورائها النهاية الأخيرة لعالمنا هذا.

---

(١) دعوة التقريب بين الأديان -دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية-، للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي ١٠٨٠/٢-١٠٨١

إن أول عمل يدعونا إليه الواجب الإنساني الخالص : هو نصرة الضعفاء والمظلومين في الأرض، وهذا لا يتم إلا بالتعاون والتضامن بين أهل الملل السماوية.) .[١]

فالشيخ يصرح بأنه لايزال على ذلك، ويدعو إلى التعاون بين رجال الأديان السماوية على نصرة المظلومين ومحاربة نشر الإباحية والرذيلة والفساد، ولبى لأجل ذلك الدعوة في أمريكا من قِبل الجمعية، ولم أقف في كتب الشيخ بهجة على أي تراجع له أو أنه اكتشف أو ظهر له غير الذي كان عليه.

٧) الرحلة إلى باكستان والهند عام ١٣٧٧هـ

وكان –رحمه الله– رئيس الوفد السوري في إجابة رئيس جامعة البنجاب[٢] للاشتراك في مؤتمر الندوة العالمية للإسلاميات، وكان الخطيب في مسجد لاهور، ثم زار [٣] الهند على حسابه[٤].

٨) الرحلة إلى الرياض في رجب من عام ١٣٨٠هـ

وكانت بدعوة من الملك سعود بن عبد العزيز –رحمه الله– للمذاكرة بشأن إنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة[٥].

٩) الرحلة إلى مصر، في السابع والعشرين من رجب عام ١٣٨٠هـ

---

(١) الإنجيل والقرآن ص٢٣

(٢) جامعة تقع في لاهور، باكستان، تم إنشاؤها عام ١٨٨٢م من قِبل السلطات الاستعمارية البريطانية، وهي حاليا جامعة حكومية تضم ست عشرة كلية. انظر : موقع الجامعة على الشبكة العنكبوتية.

(٣) دلهي : مدينة في شمال الهند ، وكانت قديما سلطنة مستقلة في شمال الهند في القرن التاسع، وهي حاليا المدينة السياسية للهند وثاني أكبر مدينة. انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين أحمد القرشي العدوي ٤٤/٢٧، وأطلس التاريخ الإسلامي، لحسين مؤنس ص١١٨، ٢٤٨

(٤) انظر الرحلة النجدية للبيطار ص٨٣

(٥) انظر المصدر السابق، وخطاب النفاخ مج٥٣ ٢٣٧/١

وكانت من الرياض إلى القاهرة لحضور مؤتمر اللغة العربية المؤلف من أعضاء مجمعي القاهرة ودمشق[1].

١٠) الرحلة إلى المدينة المنورة عام ١٣٨١هـ

وفي هذه الرحلة زار الجامعة الإسلامية، واطلع على سير عملها، وألقى محاضرات فيها، ثم اعتمر بمكة، وزار في جدة الشيخ محمد نصيف[2]

(١) انظر الرحلة النجدية ص٨٣-٨٤

(٢) انظر المصدر السابق ص٨٤، وخطاب النفاخ مج٥٣ ١/٢٣٧

الباب الأول
جهود العلامة محمد بهجة البيطار في تقرير عقيدة السلف

ويتضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : جهوده في تقرير الإيمان بالله.

الفصل الثاني : جهوده في تقرير بقية أركان الإيمان.

الفصل الثالث : جهوده في تقرير مباحث العقيدة.

الفصل الأول
جهوده في تقرير الإيمان بالله

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: جهوده في تقرير توحيد الألوهية.

المبحث الأول:جهوده في تقرير توحيد الربوبية

ويحتوي على أربعة مطالب :

المطلب الأول:معنى توحيد الربوبية

فمعنى توحيد الربوبية في الاصطلاح الشرعي : إفراد الله تعالى بما يختص به من أفعاله كالرزق والخلق والتدبير والملك وعلم الغيب ونحوها.

وهذا النوع من التوحيد لم – ولن – ينكره باطنا أحدٌ عَقِل من البشر؛ لأن دليله فطري ضروري ملجئ، وإنما جحده ظاهرا الشذاذ من الناس كفرعون، والشيوعية المادية[1]، والمجوس الثنوية[2] .

وبنحو ما سبق من معنى توحيد الربوبية جرى الشيخ –رحمه الله–، فمعناه عنده : إفراد الله بأفعال ربوبيته من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وعلم الغيب.

فقال الشيخ– لما تكلم عن خطإ تفسير كلمة التوحيد بالربوبية – :

(ولو كان معناها : لا خالق إلا الله ، أو ما هو **في معنى ذلك من أعمال الربوبية**، **كالرزق**، **والإحياء**، **والإماتة**، لما استكبروا عن النطق بها)[3] .

---

(١) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثالث في الباب الثاني فقد خصصت المطلب الأول عن المادية ص٤٧٦ والرابع عن الشيوعية ص٤٩٦ .

(٢) طور متأخر من ديانة المجوس، يعتقدون بأزلية إلهي : النور والظلمة، بخلاف المجوس القدماء الذين قالوا بحدوث الظلمة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص٢٦٨

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية، المجموعة الثانية، جمع وترتيب: أحمد الجماز وعبد العزيز الطويل ٢٠٨/١

وقال أيضا عن مشركي العرب: (وحدوه بربوبيته -أي بأعماله-)[1] .

ولما تحدث الشيخ عن أنواع الحواشي التي ذيلها على كتاب حلية البشر لجده قال: (... أو بيان الحق فيما لا يسع المرء كتمانه، كالفارق بين المخلوق والخالق في الخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة وغيرها، فمنها ما هو طبيعي كسبي، ومنها ما هو إلهي غيبي، كالخوف من تصرف حي أو غائب أو ميت **كتصرف الله بمخلوقاته**، وهذا يخالف الحس والواقع، **ويناقض التوحيد بأفعال الله تعالى .... وكدعوى علم بعض المخلوقات الغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه..)**[2] .

وقال الشيخ -في معرض اختصاره لكلام شيخ الإسلام في كتابه درء تعارض العقل والنقل[3] - :

(فالله تعالى هو الموجود الواجب بنفسه خالق لكل ما سواه)[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار (٢٢/١)

(٣) ٢٥٩/٣

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية محاضرات ومقالات ودراسات، بقلم علامة الشام محمد بهجة البيطار ص١٠١

المطلب الثاني:الاستدلال على توحيد الربوبية

الأدلة على هذا النوع من التوحيد أقوى الأدلة على الإطلاق؛ ولذلك لم ينكره من البشر ظاهرا إلا الشذاذ من الناس كما سبق.

وسيتم عرض أنواع الأدلة التي جاء للشيخ كلام فيها.

الدليل الأول : الفطرة

ومعنى هذا الدليل : ما خلقه الله -تعالى- وغرسه، في أصل النشأة البشرية من جعلها مهيأة لقبول ربوبية الله تعالى وألوهيته[(١)] .

ومن أشهر أدلته قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [(٢)] وقوله -صلى الله عليه وسلم- :

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٥٦/٣ ، وتفسير القرطبي ٢٩/١٤ ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٣٧/٣، ٣٨٣/٨

(٢) سورة الروم: ٣٠

((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمَجِّسانه كما تُنْتِج البهيمة بهيمة جمعاءَ[1] هل تُحسون فيها من جدع[2] اء ثم يقول أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾)) [3]

وقد بين الشيخ –رحمه الله– أن وجود الله والإذعان لخالق قادر أمر فطري غريزي في الإنسان مطبوع عليه جنانُه، فعند ردِّه على القول بأن البحث عن وجود الله يغني عن البحث في قضايا التوحيد الأخرى التي تكون مصدرا للخلافات ، قال رحمه الله :

(هذا حق، ولم يفت علماءنا السابقين ذلك، على أنهم رأوا أن الشعور بوجود الله تعالى أمر فطري، والإذعان بخالق قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة، شيء غريزي في الإنسان مفطور عليه، وهو عقد في المرء عقد عليه جنانه وتأثره لسانه وبيانه)[4] .

ثم نقل عن العلماء السابقين تقريرهم على أن معرفة الله فطرية مركوزة لا تحتاج إلى كثير بحث، فأقتصِرُ من الأقوال ما فيه ذكرٌ لدليل الفطرة:

---

(١) البهيمة أو الناقة الجمعاء : فيها قولين لعلماء الغريب واللغة، الأول : بمعنى المسِنَّة، وذهب إليه ابن السكِّيت في الكنز اللغوي في اللَّسَن العربي ١/١٤٦، والثاني : بمعنى تامة الخَلْق، سليمة الأعضاء، وذهب إليه عامة العلماء . انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/٣٠٥ ، وتفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ١/٣٠١، و الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ٣/١٢٦ ،والنهاية في غريب الحديث والأثر١/٢٩٦. والراجح هو المعنى الثاني؛ لأنه هو الذي يؤيده سياق الحدييث ولمقابلته بالجدعاء.

(٢) مؤنث أجدع ، مشتق من الجَدْع: أي قطع الأنف والأذن والشفه، والمقصود بالجدعاء في الحديث: مقطوعة الأطراف أو واحدها . انظر: العين للخليل ١/٢١٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٤٧

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ح(١٢٩٣)، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ح(٢٦٥٨)

(٤) حول ما كتبه الدكتور الكيالي عن كتاب حياة شيخ الإسلام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٣٧/٥١٣ محرم ١٣٩٢هـ

قال الشيخ : (ومن أدلة الإمام القزويني في سراج العقول[1]، على أن معرفة الله واجبة، كونها من الأمور التي تصل العقول إليها، فإن الإنسان إذا دهاه أمر وضاقت عليه المسالك، فلا بد أن يستند إلى إله يتأله له، ويتضرع نحوه، ويلجأ إليه في كشف بلواه، ويسمو قلبه صعودا إلى السماء ويشخص ناظره إليها من حيث كونها قبلة لدعاء الخلائق أجمعين.

وفي ذريعة الراغب الأصفهاني[2] : من أشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته، فمعرفة الله تعالى مركوزة في النفس، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3] وبقوله : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [4] فهذا القدر من المعرفة في نفس كل واحد.

واستشهد الزمخشري[5] بآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [6] قال ومعنى ذلك أنه نصب الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى)[7] .

---

(١) هو سراج العقول إلى منهاج الأصول، لمحمد بن طاهر القزويني، غير مطبوع، ومحمد طاهر القزويني لم أجد له ترجمة بعد تكرار بحث.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ١٥٣/١ باختصار وتصرف.

(٣) سورة الروم:٣٠

(٤) سورة البقرة:١٣٨

(٥) في الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري ١٧٦/٢

(٦) سورة الأعراف:١٧٢

(٧) الكشاف للزمخشري ١٧٦/٢

الدليل الثاني : دليل النفس والآفاق

فقد بين الشيخ أن دليل النفس والآفاق، فضلا عن دلالته على وجود الرب – سبحانه– وخلقه، فإنه يدل أيضا على قدرته وعظمته ورحمته، فقال –رحمه الله–:

(..فإذا فيها من الآيات البينة في الأنفس والآفاق ما يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وعظمته، الإذعان القلبي لجلال قدرته، وإلى ما يشهد ببديع صنعه وبالغ حكمته)[1] .

وقال في تقرير العلاقة بين دليلي النفس والآفاق: (وقد جعل تعالى لكل إنسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا، أوجد فيه مثل ما هو موجود في العالم الكبير، ليكون مع كل أحد نسخته يتأملها في الحضر والسفر والليل والنهار، فإن نشط وتفرغ في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم، فيطّلع منه على الملكوت ليعزز علمه ويتسع فهمه)[2]
.

وقال الشيخ بعدما ذكر ما أُلف في غرائب المخلوقات : (قلت : ويصدق على هذا كله قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۝٥٣﴾ [3] فالاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة وفي عالم الحس الوجود على عجائب وغرائب من صنع الله عز وجل مما لا يحيد عنه إلا مكابر حسه ومغالط نفسه)[4] .

الدليل الثالث : دليل العقل

---

(١) آيات الخالق الكونية والنفسية تأليف الأستاذ رشيد العابري، محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٣٣/٢٩ ، ربيع الآخر ١٣٧٣هـ

(٢) حول ما كتبه الدكتور الكيالي عن كتاب حياة شيخ الإسلام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٥١٣/٣٧ محرم ١٣٩٢هـ

(٣) سورة فصلت:٥٣

(٤) حلية البشر لعبد الرزاق البيطار ٥٦٥/١ ، وانظر قبسا من شعره في تقرير هذا الدليل في كتابه كلمات وأحاديث ص١٣٢

فمن الأدلة العقلية التي قررها الشيخ على توحيد الربوبية: دليل افتقار الأسباب إلى مسببها، ودليل إمساك السماء والأرض أن تزول (وهو دليل عقلي نقلي)، ودليل التمانع .

فقال في الأول : (ومن الأدلة العقلية على وجوده تعالى الافتقار إلى سبب الأسباب؛ فإن الحوادث[1] في علم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية، فلابد لها من علل وأسباب متقدمة عليها، ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى سبب الأسباب وموجبها وخالقها، ومن رأي الحكيم ابن خلدون[2] أن هذا الدليل أقرب الطرق والمآخذ العقلية لمعرفة الخالق تعالى)[3] .

وقال في الثاني : (هذا وإن علماء الهيئة مجمعون على كروية الأرض وانعزالها في الهواء، وعدم ارتكازها على شيء غير قدرة الله تعالى) ثم نقل عن الفخر الرازي كروية الأرض) ثم قال: (وقد قال الوزير جمال الدين ابن القفطي: علوم الهيئة طريق إلى الإيمان، ومعرفة قدرة الله تعالى فيما أحكمه ودبره) ثم ذكر دليل افتقار الأسباب إلى مسببها السابق ذكره ثم قال:(ومن كتاب إيثار الحق لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل اليماني[4] قوله: اتفق

---

(١) الحادث : ما وُجد وكان مسبوقا بعدمه. أما الحادث بمعنى : المفتقر إلى غيره :فغير صحيح. انظر: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للسيف الآمدي ص١١٩، والتعريفات للجرجاني ص١٤٤، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٠/٣

(٢) في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولي الدين الإشبيلي ٥٠٨/١

(٣) حول ما كتبه الدكتور الكيالي عن كتاب حياة شيخ الإسلام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٥١٥/٣٧ محرم ١٣٩٢هـ

(٤) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى بن المفضل الحسني، المعروف بابن الوزير ٣٠٠/٥.

المسلمون وغيرهم على أن العالم في الهواء أرضه وسماؤه وما فيه من البحار والجبال وجميع الأثقال، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يتمسك في الهواء إلا بممسك)[١] .

وقال في دليل التمانع : (وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل[٢] ، وانظر كيف يقرع بالدليل : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۝٢٢﴾ [٣] ، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [٤] فالإسلام في هذه الدعوة إلى وحدانية الله لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي، والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفكري -وهو ما نسميه بالنظام الطبيعي- فلا يدهشك بخارق العادة ، ولا يغش بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس اللسان بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة الفكر بصيحة إلهية)[٥] .

قال الباحث: كلام الشيخ هنا مأخوذ من الشيخ محمد عبده، أشهر رواد المدرسة العقلية الحديثة المتأثرة بالمعتزلة، فقال —كما في مجموعة أعماله الكاملة -:

(وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ، انظر كيف يقرع بالدليل : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۝٢٢﴾ [٦] ، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [٧] فالإسلام في هذه الدعوة و[٨] المطالبة بالإيمان

---

(١) حول ما كتبه الدكتور الكيالي عن كتاب حياة شيخ الإسلام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٥١٥/٣٧ محرم ١٣٩٢هـ

(٢) أي: سبيل العقل.

(٣) سورة الأنبياء:٢٢

(٤) سورة المؤمنون:٩١

(٥) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٦٦/١

(٦) سورة الأنبياء:٢٢

(٧) سورة المؤمنون:٩١

(٨) كذا في المصدر ، ولعل الصواب حذف الواو.

بالله، ووحدانيته : لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي، والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري؛ فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية)[1]

وموقف رواد هذه المدرسة من آيات نبينا محمد ﷺ يتضح من خلال تفريقهم بين دعوتين للإسلام :

الأولى : دعوة لاعتقاد وجود الله وتوحيده.

الثانية : دعوة للتصديق بنبوة نبينا محمد ﷺ .

ففي الأولى لا يعتمد الإسلام فيها –عندهم- سوى الدليل العقلي، دون خوارق العادات المخالفة لسنن الكون وقوانينه !!

وفي الثانية: التي يحتج فيها بخوارق العادات لا يحتج بغير القرآن منها، أما غيرها من خوارق العادات؛ فلا يحتج بها إلا على سبيل الاعتضاد، وأن سبب وجودها في الزمان الأول هو رحمة الله ﷻ وعنايته للنبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم، ويستدل بعضهم على هذا الحصر المزعوم بحديث: ((إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي))[2] [3].

والخلاصة : أن الشيخ رحمه الله تابعَ رواد المدرسة العقلية الحديثة في جعل آيات الأنبياء محصورة بما يجري على سنن الكون وقوانينه الطبيعية –خلا القرآن-، وفي هذا إنكار لسائر آيات (خوارق) الأنبياء الأخرى التي لا تجري بزعمهم على نظام الطبيعة[4].

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تقديم وتحقيق: الدكتور محمد عمارة ٣/٢٩٧-٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل ٦/١٨١ ح(٤٩٨١)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ١/١٣٤ ح(١٥٢)

(٣) انظر: كرامات الأولياء ، للدكتور عبدالله بن عبد العزيز العنقري ص٢٨٨-٢٩٨

(٤) وانظر: تتمة الكلام عن هذا في ص٣٤٥ وما بعدها من هذه الرسالة.

الدليل الرابع : دليل الحدوث

هذا الدليل-ويسمى كذلك بدليل : الجواهر والأعراض[1] -أول من ابتدعه الجهمية والمعتزلة، وتبعهم على ذلك بقية المتكلمين[2] ، وجعلوه أساس الدين، وخلاصته: أنه الاستدلال على إثبات الصانع، بإثبات حدوث العالم : لأن الحادث لابد له من محدِث.

وهذا الدليل في أصله فطري ضروري، لكن التطويل والتعقيد الذي أدخله المتكلمون عليه هو القدر المنكر، والتطويل والتعقيد هو :

أن العالم مكون من جواهر وأعراض، والدليل على ذلك : الاستقراء.

والأعراض حادثة، والدليل : مشاهدة زوالها.

والجواهر والأجسام-إذ الأجسام جواهر مركبة- لا تخلو من الأعراض، والدليل : المشاهدة كذلك؛ حيث لا يوجد جسم بلا عرض.

وهم يختلفون بينهم في ملازمة الأعراض للأجسام، هل الملازمة تكون لكل الأعراض أم لأعراض الأكوان الأربعة وهي: الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، أو للحركة فقط؟

---

(١) الجوهر -على أصول المتكلمين-: هو المتحيز، أي: ما وُجد في حيز أي : في حدود مكان ما. انظر: المبين في شرح ألفاظ معاني الحكماء والمتكلمين ص١٠٩، وانظر في معنى العرَض ص١٢٠ من هذه الرسالة.

(٢) وهم: الكلابية والأشاعرة والماتريدية .

فإذا كان الجواهر والأعراض حادثان وهما مكونا العالم، كانت النتيجة أن العالم محدَث، وكل محدَث لا بد له من محدِث، والمحدث الذي لا بد ألا يكون جوهرا ولا عرضا ولاتحل به الحوادث هو الله ﷻ.(١)

ولما تعرض له الشيخ قرر -في معرض اختصاره لكلام شيخ الإسلام في كتابه درء تعارض العقل والنقل(٢)- أن أصل هذه الطريقة فطري ضروري صحيح، وأن الخلل فيما أدخله المتكلمون عليه فقال رحمه الله: (إن طريقة الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع(٣) الخالق هي طريقة فطرية ضرورية، وهي خيار ما عندهم(٤)، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد، الذين آتاهم الله الهدى والسداد)(٥) .

---

(١) انظر: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات، لعبد القادر عطا صوفي ١/٣١٧-٣٢٥

(٢) ٣/٨٧

(٣) واضح أن الكلام في سياق الخبر، وليس الدعاء، فيجوز بذلك-على قواعد أهل السنة- إطلاق الصانع عليه ﷻ.

(٤) أي الفلاسفة والمتكلمين.

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص١٠٤

المطلب الثالث: علاقة توحيد الربوبية بتوحيدي الألوهية والأسماء والصفات

ينقسم اللفظ من حيث دلالته وضعا على مسماه إلى ثلاثة أقسام :

الأول : دلالة المطابقة، وهي : دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع له اللفظ.

الثاني : دلالة التضمن، وهي: وهي دلالة اللفظ على جزء مسماه في ضمن كله، ولا يكون إلا في المعاني المركبة.

الثالث: دلالة الالتزام، وهي: دلالة اللفظ على خارج عن مسماه لازم له لزوما ذهنيا[(١)].

وعليه، فإن علاقة توحيد الربوبية بالألوهية أن توحيد الألوهية يتضمن الربوبية؛ إذ إفراد العبد ربه بأنواع العبادة يتضمن إثباته ربا خالقا، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ إذ انفراد الله بالربوبية من خلق ورزق يستلزم إفراده بالعبادة، فلا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا من انفرد بالخلق والرزق والتدبير.

وهذا ما أوضحه الشيخ –رحمه الله– حينما تكلم على كلمة التوحيد فقال :

(فبين تعالى في هذه الجملة (لا إله إلا الله) أنه لا يستحق العبادة إلا من تفرد بالإيجاد والإمداد، وأهل الجاهلية مؤمنون بوجوده، معترفون له بهذا التفرد، فأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده بالخلق والتدبير على ما أنكروه من تخصيصه بالعبادة)[(٢)] .

وعلى ما سبق تقريره أيضا، فإن علاقة توحيد الربوبية بالأسماء والصفات أن توحيد الربوبية يستلزم منه الأسماء والصفات؛ حيث لا يتصور وجود ذات دون صفات حقيقية، والعكس صحيح، فإن توحيد الأسماء والصفات يستلزم توحيد الربوبية؛ إذ لا يمكن أن تثبت صفاتا لشيء من غير أن تثبت ذاته ووجوده.

---

(١) انظر آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي ص١٩–٢٠

(٢) كتاب ابن حزم ورسالة المفاضلة بين الصحابة تحقيق :سعيد الأفغاني –تعريف ونقد– ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٩٥/١٧، صفر ١٣٦١هـ.

وقد جرى الشيخ على مثل ذلك، فحينما قرر العلاقة بين وجود الرب –سبحانه– ، وبين مباينته لخلقة وعلوه قال:

(وكل من أقر بوجود رب للعالم مدبر له، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم، وكل من أنكر مباينته وعلوه لزمه إنكاره وتعطيله)[1] .

وقال –رحمه الله– مُعَنْوِنا لكلام لشيخ الإسلام في هذا الموضوع[2]:

(إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله)[3] .

---

(١) مستقبلك بين يديك متى عرفت ربك لعبد الحميد الخطيب –تعريف ونقد–، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣١/٦٥٦-٦٥٧، جمادى الأولى ١٣٧٥هـ.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/٣٧٥

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد بهجة البيطار ص١٠٣

المطلب الرابع:عدم كفاية توحيد الربوبية في تحقيق التوحيد

من أقوى الأدلة على عدم كفاية توحيد الربوبية في تحقيق التوحيد دليلان:

الأول : أن كلمة (الإله) في شهادة التوحيد (لا إله إلا الله) -التي هي شعار الإسلام- = ليست بمعنى الرب لا لغة ولا في الكتاب والسنة بل بمعنى المعبود بحق(1) .

الثاني : موقف مشركي العرب من دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لهم ، حيث كان حالهم في الجاهلية إقرارهم الربوبية من خلق ورزق وإشراكهم في الألوهية من مثل عبادة الأصنام وقولهم في الحج: (لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك)، فلما دعاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – للإسلام ردوا دعوته وقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ﴾.

ومن أوفى المواضع التي بين فيها الشيخ –رحمه الله– هذا الدليل قولُه:

(العرب كانوا في جاهليتهم مؤمنين بوجود الله تعالى، موحدين له في أفعاله من خلق ورزق، وإحياء وإماتة وتصريف لجميع الأمور. وهذا هو المسمى توحيد الربوبية، ويستشهد لذلك بالآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾(2).

وكقوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣١﴾﴾(3). وكقوله :

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴿٨٥﴾﴾(4)، وإنما كان شركهم في توحيد الألوهية، أي في توحيد العبادة، وهو أنهم لم يقصروا

---

(1) سيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على رد تفسير الإله بالخالق عند المتكلمين، وذلك في ص١٣٤ من هذه الرسالة.

(2) سورة لقمان:٢٥

(3) سورة يونس:٣١

(4) سورة المؤمنون:٨٤-٨٥

عبادتهم بأنواعها على مستحقها، وهو الله وحده، كالدعاء والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر ليقربوهم إلى الله كما زعموا، قال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿٣﴾﴾ (١) الآية، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴿١٨﴾﴾ (٢) الآية، فرد عليهم هذا الزعم الباطل بهذه الآيات نفسها، وبالآيات السابقة في توحيد الربوبية، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴿٦٥﴾﴾ (٣)﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ﴿٣١﴾﴾ (٤) ، وأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده تعالى بأفعال الربوبية على ما أنكروه من وجوب إفراده تعالى بالعبادة.

ومن صنيعهم أنهم كانوا في الشدائد يخلصون لله تعالى في الدعاء، كما نص علينا من شأنهم بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾(٥))(٦) .

وبين الشيخ في موضع آخر حال العرب مع أصنامهم التي كانوا يشركون في الإلهية بها فقال رحمه الله –جوابا على سؤال : وهل بلغك أن أحدا من عباد الأصنام سجد

---

(١) سورة الزمر:٣

(٢) سورة يونس:١٨

(٣) سورة التوبة:٦٥

(٤) سورة يونس:٣١

(٥) سورة العنكبوت:٦٥

(٦) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٦/١وانظر منه ٢٠٨/١، وتفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٨٤/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ، وكتاب ابن حزم ورسالة المفاضلة بين الصحابة تحقيق :سعيد الأفغاني –تعريف ونقد– ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٩٥/١٧، صفر ١٣٦١هـ.

لصنم؟-: (في السيرة النبوية لابن هشام[1] عند ذكر أصنام العرب ما يأتي: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، وإذا قدم من سفره تمسح به، فلما بعث الله محمدا بالتوحيد قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ [2] ا. هـ.. مختصرا)[3] .

ولما تطرق الشيخ رحمه الله : لكيفية إيمانهم بالربوبية وإشراكهم بالألوهية، وحالهم في الحج قال: (ثم قال تعالى : ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[4]. قال الإمام ابن جرير[5] : وما يُقِرُّ[6] أكثر هؤلاء -الذين وصف الله ﷻ صفتهم بقوله ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[7]- بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أربابا، وزعمهم أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون . وقال الحافظ ابن كثير[8] : [قال ابن عباس][9] : من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السماوات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون به وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، و [هكذا][10] في الصحيحين

---

(١) السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، ٨٣/١ تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط٣ ١٣٧٥هـ.

(٢) سورة ص:٥

(٣) أسئلة دينية وأجوبتها، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ٨٣٠/٣٥، شوال ١٣٨٨هـ

(٤) سورة يوسف:١٠٦

(٥) في تفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٧٢/١٣

(٦) في أصل الشيخ رحمه الله : (يقرأ)، والتصويب من المصدر: تفسير ابن جرير .

(٧) سورة يوسف:١٠٥

(٨) في تفسير القرآن العظيم ٤١٨/٤

(٩) ساقطة من أصل الشيخ رحمه الله، والتصحيح من المصدر: تفسير ابن كثير.

(١٠) ساقطة من أصل الشيخ رحمه الله، والتصحيح من المصدر: تفسير ابن كثير.

أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . وفي الصحيح[1] أنهم كانوا إذا قالوا: لبيك لا شريك لك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ((قد ، قد))[2] أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا، وقال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [3]، وهذا هو الشرك الأعظم، يعبد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت: يارسول الله : أي الذنب أعظم؟ قال : ((أن تجعل لله ندا وهو خلقك))[4][5] .

وفي عصر الشيخ ظهر من يقول بأن البحث عن وجود الله يغني عن البحث في قضايا التوحيد الأخرى التي تكون مصدرا للخلافات فرد عليه بأن وجود الله أمر فطري ضروري، أما توحيد الألوهية التي لأجلها أرسلت الرسل فمكتسبة يجب بحثها، ودعوة الناس إليها، قال رحمه الله :

---

(١) في أصل الشيخ رحمه الله: وفي صحيح مسلم، والتصحيح من المصدر: تفسير ابن كثير.

(٢) **يوهم صنيع ابن كثير رحمه الله أن هذا الحديث، والذي ذكره قبلَه مختلفان، وهما حديث واحد، ولم يروه بهذا اللفظ إلا مسلم،** فقد أخرج مسلم–كتاب الحج: باب التلبية وصفتها ووقتها ح(١١٨٥)– بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلكم، قد قد» فيقولون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.

(٣) سورة لقمان:١٣

(٤) رواه البخاري: كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ ح(٤٢٠٧) وفي باب قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ العقوبة ح(٤٤٨٣) وفي كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ح(٥٦٥٥) وفي كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب إثم الزناة ح(٦٤٢٦) وفي كتاب التوحيد باب وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم ح(٧٠٨٢) ورواه مسلم: كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ح(٨٦).

(٥) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٥/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(هذا حق، ولم يفت علماءنا السابقين ذلك، على أنهم رأوا أن الشعور بوجود الله تعالى أمر فطري، والإذعان بخالق قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة، شيء غريزي في الإنسان مفطور عليه، وهو عقد في المرء عقد عليه جنانه وتأثر لسانه وبيانه.

وأما معرفة الله المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته، وما يجب أن يثبت له من الصفات وما يجب أن ينفى عنه، وهذه المعرفة هي التي دعا الأنبياء إليها، وحثوا عليها، ولهذا قالوا عليهم الصلاة والسلام لمن بعثوا إليهم : قولوا : لا إله إلا الله، ولم يدع أحد منهم إلى معرفته تعالى بكنهه وحقيقته، بل دعا إلى توحيده)[1] .

---

(١) حول ما كتبه الدكتور الكيالي عن كتاب حياة شيخ الإسلام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٥١٣/٣٧ محرم ١٣٩٢هـ.

المبحث الثاني: جهوده في تقرير توحيد الأسماء والصفات

ويتضمن تمهيدا ومطلبين،

التمهيد:في تعريف توحيد الأسماء والصفات، والأدلة عليه وأنه الأسلم والأحكم.

توحيد الأسماء والصفات(1) : هو إفراد الله تعالى بأسماء وصفات لا تشبه خلقة، ثبتت في الكتاب والسنة ولو بطريق الآحاد، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات.

وقد قرر الشيخ هذا المنهج فقال -رحمه الله- في أثناء دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأقول : هذه عقيدته الحموية والواسطية والأصفهانية التي عقدت له المناظرات حولها في مصر والشام، بل هذه أيضا كتبه ورسائله وفتاويه وردوده في العقائد قد بسط الكلام فيها على آيات الصفات والأفعال وأحاديثها، كالوجه واليدين والاستواء والنزول وغيرها بالمعقول والمنقول، **وكلها يتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾(2). **وقوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ دفع للإلحاد والتعطيل**)(3) .

وذكر -رحمه الله- في موضع آخر إجراء الصفات على حقائقها مع تفويض الكيفية فقال: (وهكذا يقول المثبتون لسائر الصفات التي أخبر الله بها عن نفسه من المحبة والرضا

---

(1) ويتضمن منهج أهل السنة والجماعة إجمالا في الأسماء والصفات. وانظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين الشنقيطي ص١٠

(2) سورة الشورى:١١

(3) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص٣٩، وانظر منه ص (ب) وص ٣

وغيرهما، فهم يجعلونها كلها من باب الحقيقة مع اعترافهم بالعجز عن إدراك هذه الحقيقة)[١]

وقال في موضع آخر: (فوصفه بما وصف به نفسه حقيقي غير مجازي، وهو لايحتاج إلى تأويل بلْهَ التعطيل فرارا من التشبيه)[٢] .

هذا وإن مقولة (طريقة السلف أسلم والخلف أعلم وأحكم) صارت شعارا للمتكلمين في ترويج مذهبهم حتى في زمان الشيخ ومكانه فقرر الشيخ أن مذهب السلف هو الأسلم والأحكم، فقال علي الطنطاوي –مشيرا لما كان عليه علماء بلده من مقولة: طريقة السلف أسلم والخلف أعلم وأحكم– : (وكنت موقنا بما ألقوه علينا[٣] وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، و طريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول لي : بأن ما عليه السلف هو الأسلم والأحكم)[٤] .

وأدلة أهل السنة على هذا المنهج كثيرة لكن أصل الأدلة وأقواها هو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[٥].

وقد استدل الشيخ –رحمه الله– على منهج السلف السابق ذكره بأدلة متنوعة[٦] تشمل نصوص القرآن ، بل وحتى الكتب السماوية السابقة، والإجماع ، وكذلك –استئناسا– بكتب التفاسير بالمأثور، والعلوم الحديثة.

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ص١٦٩

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص٤٣

(٣) أي : علماء بلده في سوريا.

(٤) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي ١/٤١٤، وانظر حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٢

(٥) سورة الشورى:١١

(٦) أقصد بالأدلة المتنوعة : أن القرآن نوع، والكتب السماوية نوع وهكذا، وليس تعدد الأدلة في النوع الواحد.

أما القرآن فقد سبق ، وأما الكتب المنزلة السابقة فقال -رحمه الله- ناقلا كلام ابن تيمية في الدرء[1] :

(فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك،(أي من صفات الكمال) و كذلك الإنجيل وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ونبوة أشعياء وأرميا)[2] .

وفي إجماع السلف على هذا المنهج قال -عند رده على الكوثري في جعله عقيدة السلف في الصفات من شواذ ابن تيمية-: (إن مما يقضي بالعجب تلاعب الكوثري في النقل وتناقضه فيه، وجرأته على الله عز وجل، وطعنه في أهل القرون الثلاثة المفضلة، وهم الصحابة والتابعون وأتباعهم بإحسان فيما أجمعوا عليه، وجعل عقيدتهم التي هي نصوص القرآن القطعية من شواذ شيخ الإسلام ابن تيمية. وإليك البيان:

أورد الحافظ ابن حجر (ج ١٣) من شرحه للبخاري[3] أقوال القرون الثلاثة ومن تبعهم بإحسان في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴿٧﴾﴾[4].

ثم نقل حافظ المشرق ابن حجر[5] عن حافظ المغرب ابن عبد البر قوله: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئاً منها، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقر بها فهو مشبه، فسماهم من أقر بها معطلة" اهـ

---

(١) ٤/٩٥

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٢٥

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وإخراج: محب الدين الخطيب مع تعليقات العلامة ابن باز ١٣/٤٠٥ دار المعرفة (السلفية) عام ١٣٧٩هـ.

(٤) سورة هود:٧

(٥) فتح الباري لابن حجر ١٣/٤٠٧

وترى الحافظ الذهبي في كتاب :إثبات العلو لله تعالى ينقل ما يؤيد ذلك عن جميع أصناف العلماء. ومثله الإمام ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" بما يجزم المؤمن معه أن إثبات الصفات عقيدة السلف قاطبة.)[١] .

وقرر الشيخ أن العلوم الحديثة قرَّبت من فهم نصوص الصفات على طريقة السلف فقال : (إن العلوم الحديثة قربت فهم النصوص على طريقة السلف) ثم قال : (فإن صوت المذياع الآن يسمع في كل مكان كما يسمع في مكانه، وهذا الاختراع الحديث يقرب لنا فهم ما أورده البخاري في صحيحه من أن الله ينادي عبده بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، ومثله إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صوته... الخ)[٢] .

وذكر الشيخ أن كتب التفاسير بالمأثور والكتب المصنفة في السنة مثبتة للصفات، فقال معنونا: (التفاسير المأثورة مثبتة للصفات)

ثم قال -ناقلا كلام ابن تيمية في الدرء[٣]-:

(والتفاسير المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري، وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدُحَيم[٤] ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم، وتفسير أبي بكر بن المنذر، وتفسير أبي بكر عبد العزيز، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني، وتفسير أبي بكر بن مردُويه، وما قبل هؤلاء التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وبقي بن مخلد وغيرهم، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن

---

(١) الكوثري وتعديه على التراث بقلم علامة الشام محمد بهجت البيطار وآخرون ص١٦-١٧ ط:١لدار الحرمين -القاهرة- عام١٤١٩هـ.

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص ٤٢

(٣) ٢٢/٢

(٤) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون الأموي، مولاهم، الدمشقيّ: محدث الشام في عصره.كان على مذهب الأوزاعي، ولي قضاء الأردن وقضاء فلسطين، توفي عام: ٢٤٥هـ انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٣١/٦ والأعلام للزركلي ٢٩٢/٣

حميد وتفسير سُنَيْد[1] وتفسير عبد الرازق، ووكيع بن الجراح، فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين مالا يكاد يحصى، وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة التابعين.)[2] .

---

(١) سُنَيْد بن داود المصيصي المحتسب، واسمه حسين، ضُعف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلقِّن حجاجَ ابن محمد شيخَه، توفي عام : ٢٢٦هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٤١٨ ، والكاشف ١/٤٦٨

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص ١١٨-١١٩

المطلب الأول: جهوده في تقرير الأسماء الحسنى

ويتضمن ستة أفرع:

الفرع الأول: معنى الحسن في أسمائه الحسنى سبحانه ودليله

أسماء الله تعالى كلها حسنى دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۝١٨٠﴾[1]. ف(أل) في ﴿ الأسماء ﴾ تستغرق جميع أسماء الله ﷻ ، والحسنى مؤنث أحسن على وزن فُعلى مؤنث أفعل، أي أن أسماءه تعالى قد بلغت من الحسن الغاية التي ما وراءها غاية.

ودلت الآية أيضا -بتقديم شبه الجملة ﴿ لله ﴾- على أن الكمال المطلق في حسن أسمائه محصور به سبحانه، لا مشاركة فيه لخلقه، وهذا بخلاف المعنى الكلي في الأسماء المشتركة بين الخالق والمخلوق.

وقد قرر الشيخ غاية كمال الحسن في أسمائه سبحانه عند تفسيره لآية الأعراف، فقال -رحمه الله-:

(الآية الكريمة في سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۝١٨٠﴾[2]. أي: ولله سبحانه الأسماء الحسنى التي سمى نفسه بها في الذكر الحكيم، أو اتصف بها؛ فله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أفضل المعاني وأكمل الصفات التي انفرد بها، فاذكروه وادعوه، إما لمجرد الدعاء والثناء نحو: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾[3]. ونحو: ﴿هُوَ

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠

(٣) سورة آل عمران: ٢

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾[١]. وإما لدى السؤال وطلب الحاجات نحو: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴿١٨٦﴾﴾[٢].

وأسماء الله تعالى كثيرة وكلها حسنى؛ لدلالة كل منها على منتهى كمال معناه)[٣]

(١) سورة الحشر:٢٢

(٢) سورة البقرة:١٨٦

(٣) كتاب الأسماء الحسنى للعلامة أبي الوفاء محمد درويش (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ٤٦/١٤٠ ذو القعدة ١٣٩٠هـ

الفرع الثاني: تعيين الأسماء التسعة والتسعين في حديث الصحيحين

فضْلُ إحصاء الأسماء الحسنى التسعة والتسعين بدخول الجنة ، ثبت في الصحيحين، لكن تعيينها لم يثبت.

وقد بين الشيخ معنى حديث الصحيحين وذهب إلى عدم الجزم بتعيينها فقال:

(وروى الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة))[1] ، وقد سرد الأسماء التسعة والتسعين الترمذي[2] والحاكم[3] من طريق الوليد بن مسلم[4] فقال : هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام إلى آخرها.

أورد المؤلف أبو الوفاء[5] تسعة وتسعين اسما استنبطها من القرآن الكريم مشيرا إلى السور التي جاءت بها، ولكنه لم يجزم بأنها التسعة والتسعون اسما التي هي مراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن في القرآن الكريم أسماء أخرى جاء بعضها مضافا وبعضها

---

(١) رواه البخاري: كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم ح(٢٥٨٥) وفي كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ح(٦٩٥٧) ورواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ح(٢٦٧٧).

(٢) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – بابٌ ح(٣٥٠٧) .

(٣) كِتَابُ الْإِيمَانِ – إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ح(٤١).

(٤) قال ابن حجر: (ليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج) فتح الباري ٢١٥/١١

(٥) هو محمد درويش وقد سبقت ترجمته ص٦٢

شبيها بالمضاف قال: ولعل في هذا الإبهام سرا سيكتشفه الموفقون، وحكمة سيعرفها الباحثون)[1] .

(١) كتاب الأسماء الحسنى للعلامة أبي الوفاء محمد درويش(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ١٤٠/٤٦ ذو القعدة ١٣٩٠هـ

الفرع الثالث :بعض أقسام الأسماء الحسنى

يمكن تقسيم الأسماء الحسنى لأقسام متعددة، كالأسماء المفردة[١]، والمضافة والشبيهة بالمضاف[٢]، والأسماء المزدوجة [٣] [٤]

وقد ورد في كلام الشيخ –رحمه الله– تقسيم الأسماء الحسنى إلى أسماء مضافة وشبه مضافة ، وإشارة إلى تقسيمها إلى أسماء في القرآن وأسماء في السنة، فقال :

(لأن في القرآن الكريم أسماء أخرى جاء بعضها مضافا وبعضها شبيها بالمضاف قال: ولعل في هذا الإبهام سرا سيكتشفه الموفقون، وحكمة سيعرفها الباحثون، وأضاف إليها رحمه الله مما جاء في السنة المطهرة من الأسماء الحسنى مما روا البخاري ومسلم كسبوح قدوس[٥] ومقلب القلوب[٦])[٧] .

---

(١) كالسميع.

(٢) الاسم المضاف واضح وقد ذكر الشيخ في كلامه مثالا له وهو: مقلب القلوب، أما شبه المضافة: وهو ما اتصل به شيء من تمام المعنى ، كالفاعل ، أو المفعول به ، أو الجار والمجرور ، أو الظرف، ومثاله : ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض ﴾ أي: المألوه المعبود فيهما على أحد القولين.انظر: فتح القدير للشوكاني ٢/١١٤

(٣) هي الأسماء التي لا تكون كمالا في حق الله إلا بذكر ما يقابلها، كالمحيي المميت.

(٤) انظر: بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية ١/١٦٧

(٥) صحيح مسلم ،كتاب الصلاة – باب ما يقال فِي الركوع والسجود ح (٤٨٧)، ولم أجده في صحيح البخاري.

(٦) صحيح البخاري –كتاب التوحيد – باب مقلب القلوب وقول الله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ح(٧٣٩١)، ولم أجده في صحيح مسلم.

(٧) كتاب الأسماء الحسنى للعلامة أبي الوفاء محمد درويش(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ١٤٠/٤٦ ذو القعدة ١٣٩٠هـ

الفرع الرابع طريقة تفسير الأسماء الحسنى

إذا كان السلف يتهيبون من تفسير حديث رسول الله ﷺ عموما؛ خوفا من أن ينسب للشرع ما ليس منه، فما بالك بتفسير أسماء الخالق ﷻ، فهو أشد خطورة.

ولما تعرض الشيخ لطريقة تفسير الأسماء الحسنى قرر أن الأسماء الحسنى تفسر أولا بالقرآن ثم بالسنة ثم بإجماع الصحابة، ثم السواد الأعظم منهم ثم بالسواد الأعظم من التابعين، ثم يرجع إلى اللغة(١) .

قال رحمه الله لما تكلم على طريقة أحد شراح الأسماء الحسنى :

(أقول تأييدا لما جاء به : إن الله تعالى أكمل الدين بالقرآن، وبيان نبيه عليه الصلاة والسلام، فما صح من بيانه لايعدل عنه إلى غيره، وما بعد سنته نور يهتدى به في فهم أحكامه بلغته ، مثل إجماع الصحابة، أو عمل السواد الأعظم منهم، ومن تبعهم في هداهم، فمن رغب عن سنتهم ضل وغوى، ولم يسلم من اتباع الهوى.

أما معاجم اللغة العربية التي هي لغة الذكر الحكيم، فهي من مراجعه لأنها أساس من أسس الهداية، وهل يستقيم بناء بلا أساس؟)(٢) ثم مثَّل على الرجوع إلى معاجم اللغة باسمي المتكبر والعليم بما سيأتي نقله عند الكلام على تفسير هذين الاسمين في الفرع التالي.

---

(١) انظر -في الأمور التي ينبغي مراعاتها عند تفسير الحديث بالاجتهاد واللغة- كتاب علم شرح الحديث وروافد البحث فيه، محمد عمر بازمول ص٤٠

(٢) كتاب الأسماء الحسنى للعلامة أبي الوفاء محمد درويش(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ٤٦/١٤١-١٤٢ ذو القعدة ١٣٩٠هـ

الفرع الخامس:تفسير بعض الأسماء الحسنى

١- المتكبر

لما تكلم الشيخ -رحمه الله- عن أهمية الرجوع إلى معاجم اللغة في تفسير الأسماء الحسنى أورد تفسير اسم المتكبر شاهدا على ذلك، فذكر تفسيره والفرق بين تكبر الخالق والمخلوق عن محمد درويش في كتابه الأسماء الحسنى، فقال:

(ولذا كان من استشهاده بها عند الاسم الحادي عشر " ١١-المتكبر " قوله "ص٥٥" : " وصف الله نفسه بالتكبر والكبرياء في القرآن الكريم فقال تعالى في سورة الحشر : ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ ﴿٢٣﴾﴾[١]. وقال تعالى في سورة الجاثية : ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[٢]. قال : وذم فريقا من خلقه بالكبر والتكبر والاستكبار وأورد ما ورد من ذلك في سوَر البقرة ونوح وفصلت والمدثر وغيرها، ثم جاء بهذه الصيغة قولُه[٣] : فما معنى هذه الصيغة بالإضافة إلى الله تعالى، وما معناها بالإضافة إلى خلقه ؟

وأجاب: يجدر بنا أن نرجع إلى معاجم اللغة لنستشيرها، وعلى ضوء مانقتبس من نورها نفسر هذا الاسم الكريم من أسماء الله تعالى، وهذه الصفة من صفات المخلوقين :

---

(١) سورة الحشر:٢٣

(٢) سورة الجاثية:٣٧

(٣) كذا في المصدر، ولا يوجد بتر.

فإذا استشرنا مفردات الراغب[١] ،ونهاية ابن الأثير[٢] ، وأساس البلاغة للزمخشري[٣] ، استطعنا أن نجد الثمرات الطيبة نقدمها بين يدي القارئ الكريم :

أما بالنسبة إلى الخلق: فإن الكبر والتكبر والاستكبار ألفاظ تتقارب معانيها، وتجتمع عند حال واحدة وهي إعجاب الإنسان بنفسه إعجابا يدفعه إلى أن يرى نفسه أكبر من غيره، فيبطر الحق[٤] ويغمط الناس[٥] ، ويظهر من نفسه ما ليس له.

هذا وأما تكبر الله تعالى فمعناه التعالي عن صفات المخلوقين، والتسامي عن نقائصهم، والتنزه عن معايبهم، فالله تعالى متكبر أي متعالٍ تنزه عن شوائب النقص جميعا، فلا يلحقه عدم ولا فناء، وهو أزلي لم يسبق وجوده الكامل عدم، ولم يتلق وجوده من غيره، وهو منزه عن مشابهة الحوادث، ليس كمثله شيء، وما الإخلاص إلا أن تُسْلم وجهك لله وحده)[٦] .

٢-العليم

وكذلك تكلم على اسم الله العليم في ضوء السياق الذي سبق ذكره فقال:

---

(١) ص ١٩٦

(٢) ١٣٩/٤

(٣) ١١٩/٢

(٤) قال ابن الأثير في النهاية ١٣٥/١ –ملخصا أقوال من سبقه-: (بطر الحق: هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا. وقيل هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا. وقيل هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله) ا.هـ وانظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٩/١٣، وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة تعود إلى معنى عدم قبول الحق طغيانا وكبرا.

(٥) غمط الناس وغمصهم : استحقرهم فاستصغرهم. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٨٧/٨، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٥٧/٥، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ١٣٥/٢

(٦) كتاب الأسماء الحسنى للعلامة أبي الوفاء محمد درويش(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ١٤٢/٤٦-١٤٣ ذو القعدة ١٣٩٠هـ.

(ومن أسمائه تعالى وصفاته العليم –السابع والعشرون بترتيب المؤلف أبي الوفاء "ص١٣٥" وهو كما قال : " المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، خفيها وجليها، على أتم الوجوه وأكمل الأحوال"، "واشتقاقه من العلم . وهو بالقياس إلى المخلوقين: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل. والإدراك الجازم المطابق للواقع عن محاكاة وتقليد، لا عن دليل وبرهان ، ليس بعلم ؛ لأن صاحبه لا يستطيع أن يأتي بالبرهان على صحته. ونستطيع أن نقول : هو إدراك الشيء على حقيقته.....

أما علم الله تعالى فهو فوقها جميعا، وإن هذه البيانات لا تلحق بعلم الرحمن، بل هو منزه عنها ومبرأ منها، فعلمه تعالى –كما قال المصنف– ذاتي ، ولا ينشأ من إحالة فكر، ولا اضطراب حاسة، وهو محيط بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، حسيها ومعنويها على السواء، وكل ما أنتَ راءٍ في هذا الوجود من هذا النظام الجميل الرائع، فهو مجال ومظاهر من بديع صنعه")(١) .

٣– رفيع الدرجات ذو العرش

ومن الأسماء المضافة التي تطرق لها الشيخ اسمي : رفيع الدرجات ذو العرش، فقال –رحمه الله– في تفسيرهما : (وهو سبحانه كما وصف نفسه بقوله : ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾(٢). أي إنه سبحانه أرفع المخلوقات ذاتا وصفاتا(٣) ، وأعظمها شأنا وأعزها سلطانا، وكل شيء محتاج إليه، وهو مستغن عما عداه، وهو مالك العرش ومدبره، فهو مستول على

(١) المصدر السابق ١٤٣/٤٦

(٢) سورة غافر:١٥

(٣) انظر: التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان ٢٦٦/١٠ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١١٣/٥

عالم الأجسام، وأعظمها العرش[١] ، وكما هو مستول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له.)[٢].

مسألة : عرش الرحمن

معتقد السلف في عرش الرحمن أنه مخلوق ، وهو أعلى المخلوقات ، وأعظمها، وسقفها، وهو كالقبة على العالم، وما تحته بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة، وله حملة من العرش[٣] .

---

(١) الشيخ رحمه الله فسَّر ﴿ذو العرش﴾ ب(هو مالك العرش ومدبره، فهو مستول على عالم الأجسام، وأعظمها العرش)، وهو تفسير صحيح لهذه الآية –وذُكرت (مستول) في جملة خبرية لا في الدعاء– ، أما لو فسر قوله تعالى ﴿ثم استوى على العرش﴾ ب(مستول على العرش) : لكان تأويلا بلا شك، وعلاوة على ذلك فإن أصوله في الباب واضحة، وللشيخ أيضا كلام صريح في أن الاستواء على العرش، **قطعي لا يقبل التأويل**، وقد نقلته قريبا في الصفحة التالية ، فقال : (ثبت بالنصوص القرآنية **القطعية التي لا مجال للتأويل ولا التضليل فيها**، أن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، قاهر فوق عباده).

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤

(٣) انظر: العرش وما روي فيه، لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي ١/ ٢٨٦،٢٩١،٢٩٤،٣٣٠، وشرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي ٣٧٣/٢

وقد بين الشيخ عظمة العرش وأنه مستقل عن سائر المخلوقات ، ونقل عن شيخ الإسلام ما يقرر مباينته عن سائر المخلوقات والرد على الفلاسفة اليونان[١] والمنجمين القدماء[٢] أنه الفلك التاسع[٣] [٤] ، فقال -رحمه الله-:

(**ثبت بالنصوص القرآنية القطعية التي لا مجال للتأويل ولا التضليل فيها، أن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه،** قاهر فوق عباده، وأن عرش الرحمن أعظم مخلوقات الله، وقد أفرده الله بالذكر في آيات كثيرة، ووصفه بأوصاف دلت على أن له وجوداً مستقلًا عن سائر الموجودات، وهذه شذرة مما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية[٥]، قال رضي الله عنه:

وأما العرش فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ۝٧﴾[٦]. وقال سبحانه وتعالى ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧﴾[٧]. الآية. فأخبر أن للعرش حملة، اليوم ويوم

---

(١) انظر ص٢٢٢

(٢) هم البابليون والآشوريون وهم من وضعوا علم التنجيم. انظر: نامر بيل (نهضة بيلي)، أقدم وثيقة تنجيمية في العالم بواسطة الموسوعة الكاثوليكية رابط : e.htm٠٢٠١٨http://www.newadvent.org/cathen/

(٣) انظر: موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، للدكتور صالح بن غرم الله الغامدي ص٥٠٦-٥١٧

(٤) هو فلك مستدير من جميع الجوانب ، ومحيط بالعالم من كل جهة، ومحدود الجهات، وربما سمَّوه الفلك الأطلس أو الفلك الأعلى، وقالوا عن الكرسي :إنه الفلك الثامن. وهو رجم بالغيب، والفلاسفة أنفسُهم يجوزون أن يكون الأفلاك أكثر من ذلك. انظر: مقدمة كتاب العرش للذهبي ٢٥٠/١-٢٥٨

(٥) ص٧

(٦) سورة غافر:٧

(٧) سورة الحاقة:١٧

القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين، ومعلوم أن قيام فلك من الأفلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الأفلاك، لا فرق في ذلك بين كرة وكرة، وإن قدر أن لبعضها ملائكة في نفس الأمر تحملها فحكمه حكم نظيره قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴿٧٥﴾﴾(١). الآية، فذكر هناك أن الملائكة تحف من حول العرش، وذكر في موضع آخر أن له حملة، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴿٧﴾﴾(٢).)(٣) .

ثم تابع النقل عن شيخ الإسلام في أن عرش الرحمن كان على الماء ودليله فقال: (وأيضاً فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴿٧﴾﴾(٤).

وقد ثبت في صحيح البخاري(٥) عن عمران بن حصين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)) وفي رواية له(٦) ((كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء)) وفي رواية لغيره صحيحة ((كان الله ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء)))(٧).

---

(١) سورة الزمر:٧٥

(٢) سورة غافر:٧

(٣) الكوثري وتعديه على التراث ص٢٠–٢١

(٤) سورة هود:٧

(٥) كتاب: بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [سورة الروم:٢٧]، ح (٣١٩١)

(٦)كتاب التوحيد، باب : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [سورة هود:٧]. ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة:١٢٩]. ح (٧٤١٨)

(٧) الكوثري وتعديه على التراث ص٢٠–٢١

ثم نقل الشيخ أيضا عن ابن تيمية[1] أن العرش وصف في القرآن والسنة بالعظيم والكريم فقال -رحمه الله-:(وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [2] وقد قرىء ﴿ المجيد ﴾ بالرفع صفة لله وقرىء بالخفض صفة للعرش. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [3] ، فوصف العرش بأنه مجيد، وأنه عظيم، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [4] ، فوصفه بأنه كريم أيضاً.

وكذلك في الصحيحين[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كان يقول عند الكرب: ((لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم)) فوصفه الحديث بانه عظيم وكريم أيضاً" اهـ.

فأين يذهب المعترض بهذه الآيات الكريمة والنصوص القطعية في إثبات العرش ووصفه)[6]

.

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٥٥١

(٢) سورة البروج:١٤-١٥

(٣) سورة المؤمنون:٨٦-٨٧

(٤) سورة المؤمنون:١١٦

(٥) البخاري، باب : الدعاء عند الكرب ح(٦٣٤٦) ، وباب : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [سورة هود:٧]. ح(٧٤٢٦) ، وباب : قول الله تعالى : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [سورة المعارج:٤]. ح(٧٤٣١) ، ومسلم باب :دعاء الكرب ح(٢٧٣٠)

(٦) الكوثري وتعديه على التراث ص٢٢

الفرع السادس: الإلحاد في أسماء الله تعالى

الإلحاد في أسماء الله تعالى: هو العدول بها عن الحق الواجب فيها، ويشمل ذلك: الإلحاد بتسمية مخلوق بها، أو تجريد الأسماء عن معانيها، أونفيها ، أو تسميته سبحانه بما لم يسم به نفسه، أو أن يشتق منها أسماء للمخلوقين[1] .

فقال الشيخ- حين كلامه عن الأوهام والمحاذير التي يقع فيها نفات الصفات من التمثيل ثم التعطيل -:

(بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الرسالة التدمرية[2] وغيرها أن نفات الصفات يقعون في كثير من الأوهام والمحاذير، منها: ظنهم أن مدلول النص هو التمثيل .

ومنها : أنهم بنوا على ظنهم السيء تعطيل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من معاني الإلهية[3] اللائقة بجلال الله تعالى.

ومنها : أنهم نفوا عن الله تعالى تلك الصفات بغير هدى ولا علم ولا كتاب منير.

ومنها : أنهم وصفوا الرب تعالى بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات ، أو صفات المنقوصات والمعدومات.

فهم يجمعون في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل، وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته)[4] .

وبين الشيخ أيضا أن الكناية عن ذات الله بسعدى ولبنى من الإلحاد في أسمائه سبحانه وصفاته، فقال -رحمه الله-:

---

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ١/١٦٩-١٧٠ وشرح التدمرية، أ.د/ محمد عبد الرحمن الخميس ص١٠٠-١٠١

(٢) انظر : التدمرية ص٧٩-٨٦٥

(٣) في الأصل : الآلهية.

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٠

(الكناية عن الذات الإلهية بسعاد وسعدى ولبنى[1] : هو إلحاد في أسمائه تعالى وصفاته، وقد قال في محكم كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[2].)[3] .

---

(١) سعدى ولبنى اسم امرأتين-كسعاد-،وأطلق على عدة نساء، وأصبح كناية في الشعر القديم عن التصريح باسم المحبوبة، ومن هنا تجرأ المتصوفة قبحهم الله ﷻ على إطلاق مثل هذه الأسماء كناية بذلك عن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا. انظر: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي ٦٧١/٢، محضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني ١١٥/٢، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه: بشير يموت ص٩١

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠

(٣) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده: بهجة البيطار (٥٤٢/١) وانظر منه أيضا ١١٧١/٢

المطلب الثاني:جهوده في تقرير الصفات العلى

ويتضمن خمسة أفرع :

الفرع الأول:حقيقة التشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق

قرر أهل السنة والجماعة أن بين صفات الخالق والمخلوق قدرا مشتركا من المشابهة موجودا في الأذهان دون قيد أو تخصيص، به تعرف معنى الصفة، ولا تقع في الخارج إلا مقيدة بمن أضيفت إليه، كلٌّ بما يناسبه من المعاني التي لا تتشارك في التقييد.

وبهذا التقرير يندفع كثير من شبهات نفاة الصفات.

وقد قرر الشيخ هذا المعنى عند بيان منشإ غلط المعطلة نفاة الصفات، فقال – رحمه الله–: (إن طريقة شيخ الإسلام إثبات الأسماء والصفات، وفي بيان منشإ غلط المعطلة والنفاة واضحة في جميع كتبه، وخلاصتها[1]: أن لهذه الصفات وجودا علميا ذهنيا، ووجودا خارجيا عينيا، فوجودها الذهني، هو العلمي المطلق المجرد عن جميع الخصائص والإضافات كالحياة والعلم والقدرة، والسمع والبصر والكلام، وكون الموصوف حيا عليما قديرا سمعيا بصيرا متكلما، وهذا القدر مشترك بين الموجودات كافة، يطلق عليها بالاشتراك الاسمي أو اللفظي، كما هو ثابت لها في الوجود العلمي والذهني، ولكن شيئا من ذلك لا يقتضي المشاركة في الأعيان الخارجية، بل الذهن يأخذ معنى مشتركا بين المسمَّيين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق من المخلوق والمخلوق من الخالق، ولا بد

---

(١) انظر : التدمرية ص١٢٨-١٣٢

من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة[1] والاتفاق، وما دل عليه من الإضافة والاختصاص المانعين من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى)[2] .

---

(١) ما يدل عليه الاسم بالمواطأة هو: أن يدل الاسم على ما يتساوى في الدلالة عليه الأفراد الداخلين في مسماه. انظر: المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين للسيف الآمدي ص٧٠، وجمع الجوامع لابن السبكي ص١٣٥

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٩-٤٠

الفرع الثاني: التوقيف في الأسماء والصفات والأفعال، وحكم إسناد الطلب إلى الله تعالى

التوقيف في الأسماء والصفات والأفعال من قواعد أدلة أهل السنة في الأسماء والصفات.

وباب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ ولذلك يجوز اشتقاق صفة لله ﷻ من كل اسم له ولا يجوز العكس، فلا يشتق لله ﷻ اسم إلا ما كان مدحا وحسنا بذاته من كل وجه، بخلاف الصفات التي وردت على سبيل المقابلة لصفات المخلوقين.

وباب الإخبار أوسع من باب الصفات والأسماء، فلا يشترط التوقيف عند الإخبار[1] عن الله تعالى، وإنما يشترط ألا يكون الاسم سيئا[2] .

وقرر الشيخ التوقيف في هذا الباب، وتفريعا عليه منع إسناد الطلب إلى الله تعالى؛ لما فيه من ضعف لا يناسب مقام رفيع الدرجات ﷻ ، فقال -رحمه الله-:

(لا نطلق عليه تعالى ولا نسند إليه من الأسماء والأفعال إلا ما ورد مصداقه في الكتاب أوالسنة، ومثاله ما جاء في تفسير آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ۝٦﴾[3]. من سورة التحريم فقد كتب[4] تحت عنوان "مجمل المعنى " مانصه ص١٠٧:

---

(١) وضابط الإخبار: ألا يكون في معرض دعاء الله ﷻ .

(٢) انظر : بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية ١٦١/١ ، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للدكتور: محمد خليفة التميمي ص٥٠-٥٩

(٣) سورة التحريم:٦

(٤) أي : محمود محمد حمزة وآخرون، في الكتاب الذي يعرف به الشيخ وهو تفسير جزء قد سمع لمدارس المرحلة الأولى، والكتاب لم أعثر عليه.

" يطلب الله تعالى إلى المؤمنين أن يحافظوا على أنفسهم" الخ .. " ويطلب الله ذلك ليحفظوا أنفسهم من نار يوم القيامة "

وفي إسناد الطلب منه سبحانه إلى عباده ضعف في التعبير، وقصور في التفسير؛ لأن الآية جاءت بالأمر الجازم الذي لا هوادة فيه ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ فلو قيل : أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمحافظة على أنفسهم وأهليهم الخ لكان أدل على منطوق الآية الكريمة)[1] .

---

(١) تفسير جزء قد سمع لمدارس المرحلة الأولى، تأليف محمود محمد حمزة وآخرون (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ٤١٨/٢٤ شوال ١٣٧٣هـ.

الفرع الثالث: الألفاظ المجملة

ابتدع المتكلمون ألفاظا مجملة ليتوصلوا بها إلى إنكار الصفات فكان موقف أهل السنة أن بينوا أنها ألفاظ محدثة، ويتوقفون عن إطلاق الإنكار أو القبول لها حتى يستفصلوا عن معناها.

فقد بين الشيخ اختراع تلك الألفاظ، ثم نقل عن ابن قيم الجوزية مراد نفاة الصفات بتلك الصفات، فقال -رحمه الله-: (ولا نخوض في ذكر الألفاظ المخترعة المبتدعة التي أدخلها بعض أهل الكلام وغيرهم في العقائد، وذلك مثل الجسم والجوهر والأعراض(١) ، والأغراض(٢) والأبعاض(٣) والحدود، والجهات وحلول الحوادث(٤) وغيرها، قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في الصواعق المرسلة(٥) : يسمع الغر المخدوع هذه الألفاظ فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص والحاجة فلا يشك أنهم يمجدونه ويعظمونه.

---

(١) الأعراض : جمع عرض: وهو ما يحتاج في وجوده إلى موضع يقوم به، ويكون من وصفه أن يطرأ ويزول. انظر: المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين للسيف الآمدي ص١١٠، والمعجم الوسيط ص٥٩٤

(٢) الأغراض جمع غرض، وله أكثر من معنى والمقصود به هنا : الحاجة. انظر: المعجم الوسيط ص٦٥٠

(٣) الأبعاض جمع بعض، وهو الجزء الذي تركب منه ومن غيره. انظر: التعريفات للجرجاني ص١٠٦، والحددود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري ص٧١

(٤) أي : أن تقوم الحوادث به .

(٥) ٩٣٥/٣

ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله فتنزيههم عن الأعراض هو جحد صفاته كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وإرادته.

وأما الأغراض فهي الغاية والحكمة التي لأجلها يفعل ويخلق ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب .

وأما الأبعاض: فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان.

وأما الحدود والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس فوق السماوات ربٌّ ولا على العرش إله.

وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا يتكلم بقدرته ومشيئته .اهـ باختصار)[١] .

وذكر الشيخ سنة الاستفصال في الألفاظ المجملة لأهل السنة في موضع آخر، فقال : (لا يؤخذ لفظ مجمل مشتبه حتى يتبين معناه ويعلم المقصود منه[٢])[٣] .

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٠٠-٢٠١

(٢) تعبير الشيخ قريب جدا من تعبير شيخ الإسلام في الدرء ١/٢٩٦، فقال : (ولهذا يجب على من يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم: أن لا **يوافقهم على لفظ مجمل** حتى يتبين معناه، ويعرف مقصوده)، ولا يعنى كلام الشيخ البيطار أن هذه الألفاظ تطلق على الله ﷻ؛ لأنه صرح كما نقلته في الصفحة السابقة أنها محدثة مخترعة، وصرح الشيخ بالتوقيف في هذا الباب ص١١٩ من هذه الرسالة، فاللفظ قد يؤخذ –من باب: الإخبار– باعتبار المعنى الصحيح بعد الاستفصال عنه؛ لأنها ألفاظ مجملة، لا أنه يطلق على الله ﷻ؛ لأنه باب توقيفي، قال ابن تيمية في أثناء حديثه عن الألفاظ المجملة: (ثم يبقى النظر في إطلاق ذلك اللفظ ونفيه، **وهي مسألة فقهية**، فقد يكون المعنى صحيحاً ويمتنع من إطلاق اللفظ لما فيه من مفسدة، وقد يكون اللفظ مشروعاً ولكن المعنى الذي أراده المتكلم باطل، كما قال علي رضي الله عنه . لمن قال من الخوارج المارقين لا حكم إلا لله .: كلمة حق أريد بها باطل. وقد يفرق بين اللفظ الذي **يُدعى** به الرب، فإنه لا يدعى إلا بالأسماء الحسنى، وبين ما **يخبر** به عنه لإثبات حق أو نفي باطل) الدرء ١/٢٩٧.

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠٩

وكمثال تطبيقي لأهل السنة على تلك الألفاظ : تعرض الشيخ للفظ التركيب، ولخص عن ابن تيمية[1] أنه إن كان المراد من التركيب تركيب غيره له أو نحو ذلك فمردود، وإن كان المراد قيام الصفات بالموصوف فمقبول، قال رحمه الله–تحت عنوان : الذات مستلزمة للصفات–: (وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد، حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام، وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية، هناك ذات موصوفة بصفات لازمة له، فإذا قال القائل: كل موصوف بصفات لازمة له يفتقر إلى مركب ومؤلف يجمع بين الذات والصفات كان قوله باطلاً، وان هنا ذاتا موصوفة بصفات، ولا دليل لك على أن الذات القديمة الواجبة المستلزمة للصفات مفتقرة إلى من يركب صفاتها فيها، فقد علمتم أنه ليس المراد بالمركب إلا اتصاف الذات بصفات لازمة لها، أو وجود معان فيها، أو اجتماع معان وأمور ونحو ذلك، ليس المراد أن هناك مركباً ركبه غيره حتى يقال: إن المركب يحتاج إلى مركب، بل إن الذات إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج، فتلك مستلزمة لصفاتها، يمنع وجودها بدون تلك الصفات) [2] .

---

(١) في درء تعارض العقل والنقل ٣/٤٠،٣٥٥–٤٠٥، ٤١٩

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠١–١٠٢

الفرع الرابع:المجاز

يتفق أهل السنة والجماعة على منع إجراء المجاز[1] في الغيبيات[2] ، ويختلفون اختلافا سائغا فيما عداه.

ولا شك أن المجاز اتُّخذ تُكَأَةً لتأويل الصفات ونفي معانيها الحقيقية،ولا يعني هذا أن المجاز لم يكن في لغة العرب، بل يعني أنه استعمل استعمالا خاطئا لم يُجر على أصوله، والقول بمجرد حدوث مصطلح المجاز وحدوث التقسيم إلى حقيقية ومجاز،لا يلزم بالضرورة منعه؛ فكم من مصطلح وتقسيم في العلوم لم يكن وكان في مسيرة نضج العلوم إلى احتراقها، فالمجاز (قديم قِدم التأليف اللغوي، لكن لا باسمه الصريح، فذكره سيبويه[3] – ت:١٨٠– باسم سعة الكلام والاتساع، وكذا أسماه الفراء[4] ، والأخفش[5])[6] .

---

(١) المجاز هو : استعمال اللفظ بوضع ثان لعلاقة بينهما، وقد نفى أبو إسحاق الأسفراييني وجوده مطلقا، ونفى وجوده في الكتاب والسنة الظاهريةُ، ونفي وجوده في القرآن الأمينُ الشنقيطي، وأقر به الجمهور . انظر: التعريفات للجرجاني ٢٨٣ ، وجمع الجوامع لابن السبكي ص١٣٧ (ضمن مجموع مهمات المتون) ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١٨٧/١، ومنع جواز المجاز في المتعبد بالإعجاز، للأمين الشنقيطي

(٢) يشمل ذلك : كُنْه صفات الله تعالى وكيفيتها، وكذا : كنه اليوم الآخر وما يتعلق به.

(٣) في الكتاب ٥٣/١ ،١٦٠

(٤) في كتابه معاني القرآن ٣٦٣/٢

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش ٨٢/١–٨٣ والأخفش هنا هو الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، نحوي، عالم باللغة والأدب، أخذ العربية عن سيبويه بعدما صحب الأخفش، وزاد في العَروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر، توفي عام : ٢١٥هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقِفْطي ٢/ ٣٦–٤٧ ، والأعلام للزركلي ٣/ ١٠١

(٦) البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد، د/ عبد المحسن العسكر ص٦٥–٦٦ ط المنهاج عام ١٤٣٥هـ، وانظر:الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية،لهادي الشجيري ص٢١٤–٢١٨

وقد اختار الشيخ –رحمه الله– منع المجاز بإطلاق: في اللغة والشرع، فقال :

(ومن المباحث المهمة التي تُعنى مجلتنا(١) بمثلها : تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، فقد نقل المؤلف(٢) بحثا ضافيا عن إمام المعقول والمنقول ابن تيمية نفى فيه هذا التقسيم، وقال : هو اصطلاح حادث(٣) بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين كمالك، والثوري، والأوزاعي وأبي حنيفة، والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة كالخليل وسيبويه(٤).

نقل شيخنا القاسمي رأي ابن تيمية بطوله في الحقيقة والمجاز، وما زال الناس يتساءلون فمنهم من يقول : إن ابن تيمية ينفي المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته ، ويثبته فيما عدا ذلك، ومنهم من يقول : إنه لا يرى إثبات المجاز في القرآن أصلا، ومنهم من يرى أنه ينكر المجاز في لغة العرب، ويجيب ابن تيمية عن ذلك كله ما خلاصته:

١. إن المجاز الذي هو قسيم الحقيقة لم تعرفه العرب قبل الإسلام، ولم ينطق به أحد من الصحابة الكرام، ولا من التابعين لهم بإحسان.
٢. هو اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة، وإنما اشتهر في المائة الرابعة، وظهرت أوائله في المائة الثالثة، ولم يعلمه في المائة الثانية، إلا أن يكون في أواخرها.

---

(١) أي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

(٢) أي القاسمي في محاسن التأويل ١/١٣٦

(٣) سبق لابن تيمية القول بإقرار المجاز والاعتراف به، والذي نقله عنه الشيخ بهجة البيطار هو قوله الآخر الذي **استقر عليه رأيه** وانظر كتاب : الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لهادي أحمد فرحان الشجيري ص١٩٨-٢٠٣

(٤) **بل تكلم به سيبويه باسم سعة الكلام والاتساع** كما مر التوثيق عنه في الصفحة السابقة.

٣. لم يتكلم به أئمة اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي (م ١٧٠هـ)[١] وتلميذه سيبويه (م ١٨٠هـ) وأبي عمرو بن العلاء (م ١٥٤هـ) ونحوهم.

٤. إن أبا عبيدة معمر بن المثنى (م ٢٠٩هـ) هو أول من تكلم به في كتابه المجاز .

٥. إن معنى المجاز عنده وعند أئمة اللغة والنحو الذين سبقوه هو ماجاز لغة لا أنه قسيم للحقيقة.

٦. بين أن القائلين بوجود المجاز –وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له– يأتي أحدهم إلى ألفاظ لم يُعلم أنها استعملت إلا مقيدة ، فينطق بها مجردة وضرب لذلك الأمثال، كلفظ العين والرأس والأسد وغيرها، وجاء بأمثلة من القرآن الكريم، وأوضح أن كلا منها حقيقة في معناه.)[٢] .

---

(١) نقلت سنة الوفاة هنا وفيما بعده كما هي في كلام البيطار، والكلام كلامه لا كلامي .

(٢) محاسن التأويل تأليف جمال الدين القاسمي، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٥٩/٣٣ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ وانظر : الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي (نقد وتقريظ)، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ٨٠٤/١٦ ذو الحجة ١٣٦٩هـ.

الفرع الخامس: الكتب المعاصرة في توحيد الأسماء والصفات

قسم الشيخ الكتب المعاصرة في توحيد الأسماء والصفات إلى ثلاثة أقسام :

١-كتب في العقيدة على طريقة الخلف في التأويل المذموم للنصوص،٢- وكتب الدفاع عن الإسلام ، ٣-وكتب التوحيد السلفية، ودعا إلى تأليف كتب عصرية مدرسية على طريقة السلف فقال:

(أقول: لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، على الوجه الذي أثبته الله لنفسه في كتابه، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه، وإذا نظرنا إلى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواص والعوام في معظم الأمصار الإسلامية، وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نجدها نوعين:

أحدهما : كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلف، وأولت فيها معانيها الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع و الشرع .

الثاني : كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده، وإثبات أنه دين العقل والفطرة وحاجة البشر في كل زمان ومكان، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد[١] وحكمة التشريع هي سلاح علمي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة إليها والنضال عنها، لا لتلقي علم التوحيد وعقائده منها، فهي على نفاستها وضرورة مدارستها ليست

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (لا ينبغي أن نقول عن الحكمة الشرعية أنها فلسفة؛ لأن هذه الكلمة يونانية، بل نقول عن الحكمة الشرعية: إنها حكمة وما من شيء في الشرع إلامعلل، لكن من الحكمة مانعلمه، ومنها ما لا نعلمه؛ لأن عقولنا قاصرة..) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢٥٢/٢٦

كتبا موضوعة في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية عليها، بل هي فلسفة تحوم حول علم التوحيد وإيضاح لمعالم الدين ومزاياه.

وهنالك **نوع ثالث**: وهي كتب التوحيد السلفية التي أثبتت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المعقول، وردت كلام المؤولة ردا لم يُبْقِ حاجة في النفوس، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبهما، ومن حذا حذوهما من أئمة الإسلام وحماته، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة، إما كتب مناظرة وحجاج وتأييد لمدلولات النصوص ورد لشبهات الخصوم، وإما كتب علمية غير تعليمية.

فنرى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي، ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه، وتكون تمهيدا لوضع سلسلة توحيدية تعليمية، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري، ويشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم، ويطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم، ويغذي عقول النشء الإسلامي بلُبَان التوحيد الخالص، المطهر من كل ما يخالطه من أدران الشوائب، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق، فتتوحد[1] المبادئ والغايات، والله الموفق والمعين)[2] .

وبحمد الله قد حُققت أمنيته فكم من كتاب مدرسي عصري أُلف على معتقد السلف الصالح في الأسماء والصفات، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر : القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، وفتح رب البرية في تلخيص الحموية ، وتقريب التدمرية، ومذكرة على العقيدة الواسطية، كلها للعلامة ابن عثيمين، ومعتقد أهل السنة والجماعة للدكتور محمد خليفة التميمي، ومادة العقيدة للدكتور أبو زيد محمد مكي، وقريب منها:قواعد في العقيدة في أسماء الله وصفاته المجيدة لمحمد يوسف خشان وغيرها.

---

(١) غير واضحة في التصوير ولعلها ما أثبتُّ.

(٢) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين للعلامة عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ٣٤/٥١٠-٥١١ ذو الحجة ١٣٧٨هـ

المبحث الثالث:جهوده في تقرير توحيد الألوهية

ويتضمن ثمانية مطالب:

المطلب الأول:معنى توحيد الألوهية

لم يهتم أحد بتوحيد الألوهية وتحقيق المعنى الصحيح فيها مثل أهل السنة المحضة.

ومعنى توحيد الألوهية عندهم : هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة.

فالألوهية هي : العبادة (١) .

وضابط العبادة(٢) : كل ما ثبت الأمر به في نصوص الوحيين، أو الحث عليه، أو مدح فاعله(٣).

وقد قرر الشيخ في مواضع شتى معنى توحيد الألوهية على طريقة أهل السنة والجماعة، فقال -رحمه الله-:

(فإن توحيد الألوهية بإخلاص العبادة لله وحده وإطراح العبادة لما سواه من حجر وشجر وبشر وملك، وكل ما خلا من شيء في الملأ الأعلى أو الملأ الأدنى ، هو مناط النجاة في الآخرة)(٤) .

وقال في موضع آخر عن مشركي العرب:

(ولم يوحدوه بألوهيته -أي: بعبادتهم له-)(٥)

---

(١) انظر: توحيد الألوهية، د/عواد المعتق، ضمن بحوث محكمة في العقيدة الإسلامية ص٧٧

(٢) بمعنى المتعبد به لا بمعنى التعبد.

(٣) انظر الإمام في بيان أدلة الأحكام مادة التوحيد، للعز بن عبد السلام ص٨٢ ومادة التوحيد لمحمد مكي، ص٣٩

(٤) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٨٧/١

(٥) المصدر السابق ٢٠٨/١

وقال في موضع آخر عن مشركي العرب أيضا:

(وإنما كان شركهم في توحيد الألوهية أي: في توحيد العبادة، وهو أنهم لم يقصروا عبادتهم بأنواعها على مستحقها، وهو الله وحده)[1] .

ومن المواضع التي ذكر فيها الشيخ ضابط العبادة قوله :

(وأن نعبده بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل أمر إيجاب أو استحباب)[2].

ومن الأدلة التي ذكرها الشيخ على إفراد الله بالعبادة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[3]. فقال -رحمه الله- :

(ومن تفسير[4] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [5] أنت يا ربِّ المستحق أن نخصك بالعبادة ونخضع لك باتباع ما أمرتنا، وتجنب ما نهيتنا عنه)[6].

هذا وإن شروط قبول العبادة عند أهل السنة والجماعة هي : الإسلام والإخلاص والمتابعة.

وقد دل على هذه الشروط الثلاثة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾[7].

---

(١) المصدر السابق ٢٠٦/١

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٤٧/٤٦ ذو القعدة ١٣٩٠هـ.

(٣) سورة الفاتحة:٥

(٤) أي: من تفسير الكتاب الذي يعرف به في مقاله.

(٥) سورة الفاتحة:٥

(٦) تفسير القرآن الكريم تأليف محمود حمزة وآخرون، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٧٩/٢٩ رجب ١٣٧٣هـ، وانظر التحرير والتنوير تأليف المولى الإمام.. محمد الطاهر بن عاشور، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق، ١٥٦/٣٤ رمضان ١٣٧٨هـ.

(٧) سورة الإسراء:١٩

فإرادة الدار الآخرة هي الإخلاص، وسعي العامل السعي اللائق هو متابعة الشرع، وشرط الإسلام دل عليه قوله تعالى ﴿وهو مؤمن﴾ [١].

وقد تعرض الشيخ لمعنى شرطي الإخلاص والمتابعة في قوله :

(لقد بين المؤلف[٢] في هذه الرسالة –كما بين في غيرها– أن الإسلام دين عام لجميع الشعوب والأقوام، وأنه مبني على أصلين : ١– أن نعبد الله وحده لا شريك له، ٢– وأن نعبده بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل أمر إيجاب أو استحباب، فيعبد في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان، ولا بد في كل الواجبات والمستحبات أن تكون خالصة لله رب العالمين)[٣] .

وأنواع العبادة التي يشملها تعريف العبادة[٤] كثيرة وقد ذكر الشيخ أنواعا منها فقال: (وإنما كان شركهم في توحيد الألوهية، أي في توحيد العبادة، وهو أنهم لم يقصروا عبادتهم بأنواعها على مستحقها، وهو الله وحده، كالدعاء والخوف والرجاء والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر ليقربوهم إلى الله كما زعموا)[٥] .

---

(١) انظر شروط قبول العمل الصالح، صالح عبد العزيز سندي ص٦

(٢) أي: ابن تيمية في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٤٧/٤٦ ذو القعدة ١٣٩٠هـ، وانظر تتمة الربا والمعاملات المالية في الإسلام، بهجة البيطار (الأصل المتمَّم: لمحمد رشيد رضا) ص١٦٧ عام ١٤٠٦هـ، ومقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٠/١

(٤) والعبادة هي: (اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة) العبودية لابن تيمية ص١٩، تحقيق: علي حسن عبد الحميد ط٥ دار المغني عام ١٤٣٠هـ

(٥) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٦/١، وانظر جوهر الدين ومنظومة إلى عموم المسلمين تأليف عبد الحميد الخطيب، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧٢/٣٢ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ.

المطلب الثاني:معنى الإله في كلمة التوحيد

فهم كلمة الإله ينبني عليها فهم كلمة التوحيد .

فالإله : فاعل بمعنى مفعول أي: معبود، وهو اسم جنس يدل بأصل الوضع اللغوي على المعبود بحق أو باطل، وإن كان عند الإطلاق ينصرف على المعبود بحق[1].

أما الله : فهو علم على المعبود بحق لا غير.

والإله، والله مشتقان من أله يأله إلهة وألوهية بمعنى عبد يعبد، وهذا بإجماع أهل اللغة[2].

قال رؤبة[3] :

لله دَرُّ الغانيات المُدَّهِ   سبَّحن واسترجعنَ من تألهي[4]

ومن أوضح الأدلة من القرآن على أن معنى الإله في كلمة التوحيد هو المعبود قول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ

---

(١)انظر: تاج العروس، للزبيدي ٣٢١/١٦، والعقد الثمين في بيان مسائل أصول الدين، للسويدي ص٥٣ وشهادة أن لا إله إلا الله، صالح السندي ص١٥، ١٨

(٢) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٢١/١

(٣) هو رُؤْبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجَحَّاف، أو أبو محمد، من الفصحاء المشهورين، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره. وتوفي عام : ١٤٥هـ. انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ٧٦١/٢، والأعلام ٣٤/٣

(٤)في ديوانه ١٦٥/٣ في البيت الرابع من قصيدة في وصف نفسه (ضمن مجموع أشعار العرب اعتنى بتصحيحه: ويلم بن الورد) ونسبه إلى رؤبة الخليل في العين ٣٢/٤

مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾[١].

فدلت الآية على أن معنى الإله في الشهادة هو المعبود الواحد.

ومن السنة قول النبي ﷺ :

((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان))[٢] .

وفي رواية : ((بني الإسلام على أن يعبد الله ويكفر بما دونه))[٣] .

وقرر الشيخ أن الإله هو المعبود بإطلاق أما الاسم الأحسن (الله) فهو للمعبود بحق فقال :

(إذا فمعنى كلمة إله في لغة العرب والقرآن هو المعبود بحق أو بغير حق، ولفظ الجلالة " الله " علم على المعبود بحق وهو الله عز وجل وحده)[٤] .

هذا وإن جمهور المتكلمين فسروا (الإله) في كلمة التوحيد بمعنى من معاني الربوبية كالقادر على الاختراع، والصانع، والمستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل من عداه.

وهذا التفسير يخالف إجماع أهل اللغة كما سبق؛ ويخالف الأدلة من الكتاب والسنة التي سبق أيضا بعضها، ولا دليل يثبته كذلك.

وقد ذم الشيخ -رحمه الله- تفسير المتكلمين للإله، وبين أنه يلزم منه أن مشركي العرب كانوا مسلمين؛ لإقرارهم بنص القرآن بربوبية الله جل جلاله ، فقال :

---

(١) سورة التوبة: ٣١

(٢) رواه البخاري: كتاب الإيمان باب الإيمان ح(٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس ح (١٦).

(٤) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار ١٨٤/٣٥ مجلة المنار محرم ١٣٥٤هـ، وانظر مقال : كتاب ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (تعريف ونقد) ٩٤/١٧، مجلة مجمع اللغة بدمشق صفر ١٣٦١هـ

(جمهور المتكلمين من أهلها قد فسروا كلمة التوحيد "لا إله إلا الله " التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم بغير ما تدل عليه لغة وشرعا، ومنهم الإمام الرازي في مواضع من تفسيره : فهو يفسر لفظ الإله بمعنى الخالق المدبر كما تجده في تفسير[1] قوله تعالى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2]. ولم تكن العرب تعتقد أن آلهتها خلقت شيئا من العالم، أو تدبر أمرا من أموره، بل كانوا يعرفون ويعترفون بأن الله تعالى وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور كما ثبت ذلك بنص القرآن العظيم ، قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

وقال عزت كلمته : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

أما آلهتهم فقد كانوا يتقربون بعبادتهم إلى فاطر السماوات والأرض كما أخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴿١٨﴾ ﴾[5]. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

---

(١) مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ٣٥٠/١٤ ، وتجدر الإشارة إلى أن الفخر الرازي فسر الإله في موضع آخر بمعنى المعبود في ٢٢٨/٢٦ ويحتاج الأمر إلى تحرير وبحث، لكن الذي تقضتيه أصوله، وشهرة نسبته ترجيح تفسير الإله بمعنى الخالق.

(٢) سورة الأعراف:١٣٨

(٣) سورة لقمان:٢٥

(٤) سورة يونس:٣١

(٥) سورة يونس:١٨

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾[١]. فجاءت كلمة التوحيد تلقف ما يأفكون، وتنفي ما يثبتون)[٢] .

وقال عندما رد على ابن حزم في تفسيره كلمة التوحيد بالربوبية :

(فجعل كلمة التوحيد دليلا على موجد الكون وعلى نفي تعدد الذات والتركيب، كما تراه في ص٣،٤ وإنما يصح هذا في تفسير سورة الإخلاص، وآيات غيرها لا في كلمة الشهادة)[٣] .

وبناء على ماسبق من تقرير المعنى الصحيح ل(الإله) فإن معنى شهادة أن لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله تعالى .

فركنا الشهادة المعنوي اثنان : نقض[٤]، وإثبات –أو تجريد وتفريد– : نقض لكل ما عبد من دون الله بأي نوع من أنواع العبادة، وإثبات للمعبود الحق بجميع أنواع العبادة.

مع التنبيه إلى أن (إله) في كلمة التوحيد نكرة في سياق النفي، وتدل على العموم نصا لأنها مبنية على الفتح بخلاف إن لم تُبْنَ على الفتح فتدل على العموم ظاهرا[٥] ، وإلى أن الحصر بالنفي والاستثناء أقوى صيغ الحصر[٦]، ودلالة(لا) على النفي و (إلا) على الإثبات منطوق صريح، وعده من المفهوم غلط[٧] .

قال الشيخ مبينا ركنا شهادة التوحيد ومنزلتها :

---

(١) سورة الزمر:٣

(٢) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار ١٨٤/٣٥ مجلة المنار محرم ١٣٥٤هـ ، وانظر مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٨/١

(٣) كتاب ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ٩٤/١٧، مجلة مجمع اللغة بدمشق صفر ١٣٦١هـ

(٤) تسمية الركن الأول بالنقض أقوى دلالة من النفي، وإن كان الثاني أنسب لمقابلة الإثبات.

(٥) انظر البدر الطالع لحل جمع الجوامع لجلال الدين المحلي ٣٤٥/١

(٦) انظر مفهوم الحصر، د/ خالد صالح تواني، تقديم أ.د/ محمد فركوس ص١٢١

(٧) مذكرة أصول الفقه ، محمد الأمين الشنقيطي ص٣٧٢

(ويُبَيِّنُ[1] معنى كلمة التوحيد التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم -أي لا إله إلا الله- وأنها مسقطة لجميع آلهتهم -أي العرب قبل الإسلام- هادمة لأنواع عبادتهم، ومثبتة لعبادة الله وحده الذي وحدوه بربوبيته -أي: بأعماله- ولم يوحدوه بألوهيته -أي: بعبادتهم له-.

فمعنى " لا إله " : نفي لكل معبود في الوجود وإبطال لعبادته.

وكلمة " إلا الله " : إثبات لعبادة المعبود بحق وحده، وهو الله تعالى.)[2] .

---

(١) أي: في دار التوحيد في الطائف التي كان يرأسها.

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٨/١ ، وانظر : تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار ١٨٤/٣٥ مجلة المنار محرم ١٣٥٤هـ .

المطلب الثالث:منزلة توحيد الألوهية

كفى بهذا التوحيد منزلة أنْ لأجله جدد الله بعثة الرسل[١] عليهم الصلاة والسلام ، لأقوامهم، وأُنزلت الكتب، ونصب سوق الجنة والنار، ومن نقض هذا التوحيد أصبح مرتدا مَوْقوفَ المال حلال الدم ، يقتله الإمام بعد الاستتابة إن كانت ردته مطلقة[٢] .

وقد قرر الشيخ أن التوحيد جَمَعَ كلمة العرب؛ فحفظت الدماء، والأموال، وفتحوا المدائن، وأسسوا حضارة زاهرة، فقال –رحمه الله–:

(أن العرب لم تكن لهم وحدة حقيقية، ولا جامعة عربية يحافظون عليها ويدافعون عنها إلا بالتوحيد الذي ألف بين قلوبهم، ووحد كلمتهم وعملهم، فصانوا دماءهم وحفظوا أموالهم، وقلصوا ظل القياصرة والأكاسرة عنهم، بل كسروا شوكة المستبدين الظالمين في أنحاء المعمورة ومزقوهم كل ممزق) [٣]

ثم بين رحمه الله كيف حققوا الوحدة وثمارها التي سبق ذكرها فقال :

(ذلك بأن عقيدة التوحيد التي تغلغلت في نفوسهم وجرت في عروقهم قد ناطت رجاءهم في الله وحده: لا يسألون إلا إياه، ولايخشون أحدا سواه : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ

---

(١) الكلام في سياق الخبر لا الدعاء، والمعنى صحيح.

(٢) ودون استتابة إن كانت ردته بخصوص سب الله ﷻ على الراجح.

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٣/١

عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾[1]. وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله))[2] .

لما أخذ العرب بهذه العقيدة المثلى : تركوا عبادة الحجر والشجر والبشر والكواكب والملائكة، وعلقوا خوفهم ورجاءهم بفاطر السماوات والأرض، فطهرت عقولهم من لوثات الشرك والأضاليل، وزكت نفوسهم من الرذائل والنقائص، وأصبحوا علماء حكماء لا تعرف الخرافات والأوهام إلى قلوبهم سبيلا، وأخذت معارفهم حظها من الشيوع والانتشار، بحيث لم تبق أمة من أمم في الأرض لم تقتبس من نورهم، أو تعطر مسامعها بشذى ذكرهم الفياح)[3]

ثم أوضح الشيخ أن غاية خلق الثقلين وإنزال الكتب، وإرسال الرسل : هو إفراد الله بالعبادة فقال -رحمه الله-:

(لا شك أن تعلم الدين هو الواجب الأول؛ فإن الله تعالى لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، وعبادته لا تصح إلا على الوجه الذي شرعه، وهذا لا يعرف إلا بالتعلم، وأساس العلوم الدينية : هو التوحيد الذي نزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل، وارتقى به السلف الصالح ارتقاء فاقوا به الأمم وسادوا به العالم)[4] .

---

(١) سورة يونس:١٠٧

(٢) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٢٥١٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٣/١

(٤) المصدر السابق، وانظر منه أيضا ١٨٤/١، ٢٠٣، وانظر كذلك : محاسن التأويل تأليف جمال الدين القاسمي(تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٦٣/٤٢ رمضان ١٣٨٥هـ، وحياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٢٩-١٣٠، والإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وضع الأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب(تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٠٧/٣١ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ، **حيث نسب أغلب معنى المنقول عن الملك عبد العزيز -رحمه الله-.**

وقرر في موضع آخر أن مناط النجاة في الآخرة على هذا النوع من التوحيد، وأن الدنيا حرث الآخرة ، فقال -رحمه الله-:

(فإن توحيد الألوهية بإخلاص العبادة لله وحده وإطراح العبادة لما سواه من حجر وشجر وبشر وملك، وكل ما خلا من شيء في الملأ الأعلى أو الملأ الأدنى ، هو مناط النجاة في الآخرة، وليست الدنيا إلا دار سباق لها) [1] .

ومن علو منزلة توحيد العبادة -التي تعرض لها-: أن الله جعل وصف العبودية لأكمل خلقه، ولزوم العبودية لكل عبد يكون حتى الموت ، فقال -متحدثا عن كتاب جُمع لابن القيم-:

(جميع الرسل دَعَوا إلى ﴿ إياك نعبد ﴾ . الله جعل العبودية وصف أكمل خلقه. لزوم ﴿ إياك نعبد ﴾ لكل عبد إلى الموت)[2] .

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٨٧/١

(٢) التفسير القيم للإمام ابن القيم جمعه محمد أويس الندوي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٣٨/٣٠ صفر ١٣٧٥هـ.

المطلب الرابع:الاستدلال على توحيد الألوهية

سبق[1] في الاستدلال على تفسير الإله بمعنى المعبود، والأدلة على تفسير كلمة التوحيد : ما يصلح أيضا أن يكون من أدلة توحيد الألوهية.

لكن ما أقصده من هذا المطلب هو الإلزام بتوحيد الألوهية.

وقد تكرر في الكتاب الكريم الاستدلال على مشركي العرب بإقرارهم بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ لذا كرر الشيخ في عدة مواضع هذا الاستدلال، فقال –في سياق رده على ابن حزم في تفسير كلمة التوحيد بالربوبية ونفي التجزؤ–:

(فبين تعالى في هذه الجملة "لا إله إلا الله" أنه لا يستحق العبادة إلا من تفرد بالإيجاد والإمداد، وأهل الجاهلية مؤمنون بوجوده معترفون له بهذا التفرد، فأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده بالخلق والتدبير، على ما أنكروه من تخصيصه بالعبادة، فكيف خفي هذا المعنى على إمام أهل الظاهر؟)[2] .

وقال في موضع آخر عن مشركي العرب :

(وأقام عليهم الحجة بما أقروه من انفراده تعالى بأفعال الربوبية على ما أنكروه من وجوب إفراده تعالى بالعبادة.)[3] .

---

(١) انظر ص١٣٣

(٢) كتاب ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ٩٤/١٧، مجلة مجمع اللغة بدمشق صفر ١٣٦١هـ

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٠٦/١، وانظر تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار ١٧٤/٣٥، ١٨٤ مجلة المنار محرم ١٣٥٤هـ.

المطلب الخامس:التحذير من الشرك في الألوهية، والتبرؤ منه وبيان خطره.

لا غرابة في التشديد بأمر لأجله أرسل الله ﷻ الرسل وأنزل الكتب، وجعله أول أمر يُدعى إليه البشر.

وقد قال الشيخ منفِّرا من الاستغاثة بأهل القبور:

(وأما الاستغاثة بأهل القبور أنفسهم بمعنى طلب الغوث منهم أي: زوال الشدة والهم[(1)] والكرب وقضاء سائر الحوائج ، فهذه استغاثة شركية لا تدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال، بل هي توسل الغلاة والجهال في الحضر والسفر، والبر والبحر والعسر واليسر، والفرج والشدة، ونحن نُجِل أهل العلم والعقل والإيمان من الوقوع في مثل هذا الطغيان والهذيان)[(2)] .

وفي سياق بيانه أن الاستنصار من العدو بالاستغاثة بالقبور : سبب هزائم المسلمين قال :

(إن هذا العصر عصر تآمر ملل، واتفاق دول تخالف مصلحتُها مصلحتنا معشرَ العرب والمسلمين، وإن كثيرا من العوام والغلاة كلما أعْوَزَهُم كشف البلاء أو تحقيق الرجاء تركوا ما أمر الله به من إعداد القوة والأخذ بوسائل الدفاع ولجؤوا إلى قبور بعض الصالحين، يستنجدون بهم للدفاع عنهم، وبذلك قُضِي على كثير من بلاد المسلمين)[(3)]

وفي موضع آخر نبه على أن الكتب السابقة طافحة بالوعيد الشديد على الشرك فقال:

---

(١) في الأصل: الهمم.

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٣-٦٤

(٣) المصدر السابق ص٦٨

(ومن تصفح العهدين القديم والجديد، ومزامير داوود وجدها طافحة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، والوعيد الشديد على الشرك)[1] .

وعند تفسيره لآية (١٠٧) من سورة يوسف التي تتضمن التهديد على الشرك في الألوهية قال :

(﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ ﴾[2]. يقول عز من قائل : أفأمن[3] هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله هو ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم غيره أن تأتيهم غاشية من عذاب الله تغشاهم من عقوبة الله، وعذاب الله على شركهم بالله، أو تأتيهم القيامة فجأة ، وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم، فيخلدهم الله ﷻ في ناره، وهم لا يدرون بمجيئها، وقيامها "ابن جرير"[4] ومعنى : ﴿ غاشية من عذاب الله ﴾ نائبة تغشاهم وتجللهم، و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ ﴾[5]. كناية عن القيامة، وجمعها : غواش، وغشي كرَضِي فلان أصحابه إذا أتاهم، وغشي الشيء الشيء إذا لحقه وغطاه، ومنه في التنزيل: غشيان الموج واليم[6] والدخان والعذاب للناس، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾ [7] وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ أَوَ لَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ

---

(١) المصدر السابق ص٧٢

(٢) سورة يوسف:١٠٧

(٣) في الأصل : أفمأمن .

(٤) تفسير الطبري ٣٧٧/١٢

(٥) سورة الغاشية:١

(٦) اليم في هذا الموضع هو البحر . انظر : تفسير ابن كثير ٣٠٧/٥

(٧) سورة النحل:٤٥-٤٧

بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠﴾ (١))(٢) .

وفي التبرؤ من الشرك والمشركين قال -عند تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ (٣)- :

(﴿ وسبحان الله ﴾ أي : تنزيها لله وتعظيما من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه، ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ أي : وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني، تعالى الله عن شركهم علوا كبيرا ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾(٤).)(٥) .

(١) سورة الأعراف:٩٧-١٠٠

(٢) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٩/٣٥-١٨٠ محرم ١٣٥٤هـ

(٣) سورة يوسف:١٠٨

(٤) سورة الإسراء:٤٤

(٥) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٨٢/٣٥محرم ١٣٥٤هـ

المطلب السادس:مسائل القبور

ويتضمن خمس مسائل:

المسألة الأولى:زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وشد الرحال إليها

أما زيارة قبور الأنبياء والصالحين

فأهل السنة يقسمون الزيارة إلى زيارة شرعية، وزيارة بدعية.

فالزيارة الشرعية، هي: التي تحقق مقصود الشارع من الاعتبار وتذكر الدار الآخرة، والدعاء للميت.

والزيارة البدعية، هي: التي تناقض مقصود الشارع كدعاء أصحابها، والطواف حولهم، والنذر لهم، ونحو ذلك.

أما شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين

فإن هذه المسألة قد طالت ذيولها واشتد الخلاف فيها، وتفرقت فيها الناس جماعات.

وقبل ذكر كلام الشيخ فيها سأذكر تحرير موضع الخلاف في هذه المسألة، فأقول:

اتفق أهل العلم على استحباب شد الرحال إلى المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى[1].

---

(١) انظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٤٨/٥، والرد على الأخنائي لابن تيمية ص١١٩ ، والمسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، لخالد مسعود الجعيد وآخرون ص١٩٨، ٢٠٢

واتفقوا كذلك على جواز شد الرحال إلى المساجد الثلاثة، **مع** قصد شد الرحل **أيضا** إلى القبر النبوي[١].

واتفقوا أيضا على جواز شد الرحل للتجارة وطلب العلم، وزيارة قريب أو أخ في الله تعالى.

واختلفوا في حكم شد الرحل إلى مجرد قبور الأنبياء والصالحين-دون قصد شد الرحل لأي من المساجد الثلاثة- على ثلاثة أقوال -قولين قديمين، وقول أُحدث في القرن الثامن-:

القول الأول: تحريم شد الرحل إلى مجرد قبور الأنبياء والصالحين

وهو قول الجمهور

القول الثاني: جواز شد الرحل إلى مجرد قبور الأنبياء والصالحين

وهو قول طائفة من أتباع الأئمة الأربعة.

القول الثالث: استحباب شد الرحل إلى مجرد قبور الأنبياء والصالحين

وقال به متأخرو أتباع المذاهب[٢] .

وسبب الخلاف في المسألة:

---

(١) انظر : الرد على الأخنائي ص١١٩ ، و والمسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، لخالد مسعود الجعيد وآخرون ص ٢٠٢، وأعني —كما يدل عليه قولي : "مع"- أن قصد شد الرحل للقبر النبوي يقع تبعا.

(٢) انظر فيما سبق: الاختيار لتعليل المختار، لمجد الدين الموصلي ١/ ١٧١ ، والقوانين الفقهية لأبي القاسم ابن جزي ص٩١، والتذكرة في الفقه لابن الملقن ١/ ٦١ ، وحاشيتا قليوبي وعميرة على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين للنووي ٢/ ١٥٩، والكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة ١/ ٥٣٢

الخلاف في تأويل حديث : ((لا تشد الرحال[1] إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى))[2] وذلك في شيئين :

الأول : في تقدير المستثنى منه . والثاني: في المراد بالنفي في الحديث

أما الخلاف في تقدير المستثنى منه[3]، فالقائلون بالتحريم يقدرون عموم المكان في المستثنى منه، أي: لا تشد الرحال إلى بقعة تقصد للعبادة إلا إلى ثلاثة مساجد.

والقائلون بالجواز والاستحباب يقدرون المستثنى منه بالمساجد؛ ليكون المستثنى من جنس المستثنى منه[4].

وأما الخلاف في المراد بالنفي، فالقائلون بالتحريم يقولون هو نفي يراد به المبالغة في النهي؛ إذ جاء الحديث بلفظ النهي في رواية: ((لا تَشُدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد))[5] .

والقائلون بالجواز والاستحباب يقولون: إن المراد بالنفي أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة، وغير المساجد الثلاثة فضيلته أقل.

والصواب هو القول الأول (التحريم) لما يلي:

١. فهم الصحابة للحديث، فقد أنكر أبو بصرة الغفاري على أبي هريرة خروجه إلى جبل الطور، وقال له : ((لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت،

---

(١) **ال**تعبير بشد الرحل في الحديث كناية عن السفر، وإلا فإن غير شد الرحل من طرق السفر له حكمه. انظر منحة العلام في شرح بلوغ المرام، لعبد الله الفوزان ١٥٣/٥

(٢) رواه البخاري: أبواب التطوع باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ح(١١٣٢) وفي باب مسجد بيت المقدس ح(١١٣٩) وفي أبواب الإحصار وجزاء الصيد باب حج النساء ح(١٧٦٥) وفي كتاب الصوم باب الصوم يوم النحر ح(١٨٩٣) ورواه مسلم: كتاب الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ح(١٣٩٧).

(٣) الاستثناء في الحديث استثناء مفرغ؛ لأن المستثنى منه محذوف.

(٤) انظر آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية، عجلان بن محمد العجلان ص٢٥٨-٢٥٩

(٥) رواه مسلم: كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ح(٨٢٧).

سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تُعمل المطِي إلا إلى ثلاثة مساجد...))[1] .

٢. أن الجاري على الأصول: أنه لا يخرج من هذا الحصر الذي صرح به النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث الصحيح، إلا ما أخرجه نص صحيح يجب الرجوع إليه من كتاب أو سنة.[2]

٣. وأنه وسيلة إلى الغلو بالصالحين.

وقد استدل القائلون بالاستحباب بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾. [3] على أن المجيء عند الذنب إلى النبي ﷺ للاستغفار لا ينقطع بموته ﷺ تعظيما له[4] .

ورد بأنه لم يفهم أحد من الصحابة والتابعين هذا المعنى بعد وفاته ﷺ ولم يفعله أحد منهم.

وقد استدل القائلون بالاستحباب أيضا بعدة أدلة أخرى من السنة ترجع إلى نوعين من الأدلة :

النوع الأول: أدلة فيها النص على فضل الزيارة

---

(١) رواه النسائي في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ح(١٧٦٦)، وأحمد في حديث أبي هريرة ح(٢٣٨٤٨)، وابن حبان في صحيحه في ذكر البيان بأن في الجمعة ساعة يستجاب دعاء كل داعي ح(٢٧٧٢)، وأخرجه مالك مع قصة أخرى لأبي هريرة وكعب الأحبار وابن سلام ح(١٦)، وأخرجه دون القصة الحميدي ح(٩٧٤) وصححه الحديث مع القصة الألباني في الإرواء ٢٢٨/٣

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٧٤٦/٥

(٣) سورة النساء:٦٤

(٤) انظر : انظر: الحاوي الكبير للماوردي ٢٤٥/٤

والجواب : أن مجرد النص على فضل الزيارة للقبر النبوي لا يلزم منه السفر وشد الرحل إليها، فضلا عن أن معظمها لم يثبت.

والنوع الثاني: أدلة لم ينص فيها على الزيارة بل يفهم منها

والجواب فيها بنحو ما أجيب على النوع الأول.

وقد استدلوا بأدلة أخرى أضعف مما سبق.

وأقول بعد هذا كله :

على فرض التسليم بأن شد الرحل إلى مجرد قبر الأنبياء والصالحين في أصله جائز شرعا ، فإنه يحرم سدا للذريعة؛ لأن المباح إذا كان يؤدي إلى الحرام **كثيرا غالبا** فإنه يمنع منه باتفاق العلماء(١).

والواقع خير شاهد على ذلك؛ فإن عامة من يشد الرحل ويسافر كي يزور قبر نبي أو ولي -لا غير- ، لا يقف عند حدود الزيارة المشروعة، بل يزيد أنواعا من الشرك والبدع بماهو مستفيض لا يحتاج إلى التدليل عليه.

ويجدر التنبيه إلى أن سد الذرائع اختلف أهل العلم في الأخذ به نظريا بما هو مسطور في كتب أصول الفقه وأصول المذاهب، لكنهم جميعا يأخذون به عمليا على تفاوت منهم في ذلك.

أما في مسائل الاعتقاد فاستعمال العلماء له بشكل أوكد وأكثر اتساعا من استعمالهم له في باب الفقه؛ لعظم خطر مفسدة ما يؤدي إليه التساهل في باب الاعتقاد.

ولما تعرض الشيخ للزيارة وشد الرحال تكلم أولا عن مدى انشغال الناس بهذه المسألة، ثم تطرق للزيارة الشرعية ثم البدعية فقال رحمه الله :

(إن هذا الموضوع بأقسامه الثلاثة : الزيارة، وشد الرحال، والتوسل ، قد شغل الناس قرونا طويلة، وملأ مئات المصنفات وألوف الصفحات، وكنت قدمت

---

(١) انظر: سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، لمحمد هشام البرهاني ص١٠٥، ٢١١-٢١٢

اقتراحا إلى مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد بمكة " ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م " قربت فيه بين المذاهب المختلفة في المسائل الثلاث، ووافق عليه الأعضاء المؤتمرون جميعا، وخلاصته:

١-إن الزيارة الشرعية للأموات من دون شد الرحال ليس فيها مطعن ولا مقال، وقد كان النبي ﷺ يزور سكان البقيع[١] وشهداء أحد[٢] .

ثم قلت: إن هذا العصر عصر تآمر ملل، واتفاق دول تخالف مصلحتها مصلحتنا معشر العرب والمسلمين، وإن كثيرا من العوام والغلاة كلما أعوزهم كشف البلاء أو تحقيق الرجاء تركوا ما أمر الله به من إعداد القوة والأخذ بوسائل الدفاع ولجأوا إلى قبور بعض الصالحين، يستنجدون بهم للدفاع عنهم، وبذلك قضي على كثير من بلاد المسلمين.

فدرءا لهذه المفاسد الدينية والدنيوية، نوضح للناس أن دعاء غير الله بكشف الضر يعد عبادة لذلك الغير ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾[٣]. وفي الحديث : ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله))[٤] فيستفاد من ذلك أن ليس في

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٦٥٨٦) كتاب التاريخ ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم والنسائي في "الكبرى" ح (٧٠٤٢) كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، بدء علة النبي صلى الله عليه وسلم ، ح (٧٠٤٣) كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، والدارمي في "مسنده" ح (٨١) مقدمة المؤلف ، باب فِي وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وابن ماجه في "سننه" ح(١٤٦٥) أبواب الجنائز ، باب ما جاء فِي غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"ح (١٣٤٤) كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ومسلم في "صحيحه" ح(٢٢٩٦) كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته.

(٣) سورة الجن:١٨

(٤) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٢٥١٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

الإسلام إلا الأخذ بالأسباب المشروعة في جميع المهمات، والاستعداد لجميع الطوارئ والحادثات بقدر الاستطاعة)[1]

ثم تكلم عن شد الرحال مفرقا بين شد الرحال إلى المساجد الثلاثة، وبين السفر إلى غير المساجد الثلاثة، أو مجرد زيارة القبور ، فقال رحمه الله :

(٢-إن مسألة شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مفروغ منها، وأن السفر إلى ما عداها من المساجد، أو لمجرد القبور لم يعهد من الصدر الأول، ولم يقع من الأئمة الهداة، وهل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مشروعة وحدها فتشد الرحال إليها كأداء[2] العبادة في مسجده؟ أم هي مشروعة تبعا لأداء العبادة في مسجده؟ في المسألة

قولان، ويوفق بينهما بأن الصلاة في مسجد النبي وزيارته متلازمتان بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، كمسألة الفقير والمسكين والإسلام والإيمان عند الفقهاء، فلا يذكر أحدهما إلا ويراد بهما الآخر، وأن تكون النية موجهة عند شد الرحال أداء العبادة في المسجد ومعها زيارته صلى الله عليه وسلم)[3] .

قال الباحث : وهذا الذي ذهب إليه الشيخ من محاولة التوفيق بين القولين ليست المحاولة الأولى من نوعها في هذه المسألة؛ فقد حاول ذلك قبله صاحب رسالة " رفع الخصام بين صاحب الصارم المنكي وصاحب شفاء السقام " وهو محمد بن صالح بن

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٨-٦٩

(٢) في الأصل : كأداة .

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٨-٦٩، وانظر منه أيضا ص٢-٣ ، وكذلك نظرة في النفحة الزكية في الرد على فرقة الوهابية، لأبي اليسار الدمشقي (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص١٢-١٣

صديق كمال الحنفي[1] ؛ فقد جعل الخلاف بين السبكي وابن عبد الهادي صوريا، وأن مورد النزاع بينهما على أمر غير متصور[2] .

(1) هو محمد صالح بن صديق بن عبد الرحمن بن كمال الحنفي، عالم، قاضٍ، فقيه مكي، كانت له مكانة عند أمراء مكة في وقته، تولى فيها الإمامة، والقضاء، والإفتاء، توفي عام : ١٣٣٢هـ. انظر: نشر الرياحين في تأريخ البلد الأمين، لعاتق البلادي ٢/ ٦١٦-٦١٨

(٢) انظر في الكلام على هذه الرسالة كتاب: آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية، عجلان بن محمد العجلان ص٧٣ ، والرسالة مخطوطة في ١٤ ورقة محفوظة في مكتبة مكة المكرمة برقم (٥٠/فتاوى) كما في المصدر السابق.

المسألة الثانية :اتخاذ القبور مساجد

وردت الأدلة بتشديد النكير والتحذير من اتخاذ القبور مساجد، ومن أبلغ الأدلة التي قال أهل السنة والجماعة بمقتضاها -كما هو شأنهم في بقية الأبواب-: قوله ﷺ : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[١] .

وقوله ﷺ : ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[٢] .

وقد أنكر الشيخ على الدواخلي[٣] دفن ولده في الجامع الذي بناه فقال رحمه الله بعد ترجمة جده للدواخلي :

(وعمَّر داره وأنشأ تجاهها جامعا عظيما، وداخله الغرور، فأول ما ابتدأه الدهر من نكبات أن مات ولده أحمد، وقد ناهز البلوغ، ولم يكن له من الذكور غيره، ودفنه في جامعه الذي بناه تجاه بيته، وبنى عليه بناء ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة.

---

(١) رواه البخاري: أبواب المساجد باب الصلاة في البيعة ح(٤٢٥)، ح(٥٤٧٨) ورواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ح(٥٣١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ح(٨٥)، وعبد الرزاق في المصنف ح(١٥٨٧)، وابن أبي شيبة في المصنف ح(٧٥٤٤)، وصححه عبد القادر الأناؤوط في تعليقه على جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير ٤٧٤/٥.

(٣) هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف بالدواخلي الأزهري، ولد بمصر، بعد أن برع في المنقول والمعقول : مال إلى دنياه، ولم يكن يقنع بالكثير فضلا عن القليل، وخالط الوزراء إلى أن صار من رؤوس الأعيان، ولا تعارضه الحكومة، إلى أن ضاق صدر الوالي منه ونفاه، توفي عام ١٢٣٣هـ. انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، لعبد الرزاق البيطار ص١٢٧٢.

أقول[1]: وفي هذا ذهول عما بَزَّ فيه المترجم من المعقول ومنقول، وعما ورد من الوعيد الشديد في البناء على القبور ولا حول ولا قوة إلا بالله)[2] .

قال الباحث : إنكار الشيخ اتخاذ قبر ابنه مسجدا بحديث تحريم البناء على القبور يصلح في هذا الموضع؛ لأن اتخاذ القبر مسجدا بناء وزيادة.

وقد رد الشيخ على من وهم بأن الروضة جزء من بيت عائشة؛ ليتم للواهم استدلاله على جواز اتخاذ القبور مساجد، فقال رحمه الله :

(وقد وهم بعض المؤرخين فظن أن الروضة جزء من بيت السيدة عائشة الذي دفن فيه النبي صلى الله عليه وسلم أو هو جزء منها ، والصواب أنها بين منبره وبيته ، كما هو نص الحديث الصحيح ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة))[3] والصلاة فيها مطلوبة، ولا دخل للقبر الشريف في مكان الصلاة أصلا،ولم يكن بيت عائشة أم المؤمنين مصلى للناس في عهده صلى الله عليه وسلم ، فكيف بعد أن دفن فيه، وقد قال: ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[4])[5] .

---

(١) أي : بهجة البيطار

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ١٦٤٠/٣

(٣) رواه البخاري: أبواب التطوع باب فضل ما بين القبر والمنبر ح(١١٣٧) وح(١١٣٨) وفي أبواب فضائل المدينة باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة ح(١٧٨٩) وفي كتاب الرقاق باب في الحوض ح(٦٢١٦) وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة وما كان بها من مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمنبر والقبر ح(٦٩٠٤) ورواه مسلم: كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ح(١٣٩٠) وح(١٣٩١).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الصلاة، جامع الصلاة ح(٥٩٣)، وقد قوى الحديث الزرقاني في شرحه على الموطأ ٥٩٥/١

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣

المسألة الثالثة :مناقضة حال القبوريين لما أتى به النبي -صلى الله عليه وسلم-

أتت الأحاديث محذرة من أفعال القبوريين بأبلغ الكَلِم، ورغم ذلك لما ترى ما يفعله القبوريين، لتعجب من تمام مناقضة أفعالهم لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام .

وقد نقل الشيخ في بيان مناقضتهم ما قاله البركوي[1] الحنفي، فقال رحمه الله :

(إليك ما قاله الإمام الحجة محي الدين محمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية وغيرها في رسالته التي ألفها[2] في زيارة القبور، قال رحمه الله تعالى :

ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادًا للآخر مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدا فإنه عليه السلام نهى عن الصلاة إلى القبور وهم يخالفونه ويصلون عندها .

ونهى عن اتخاذ المساجد عليها[3] وهم يخالفونه ويبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد .

---

(١) هو محمد بن بير علي بن إسكندر البِرْكلِي (ويقال : البركوي) ، محي الدين ، ولد بتركيا، عالم بالعربية ومشارك في العلوم الشرعية الأخرى، هـ كتب كثيرة منها : (دامغة المبتدعين) في الرد على الملحدين، توفي عام ٩٨١هـ. انظر : الأعلام ٦/٦١

(٢) في الأصل : الفها .

(٣) أخرج البخاري – أبواب الصلاة، باب الصلاة في البيعة– ح(٤٣٥) عن عائشة وعبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قالا: لما نُزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذل ((لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا. و أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور ح(٥٣١)

ونهى عن إيقاد السرج عليها[1] وهم يخالفونه ويوقدون عليها القناديل[2] والشموع بل يوقفون لذلك أوقافًا.

وأمر بتسويتها[3] وهم يخالفونه ويرفعونها من الأرض كالبيت.

ونهى عن تجصيصها[4] والبناء عليها[5] وهم يخالفونه ويجصصونها ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن الكتابة عليها[6] وهم يخالفونه ويتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره .

---

(١) رواه أبو داود- كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، ح(٣٢٣٦)- عن ابن عباس قال ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)) ورواه الترمذي: كتاب أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا، ح(٣٢٠)، ورواه النسائي: كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، ح(٢٠٤٣)، قال الشيخ الألباني: ضعيف. ورواه الإمام أحمد بن حنبل: مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ٢٢٩/١، ح(٢٠٣٠)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره دون ذكر السرج وهذا إسناد ضعيف .

(٢) جمع قِنديل وهو مصباح من زجاج . انظر: تاج العروس من جواهير القاموس للزَّبيدي ٢٩٠/٣٠

(٣) روى مسلم في صحيحه-كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ح(٩٦٩)- عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته))

(٤) قال القاري : (أي بناءه بالقَصَّة) مرقاة المقاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤٣١/٥

(٥) روى مسلم في صحيحه:-كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، ح(٩٧٠)- عن جابر قال ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه))

(٦) روى الترمذي في سننه - كتاب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها، ح(١٠٥٢)- عن جابر قال ((نهى النبي صلى الله عليه

ونهى عن الزيادة عليها[1] غير ترابها وهم يخالفونه ويزيدون عليها سوى الترابِّ الآجرّ[2] والأحجار والجص.

ونهى عن اتخاذها عيدا[3] وهم يخالفونه ويتخذونها عيدا ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد وأكثر.

والحاصل أنهم مناقضون لما أمر به الرسول عليه السلام ونهى عنه، ومحادون لما جاء به . انتهى

أقول[4]: وكل هذه البدع القبورية التي ذكرها الإمام البركوي ﷺ واقعة في زماننا ومشاهدة لا تخفى على ذي بَصَر)[5] .

وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ)) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه عن جابر .

(١) روى النسائي في سننه –كتاب الجنائز، باب الزيادة على القبر، ح(٢٠٢٧)– عن جابر قال ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني على القبر أو **يزاد عليه** أو يجصص زاد سليمان بن موسى أو يكتب عليه)) ورواه كذلك أبوداود في كتاب الجنائز، باب في البناء على القبر، ح(٣٢٢٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) الآجُرُّ مفردها آجُرَّة هو اللَّبِن المحَرَّق المعد للبناء، وهو فارسي معرَّب. انظر: تاج العروس للزَّبيدي ٢٩/١٠، والمعجم الوسيط ١/١

(٣) روى أبي داود في سننه – أول كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ح(٢٠٤٢)– عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تجعلوا بيوتكم قبورا **ولا تجعلوا قبري عيدا** وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)) قال الشيخ الألباني: صحيح وروى ذلك أيضا أحمد في مسنده :مسند أبي هريرة رضى الله تعالى عنه، ٣٦٧/٢، ح(٨٧٩٠)

(٤) أي: الشيخ بهجة البيطار ﷺ.

(٥) نظرة في النفحة الزكية في الرد على فرقة الوهابية، لأبي اليسار الدمشقي (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص١٠-١١ مطبعة الترقي عام ١٤٣٠هـ.

المسألة الرابعة :مفاسد أفعال القبوريين

لا تنهى الشريعة بمثل النهي الوارد في شرك القبور إلا لمفاسد عظيمة تناسب ذلك النهي.

ولما تعرض الشيخ لمفاسد أفعال القبوريين ، لخص ما قاله الإمام البركوي في ذلك فقال رحمه الله :

(وقال البركوي بعد أسطر مما تقدم –ونحن ننقل عبارته باختصار ونحذف منها مايمس العواطف والشعور من نسبة الشرك أو الكفر إلى بعض أعمال غلاة القبور– قال:

فانظر بين ما شرعه النبي عليه السلام من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وما قصدوه من التباين

ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره:

فمنها : تعظيمها الموقع في الافتتان بها.

ومنها : تفضيلها على أحب البقاع إلى الله تعالى فإنهم يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه وذلك يقتضي عمارة المشاهد وخراب المساجد.

ومنها : اعتقاد أن بها يُكشف البلاء وينصر على الأعداء ويستزل الغيث من السماء إلى غير ذلك من الرجاء.

ومنها : الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد والسرج عليها.

ومنها النذر لها ولسدنتها.

ومنها المخالفة لله ولرسوله والمناقضة لما شرعه في دينه.

ومنها إماتة السنن وإحياء البدع .

ومنها إيذاء أصحابها فإنهم يتأذون بما يفعل عند قبورهم مما ذكر ويكرهونه غاية الكراهية.

ومنها أن الذي شرعه النبي عليه السلام عند زيادة القبور إنما هو تذكر الآخرة والاتعاظ والاعتبار بحال المزور والإحسان إليه بالدعاء له والترحم عليه حتى يكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت. اهـ)[1] .

(١) المصدر السابق ص١١-١٢

المسألة الخامسة :سبب الشرك تعظيم المقبوريين

سبب دخول الشرك في أهل الملل السماوية : هو تدرج الشيطان في تعظيم المقبوريين إلى أن ينتهي بالمفتونيين إلى عبادتهم صريحا.

وقد تعرض الشيخ لسبب دخول الشرك في أهل الملل ثم لكيفية تدرج الشيطان بالمفتونين إلى عبادتهم فقال رحمه الله :

(ومن درس تاريخ الأمم السابقة واللاحقة، ونظر في أحوال أهل الملل السماوية وغيرها ، عرف كيف طرأ الشرك على الأمم، وسرى في عباداتهم سريان السم في الدسم "ومازال الشيطان -كما قال ابن القيم في إغاثة اللهفان الكبرى[1]- يوحي إلى عباد القبور منهم أن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها مع أن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه -أي : الميت- وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنا تُعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدا ومنسكا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم. -قال: وكل هذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله- فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢١٢/١-٢١٣، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط المعارف (الرياض)، واشتهر عند أهل العلم تسمية إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان بالإغاثة الكبرى، وتسمية إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان بالإغاثة الصغرى. انظر: ابن قيم الجوزية :حياته ، آثاره ، موارده ، لبكر أبو زيد ص٢١٩-٢٢٠

يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1]. وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام[2] ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3]. " وما ذكره هذا الإمام المحقق رحمه الله من التنقل في تعظيم الصالحين إلى عبادتهم ، هو حال أكثر الأمم من عرب وعجم في كل زمان ومكان طبقا لما أخبر الله به في القرآن : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[4].)[5]

---

(١) سورة الزمر:٤٥

(٢) الطغام : أراذل الناس . انظر: المحكم والمحيط الأعظم ٤٥٨/٥، والمخصص كلاهما لابن سيده ١٩٩/١، ولسان العرب لابن منظور ٣٦٨/١٢

(٣) سورة الأنفال:٣٤

(٤) سورة يوسف:١٠٦

(٥) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٦/٣٥-١٧٧ محرم ١٣٥٤هـ

المطلب السابع:مسائل التوسل

ويتضمن مسألتان :

المسألة الأولى:التوسل المشروع، وأفضل أنواعه

التوسل له اصطلاحان : عام، وخاص بالدعاء[1] :

أما في الاصطلاح العام : فهو التقرب إلى الله ﷻ بفعل الطاعات وتجنب المنهيات.

وأما في الاصطلاح الخاص بالدعاء -إذ التوسل من جنس الدعاء- :

فهو التقرب إلى الله تعالى بما يكون أدعى لقبول الدعاء .

ولما كثر وقوع الناس في التوسل الممنوع أظهر أهل السنة والجماعة التقسيم المشهور للتوسل[2] إلى توسل مشروع وممنوع.

والتوسل المشروع هو التوسل الذي ثبت دليله من الكتاب والسنة وفعل السلف الصالح .

أما أنواعه فهي:

١. التوسل بأسماء الله تعالى .
٢. التوسل بالأعمال الصالحة.
٣. التوسل بذكر حال الداعي.
٤. التوسل بطلب الدعاء من الصالح الحي.

---

(١) انظر مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص١٥٥

(٢) المبني على الاستقراء.

ولما تكلم الشيخ عن التوسل المشروع ذكره بإجمال وتفصيل :

فذكره **مجملا** بالتوسل بالعمل الصالح والكلم الطيب في قوله رحمه الله :

(.. أن من استقرأ النصوص، وسبر غورها[1] ظهر له منها أن التوسل إليه تعالى بالكلم الطيب والعمل الصالح هو المشروع، وأنه هو الذي تنال به خيرات الدنيا والآخرة، فرب الدارين واحد وحكمته فيها واحدة كما قال ابن القيم ، وفي طليعة كتابه : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي[2] تحقيق بديع لهذا المبحث، وقد أورد له القواعد والشواهد من القرآن العظيم الذي أيد به العقل والفطرة وطبيعة البشر في ذلك)[3].

وذكر التوسل المشروع ببعض التفصيل لما أنكر على عبد القادر أفندي القدسي[4] بيت شعر فيه غلو بالرسول ﷺ وهو :

إذا ضـــاقت بك الأيام فالجأ بحســن وسـيلة لحمى الرســول

فقال رحمه الله :

(إن خير وسيلة لنا هو إيماننا بما أنزل الله، وطاعتنا لرسوله، ومحبتنا له ولآل بيته الطاهرين)[5].

---

(١) غور كل شيء قعره ، والمراد فهمها بعمق. انظر: العين للخليل ٤/٤٤١، والصحاح للجوهري ٢/٧٧٣، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١/٢٥٣

(٢) ص ٣٠-٣٥

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٩-٧٠ ، وانظر الإمام محمد عبد الوهاب، أحمد عبد الغفور العطار (نقد وتعريف)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٤/٦٦٧ ربيع أول ١٣٧٩هـ.

(٤) هو عبد القادر أفندي بن تقي الدين القدسي، ولد في حلب في بيت علم، صوفي وألف في الصوفية، وتقلد مراتب عالية في الدولة العثمانية، توفي عام ١٣١١هـ. انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١/٩٢٣

(٥) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار (١/٤٩٦) ، وانظر نحو في نظرة في النفحة الزكية، لبهجة البيطار ص٢٠

وجعل الشيخ أن أفضل أنواع التوسل هو التوسل الذي جعله الله تعالى دعاء للمؤمنين، فقال رحمه الله :

(قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " وقد رتّب الله سبحانه حصولَ الخيرات في الدنيا والآخرة وحصولَ الشر[١] في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال، ترتيب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبّب على السبب.

وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع"[٢].

وقال أيضا : " وهكذا شأن التوسل الديني الأخروي[٣].

وهكذا من وفقه الله وألهمه رشده يدفع قدَر العقوبة الأخروية بقدَر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهذا وِزان القدر المخوف في الدنيا وما يضاده سواء، فرب الدارين واحد وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضا، ولا يبطل بعضها بعضا"[٤].

قلت[٥] : ويشهد له قوله تعالى﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾[٦]. فهو توسل إلى الله تعالى بالإيمان والاتباع. ومن أفضل أنواع التوسل ما جعله الله تعالى دعاء للمؤمنين، ورتب عليه غفران الذنوب ، وتكفير السيئات، والوفاة مع الأبرار، فقال عز من قائل : ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝١٩٣﴾[٧]. وقال جلت حكمته : ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا

---

(١) كذا في الأصل وفي كتاب الداء والدواء : الشرور. وفي نسخة أخرى : السرور.

(٢) الداء والدواء، لابن قيم الجوزية ص٣١

(٣) لم أجد هذ العبارة في كتاب الداء والدواء ط عالم الفوائد وهي أفضل طبعة للكتاب

(٤) المصدر السابق ص٣٤

(٥) أي : بهجة البيطار.

(٦) سورة آل عمران:٥٣

(٧) سورة آل عمران:١٩٣

عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾[1]. فهذه الآيات الكريمة قد أرشدتنا إلى التوسل إليه تعالى بما شرعه من الإخلاص في الدعاء له وحده، والإيمان بما أنزله من عنده، واتباع الرسول على الوجه الذي جاء به من عند ربه، فتأمل كيف جعل ذلك سببا لمغفرة الذنوب والوقاية من النار والنظم في سلك الأبرار)[2] .

وفي التوسل بدعاء النبي ﷺ قال رحمه الله :

(وفي الكتاب الثاني لشيخ الإسلام "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"[3] ما ملخصه : لفظ التوسل[4] يراد به ثلاثة معان : أحدها التوسل بطاعته صلى الله عليه وسلم ، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به . و**الثاني التوسل بدعائه وشفاعته**، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة. والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا الذي لم يكن الصحابة يفعلونه..)[5] .

---

(١) سورة آل عمران:١٦

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٦-٦٧

(٣) ص٨٧

(٤) أي : لفظ التوسل بالنبي ﷺ بدليل أقسام التوسل التي ذكرها.

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٤

المسألة الثانية :التوسل الممنوع

التوسل الممنوع : هو التقرب إلى الله في الدعاء بما لم يثبت دليله في الكتاب والسنة.

وينقسم إلى قسمين :

الأول : توسل جاءت الأدلة بالنص على منعه، كتوسل المشركين بآلهتهم.

الثاني : توسل لم تنص الأدلة على منعه، لكن لم يثبت جوازه بأدلة صحيحة؛ إذ التوسل توقيفي لأنه من جنس الدعاء، ويخالف أيضا مقاصد التوحيد والقواعد الشرعية.

وهو أنواع:

١. التوسل بذوات الأنبياء والصالحين.
٢. التوسل بجاههم وحقوقهم وحرمتهم.
٣. التوسل بالإقسام على الله ﷻ بهم.
٤. التوسل بطلب الدعاء من الأموات.

ومن قال بالقسم الثاني من التوسل الممنوع يستدل بشبهات من الكتاب والسنة وأقوال أو أفعال بعض الصحابة والتابعين ، أو العقل .

أما الكتاب : فقد استدلوا به استدلالا خاطئا، بل بعضه حجة عليهم.

وأما استدلالهم بالسنة أو أقوال أو أفعال بعض الصحابة والتابعين فهو إما استدلال في غير محله ، أوحديث أو أثر ضعيف أو موضوع.

أما العقل : فقد استدلوا بشبهات عقلية تصادم النصوص أو فيها تشبيه الله بخلقه[1].

(١) انظر : التوسل المشروع والممنوع، للدكتور/عواد المعتق (ضمن كتاب: بحوث محكمة في العقيدة الإسلامية) ص٤٨٣-٤٨٧

ولما تكلم الشيخ عن التوسل بذوات الأنبياء وجاههم وحقهم وحرمتهم قرر أن الخلاف فيها سائغ؛ لاحتمال النصوص لها، مع ترجيحه المنع بأدلة عديدة ذكرها، ولما تعرض لحكم التوسل بحق النبيين جاههم وحقهم وقدرهم فصَّل بين أن يكون المراد بحقهم معنى يرجع إلى صفات الله تعالى فيجوز أو غير ذلك فلا يجوز، وذمَّ التوسلات البدعية.

فقال –لما قرر خلافية التوسل بالذات والجاه، وسببه، ومعنى التوسل بحق فلان– :

(إن هذا الموضوع بأقسامه الثلاثة : الزيارة، وشد الرحال، والتوسل ، قد شغل الناس قرونا طويلة، وملأ مئات المصنفات وألوف الصفحات، وكنت قدمت اقتراحا إلى مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد بمكة " ١٣٤٤هـ–١٩٢٦م " قربت فيه بين المذاهب المختلفة في المسائل الثلاث، ووافق عليه الأعضاء المؤتمرون جميعا، وخلاصته:

............[١]ولما كان بعض ظواهر النصوص يوهم شمول التوسل بالذات والجاه أيضا كانت المسألة خلافية[٢]، وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد ، وقد ورد ((اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا))[٣] رواه أحمد وابن ماجه وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف كما قالوا[٤]، ولكن معناه صحيح،

---

(١) سبق إيراد مايتعلق بالزيارة وشد الرحل.

(٢) يقصد بالخلافية : أي : الاجتهادية، التي يسوغ فيها الخلاف بدليل السياق ونوع الأدلة، ، والتعبير عن المسائل التي يسوغ فيها الخلاف ب(اجتهادية) وضده ب(خلافية) ليس عند كل العلماء، ومنهم الشيخ رحمه الله.

(٣) رواه ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات باب المشي إلى الصلاة ح(٧٧٨) ورواه أحمد في مسند أبي سعيد الخدري ح(١١١٥٦) قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٤) هو عطية بن سعد بن جُنادة العَوفي الجَدَلي، أبو الحسن ، صدوق يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلسا، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وابن ماجه. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٦٨٠

فحق السائلين عليه الإجابة، وحق الماشين إلى المساجد الإثابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾(١). فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعدهم به، وقد تفضل فجعله حقا لهم عليه، **وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية**، وليس ذلك من محل النزاع في شيء)(٢) .

ولما تكلم عن أدلة المجوزين للاستدلال بحق فلان قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وأما ما أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم(٣) من حديث فاطمة بنت أسد والشاهد منه ((بحق نبيك والأنبياء من قبلي)) وما رواه أحمد وبن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ((من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم بحق السائلين عليك وبحق ممشاي إليك))(٤) الحديث، فهذان الحديثان على كونهما متكلما فيهما ليس فيهما إلا توسل بحق النبيين فحسب، وحقهم هو ما فضلهم الله على غيرهم من النبوة والرسالة، وما خصهم به من الخصائص والمزايا، كاجتبائهم واصطفائهم، وما وعدهم به من النصر والتمكين، والعز والتأييد وقبول شفاعتهم إذا شفعوا بعد الإذن والرضا، **فهذا توسل إليه تعالى بأفعاله، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته.**

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاه الرسل الثابت لهم عند ربهم، وإنما الخلاف في المراد من التوسل بالجاه والحرمة والحق، وهل جعله

---

(١) سورة غافر: ٦٠

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٠

(٣) رواه الطبراني في الأوسط باب : الألف : من اسمه أحمد ٦٧/١ (١٨٩)، وفي الكبير في مسند : فاطمة بنت أسد ٣٥١/٢٤ ، ولم أجده في صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم بعد تكرار بحث، وأظن أن العبارة محرفة من تخريج المنذري للحديث حيث قال -في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٥٧/٩ -: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

الله سببا شرعيا في إجابة الدعوات؟ فإن كان المراد منه معنى يرجع إلى أفعاله تعالى وصفاته -كاصطفائهم واجتبائهم ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة فبه نقول)[1] .

وأوضح موضع للشيخ في تقرير أن المسألة اجتهادية هو قوله عند رده على عبد القادر الاسكندراني[2] :

(قلت : إن الخطب فيها -في جانب ما تقدم[3]- يسير، والأمر سهل، والمسألة خلافية لا تحتاج إلى مثل هذا التهويل الذي أتى به مؤلف رسالة النفحة الزكية، والقول بأن مانعي التوسل هم الفرقة الوهابية، ومثبتيه هم أهل السنة والجماعة غير صحيح)[4]، ثم ذكر الشيخ نقولات عن الحنفية بمنعهم التوسل بفلان وجاهه[5].

ورغم إقرار الشيخ بأن التوسل بذات الأنبياء وجاههم وحقهم وحرمتهم مسألة خلافية ، إلا أنه رجح المنع بأدلة عديدة، منها : ترك الصحابة له بعد وفاته ﷺ مع قيام المقتضى له، و بأن التوسل بهذا النوع توسل بأمر أجنبي لا علاقة له في إجابة الدعاء، وبأنه لو كان يفيد في إجابة الدعاء مع عدم العمل لتحقق لأمتنا المصالح العليا من نصر على الأعداء وفتح للبلدان، فقال رحمه الله عند نقله عن ابن تيمية ملخصا[6] :

(التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير

---

(١) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ٣٥/١٧٧-١٧٨ محرم ١٣٥٤هـ

(٢) سبقت ترجمته ص٤٧

(٣) أي: من بدع القبور والشرك فيها.

(٤) نظرة في النفحة الزكية في الرد على فرقة الوهابية، لأبي اليسار الدمشقي (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص١٧

(٥) المصدر السابق . انظر: لتوثيق أقوال الحنفية في ذلك: رد المحتار (حاشية ابن عابدين) على الدر المختار، للتمرتاشي ٦/٣٩٧

(٦) في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٨٧-٨٨

قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه: إنه لا يجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يُسأل بمخلوق(١) ا هـ.

أقول(٢) : إن التوسل في لغة الصحابة هو عبارة عن أفعال وأقوال وأحوال لم تجرِ سنة الله في صدورها من غير الأحياء بين أظهر الناس، كتوسل عمر بالعباس في الاستسقاء(٣) ، فهو طلب للسقيا والدعاء والصلاة على طريقة معهودة في الشرع معروفة في كتب الحديث والفقه، ومنها أن يخرج المتوسل به إلى المصلى ويخرج الناس معه، فيستسقي ويدعو مستقبل القبلة، ويحول رداءه ويصلي ركعتين، ويخطب خطبتين، أو نحوها من الهيئات الثابتة(٤) ، كما يعلم ذلك من سبر الأحاديث الصحيحة الواردة في

---

(١) انظر: رد المحتار (حاشية ابن عابدين) على الدر المختار، للتمرتاشي ٣٩٧/٦

(٢) أي : الشيخ بهجة رحمه الله.

(٣) روى البخاري في صحيحه – كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ح(٩٦٤)- عن أنس ((أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون)) وكذلك أخرجه في : كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه، ح(٣٥٠٧).

(٤) روى أبو داود في سننه –كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، ح(١١٧٣)- عن عائشة رضى الله عنها قالت: شكى الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر؛ فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه، قالت عائشة: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فكبر صلى الله عليه وسلم وحمِد الله عز وجل، ثم قال ((إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبَّان زمانه عنكم، وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ ﴿ملك يوم الدين﴾ لا إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلَب أو حوَّل رداءه –وهو رافع يديه- ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين، فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكِن ضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، فقال أَشهد

الاستسقاء، والمتوسل به للسقيا على تلك الهيئة أو نحوها لايمكن أن يكون من غير الأحياء.)[1]

ثم ذكر بأن التوسل بهذا النوع توسل بأمر أجنبي لا علاقة له في إجابة الدعاء، فقال رحمه الله :

(ثم ههنا مسألة مهمة : وهي أن حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصلاح الصالحين ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء، ولا رابطة بينها وبين إجابة سؤله، فإذا قال الداعي: أسألك بحق فلان أن تقضي حاجتي، فمعنى ذلك : اقض حاجتي لكون فلان صالحا،فأي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه؟ وإذا قلت بجاه فلان اغفر لي كان المعنى : طلب المغفرة لكون فلان ذا جاه، وأي مناسبة بين جاهه ومغفرة ذنبك؟ فصلاحه وجاهه ليس منفيا عنه لا في حياته ولا عند ربه، ولا هو محل نزاع ، ولكن ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه، وتستحق الجزاء عليه، وإنما العامل هو الذي يجنى ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾. [2])[3]

أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله. قال أبو داود: وهذا حديث غريب إسناده جيد أهل المدينة يقرؤون ملك يوم الدين وإن هذا الحديث حجة لهم)) قال الشيخ الألباني: حسن، وجود إسناده ابن حجر في بلوغ المرام ص١٥١ وقصة التحويل أخرجها البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن زيد – كتاب الاستسقاء، باب الجهر بالقراءة في الاستسقاء ح(٩٧٨) – بلفظ: ((خرج النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو وحول رداءه ثم صلى ركعتين جهر فيهما بالقراءة)).

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٤–٦٥

(٢) سورة النحل:٩٧

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٥، وانظر نظرة في نفحة الزكية، بهجة البيطار ص٢٠

ثم ذكر أن هذا النوع من التوسلات لو كان يفيد في إجابة الدعاء مع عدم العمل لتحقق لأمتنا المصالح العليا من نصر على الأعداء وفتح للبلدان والواقع على خلاف ذلك ، فقال رحمه الله:

(ولو كان التوسل بعمل الصالحين يفيد المتقاعسين عن العمل لهان الأمر علينا معشر المسلمين، إذ كان يمكننا أن نقول مثلا: اللهم أزل ضعفنا، وآمن خوفنا وانصرنا على عدونا بجاه سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لإعلاء كلمتك، ففتحت لهم فتحا مبينا، ونصرتهم نصرا عزيزا ، ربنا هب لنا من الملك والسلطان والعلم والعرفان والحضارة والعمران مثل ما وهبت لهم .

أَفَترى أنه تفيدنا هذه التوسلات بجاه أسلافنا وقوتهم ،وسعة سلطانهم واستبحار عمرانهم ، ونحن قد تداعت علينا الأمم فجعلتنا مغنما، ونهبا مقسما؟! لا لا ، وإنما ننهض ونجدد إذا اهتدينا بهديهم، وكان لنا مثل عمرانهم)[1] .

وقد رَدَّ الشيخ على من يدعي أن المانعين من التوسل بالجاه لا يقرون بجاه الأنبياء، فقال رحمه الله:

(وقد يظن بعض الناس أن دعاة التوحيد وحماته ينكرون حرمة الرسل أو جاههم أو كرامتهم على ربهم ، في حياتهم وبعد مماتهم .

والجواب أن هذه تهمة باطلة وظن آثم ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾﴾[2]. كيف وجاهُ الرسل صلوات الله عليهم ثابت بالقرآن قال تعالى في حق موسى ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴿٤٥﴾﴾[3]. فإذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بفخر هذا العالم وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ؟ لا شك أن جاهه أعظم، ولكن جاه المخلوق عند المخلوق ليس كجاهه عند الخالق؛ فإنه تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، قال تعالى ﴿مَن

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٦، وانظر تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٧/٣٥-١٧٨ محرم ١٣٥٤هـ، وأيضا مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ص٢١٣

(٢) سورة الحجرات:١٢

(٣) سورة آل عمران:٤٥

ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴿٢٥٥﴾﴾[1]. وقال سبحانه ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾[2]. والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه ولغير من ارتضاه)[3] .

وفي تحذيره من التوسع في التوسل إلى إحداث توسلات مبتدعة من غير التفات إلى التوقيف في هذا الباب ، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ"

(وأين هذا التعليم الإلهي والتوسل الشرعي من المعامِلِ التوسلية التي أنشأها المبتدعة لأنفسهم ولغيرهم، وهم يُصدِرون منها كل حين من التوسلات المبتدعة أنواعا منوعة ما أنزل الله بها من سلطان ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴿١٤٠﴾﴾[4].)[5] .

وفي حكم التوسل بقول : أسألك اللهم بكذا ذكر الشيخ تفصيلا عن ابن تيمية، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقال الإمام أحمد ابن تيمية في كتابه "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"[6] في بحث سؤال الله تعالى بحرمة الأنبياء وجاههم " فقد تبين أن قول القائل: أسألك بكذا. نوعان: فإن الباء قد تكون للقسم، وقد تكون للسبب. فقد تكون قسماً به على الله، وقد تكون سؤالاً بسببه.

فأما الأول فالقسم بالمخلوقات لا يجوز على المخلوق فكيف على الخالق؟.

وأما الثاني وهو السؤال بالمعظم، كالسؤال بحق الأنبياء فهذا فيه نزاع")[7] .

---

(١) سورة البقرة:٢٥٥

(٢) سورة الأنبياء:٢٨

(٣) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٧/٣٥محرم ١٣٥٤هـ

(٤) سورة البقرة:١٤٠

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٧

(٦) ص١٠٥

(٧) نظرة في النفحة الزكية بهجة البيطار ص١٩

المطلب الثامن:مسائل متنوعة

ويتضمن ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى:الاستغاثة

الاستغاثة، هي: الطلب من المنادَى إزالة الشدة عن المنادي له.

وهي أقسام : مشروعة وممنوعة.

فالمشروعة :

١. الاستغاثة بالله ﷻ.
٢. والاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر بأسباب ظاهرة مباشرة[١]، مع عدم اعتقاد المستغاث به أنه يستقل بالسبب.

والممنوعة :

١. الاستغاثة بالحي فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ، كالنصر والرزق ونحوها، فهذه الاستغاثة شرك أكبر.
٢. الاستغاثة بالميت فيما يقدر عليه وهو حي.
٣. الاستغاثة بالغائب فيما يقدر عليه[٢].

وحكم الأخيرين التحريم المغلظ كونهما وسيلة إلى الشرك الأكبر.

---

(١) **يعرف تأثيرها بالمسبَّب : عامةُ الناس، أو أهلُ الاختصاص** . انظر : مادة العقيدة ، إعداد الدكتور/ أبو زيد مكي ص٤٥

(٢) انظر: كتاب الاستغاثة لابن تيمية ص٢٢١-٢٢٢، ٢٣٩، ٢٦٧-٢٦٨، ومقدمة الدكتور عبد الله بن دُجين السهلي لتحقيق الكتاب السابق ص٤١-٤٣

وفي الغالب أن أنواع الاستغاثة الممنوعة تجتمع.

وقد قرر الشيخ معنى الاستغاثة ، وذكر حكمها ، وذكر قسمي الاستغاثة الجائزة : من الله، ومن المخلوق الحي القادر ، فقال رحمه الله:

(إن لفظ الغوث -في الكتاب والسنة وكلام العرب، كالاستغاثة- إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين، ومعناه: المدرِك عباده من الشدائد إذا دَعَوْهُ.

ولا يجوز الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وأما قوله تعالى -في سورة القصص- : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴿١٥﴾﴾(١). فهي استغاثة عادية داخلة في دائرة الأسباب والمسببات)(٢) .

وقد ذكر الشيخ من الاستغاثة الممنوعة :

الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته.

والاستغاثة بأهل القبور فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

فذكر الشيخ الأولى وحكمها وأدلة منعها والجواب عن شبهة من أجازها بقوله رحمه الله:

(لو كانت الاستغاثة بالحضرة النبوية بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة الدنيا ، لطُلب من النبي صلوات الله عليه أن يقوم بالإمامة في الصلاة ، والإمارة في الحروب، وإرسال البعوث، وإقامة الحروب، وإيصال الحقوق ، وقسم المواريث والغنائم والصدقات.

---

(١) سورة القصص:١٥

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٧٤/١ ، وانظر حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٢

هذا وإن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في أمر الخلافة، وفي جمع القرآن، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل[1] وصفين[2] والنهراوان، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة، وفي إرسال جيش أسامة، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد، ولم يستفتوه في شيء منها.

وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة، فيجب رد ما تجدد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل، وما عُرِف من سَنن الصدر الأول للإسلام. اللهم ياغياث المستغيثين إياك نعبد وإياك نستعين)[3].

و من أدلة منع الاستغاثة السابقة قال الشيخ رحمه الله:

(ولو كان ترك وسائل النصر والظفر والاستنصار بغيره تعالى مفيدا لنا في شيء ، لكنا اليوم أسعد الأمم حالا، وأنعمها بالا، وأوفرها عزة وثروة وقوة)[4]

ثم ذكر أثر مثل تلك الاستغاثات في تَقَهْقُرِ حال المسلمين فقال رحمه الله ؛

(ولكن تلك الخطة المعارضة للشرع والطبع والحس التي سلكها أولئك الناس لم تزد الأمة إلا نكالا ووبالا ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ

(١) وقعة الجمل : هي معركة وقعت في البصرة عام ٣٦هـ بين قوات علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقوات طلحة والزبير رضي الله عنهما، وسببها مطالبة جماعة عائشة وطلحة والزبير ومن معهما بدم عثمان رضي الله عنه، ولم يكن القتال في البداية مقصد أحد منهم. انظر : الفتنة ووقعة الجمل لسيف الأسدي التميمي ص١٠٧، وتاريخ خليفة بن خياط ص١٨١، وتاريخ الطبري ٥٠٨/٤

(٢) وقعة صفين : معركة وقعت بين قوات علي بن أبي طالب وقوات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما سنة ٣٧هـ، بعد سنة على وقعة الجمل، وانتهت بعملية التحكيم، وكان سببها تعجيل القصاص بمقتل عثمان من عدمه، وانتهت هذه الوقعة بعملية التحكيم. انظر: تاريخ خليفة بن خياط ٢٩١/١، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٣١٣/٣، وتاريخ الطبري ٥٥٧/٤

(٣) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٥٣٤/١، وانظر الإمام محمد بن عبد الوهاب، أحمد عبد الغفور العطار (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ٦٦٣،٦٦٧/٣٤ مجمع اللغة العربية بدمشق ربيع أول ١٣٧٩هـ

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٣

وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ (١))(٢) .

وذكر حكم الاستغاثة بأهل القبور فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل بقوله رحمه الله :

(أما الاستغاثة بأهل القبور أنفسهم بمعنى طلب الغوث منهم أي : زوال الشدة، وتفريج الهم والكرب، وقضاء سائر الحوائج، فهذه استغاثة شركية لا تدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال، بل هي توسل الغلاة والجهال في الحضر والسفر، والبر والبحر، والعسر واليسر والفرج والشدة، ونحن نجل أهل العلم والعقل والإيمان عن الوقوع في مثل هذا الطغيان والهذيان)(٣).

وبعد أبيات لابن عابدين أشدُّ ما فيها من إطراء هو :

منيع حصن لو البدر استجار به	في ليلة التَّم في النقصان لم يضم
يا من إذا لاذ مأسور الذنوب به	غداً، غدا آمنا كالصيد في الحرم

،علق الشيخ عليها بقوله:

جرى العلماء على مثل هذا التوسل والاستشفاع في شعرهم ونثرهم **مع اعتقادهم أن النفع والضر بيد الله** عز وجل ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴿١٠٧﴾﴾(٤). وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ((إذا

---

(١) سورة الإسراء:٥٦-٥٧

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٣

(٣) المصدر السابق ص٦٤، وانظر : الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحي الحسني (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ

(٤) سورة يونس:١٠٧

سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله))[1])[2] ثم استدل بأدلة المنع من الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته.

لكن كلام الشيخ هذا فيه توسع في إحسان الظن لا يساعد عليه صريح لفظهم، ففي البيت الأول استجارته بالنبي ﷺ من الضيم ، وفي الثاني اللياذ بالنبي ﷺ في غفران الذنوب!

فكيف يصدر هذا ممن يعتقد النفع والضر بيد الله؟!

فليساعدونا هم بعدم التصريح بمثل هذا الضلال حتى نساعدهم بإحسان الظن وتأويل كلامهم.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٢٥١٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده: بهجة البيطار ١٢٣٥/٣

المسألة الثانية :الخوف

الخوف من العبادات القلبية التي لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ.

وينقسم الخوف بإجمال إلى خوف من الله ، وخوف من المخلوق.

فالخوف من الله ﷻ :

١. خوف محمود من أعلى مراتب الإيمان : وهو الخوف الذي يدفع إلى اجتناب المنهيات وامتثال الطاعات.
٢. وخوف مذموم : وهو الذي يزيد عن حده، ويجعلك تيأس وتقنط من رحمة الله ﷻ.

والخوف من المخلوق :

١. خوف طبيعي جائز يتعلق بفطرة الإنسان، وهو الخوف من أمر انعقدت أسباب الخوف منه، كالخوف من حيوان مفترس.
٢. وخوف محرم ، وهو: الذي يدفعك لفعل المحرم وترك الواجب ما لم يصل إلى حد الإكراه.
٣. وخوف هو شرك أكبر، وهو : خوف السر بأن تخاف من المخلوق أن يضرك بمشيئته وقدرته من غير مباشرة منه[1] .

وقد بَيَّن الشيخ الفرق بين الخوف من المخلوق خوفا طبيعيا كسبيا، والخوف منه خوفا كتصرف الله بخلقه (وهو خوف السر) فقال رحمه الله في توضيحه أنواع تعليقاته على كتاب جده "حلية البشر" :

---

(١) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٥١/٢، وكتاب التعريفات الاعتقادية ، سعد بن عمر بن محمد آل عبد اللطيف ص١٦٨ ، ومادة العقيدة ، أبو زيد مكي ص٤٣

(.. أو بيان الحق فيما لا يسع المرء كتمانه، كالفارق بين المخلوق والخالق في الخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة وغيرها، فمنها ما هو طبيعي كسبي، ومنها ما هو إلهي غيبي كالخوف من تصرف مخلوق حي أو غائب أو ميت كتصرف الله تعالى بمخلوقاته، وهذا يخالف الحس والواقع، ويناقض عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى، وهكذا سائر ما ذكرنا)[1] .

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٢٢/١

المسألة الثالثة :نصب التماثيل المجسمة

لفظ التماثيل –في عرف الشرع واللغة– مرادف للصورة في الإطلاق والتقييد، فكما يطلق لفظ التماثيل على الصور المجسمة ذات الظل ، يطلق كذلك على الصورة المسطحة التي لا ظل لها بخلاف العرف الشائع الآن .

والتماثيل لذوات الأرواح سواء كانت صورا مجسمة أو مسطحة ، رسما كانت أو صورة آلية، نصبت أو لم تنصب ، فهي محرمة ؛ لعموم النصوص، ومضاهاة خلق الله ﷻ ، وكونها وسيلة للشرك.

والفرق بين الصور السابقة إنما هو في خفة التحريم وشدته.

أما صناعة التماثيل لذوات الأرواح ، كاملة الأعضاء من موادَّ تدوم ، فهي محرمة تحريما مغلظا؛ وهي أولى ما تنطبق عليه النصوص المتكاثرة الواردة في تحريم الصور ذوات الأرواح، وهو قول عامة العلماء؛ حتى نقل بعض العلماء الإجماع عليه، ولم يُنقل الخلاف في ذلك إلا عن أبي سعيد الإصطرخي[1] .

فإذا **نصبت** هذه التماثيل كاملة الأعضاء في **مكان عام** وكانت **لمعظَّم**[2] ، فما أظن أحدا من العلماء المعتبرين يثبت عنه القول به.

---

(1) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي ، محمد أحمد علي واصل ص٤٤–٥١ ، ٢٠٨–٢٢٤، ٦٧٠ ط٣ دار طيبة عام ١٤٢٧هـ، **وهذه الرسالة العلمية حقيق بالمختصين في العقيدة العناية بها رغم أنها نوقشت في قسم الفقه**، وأبو سعيد الإصرخي هو : الحسن بن أحمد بن يزيد الإصطرخي الشافعي، فقيه العراق وقاضيها في وقته، وتفقه به الأئمة، وتوفي عام : ٣٢٨هـ انظر: سير أعلام النبلاء ١١/٤٧٥

(٢) وهي الصورة التي سيتكلم الشيخ عنها .

وقد تكلم الشيخ عن الصورة الأخيرة حينما اقترح محمد كرد علي على إسماعيل تيمور بناء تمثال لوالده لتقتدي به الأجيال القادمة، فرد الشيخ بأن والد إسماعيل باشا[1] متمسك بدينه وبسنة السلف، وبأنه قد بُني للناس قبلَهُ تماثيل ولم يحصل الانتفاع بها لأحد، بخلاف ما لو أُقيم ما يحقق النفع العام كبناء مدرسة أو مشفي باسمه، فقال رحمه الله:

(قلت : لو كان الاقتراح غيرَ عملِ تمثالٍ لكان أفضل ، ولو كان التمثال لغير تيمور لكان أخف، أما أحمد باشا تيمور ، فقد عرف بتمسكه بدينه قولا وفعلا واعتقادا، وأحيا سنة السلف في الولاءوالبراء في الله ولله، أي إنه كان يوالي ويعادي في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

فلو أُقيمت مدرسة باسمه أو مستشفي أو ملجأ خيري، أو مصنع أو مزرعة لكان ذلك خير وأولى؛ لأنه صدقة جارية ينتفع منها الناس، والمدرسة هي التي ستربي المستعدين على طريقته، وتحقق الرجاء بإيجاد مثله في علمه وعمله.

---

(١) إسماعيل باشا هو : إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا، كان رئيسا للديوان الخديوي في مصر، وتولى عددا من الإدارات في مصر ، ثم أصبح رئيسا للديوان الخديوي في مصر توفي عام :١٢٨٩هـ. انظر الأعلام ١/١٠٠ ، **ووالده** هو : أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا، عالم بالأدب، مؤرخ مصري، وباحث، وعضو في المجمع العلمي العربي بدمشق (الاسم القديم لمجمع اللغة العربية بدمشق) ، من بيت فضل ووجاهة، كردي الأصل، كان متواضعا فيه انقباض عن الناس، تألفت بعد وفاته لجنة لنش كتبه، ونُقلت مكتبته بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، توفي عام: ١٣٤٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ١/١٠١، **وباشا** : هو أعلى لقب شرف تركي. انظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، للدكتور: ف. عبد الرحيم ص٤٨

أما هذه التماثيل فقد رأينا منها في الميادين العامة بمصر تمثالَ محمد علي الكبير(١) وولده إبراهيم باشا(٢) -وناهيك بهما، كما رأينا غيرهما- ولكنا لم نرَ في عالم الأحياء إلى الآن مثيلا لهما، على تراخي العهد وتوفر الهمم، والسبب ظاهر، وهو : أن هذه الأمة تختلف عقلا وذوقا وتفكيرا عن أمم الغرب كما أشار إلى ذلك الأستاذ المؤلف(٣) (ص٦٣٧ ج٢) فالتماثيل عندها لا محصل لها، والحكومة تشتريها بأموال الأمة، وتنفق عليها من خزانة الدولة، وتقيم لها المباني الضخمة، وليس للأمة ولا للدولة منها فائدة ولا عائدة)(٤)

ثم بين الشيخ أن نصب التماثيل ونحوها منشأ الوثنية في الأمم، وأن الإسلام جاء بسد الذرائع ، فقال رحمه الله :

(ولما كان إقامة الصور ، ونصبُ التماثيل ، وبناءُ القباب فوقَها منشأَ الوثنية في الأمم وسائر ما عُبد من دون الله ، جاء الإسلام بإبطالها ليحسم مادة الشرك والفساد، وقد أخرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح من جوف الكعبة تماثيل أعز البشر وأحبهم إليه كأبويه

---

(١) هو محمد علي باشا ابن إبراهيم آغا بن علي ، مؤسس آخر دولة ملكية في مصر، ألباني الأصل، مستعرب، كان له فضل في تعمير بلاده، انتدبته الدولة العثمانية لحرب الدولة السعودية الأولى؛ فكانت له معهم وقائع معروفة، واعتزل الحكم لابنه إبراهيم باشا عام ١٢٦٤هـ، وتوفي محمد علي الكبير عام : ١٢٦٥هـ. انظر : الأعلام ٢٩٨/١١

(٢) هو إبراهيم بن محمد علي الكبير : قائد، من ولاة مصر، أصله تركي، خاضا حروبا ضد حكومة الإستانة، وكذا : الإنجليز، توفي قبل وفاة أبيه عام ١٢٦٤هـ. انظر: الأعلام ٧٠/١

(٣) محمد كرد علي صاحب "المذكرات"

(٤) المذكرات، محمد كرد علي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ١٤٥/٢٥ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ربيع أول ١٣٦٩هـ

: إبراهيم وإسماعيل[1] ، وكالسيدة العذراء وابنها المسيح عليهم الصلاة والسلام [2] وقطع عمر شجرة الرضوان التي بايعوا الرسول حولها؛[3] سدا للذريعة.

ولما كان سد الذريعة بابا من أبواب الشريعة قال شاعر النيل حافظ[4] :

فلا تنصبوا للناس تمثال عبده وإن كان ذكرى حكمة وثباتِ
فإني أخشى أن يَضلوا فيومِئوا إلى نور ذاك الوجه بالسجداتِ

---

(١) روى ابن أبي شيبة في مصنفه -كتاب المغازي ، حديث فتح مكة ح(٠٣٨٠٦٠)- عن جابر قال : دخلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مكة وفي البيت وحول البيت ثلاث مائة وستون صنما تعبد من دون الله ، قال : فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبت كلها لوجوهها ، ثم قال : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فصلى فيه ركعتين ، فرأى فيه تمثال إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزلام يستقسم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قاتلهم الله ، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام)) ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعفران فلطخه بتلك التماثيل . وحسن إسناده ابن حجر في المطالب العالية ٤٦٩/١٧

(٢) أخرج الأزرقي في أخبار مكة –باب :ما جاء في ذكر بناء قريش الكعبة في الجاهلية ١٦٨/١- عن عمرو بن دينار قال: أدركت في بطن الكعبة قبل أن تهدم تمثال عيسى ابن مريم وأمه "

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه – من أبواب صلاة التطوع ح(٧٦٢٧)- عن نافع قال: ((بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها، قال : فأمر بها فقُطعت)) وأخرجه كذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٠٠/٢

(٤) هو محمد حافظ فهمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم، شاعر مصر القومي، ولد بنيل مصر، وكان في رعاية محمد عبده، في شعره إبداع في الصوغ امتاز به عن أكثر أقرانه، توفي عام ١٣٥١هـ. انظر : الأعلام للزركلي ٧٦/٦

ومن قصيدة لأمير الشعر شوقي في رثاء مصطفى كامل باشا[1] :

أوَ كـان لـلـذكـر الحـكـيـم بـقـيـة لم تأت بـعـدُ ذكـرت في الـقـرآنِ

قال هذا مع العلم بأن الرجل لم يعمل شيئا للقرآن –من بيان لمحاسنه، أو دفاع عن عقائده، أو رد على الطاعنين فيه–، فإذا كان شاعرا مصر بل العصر : أولهما يحذر من نصب تمثال للشيخ محمد عبده خوفا من أن يفتتن الناس بالأستاذ الإمام فيعبدوه. والثاني يغرق في مدح إمام في السياسة والوطنية المصرية فيجعله أهلا لأن ينص عليه في القرآن، فما القول لو نصب لهما تمثالان في شوارع القاهرة ؟ أفما يخشى الافتتان بهما ؟؟)[2].

(١) هو مصطفى كامل (باشا) ابن علي محمد، نابغة مصر في وقته، وأحد مؤسسي، الفكر الوطني فيها، كان فصيحا ساحر البيان، انصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه، أنشأ الحزب الوطني سنة ١٩٠٧م، وانتخب له طوال حياته توفي عام : ١٣٢٦هـ. انظر: الأعلام ٢٣٨/٧

(٢) المذكرات، محمد كرد علي (تعريف وتقد) ، بهجة البيطار ١٤٦/٢٥ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ربيع أول ١٣٦٩هـ.

الفصل الثاني
جهوده في تقرير بقية أركان الإيمان

وبتضمن مبحثان:

المبحث الأول:الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

المبحث الثاني:الإيمان باليوم الآخر والقدر.

المبحث الأول:الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:الإيمان بالملائكة

هو الإيمان بعالم غيبي، مخلوق من نور، قائم بنفسه،[1] ذي أجنحة مجبولين على الطاعة واجتناب المعصية، لهم وظائف وصفات معينة.

والإيمان بهم يشمل الإيمان بوجودهم وبوصفهم ووظائفهم التي ثبتت في الكتاب والسنة[2] .

وفي سياق رد الشيخ على الكوثري نقل عن ابن تيمية صنفي : حملة العرش ، ومن حول العرش من الملائكة، فقال رحمه الله :

(فأخبر أن للعرش حملة، اليوم ويوم القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين، ومعلوم أن قيام فلك من الأفلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الأفلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة، وإن قدر أن لبعضها ملائكة في نفس الأمر تحملها فحكمه حكم نظيره قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴿٧٥﴾﴾.[3] الآية، فذكر هناك أن الملائكة تحف من حول العرش، وذكر في موضع آخر أن له حملة،

---

(١) وليس بأعراض كما تقول الفلاسفة.

(٢) انظر: الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي ص٩-١٠، وعالم الملائكة الأبرار، لعمر سليمان الأشقر ص٧-٨

(٣) سورة الزمر:٧٥

وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ ۝٧﴾[١]..)[٢]

وفي موضع آخر ذكر الشيخ توصيف عالم الملائكة بأنه غيبي، وذكر مِن خلْقِهم: أجنحتهم الثلاثة والأربعة، فقال رحمه الله :

(ومن عالم الغيب ملائكته وهو عالم روحاني، قد جعلهم ربهم رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع كما في سورة فاطر[٣])[٤]

ثم ذكر جبريل ومهمته، وسرعة ومسافة نزوله بالوحي، فقال رحمه الله :

(ومنهم أمين الوحي جبريل عليه السلام، فقد كان يهبط على من اصطفاهم المولى لرسالته، بمسافة وسرعة لا يعلم مقدارها إلا العلي القدير)[٥] .

ونقل في موضع آخر عن شيخ الإسلام[٦] ملخّصا أن روح القدس تطلق ويراد بها جبريل عليه السلام ، ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة أو بغير واسطة ، فقال رحمه الله :

(وأما روح القدس فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم[٧]، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم، بل روح القدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود

---

(١) سورة غافر:٧

(٢) الكوثري وتعديه على التراث ص ٢٠-٢١

(٣) سورة فاطر : ١

(٤) الفوائد المهمة ، عبد الله الجباوي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ٣٧٧/٤٥، مجلة مجمع اللغة بدمشق صفر ١٣٩٠هـ

(٥) المصدر السابق.

(٦) في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٨٦/٢

(٧) أي : النصارى.

وغيرهم من الأنبياء والصالحين، وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس، ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة)[1] .

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨٢

المطلب الثاني:الإيمان بالكتب

المراد بالكتب : الكتب السماوية المنزلة من عند الله ﷻ .

والإيمان بها يشمل ما يأتي :

١. الإيمان بأنها نزلت من عند الله تعالى ، وأن الله ﷻ تكلم بها حقيقة لهداية الناس وذكراهم.
٢. الإيمان بما ثبت اسمه من الكتب السماوية السابقة ، وبمن نزلت عليهم كصحف إبراهيم و زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى عليهم الصلاة والسلام ، وأنها كانت لأقوام معينين في فترة محددة، وأن التحريف أصابها في المعاني، والألفاظ[1].
٣. الإيمان بأن القرآن مهيمن على الكتب السابقة، ناسخ لها، شامل للناس إلى قيام الساعة، وأن الله تكفل بحفظه.

وقد اتفقت الكتب السماوية على أصول الشرائع، وضابطها : ما لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان، كأركان الإيمان، وأعلى ما اهتمت به الكتب السماوية : عبادة الله وحده.

وقد ذكر الشيخ مقدار وضابط وأفرادا من المتفق عليه بين الشرائع بقوله رحمه الله :

(وأما وحدة الأديان وأخوة الرسل الكرام : فقد بين[2] أن المنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والرسل، فإن الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد منه في كل زمان ومكان، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٤١٨-٤١٩

(٢) أي: شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/١١٧

والعمل الصالح وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف، وآل طس، وآل الر ،هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والصدق والعدل والإخلاص، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم)[1]

وأشمل موضع عند الشيخ في أفراد المتفق عليه بين الشرائع هو قوله رحمه الله عند آية ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾. [2] :

(وكل نبي مأمور بما أمروا هم[3] من إقامة دين الإسلام وهو التوحيد، وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والكلم الطيب والعمل الصالح، ومكارم الأخلاق)[4] .

وقرر في موضع آخر أن أهم ما دعت إليه الكتب السماوية هو توحيد العبادة ، فقال رحمه الله ناقلا عن الكتب السابقة :

(من تصفح كتب العهدين القديم والجديد ومزامير داود –التوراة والإنجيل والزبور– ، وجدها طافحة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، والوعيد الشديد على الشرك ، مملوءة بالبشارات بظهور رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة، فأما تنزيه الرب عن الوالدة والولد وعن الند والضد، فتراه في الفصول والأعداد

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٢٩ وانظر منه ص٨٠ وانظر أيضا: الإنجيل والقرآن ، بهجة البيطار ص ٢٨ ، ٤٥.

(٢) سورة الشورى:١٣

(٣) أي : أولو العزم من الرسل المذكورين في الآية.

(٤) الإنجيل والقرآن ، لبهجة البيطار ص٣١-٣٢ ، وانظر الربا والمعاملات في الإسلام، تأليف : محمد رشيد رضا ، وإكمال : بهجة البيطار ص١٤٩

-وهي السور والأعداد- من أسفار التوراة كتثنية الاشتراع وسفر الخروج، وأشَعْياء[1]، مثل قوله : " إن الرب هو الإله، وليس آخر سواه، لا يكن لك إله آخر أمامي "[2]، " لا تسجد لهن ولا تعبدهن؛ لأني أنا الرب إلهك إله غيور" [3] ، "ولكي يعلموا من مشرق الأرض ومن مغربها : أن ليس غيري أنا الرب وليس آخر"[4] .

وفي إنجيل مَرْقُس[5] : فأجابه يسوع :"إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا رب واحد" {الفصل ١٢ عدد ٢٩}

وفي إنجيل يوحَنَّا[6] : "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع مسيح الذي أرسلته" {الإصحاح ٣/١٧})[7] .

---

(١) جميع الأسفار السابقة هي أسفار العهد القديم المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وسفرَي : التثنية والخروج من ضمن أسفار كتب الشريعة، وسفرَي : إشعياء وإرميا -الآتي ذكره- من ضمن أسفار كتب الأنبياء. وإشعياء : كلمة تعنى : الرب يخلص، وهو نبي عند اليهود عاش سنة ٧٤٠ ق.م أيام دولة يهوذا وإسرائيل.. انظر: الكتاب المقدس ص٤ ، وقاموس الكتاب المقدس ص٥٩، ٣٩

(٢) سفر التثنية : ٤: ٣٥

(٣) سفر الخروج ٢٠: ٥

(٤) سفر أشعياء ٤٥: ٦

(٥) مَرْقُس: : هذه الكلمة تعني: مطرقة، ومرقس : يُظن أنه تبع المسيح ليلة تسليمه (لعله: ليلة تسلميه إلى الملك الروماني قبل صلبه) ، وتوجه مع بطرس وبولس في الرحلة التبشيرية الأولى. انظر: قاموس الكتاب المقدس ٥٧٧

(٦) يوحنا يطلق على أشخاص عدة والمقصود هنا يوحنا الرسول: هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل، كانا من تلامذة عيسى عليه الصلاة والسلام بدعوة منه ، كان أحد الرسل الثلاثة الذين دعاهم عيسى عليه السلام ليكونوا من رفقائه، وهم : بطرس ويوحنا وأخيه يعقوب. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٧٣٧

(٧) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٢-٧٣ وانظر منه ص(ج).

وقد نقل عن ابن تيمية[1] ملخصا أن الكتب السماوية اتفقت على ذكر صفات الكمال لله ﷻ، فقال ~رحمه الله~ :

(فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك [أي: من صفات الكمال] وكذلك الإنجيل وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ونبوة أشعياء وأرمياء[2] ، وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك ، والسلف من الصحابة والتابعين، وأهل الحديث متواتر عنهم ذلك)[3] .

ومحصل كلام الشيخ في ما اتفقت عليه الكتب السماوية يرجع إلى عبادة الله وحده وصفات الكمال والإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ومكارم الأخلاق.

ووضَّح الشيخ أن تحريف الكتب الإلهية هو سبب رحمة الله بعبادة بإنزال القرآن وحفظه، فقال ~رحمه الله~ :

(أما وقد أصاب الكتب الإلهية ما أصابها من التحريف والتبديل كالتوراة والإنجيل وحجبت أنوارها ومقاصدها عن العقول البشرية، فمن رحمة الله بعباده أن لا يدعهم يتخبطون في ديجور الضلالة[4] ، ويتيهون في أودية الجهالة، بل يجدد لهم وحيه، ويعيد على أسماعهم قوله بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل يحفظه الله تعالى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[5]. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/٢٤٠

(٢) إرميا : كلمة تعني : الرب يؤسس، وهو ابن حلقيا الكاهن، وهو نبي -عند اليهود- كان يعيش أيام ملك يهوذا : يوشيا وصدقيا عام ٦٠٠ ق.م تقريبا.انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٣٩

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٢٥

(٤) أي ظلام الضلالة؛ فالديجور هو الظلام . انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٧/ ٣١٨، والمعجم الوسيط ص٢٧١

(٥) سورة الحجر:٩

بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ۝٤﴾[1].)[2] .

وقد قرر الشيخ أن الإسلام يدعو إلى الإيمان بجميع الكتب، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ ۝١٥﴾[3]. :

(ثم أمره بالإيمان بجميع الكتب السماوية)[4]

وبيَّن أن الإسلام يرى أن أول الكتب وآخرها بمنزلة كتاب واحد، وبناء عليه فمن آمن بالقرآن فقد آمن بجميع الكتب ومن كفر بأي كتاب فقد كفر بجميع الكتب، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ :

(ذلك لأنه [أي : الإسلام] يرى أن أولها وآخرها بمنزلة كتاب واحد)[5] (فمن كفر بكتاب فهو عندهم[6] كافر)[7] (وإيمانهم بالقرآن إيمان بسائر الكتب)[8] .

وفي سياق حديثه عن كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وفي ص٢٢٢ ذكر ما امتاز به القرآن على التوراة)[9]

و تقرير الشيخ سابقا بأن الكتب السماوية بمنزلة كتاب واحد : لا يتعارض مع ما ذكره هنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية من امتياز القرآن على التوراة .

---

(١) سورة آل عمران:٣-٤

(٢) تفسير سورة يوسف ، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧١/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ ، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٨

(٣) سورة الشورى:١٥

(٤) الإنجيل والقرآن ص٣٢

(٥) كلمات وأحاديث ص١٩٣

(٦) أي المسلمين

(٧) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨٧

(٨) كلمات وأحاديث ص٩٦

(٩) حياة شيخ الإسلام اين تيمية ص٨٧

فإن الكتب السماوية بمنزلة كتاب واحد من جهة أن جميعها من عند الله ﷻ، وأنها يجب الإيمان بها، ولا يعارض هذا أن القرآن يفضل الكتب السماوية السابقة من الجهات الأخرى، بدليل ما ذكره شيخ الإسلام في الموضع الذي أحال عليه الشيخ وهو:

(وفي القرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ما ليس في الكتابين[(١)])[(٢)] .

أما الوحي لغة فهو : الإعلام بخفة وخفاء مهما اختلفت أسبابه، فقد يكون بالإلهام وقد يكون بالإيماء والإشارة .

والوحي في الشرع: إخبار وإعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام بما أراد الله ﷻ اطلاعهم عليه بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.

وقد فصَّلَ مقاماتِ الوحي قولُه تعالى : ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾[(٣)].

فالمقام الأول : الإلقاء في رَوْع الرسول[(٤)] بحيث لا يمتري بأنه من عند الله ﷻ .

والمقام الثاني : أن يكلم الله ﷻ رسوله من وراء حجاب .

والمقام الثالث : إرسال الله ﷻ الملك بالوحي إلى الرسول[(٥)] .

وقد ذكر الشيخ أن معنى الوحي لغة هو: الإشارة بسرعة وخفاء ، فقال رحمه الله :

---

(١) أي : التوراة والإنجيل .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/٧٣

(٣) سورة الشورى:٥١

(٤) روع الرسول : أي نَفْسُ وخَلَد الرسول ﷺ . انظر: الغريبين لأبي عبيد الهروي ٣/٧٩٢، وتاج العروس للزبيدي ٢١/١٣٢

(٥) انظر الرسل والرسالات ، أ.د/ عمر سليمان الأشقر ص٥٧-٥٨

(الوحي : الإشارة السريعة، أوحى إليه وأومأ بمعنى. ووحيت إليه وأوحيت : إذا كلمته بما تخفيه عن غيره. وأوحى الله إلى أنبيائه ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴿٦٨﴾﴾(١). ووحى وحيا :كتب. قال رؤبة : لقدَر كان وحاه الواحي. وتوحى : أسرع ، قال الأعشى :

مـثـل ريـح المسـك ذاك ريحـهـا ... صـبَّهـا السـاقي إذا قيـل توَح(٢)

واستوحيته : استعجلته، واستوحى لي بنو فلان ما خبرهم : استخبرهم)(٣) .

ثم ذكر أن الوحي شرعا يطلق على الموحى به مع مراعاة المعنيين اللغويين: الخفاء والسرعة فقال رحمه الله :

(وحيُ الله إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما : الخفاء(٤) ، والسرعة فهذا معنى المصدر ، ويطلق على متعلقه، وهو ما أنزله الله على أنبيائه ورسله، وعرفهم به من أنباء الغيب، والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا. أي : تشريعا يكتب ، ومنهم من لم يعطه.)(٥) .

ثم تكلم على مقامات الوحي الثلاثة ، فقال رحمه الله -تحت عنوان: أنواع الوحي الثلاثة- :

(قال الراغب في "مفرداته"(٦) : ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه : وحي. وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله : ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾. (٧)

---

(١) سورة النحل:٦٨

(٢) نسبه إليه الزمخشري في أساس البلاغة ، مادة: وحي، ٣٢٤/٢

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٢٨/١-١٢٩

(٤) في الأصل: الحفاء.

(٥) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٢٨/١-١٢٩

(٦) ص٨٥٨

(٧) سورة الشورى:٥١

وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته، ويسمع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام في صورة معينة، وإما بسماع كلام الله ، وإما بإلقاء في الروع ، كما ذكر عليه السلام ((إن روح القدس قد نفخ في روعي))[1] .

وإما بإلهام نحو ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ۝٧﴾ [2] وإما بتسخير نحو قوله : ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ۝٦٨﴾[3]. أو بمنام كما قال عليه السلام : ((انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن))[4]

فالإلهام والتسخير والمنام دل عليها قوله ﴿إلا وحيا ﴾ وسماع الكلام دل عليها قوله ﴿أو من وراء حجاب ﴾ وتبليغ جبريل في صورة معينة دل عليه قوله ﴿أو يرسل رسولا ﴾. ا. هـ.. المراد باختصار)[5] .

---

(١) جزء من حديث أخرجه الشافعي في مسنده ٢٣٣/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٩٩/١ (٤٢٧) والاعتقاد ٧٣/١ ، وشعب الإيمان ، باب: التوكل على الله والتسليم ٤٠٦/٢ (١١٤١) وباب الرحمة وقصر الأمل ٩/١٣ (٩٨٩١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه ٢٧٠/١، والبزار في البحر الزخار ٣١٤/٧ (٢٩١٤)، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٦/٨ (٧٦٩٤)، والحاكم في المستدرك، كتاب البيوع، ٥/٢ (٢١٣٦)، والشهاب القضاعي في مسنده ١٨٥/٢ (١١٥١) وقال الألباني : حسن صحيح . انظر : صحيح الترغيب والترهيب ٣١٢/٢ (١٧٢٠)، و سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٦٥/٦ (٢٨٦٦)

(٢) سورة القصص:٧

(٣) سورة النحل:٦٨

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٢٦/١١ (١٣٨٢٤) بلفظ: ((ن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي)) ، قال: فشق ذلك على الناس، قال: قال: ((ولكن المبشرات)) ، قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: ((رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة)). وبنحوه أخرجه أيضا الحاكم في المستدرك، كتاب : تعبير الرؤيا ٤٣٣/٤ (٨١٧٨) وصححه ، والترمذي في سننه باب: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ٥٣٣/٤ (٢٢٧٢) وصححه، وأبو يعلى في مسنده ٣٨/٧ (٣٩٤٧) وابن أبي شيبة في المصنف باب: ما قالوا في تعبير الرؤيا ١٧٣/٦ (٣٠٤٥٧)

(٥) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٢٨/١-١٢٩

وتطرق الشيخ لحدود دور جبريل والنبي محمد عليهما السلام في الوحي المعجز: القرآن ، فقال رحمه الله :

(القرآن : الذي هو كلام الله المنزل ووحيه المعجز ، ليس لروح القدس جبريل الأمين عليه السلام إلا نقله بلفظه العربي من سماء الأفق الأعلى إلى هذه الأرض، ولا لمحمد الرسول العالمي إلا تبليغه للناس بلفظه الذي تلقاه عن الروح الأمين، ثم بيانه لهم بالقول والعمل؛ ليهتدوا)[1] .

وقال في وصف القرآن :

(.. في كتاب ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[2].)[3]

وقال الشيخ في بيانه لمقصد إنزال القرآن :

(لأن الكتاب أنزل ذكرى وموعظة للناس، لا تاريخا تُفصل وقائعه مرتبة حسب وجودها)[4] .

---

(١) المصدر السابق ١٢٦/٢

(٢) سورة فصلت:٤٢

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١

(٤) الإنجيل والقرآن ص٣٠

المطلب الثالث: الإيمان بالرسل

ويتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دلائل نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-

النبوة : منحة إلهية -غير مكتسبة- حسب علم الله ﷻ للأصلح لها.

ومايدل على نبوة محمد ﷺ ينقسم إلى :

١. الآيات الدالة على صدقه سواء كانت كبرى يختص بها كالقرآن والإسراء والمعراج، أو صغرى يشركه في جنسها الأولياء كتكثير الطعام[١] .
٢. النظر في أحواله التي شهرت عنه في قومه من صدق وأمانة ونحوهما.
٣. النظر في دعوته ﷺ باشتمالها على الأوامر التي تحقق مصالح العباد وتكملها والنواهي التي تدرأ المفاسد وتقللها .
٤. بشارات الأنبياء السابقين ببنوة محمد ﷺ سواء ماذكر بالقرآن أو في الكتب السابقة.
٥. تأييد الله رسلَه ونصرته لهم .

وقد أكد الشيخ على أهمية أن تكون دلائل نبوته ﷺقد ثبتت سندا ، فقال في أثناء كلامه على كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم رحمه الله :

(هذا وإن كتب الحديث -كما قال أئمة هذا الشأن- على طبقات مختلفة، ومنازل متباينة، فوجب الاعتناء بمعرفة طبقات كتب الحديث؛ ليعرف الصحيح من غيره، أما ما كان ضعيفا أو موضوعا أو منقطعا أو مقلوبا في سنده أومتنه أو من

(١) انظر النبوات لابن تيمية ٢/٨٠٣-٨٠٤

رواية المجاهيل **أومخالفا لما أجمع عليه السلف طبقة بعد طبقة** ، فلا سبيل إلى القول به..)[١] .

وذكر الشيخ من الآيات الكبرى الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم : القرآن.

فقد قرر أن القرآن آية كبرى بقوله :

(القرآن الحكيم الذي أُنزل على النبي الأمي سيدنا محمد ، ذي الخلق العظيم ، هو الآية الإلهية الكبرى ،و المعجزة الإسلامية العظمى، بل هو معجزة المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ورسله)[٢] .

وفي سياق رده على التشكيك بقطعية إعجاز القرآن قال رحمه الله :

(جاء في الخاتمة[٣] (مج٣٠ ص٣٠٨) قول المؤلف :" ولا أرى الآن بُداً من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم، يكون له قوة البرهان الرياضي، فيقنع الخصم المعاند"

قلت : أما الخصم المعاند فيعارض حتى البرهان العقلي ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ۝١٤﴾[٤]. ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۝١٧﴾[٥]. ولكن الذي يجعل مسألة الإعجاز قطعية وقضية مسلمة: **هي التجربة،** فكل معتقد أو منتقد في وسعه أن يمتحن

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٠/٦٤٠ صفر ١٣٧٥هـ

(٢) الرد الشافي الوافر، أحمد بن على آل ابن علي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧/٨٦٧ رمضان ١٣٩٢هـ، وانظر : الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٤-٤٥

(٣) أي : خاتمة كتاب " في إعجاز القرآن " لنعيم الحمصي

(٤) سورة النمل:١٤

(٥) سورة فصلت:١٧

نفسه أو من شاء بالإتيان بسورة أو عشر سور كالقرآن ، فإذا استبان له عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله : آمن عقله وحسه بالعجز الذي آمنت به نفسه)[١]

وذكر الشيخ أن القرآن يدل على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أوجه عديدة، فقال رَحِمَهُ اللهُ :

(ثم عقد فصولا[٢] في إعجاز القرآن من وجوه متعددة، من اللفظ والنظم والبلاغة ومعانيه التي أمر بها، والمغيبات التي أخبر عنها، وما وصف به المعاد، وما أقامه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة)[٣]

وقد تحدث الشيخ عن وجهين من أوجه كون القرآن آية دالة على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الأول : نزول القرآن منجما؛ إذ نزوله منجما طيلة بضع وعشرين سنه مع استواء القرآن بالفصاحة ، لدليل على صدق الرسول ﷺ، فقال رَحِمَهُ اللهُ :

(لو أنزله تعالى جملة واحدة لكان استواؤه آية قد يجوز على العقل فهمها، ولكنه مع طول الزمان وتغاير المكان واختلاف الأحوال : ظلت طبقته في الفصاحة واحدةمستوية، فكانت آيته فوق العقل، وعلامة كلام الخالق الأعلى؛ إذ لو كان من نفس ذات إحساس بشري، لتلونت آياته بتلون قائلها؛ إذ مايكون لبشر أن يمكث على حالة واحدة بضعا وعشرين سنة يمنح الكلام من نفسه على وتيرة واحدة مستوية، والكلام على مايعرف القراء لون من ألوان متكلمه)[٤] .

والثاني : إخبار القرآن بالمغيبات من قصص الأنبياء السابقين التي لم يكن أحد من قومه يعلم بها، فقال رَحِمَهُ اللهُ :

---

(١) في إعجاز القرآن، نعيم الحمصي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٧١/٣٠ جمادى أولى ١٣٧٥هـ

(٢) أي: ابن تيمية

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨٩

(٤) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٣٢/١

(وكل ما ذكر القرآن من قصص الرسل فهو من قصص الغيب الدالة على نبوة محمد ﷺ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴿١٢٠﴾﴾[1]. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ ﴿٤٤﴾﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ ﴿٤٤﴾﴾[3]. إلى قوله : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴿٤٦﴾﴾[4]. الآية، وقال : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [5] .... أليس من البراهين القطعية على صدق نبوة محمد ﷺ أنه كان أميا نشأ بين قوم أميين، ثم أخبر بمثل ما أخبرت به الأنبياء من الشؤون الغيبية دون أن يتعلم من بشر ؟! بلى، وهو كما قال في سورة هود بعد ذكر قصة نوح (ع.م) (١١:٤٩) ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[6]. وقد سمع كفار قريش هذه الآية وسائر سورتها، ولم يقل أحد منهم بل كنا نعلمها، ولما ادعى بعض الجاحدين[7] أنه يعلمه بشر؛ إذ رأوه يقف على قَيْن "حداد" رومي بمكة ، رد الله دعواهم بقوله ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[8]. من ألحد فلان إذا مال عن الحق)[9] .

ونقل الشيخ عن تفسير القاسمي أن من إخبار القرآن بالمغيبات : دخول الأمم غير العرب في الإسلام، فقال الشيخ رحمه الله :

---

(١) سورة هود: ١٢٠

(٢) سورة آل عمران: ٤٤

(٣) سورة القصص: ٤٤

(٤) سورة القصص: ٤٦

(٥) سورة ص: ٦٩-٧٠

(٦) سورة هود: ٤٩

(٧) في الأصل: المجاحدين

(٨) سورة النحل: ١٠٣

(٩) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧١/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(قال القاسمي بمعرض تفسير قوله تعالى : ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾. [1] : قال بعض المحققين : في الآية معجزة من معجزات النبوة، وذلك الإخبار عن غيب وقع، والبشارة بدخول أمم غير العرب في الإسلام قد حصل، فقد صارت تلك الأمم التي أسلمت من العرب؛ لأن بلادهم صارت بلاد العرب، ولغتهم لغة العرب، وكذلك دينهم وعاداتهم، حتى أصبحوا من العرب جنسا ودينا ولغة ، وحتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الأجناس؛ لأنهم أمة واحدة، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ٥٢﴾.[2])[3]

ومن مغيبات الأمم السابقة أخبر الله في القرآن عن مشابهة النصارى في عقيدة التثليث للذين كفروا من قبلهم ، فقرر الشيخ هذا الدليل، وذكر أصناف الكفار السالفين للنصارى في ذلك، فقال رحمه الله :

(﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ ٣٠﴾[4]. أي: يشابهون قول الذين كفروا من قبلهم، وهم مشركو العرب الذين قالوا مثل هذا القول؛ إذ قالوا : الملائكة بنات الله.

---

(١) سورة الجمعة:٣

(٢) سورة المؤمنون:٥٢

(٣) تعريب الإسلام للأمم الداخلة فيه، بهجة البيطار ٦٣/٤٢ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق رمضان ١٣٨٥هـ.

(٤) سورة التوبة:٣٠

وقد علم من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن لله، والحلول والتثليث كانت معروفة عند البراهمة[1] والبوذيين[2] في الهند، والصين واليابان وقدماء الفرس[3] ، والمصريين واليونان والرومانيين، فبيان القرآن لهذه الحقيقة التي لم يكن أحد من العرب ولا ممن حولهم يعرفها -بل لم تظهر إلا في هذا الزمان- من معجزاته الكثيرة التي تظهر على مر الزمان ، وتصدقها المشاهدة والعيان)[4].

وتبعا لما سبق، فقد ذكر الشيخ من أخباره ﷺ بالمغيبات من السنة : إصلاح الله ﷻ بالحسن بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فقال رحمه الله :

---

(١) البرهمية أو الهندوسية : ديانة وثنية شرقية يعتنقها معظم أهل الهند، مرت منذ نشأتها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بمراحل كثيرة، والبراهمة منسوبون إلى رجل اسمه: براهم أو إلى أحد الأقانيم الثلاثة لآلهتهم وهي : براهما : الخالق، وفيشنر: الحافظ، وسيفا: المهلك، وهم مشهورون بنفي النبوات والقول بالتناسخ.انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص٥١٩، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والفرق المعاصرة٢/٧٢٤

(٢) البوذية ديانة شرقية ظهرت في الهند بعد الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد نسبة إلى بوذا: سدهارتا جوتاما ، وتتفق مع الهندوسية في المعتقدات عدا وجود براهما، ونظام الطبقات الهندوسي. انظر: الموسوعة الميسرة ٧٥٨/١، وأصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية ص١٠٨-١٠٩

(٣) ديانة قدماء الفرس هي المجوسية، وهي ديانة يعبد أتباعها النيران، ويعتقدون بأن العالم صادر عن أصلين هما: النور والظلمة إلا أن النور أزلي والظلمة محدثة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص٢٥٧

(٤) الإنجيل والقرآن ص٤٣

(وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، طبقا لما أخبر به جده الصادق الأمين[1] ، عليه وآله الصلاة والتسليم)[2]

ومن الإخبار بالمغيبات من السنة أيضا ذكر حديث عدي بن حاتم، فقال رحمه الله -عند قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[3].- :

(روى أحمد[4] عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ((دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعدي : أتعرف الحيرة[5] ؟ قلت : لم أرها ولكن سمعت بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليُتمَّن الله هذا الدين حتى تخرج الظعينة[6] من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال

---

(١) روى الترمذي في سننه:-كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، ح(٣٧٧٣)- عن أبي بكرة قال ((صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فقال: إن ابني هذا سيد يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين)) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه كذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده – مسند أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة رضى الله تعالى عنه، ٥/٤٩، ح(٢٠٥١٧)-

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣٢

(٣) سورة التوبة:٣٣

(٤) في سياق قصة ١٩٧/٣٠ (١٨٢٦٠)، وكذلك البخاري كتاب: المناقب، باب علامات النبوة قبل الإسلام ١٩٧/٤-١٩٨ (٣٥٩٥)

(٥) الحيرة مدينة تقع على جنوب شرق الكوفة وتبعد عنها ثلاثة أميال ، و كان عامة أهل الحيرة نصاري وكانت قاعدة دولة المناذرة قبل البعثة المحمدية، فتحها خالد بن الوليد، وتعتبر حاليا بلدية ضمن محافظة النجف. انظر: أحسن التقاسيم بمعرفة الأقاليم، لأبي عبد الله محمد البشاري ١/٢٥، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لابن عبد الحق القطيعي١/٤٤١، والروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحِميرى ١/٢٠٧، وأطلس تاريخ العالم الإسلامي لحسين مؤنس ص٤٧

(٦) الظعينة هي المرأة، وأصل الظعينة: الراحلة التي يحمل عليها، وسميت المرأة بذلك؛ لأنها تُحمل على الراحلة. انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام ٤/٤٣٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٧/٣

: نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد)) "قال عدي :فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد، وقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة؛ لأن رسول الله ﷺ قالها" ، وقد كانت الثالثة، في زمن الملك الصالح والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، فقد عرض المال فلم يقبله أحد)[1]

أما الآيات الصغرى لصدق النبي محمد ﷺ ، فقد ذكر منها مجموعة في سياق تعريفه بكتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، فقال رحمه الله :

(١) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٥-٤٦

(..والفصل الثاني والعشرون إلى السابع والعشرين في إقبال الشجر إليه[١] ، وتسليم الشجر والمدر عليه[٢] ، وذكر حنين الجذع إليه[٣] ، وفوران الماء من بين أصابعه[٤] ،

---

(١) روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: مسند يعلى بن مرة الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم، ١٧٢/٤، ح(١٧٦٠١) عن يعلى بن مرة الثقفي قال ((ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم –فذكر منها فقال– ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ ذكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها عز وجل ان تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن)) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة عبد الله بن حفص وعطاء بن السائب كان قد اختلط.

(٢) روى الترمذي في سننه –كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، ح(٣٦٢٦)– عن علي بن أبي طالب قال ((كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله)) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب وروى غير واحد عن الوليد بن أبي ثور وقال عن عباد أبي يزيد. قال الشيخ الألباني: ضعيف، وأخرجه كذلك الدرامي سننه: كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، ح(٢١)

(٣) روى البخاري في صحيحه–كتاب البيوع، باب النجار، ح(١٩٨٩)– عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ((أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا، قال: إن شئت قال فعملت له المنبر فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تَئِن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر)) ورواه البخاري أيضا في: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٣٩١)

(٤) روى البخاري في صحيحه –كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٣٨٦)– عن عبد الله قال ((كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا ،كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء ،فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله. فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل))

وذكر ربو الطعام بوضع يده عليه[1] ، وتسبيح الحصى[2])[3]

ومن دلائل النبوة : ذكر دليل النظر في أحواله صلى الله عليه وسلم ، فقد نقل عن شيخ الإسلام[4] ملخصا من صفاته صلى الله عليه وسلم مايقطع الناظر بصدقه بإخباره عن نفسه بالنبوة، فقال رحمه الله :

(والرجل الصادق البار يظهر على والأحاديث المشتملة على كلمة أو جملة: (على ما كانت تسمع من الذكر)

---

(١) روى ابن ماجه في سننه- كتاب الأطعمة، باب الخبز الملبق بالسمن، ح(٣٣٤٢) عن أنس بن مالك قال ((صنعت أم سُليم للنبي صلى الله عليه وسلم خبزة وضعت فيها شيئا من سمن ،ثم قالت اذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فادعه قال: فأتيته فقلت: أمي تدعوك قال: فقام ،وقال –لمن كان عنده من الناس –:قوموا. قال :فسبقتُهم إليها فأخبرتها ،فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هاتي ما صنعت. فقالت: إنما صنعتُه لك وحدك، فقال: هاتيه. فقال يا أنس أدخِل علي عشرة عشرة. قال فما زلت أدخل عليه عشرة عشرة فأكلوا حتى شبعوا وكانوا ثمانين)) قال الشيخ الألباني: صحيح

(٢) روى الطبراني في الأوسط –باب الألف ح(١٢٤٤)- عن أبي ذر الغفاري قال: «إني لشاهد عند النبي صلى الله عليه وسلم في حلقة، وفي يده حصى، فسبَّحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر، فسبحن مع أبي بكر، سمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر، فسبحن في يده، وسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان، فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا، فلم يسبحن مع أحد منا» . قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن داود إلا حميد، تفرد به: الجارودي عن أبيه. وأخرجه الطبراني كذلك في باب العين ح(٤٠٩٧) بنحوه، وكذا البزار في مسنده : مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ح(٤٠٤٤)

(٣) دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٤٠/٣٠ صفر ١٣٧٥هـ.

(٤) في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٨٩/٦

جهه من نور صدقه وبهاء وجهه سيما يعرف بها.

ونقل عن القاضي عياض[1] -في صدق نبوة النبي- قوله : "وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره، وحميد سيَره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجُملة كماله، وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله، لم يمترِ في صحة نبوته، وصدق دعوته" ، قال :"وقد كفي هذا غير واحد في إسلامه، والإيمان به")[2] .

وتكلم الشيخ عن وجه آخر في حاله ﷺ يدل على صدق دعوته، فقال رحمه الله :

(فالقرآن هو المعجزة العظمى التي تدل على أن موحيه هو الله وحده، وليس من قول البشر، والدليل على ذلك : أنه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتابة ، ولم يطالع الكتب، ولم يذاكر العلماء)[3] .

وفي دليل النظر في دعوته صلى الله عليه وسلم قرر أن الدعوة التي تشتمل على أعلى العلوم المصلِحة للبشر ، دليل على صدق نبوته، فقال رحمه الله عند الكلام على آية : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾. [4]
:

قال: (...وهو النبي الأمي، فالآية آية من آيات نبوته؛ إذ قد جاء بأعلى العلوم النافعة التي يصلح بها ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم، وآدابهم وأعمالهم..)[5] .

---

(١) في الشفا بتعريف حقوق المصطفي ص٣٠٧.

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٩٠

(٣) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧١/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(٤) سورة الأعراف:١٥٧

(٥) الإنجيل والقرآن ص٢٨

أما البشارة بالنبي في الكتب السابقة : فمنها آيات في القرآن، ومنها نصوص في في التوراة والإنجيل.

أما **الأولى**، فعند قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾(١). ، قال الشيخ رحمه الله :

(﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ فالسيد المسيح يقول لقومه : يا قوم إني مرسل إليكم من الله، وإني مصدق بالتوراة، وبكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم منهم ومن تأخر.

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ۖ أي: وداعيا إلى التصديق بهذا الرسول الكريم الذي جاءت البشارة به في التوراة)(٢) .

وعند قول تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾(٣). ، قال رحمه الله :

(وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ۝١٥٧﴾ أي: يجد الذين يتبعونه من بني إسرائيل وصفه مكتوبا في التوراة والإنجيل بحيث لا يشكون أنه هو)(٤) ثم ذكر كذلك نصوص التوراة والإنجيل بالبشارة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الصف:٦

(٢) الإنجيل والقرآن ص٣٥

(٣) سورة الأعراف:١٥٧

(٤) الإنجيل والقرآن ص٢٨-٢٩

أما الثانية وهي نصوص التوراة والإنجيل بالبشارة بمحمد ﷺ فقد ذكر الشيخ نصوص التوراة المبشرة بنبينا ﷺ فقال -تحت عنوان:"بشارة موسى محمد"-:

(جاء في العدد الخامس عشر من الإصحاح -أو الفصل كما في الطبعة اليسوعية[١] من سفر التثنية[٢] من التوراة- : "ويقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون"

فهذه البشارة صريحة في محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأنه لم يقم نبي مثل موسى من وسط اليهود، ومن إخوتهم بني إسماعيل ، غير النبي العربي محمد، وأبناء العم يسمون إخوة، ومن ذلك : تسمية أبناء عمهم "عيسو" إخوة لهم كما في ٢:٤و٨ من التثنية، ولو كان المراد من هذه البشارة المسيح عليه الصلاة والسلام لقال: أقيمه منكم أو من نسلكم، لا من إخوتكم؛ لأن يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم، كما في متَّى ١:١١-١٦ فهو من نسل إسحاق لا من نسل إسماعيل عليهم السلام)[٣] .

ثم ذكر الشيخ نصوص الإنجيل المبشرة بنبينا ﷺ فقال -تحت عنوان :"بشارة الإنجيل النبي العربي-:

(جاء في إنجيل يوحنا ١٦: ١٢و١٣ " إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعوا أن تحتملوا الآن؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية"

---

(١) الطبعة اليسوعية: هي طبعة الكتاب المقدس التي قام على ترجمتها مجموعة من الآباء اليسوعيين في بيروت وطبعت عام ١٨٨١م، وهذه الترجمة أسهم الشيخ إبراهيم اليازجي في صياغة كتب العهد القديم، ثم صدرت بعدها طبعة يسوعية بترجمة وإصدار آخر بعد مئة سنة تقريبا. انظر: مقدمة الكتاب المقدس ص٤، وقاموس الكتاب المقدس ص٥٢٦

(٢) التثنية : اسم السفر الخامس من أسفار العهد القديم، وقد أطلق عليه التثنية؛ لأنه ذكرت فيه الشريعة الموسوية مرة ثانية. (حاشية رقم (١) ص٧٤ من كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار). وانظر: ص٢٢٣

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٣-٧٤

فمحمد هو الذي كان يتكلم بما يسمع من وحي الله إليه، قال تعالى في سورة النجم :٣ و٤ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[١].

ومملكة محمد هي مملكة الله في الأرض المسماة في العهد الجديد بملكوت الله، وبملكوت السماوات، وكان المسيح وتلاميذه يبشرون الناس بمجيئها، وأمر عليه السلام أن يطلبوا إتيانها من الله في صلواتهم، انظر متى ٣: ٢ و٤: ١٧ ،٢٣ و٦: ١٠ و١٣: ٣١، ٣٢ و٢٠: ١-١٦ و٢١: ٣٣-٤٤ ولوقا : ١٠: ٩، ١٠

وهذه المملكة التي بدأت صغيرة ثم نمَت وكبُرت حتى ملأت العالم، ولذلك شبهها عليه السلام ب "الزرع الجيد وبالخميرة وبحبة الخردل[٢] التي تصير أكبر البقول، وحتى إن طيور السماء تأتي وتتأوى في أحضانها" وفي طبعة الجزويت :"تستظل في أغصانها" متى ١٣: ٢٤-٣٥ ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾﴾[٣]. شطأه : أي فراخه ، يقال: أشطأه الزرع إذا فرّخ ، فآزره : من المؤازرة وهي المعاونة ، أي : فشد أزره وقواه، فاستوى على سوقه: فاستقام على قصبه، جمع ساق.

وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام والنبي عليه السلام ، قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف به مما يتولد منها، وحتى يعجب

---

(١) سورة النجم:٤

(٢) الخردل: نبات له حب صغير أسود يستعمل في التوابل والطب ،حبة الخردل: المراد به: الخردل البري، وهي من الاوزان الدقيقة، وتساوي حبة الخردل جزءا من ستة أجزاء من حبة الشعير، وعلى هذا فحبة الخردل تساوي:(٠٠١٠٣٣، ٠) غراما. انظر: معجم لغة الفقهاء ص١٩٤

(٣) سورة الفتح:٢٩

الزارع)[1] ثم ذكر الشيخ بشارة حَبَقُّوق[2] وذكر بلاد العرب فيها[3]، ثم ذكر التصريح ببكة[4] ، وبعدها قال الشيخ -تحت عنوان : التصريح باسم محمد-:

(من ذلك ما جاء في الفصل الخامس من النشيد ١٦ حلقة حلاوة: "وكله مشتهيات، هذا حبيبي" هذه ترجمة البروتستانت، وترجمة اليسوعيين[5] : " حلقة أعذب ما يكون، بل هو بجملته، هذا حبيبي".

ولفظ مشتيهات في الأصل العبراني "محمديم" والقواميس العبرانية تقول : إن هذه اللفظة لا تفيد مشتهيات، ولكن تفيد أنه محمود.

ونقول : إن هذه صريحة في نبينا عليه السلام ، وقوله قبلها " حلقة حلاوة "كناية عن فصاحة كلامه، لم يأت نبي بكلام أحلى مما جاء به خاتم الأنبياء، وقوله بعدها : " هذا حبيبي" نص في لقب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه حبيب الله عز وجل .

ومنه : ما جاء في الفصل الثاني من النشيد :" أسمعيني صوتك؛ لأن صوتك لطيف، ووجهك جميل" ، وفي الأصل العبراني: "عرب" بدل "جميل" أي: عربي.

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٤-٧٥

(٢) نبوة حبقوق : هو سفر ضمن أسفار كتب الأنبياء في العهد القديم. وحبقوق: معناها يعانق أو اسم لنبات، وهو نبي في بوذا عام ٥٦٨ ق.م. انظر: الكتاب المقدس ص٤، وقاموس الكتاب المقدس ص٢٠١

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٥-٧٦

(٤) المصدر السابق ٧٦-٧٧

(٥) اليسوعية : يزعم روادها أنها مجرد رهبنة كاثوليكية، ولكن بعض الأبحاث تثبت أنها جماعة رومية كاثوليكية تجمع دهاء وسرية الجماعات السرية الأخرى، وتهدف إلى السيطرة على العالم. انظر: اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، لفيصل الكاملي ص٣٤٩، وانظر: عن البروتستانت ص٤٦١ من هذه الرسالة.

ومنه : ما في الفصل الثاني من نبوة حجّي أو حجاي أو حكاي كما في الأصل العبري :٧ : "وازلزل[1] كل الأمم ويأتي مشتى كل الأمم، فاملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود" وكلمة مشتى هذه أصلها العبراني " حِمَّداتْ" ومعناه : محمود، وهي من الفعل العبراني : "حَمَد".

علمنا من النصوص والبشائر الصريحة في الكتب المقدسة أنها بشرت بالنبي العربي، وذكرته باسمه الكريم، وصرحت باسم بلاده محل ميلاده وهو مكة)[2] .

وذكر الشيخ في موضع آخر أن من دلائل النبوة أيضا توافق ما في الكتب السابقة -مما صح ولم يدخله التحريف- لما في القرآن ، فقال رحمه الله :

(وعامة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء ، توافق المنقول عن محمد ﷺ يشهد هذا لهذا ، وهذا لهذا ، وذلك من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من دلائل نبوة أولئك الأنبياء)[3] .

---

(١) **كذا في الأصل** ، ولعلها : وزلزل .

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٧-٧٨ وانظر منه ص(ج)، والإنجيل والقرآن ص٢٩، ٣٧ ، وتفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٠/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨١

المسألة الثانية :عصمة الأنبياء

معنى عصمة الأنبياء : هو حفظ الله ﷻ ظواهر الأنبياء وبواطنهم عن ما تستقبحه الفطر السليمة قبل النبوة، وحفظهم بعد النبوة عن الكبائر وصغائر الخسة.

والمجالات التي تبحث فيها العصمة :

١- تحمل الرسالة : فهم معصومون في ذلك، قال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾(١). أي : جمعه في صدرك ، وقراءتك له(٢) .

٢- تبليغ الرسالة : وهم معصومون في ذلك أيضا بالإجماع(٣) .

٣- القضاء : فالنبي يحكم بما ظهر له من أقوال المتخاصمين، وقد يكون الحكم الحق في الباطن على خلاف ما حكم كما في حديث : ((إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار)) (٤) .

٤- الأعراض الجبلية البشرية : كالمرض والجوع والنسيان في غير التبليغ، فقد قرر القرآن نسيان موسى في آية : ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾(٥).

٥- كبائر الذنوب : فهم معصومون منها بالإجماع(٦) .

---

(١) سورة القيامة:١٧

(٢) انظر تفسير الجلالين : المحلي والسيوطي، ص٥٨٨

(٣) انظر منهاج السنة ، ابن تيمية ١/٤٧٥ ، والمسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع ص٧٧٧

(٤) سيأتي تخرجه ص٢١٧.

(٥) سورة الكهف:٦١

(٦) انظر الإقناع في مسائل الإجماع ، ابن القطان الفاسي ١/٤١

٦- صغائر الذنوب : أما الصغائر فهم معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها، وصغائر الخسة بالإجماع[١]، أما في غير ذلك فقد تقع منهم الصغيرة ولكن لا يقرون عليها ويوفقهم الله ﷻ للتوبة منها؛ فقد أكل آدم من الشجرة، ووكز موسى القبطي، فقتله.

٧- تأثير الشيطان عليه : وهو معصوم من ذلك بالإجماع أيضا[٢] .

وقد ذكر الشيخ الأدلة التي تقرر بشرية الرسل، وجواز الخطأ عليهم في الباطن عند القضاء بين الخصوم، وعصمتهم في البلاغ، فقال رحمه الله -تحت عنوان: جواز الخطأ على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في آرائهم وحكمه- :

(قال الله تعالى لخاتم رسله : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴿١١٠﴾﴾. [٣] الآية ، وقال ﷺ ((إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر)) رواه مسلم والنسائي[٤] من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، وقال أيضا : ((إنما أنا بشر مثلكم ، وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم : قال الله فلن أكذب على الله)) رواه أحمد وابن ماجه[٥] من حديث طلحة رضي الله عنه بسند صحيح ، وقال أيضا : ((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة

---

(١) انظر الشفا ، القاضي عياض ص٦٦٩

(٢) انظر المصدر السابق ص٦٤٦-٦٤٥

(٣) سورة الكهف: ١١٠

(٤) صحيح مسلم : كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ في معايش الناس على سبيل الرأي ١٨٣٥/٤ (٢٣٦٢)، ولم أجده في عند النسائي –بعد تكرار بحث- لا في المجتبى ولا في السنن الكبرى.

(٥) مسند أحمد ١٨/٣ (١٣٩٩)، وسنن ابن ماجه كتاب الرهون، باب تلقيح النخل ٨٢٥/٢ (٢٤٧٠)

من نار فليأخذها أو يتركها)) رواه الجماعة[١] عن[٢] حديث أم سلمة رضي الله عنها، والجماعة هنا[٣] : الإمامان مالك وأحمد، والشيخان والبخاري ومسلم ، وأصحاب السنن الأربعة ، وموضوع الحديث : الخطأ في الحكم بسبب خلابة[٤] المخطئ من الخصمين وقوة حجته)[٥] .

ثم بنى على النصوص السابقة جواز ما ينبني على بشريتهم عليهم الصلاة والسلام بما لا يخل بمنصبهم، وقرر العصمة لهم بإجمال عن مخالفة أمر الدين، فقال رحمه الله :

(ومن أصول العقائد الإسلامية المأخوذة من النصوص وأمثالها : أن الرسل عليهم السلام بشرٌ يجوز عليهم كل ما يجوز على البشر من الأمور البشرية التي لا تخل بمنصبهم من الصدق والأمانة في تبليغ الرسالة، والعصمة عن مخالفة ما جاءوا به من أمر الدين)[٦]

.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام ٩/٩ (٧١٨٥)، و٨٩/٩ (٧١٨١)، وكتاب المظالم ١٧١/٣ (٢٤٥٨) ، والشهادات ٢٣٥/٣ (٢٦٨٠)، وترك الحيل ٣٢/٩ (٦٩٦٧)، ومسلم في القضاء، باب : الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ١٢٨/٥ (١٧١٣)، وأبو داود في الأقضية، باب: في قضاء القاضي إذا أخطأ (٣٥٨٣) والترمذي في الأحكام، باب ما جاء في التشديد على من يقضى له بشيء ليس له أن يأخذه (١٣٣٩)، والنسائي في القضاء، باب: الحكم بالظاهر ٢٣٣/٨ (٥٤٠١)، وباب: ما يقطع القضاء ٢٤٧/٨ (٥٤٢٢) وابن ماجه في الأحكام باب: قضية الحاكم لا تحل حراما ولا تحرم حلالا (٢٣١٧)، وأحمد ٢٠٣/٦ ، ومالك في الموطأ (٢١٠٣)

(٢) **كذا في الأصل** : "عن" –وليس : من– ويجوز لغةً.

(٣) الاصطلاح الذي ذكره سبقه به المجد أبو البركات ابن تيمية انظر: نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار ٢٤/١.

(٤) هي الخديعة باللسان. مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص١٧٢

(٥) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٤٣-٤٤

(٦) المصدر السابق ص٤٤

ثم نقل الاتفاق على جواز الخطأ في الأمور الاجتهادية، لكن الله ﷻ لا يقرهم عليه مع ذكر الأدلة ، فقال رحمه الله :

(وقد اتفق المسلمون على جواز الخطأ من الرسل عليهم السلام في الرأي والاجتهاد، ولكن الله تعالى لا يقرهم على خطأ في اجتهاد يتعلق بالتشريع كمصالح الأمة، بل يبينه لهم ، كما حصل في اجتهاد نبينا ﷺ في مسألة الأسرى ببدر مع المشاورة إذ رجح رأي الصديق في أخذ الفداء منهم[1] ، فأنزل الله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ

---

(١) روى الإمام أحمد في مسنده: مسند عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه، ٣٨٣/١، ح(٣٦٣٢) عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ قال فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم .قال وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك؛ قربهم فاضرب أعناقهم .قال وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر واديا كثيرَ الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرِم عليهم نارا .قال فقال العباس: قطعت رحمك. قال :فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يردَّ عليهم شيئا قال فقال ناسٌ يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس: يأخذ بقول عمر وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة قال :فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن الله ليلين قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألْيَن من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال ﴿من تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال رب ﴿اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق قال عبد الله :فقلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام قال فسكت. قال فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ حجارة من السماء في ذلك اليوم حتى قال: إلا سهيل بن بيضاء قال فأنزل الله عز وجل ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ إلى قوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾)) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه.

حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴿٦٧﴾﴾.[(١)] وفي اجتهاده صلى الله عليه وسلم لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك[(٢)] ، فأنزل الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴿٤٣﴾﴾.[(٣)] وفي اجتهاده صلوات الله وسلامه عليه في الإعراض عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى الفقير عندما جاءه وهو يكلم كبراء قريش راجيا هدايتهم لئلا ينفروا منه[(٤)] ؛ لكبريائهم فأنزل الله عليه : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾. [(٥)] إلى قوله : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾﴾.[(٦)] ردعا عن مثل هذه السياسة.

---

(١) سورة الأنفال:٦٧

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره ح(١٦٧٦٥) عن عمرو بن ميمون الأودي قال: اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى، فأنزل الله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ، الآية.

(٣) سورة التوبة:٤٣

(٤) روى الترمذي في سننه-كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة عبس، ح(٣٣٣١)- عن عائشة قالت ((أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتومٍ الأعمى، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول: يا رسول الله ! أرشدني -وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين-، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرض عنه ويقبِل على الآخر، ويقول: أترى بما تقول بأسا، فيقال: لا، ففي هذا أنزل)) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في بن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة. وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

(٥) سورة عبس:١

(٦) سورة عبس:١١

وقد كان ﷺ يرجع عن رأيه لرأي أي من أصحابه كما فعل عندما اختار النزول في مكان يوم بدر، فأشاروا عليه بما هو خير منه[١] . وأولى من ذلك رجوعه إلى رأي الأكثرين بعد المشاورة كما فعل يوم أحد[٢] .

وفي أحاديث سجود السهو من الصلاة الرباعية : قام رجل يدعوه النبي ﷺ ذا اليدين فقال: ((يا نبي الله : أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال: لم أنس ولم تقصر قال

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة ٦٢٠/١ عن ابن إسحاق قال: فحُدثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكَه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نُغوِّر ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت، وبنى حوضا على القَليب الذي نزل عليه، فمُلئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية. وقد ضعفه الشيخ الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص٢٣٢

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده: مسند جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه، ٣٥١/٣، ح(١٤٨٢٩) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقرا منحره فأولتُ أن الدرع الحصينة المدينة وأن البقرَ نفر، والله خيٌر قال فقال لأصحابه: لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم فقالوا يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام. قال عفان في حديثه: فقال شأنكم إذا .قال فلبس لأمته قال فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا. فقال: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم.

: بلى قد نسيت ، قال : صدق ذو اليدين فقام فصلى ركعتين)) أخرجه الستة[1] :البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة : الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.

وفي حديث ابن مسعود ((صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا ، فقلنا: يا رسول الله: أزيد في الصلاة؟ قال : وما ذاك قالوا : صليت خمسا ، فقال : إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ، ثم سجد سجدتي السهو)) رواه الستة إلا مالكا[2].)[3] .

ثم قرر خلاصة ما سبق بقوله رحمه الله :

(هذه حاله مع أصحابه في كتاب الله تعالى وفي سنته التي رواها الثقات ، وخلاصتها: العصمة في أمر الدين ، ومن ذلك أن الله تعالى لا يقره على خطأ ، وأنه ينسى كما ينسون، ويذكر كما يذكرون)[4] .

وفي عصمة رسولنا ﷺ في تحمل الوحي : فصَّل كيفية تلقى نبينا ﷺ من جبريل عليه السلام ، فقال رحمه الله :

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له ٤٠٣/١ (٥٧٣)، وأبو داود باب السهو في السجدتين ٢٦٤/١ (١٠٠٨)، والترمذي باب ما جاء في الرجل بسلم في الركعتين من الظهر و العصر ٢٤٧/٢ (٣٩٩)، والنسائي ما يفعل من سلم من ركعتين ناسيا وتكلم ٢٠/٣ (١٢٢٤)، وابن ماجه باب : فيمن سلم من ثنتين أو ثلاث ساهيا ٣٨٣٨/١ (١٢١٤)، أما البخاري فأخرجه في كتاب الصلاة ١٠ /١٢٩ (٤٨٢) لكن أنها إحدى صلاتي العشي

(٢) رواه مسلم كتاب الصلاة ، باب : السهو في الصلاة والسجود له ٤٠٠/١ ح(٥٧٢)، والترمذي ، باب : ما جاء في سجدتي السهو بعد السلام ٢٣٨/٢ ح(٣٩٢)، وأبو داود باب: إذا صلى خمسا ٢٦٨/١ (١٠٢٠)، والنسائي باب : التحري ٢٨/٣ (١٢٤٢)، وابن ماجه باب: السهو في الصلاة ٣٨/١ (١٢٠٣)، ولم أقف عليه في صحيح البخاري.

(٣) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٤٤-٤٥

(٤) المصدر السابق ص٤٥

(وكان جبريل عليه السلام يُلقي على النبي ما يلقي من الآيات، فينطبع في نفسه انطباعا ولا يصيبها فيه اضطراب ولا خطأ ولا نسيان ولا زيادة ولا نقصان ، كما ينتقل الكلام من المتكلم إلى لوحة الحاكي إذا نفخ في صُوَرها بصوت تلقته كاملا غير منقوص، ثم تعيده كما نفخ فيها، قال تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾. [1])[2] .

وفي موضع آخر نقل عن ابن تيمية[3] عصمتهم في التبليغ وتجويز الجمهور عليهم الصغائر، فقال رحمه الله :

(..فإنهم متفقون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة، وطاعتهم واجبة إلا عند الخوارج[4] ، والجمهور يجوزون عليهم الصغائر، وإنهم لا يقرون عليها)[5] .

---

(١) سورة الأعلى:٦

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٣١/١

(٣) في منهاج السنة النبوية ٤٧٢/١

(٤) فالخوارج لا يوجبون اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ويرون وجوب الاتباع للقرآن وحده. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٣/١٩

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣٩ وانظر منه ص١٥٨ ، وانظر أيضا : الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٥

المسألة الثالثة: حكم إثبات الإيمان لأبي طالب، عم النبي -صلى الله عليه وسلم-

الأدلة دلت بشكل ظاهر على عدم إيمان عم النبي عليه الصلاة والسلام أبي طالب عبد مناف، رغم محبته للنبي صلى الله عليه وسلم خلافا للرافضة الذين يرون إيمانه وأنه أخفاه عن قريش لمصلحة الإسلام؛ فإن الأصل أن من كان كافرا لا يحكم له دنيويا بدخول الإسلام إلا بيقين، كما أن المسلم لا يحكم عليه بالخروج من الإسلام إلا بيقين، فعن أبي هريرة قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة **فأبى** فأنزل الله ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[1])) [2] .

لكن الشيخ رحمه الله أثنى[3] على القول بإثبات إيمان عم النبي ﷺ أبي طالب بأنه يسُر كل مسلم موافقا بذلك الثناء الروافض، فقال : (إن القول بإسلام عم النبي أبي طالب يسُر كل مسلم)[4]. !!

---

(١) سورة القصص :٥٦

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة ونسخ جواز الاستغفار للمشركين والدليل على أن من مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل، ح(٢٥)

(٣) انظر: ص٥٤

(٤) انظر: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للإمام النسائي، حققه وصحح إسناده، ووضع فهارسه : محمد هادي الأميني (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦/٨٦٨-٨٧٢ شعبان ١٣٩١هـ.

المبحث الثالث:الإيمان باليوم الآخر، والقدر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول:الإيمان باليوم الآخر

ويتضمن أربع مسائل :

المسألة الأولى:أهمية اليوم الآخر، وأسماؤه، وأوصافه

الإيمان باليوم الآخر يشمل : أشراط الساعة -كونها مقدمة لها-، وعالم البرزخ -لأن الإنسان إذا مات قامت قيامته-، وما يجري من النفخة الأولى إلى دخول الجنة والنار.

وأهمية الإيمان باليوم الآخر يتجلى في كونه :

١- ركن من أركان الإيمان .

٢- وبقرن الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به جَلَّ جَلَالُهُ في مواضع كثيرة، كقول الله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾[١]. وكقوله عَزَّ وَجَلَّ أيضا ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة:٢٣٢

(٢) سورة آل عمران:١١٤

٣- وذكر هذا اليوم العظيم في نصوص الوحيين بأسماء كثيرة كالصاخة والقارعة والحاقة والآزفة والطامة الكبرى، ويوم الحساب ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم الخلود[١] .

٤- وكونه من أصول الشرائع التي دعت إليها الكتب السابقة .

٥- وكفى بأهميته وعظمته كونه اليوم الذي يأتي فيه الله ﷻ لفصل القضاء بين الناس.

وذكر الشيخ من أشراط الساعة خروج المسيح الدجال، وظهور المهدي إقرارا لهما، فقال في الأولى :

(أحاديث الدجال كثيرة ثابتة في الصحيحين وغيرهما بألفاظ مختلفة)[٢]

وقال في الثانية عن موضع من كتاب حلية البشر لجده[٣] :

(وفي ص٨٠٣ مباحث في المهدي المنتظر لم أرَ أبدع ولا أمتع منها؛ فقد ذكر كثيرٌ من العلماء الذين ألفوا رسائل في المهدي وعلاماته ، أن من علامات ظهوره : خروج السودان[٤] ، قال: منهم الجلال السيوطي والعلامة ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة

---

(١) انظر أشراط الساعة ، يوسف الوابل ص٣٧-٣٩ ط٢٥ دار ابن الجوزي عام ١٤٢٨هـ .

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، جمال الدين القاسمي، تحقيق وتعليق : بهجة البيطار ص١٧٠

(٣) ٨٠٣/٢

(٤) ورد حديث بأن السودان تخرج وتطلب العرب وتدركهم في الأردن ويخرج على إثر ذلك الدجال، والحديث الوارد بذلك أخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها ١٠٨٩/٥ بسنده عن حذيفه مرفوعا في حديث طويل الشاهد منه قوله : (إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأرض - أو قال: ببطن الأردن - فبينما هم كذلك إذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق....) وفي إسناده : عبد الصمد بن محمد الهمداني قال عنه الدارقطني : (ليس بالقوي). انظر: لسان الميزان لابن حجر ترجمة رقم : (٤٧٨٨)

السيد محمد بن رسول البَرْزَنْجي[1] في كتابة المسمى: الإشاعة في أشراط الساعة. وقد بحثت هذه الرسائل في المهدي المنتظر وزمانه ومكانه وهديه بحثا وافيا بالموضوع)[2]

وقد تكلم الشيخ على إثبات اليوم الآخر بقوله رحمه الله :

(.. ثم هو ينشئهم النشأة الأخرى فيجازيهم بما كانوا يعملون ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[3]. ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[4].)[5] .

وبالنسبة إلى أهمية اليوم الآخر، فقد قرر اتفاق الشرائع والأنبياء على الدعوة إليها، فقال رحمه الله :

(إن دين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإنهم صلوات الله عليهم وسلامه مهما تباعدت أزمانهم وتعددت لغاتهم فدعوتهم واحدة، وهي : التوحيد الخالص والعمل الصالح **والإيمان باليوم الآخر)**[6] .

وذكر الشيخ من أسماء اليوم الآخر : يوم البعث والنشور ويوم القيامة ويوم العدل، فقال رحمه الله :

---

(١) محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسني البرزنجي: فاضل، له علم بالتفسير والأدب. من فقهاء الشافعية، يتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت له قوة اقتدار على الأجوبة عن المسائل المشكلة في أسرع وقت، توفي عام : ١١٠٣هـ. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل الحسيني ٦٥/٤ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٣

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ١١٥٧/٢

(٣) سورة المؤمنون:١١٥

(٤) سورة القيامة:٣٦

(٥) المصاب العام بوفاة الشيخ الإمام (محمد رشيد رضا)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٧٩/١٥ شعبان ورمضان ١٣٥٦هـ.

(٦) الإنجيل والقرآن ص٤

(أما اليوم الآخر فهو يوم البعث والنشور -يوم القيامة- ويوم العدل)[١]

وفي أوصاف اليوم الآخر : ذكر الشيخ قربها -وبعض الأحداث التي تحصل فيها بإجمال-، فقال رحمه الله :

(وختم الأستاذ الوحيد كتابه[٢] بذكر الساعة وأماراتها، واستهلها بالآية الكريمة ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[٣]. وأتى على ما ورد من علاماتها، يوم تبدل الأرض والسماوات، يوم ينفخ في الصور، ويبعث من في القبور، وبرزوا لله الواحد القهار، ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر، ونفع وضر وإيمان وكفر، ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[٤].)[٥] .

وذكر الشيخ من أوصافها : أنها تأتي بغتة ، فتفجأ الناس مع الدليل على ذلك ، فقال رحمه الله :

(ومعنى إتيان الساعة بغتة : مجيئها فجأة على حين غفلة من غير توقع ولا انتظار، ولا إشعار ولا إنذار، وقد تكرر هذا القول في التنزيل، وجاء في حديث أبي هريرة من الصحيحين[٦] -واللفظ للبخاري- ((ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته[٧] ، فلا يطعمه، وهو يُليط حوضه[٨] ، فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا

---

(١) الفوائد المهمة ، عبد الله الجباوي (تعريف ونقد) بهجة البيطار، ٣٧٨/٤٥ مجلة مجمع اللغة بدمشق صفر ١٣٩٠هـ

(٢) هو الفوائد المهمة وصاحبه هو عبد الله وحيد الجباوي

(٣) سورة القمر:١

(٤) سورة الكهف:٤٩

(٥) الفوائد المهمة، عبد الله الجباوي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجمع اللغة بدمشق ٣٧٩/٤٥ صفر ١٣٩٠هـ.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الفتن، بابٌ ٥٩/٩ (٧١٢١)، ولم أجده في مسلم.

(٧) الناقة ذات اللبن يحلب . انظر: فتح الباري ٣٥٧/١١

(٨) من ألاطه : طلا حجارته بالطين أو غيره كالجص ليمسك الماء ويحفظه. انظر: المصدر السابق.

يطعمها)) والمعنى أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معايشهم المعتادة فلا يشعرون إلا وقد أتتهم، وقد قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾(١).
)(٢)

ثم نقل عن محمد رشيد رضا ما يتعلق بالآية السابقة من حكمة إخفاء الساعة، فقال رحمه الله :

(قال السيد الإمام -في تفسيرها مبينا الحكمة في إبهام أمر الساعة على الناس - : " وفيه إذان بأن ما هو من شأن الرب -أي : وإن كان نبيا- فهو تعالى قد رباه ليكون منذرا ومبشرا، لا للإخبار عن الأمور بأعيانها وأوقاتها، والإنذار إنما يناط بالإعلام بالساعة وأهوالها، والنار وسلاسلها وأغلالها،ولا تتم الفائدة منه إلا بإبهام وقتها؛ ليخشى أهل كل زمن إتيانها، والإعلام بوقت إتيانها وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة)(٣)

ولم يوافق الشيخ ما رآه السيوطي من تحديد عمر الدنيا، فقال رحمه الله :

(ومن أراد استيفاء المباحث على الساعة أو القيامة للأفراد وللأمة أو الدولة والعالم، وما ورد في قرب الساعة، والروايات في عمر الدنيا ونقدها، وتفنيد كلام السيوطي في عمر الدنيا، وتخطئة المحققين له ، وكلام الإمام ابن حزم في جهل من حدده، ثم تحقيق ما ورد في أشراط الساعة وعلاماتها والبحث في رواياتها وعللها وإشكالاتها وتمييز ما صح من غيره ، فليراجع تفسير المنار، فقد أطال السيد الإمام في ذلك كله، فراجعه فإنك لا تظفر في غير تفسيره بمثله ج٩ ص٤٦١-٥٠٧)(٤) .

---

(١) سورة الأعراف:١٨٧

(٢) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٨١/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

المسألة الثانية :استلام الصحف

من الأحداث التي تكون يوم القيامة : تطاير صحف الأعمال التي كتبها الملائكة الكرام الكاتبون على بني آدم من خير أو شر؛ فيأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويفرح به، ويأخذ الكافر كتابه من خلفه أو من وراء ظهره ويتمنى لو لم يأخذه .

وقد بين الشيخ حال المؤمن والكافر عند استلام صحائف الأعمال بقوله رحمه الله :

(فلا تظلم نفس شيئا ، فأما الذين آمنوا عملوا الصالحات فيفتحون كتبهم بأيديهم ويخاطبون الناس بقولهم : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [(١)] ، وأما الذين أشركوا وعملوا السيئات فيقول أحدهم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [(٢)])[(٣)] .

---

(١) سورة الحاقة:١٩-٢٠

(٢) سورة الحاقة:٢٥-٢٦

(٣) الفوائد المهمة ، عبد الله الجباوي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ٣٧٨/٤٥، مجلة مجمع اللغة بدمشق صفر ١٣٩٠هـ.

المسألة الثالثة: الشفاعة

الشفاعة هي : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .

والمراد بالشفاعة هنا الشفاعة التي تكون يوم القيامة .

وقد وردت الشفاعة في النصوص مثبتة ومنفية :

فالمثبة هي التي تحقق شروطها برضى الله ﷻ عن الشافع والمشفوع، وإذنه للشافع أن يشفع[1] .

ويستثنى من ذلك :

١. الشفاعة لنبينا محمد ﷺ لفصل القضاء بين الناس ، فعندها يأتي جميع الناس ومنهم الكفار إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم نبينا ﷺ ليشفع لهم بفصل القضاء، فيقبل الله ﷻ شفاعة نبيه ﷺ .
٢. الشفاعة لعم النبي ﷺ في تخفيف العذاب عنه .

والشفاعة المنفية هي التي تخلف فيها أحد الشروط الثلاثة السابقة .

والشفاعات التي تكون يوم القيامة : إما خاصة بالنبي ﷺ ، أو عامة له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين .

فالخاصة بالنبي ﷺ تكون في فصل القضاء ، ودخول الجنة، وتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

والعامة له ولغيره تكون فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وبرفعة درجات المؤمنين في الجنة [2] .

---

(١) وبهذا الشرط اختلفت الشفاعة عند الله عن شفاعة المخلوقين.

(٢) انظر: العقيدة الواسطية ص١١٩-١٢٠

وقد قرر الشيخ بأن للنبي ﷺ شفاعات خاصة وعامة، وذكر في سياق كلامه بعض شروط الشفاعة المثبتة ، فقال رحمه الله -متحدثا عن كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية- :

(أما دعاؤه وشفاعته في الدنيا فلم ينكره أحد من أهل القبلة، وأما الشفاعة يوم القيامة فمذهب أهل السنة والجماعة -وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان من سائر أئمة المسلمين- أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة ، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر، لا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون به)[1] .

وقرر الشيخ الشفاعة العظمى للنبي ﷺ، فقال رحمه الله :

(وابعثه مقاما تزلف به قربه)[2] .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام ابن تيمية (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٧/٤٦ ذوالقعدة ١٣٩٠هـ

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١

المسألة الرابعة:الجنة والنار

الجنة والنار سبق خلقهما، وهما باقيتان، ونعيم الجنة وعذاب النار حقيقيان[1] واقعان على الروح والجسد جميعا .

وأصناف النعيم في الجنة كثيرة جدا، ولا يعلم كنه حقيقتها إلا الله ﷻ، لكن النصوص دلت على مفارقتها نعيم مسماه في الدنيا.

وأما النار فهي طبقات -كما أن الجنة درجات-،وقودها الناس والحجارة، يعذب فيها الناس حسب أعمالهم.

وقد قرر الشيخ دخول المتقين الجنة، فقال -عند تفسيره لآية : ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ١٥٦﴾. [2] - :

(..وفي الآخرة : دخول الجنة، وقيل: الرضوان)[3] .

وقد أصل الشيخ قاعدة عامة، وهي : أن العذاب والتكريم يقعان على والروح والجسد في الدنيا والآخرة، فقال رحمه الله:

(وهنا تأتي المسألة الدينية أيضا ، وهي أن كثيرا من الناس يهبون ثواب أعمالهم إلى روح من يرون لهم حقا عليهم ، وهم يسألون لهم الغفران والرضوان، مع العلم بأن التكريم

---

(١) وليس بمعنويان على الروح فقط كما يقول الفلاسفة المتأخرون، ورأيهم هذا مبني على إنكار المعاد الجسماني . انظر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلاسفة ، د/ صالح بن غرم الله الغامدي ص٤٥٥

(٢) سورة الأعراف:١٥٦

(٣) كلمات وأحاديث ، بهجة البيطار ص٨١

والعذاب الأليم يقعان على الروح والجسم معا في الدنيا والآخرة، فرب الدارين واحد، وحكمتهما فيهما واحدة..)[1] .

وفي موضع آخر قرر أن حشر الأجساد من المعاني التي يستحق مثلها اتفاق الأديان السماوية، قال رحمه الله -تحت عنوان جانبي: حشر الأجساد- :

(نقل المؤلف[2] ص٥٦ عن مجلة المسرة الكاثوليكية[3] ما نصه " إن قيامة الأجساد عقيدة من عقائد الإيمان، وعلى كل مسيحي أن يؤمن بها" وأيد ذلك بنصوص من إنجيل يوحنا وغيره.

قلت : ومن المعقول أن تتفق الأديان السماوية على حشر الأجساد؛ فإن دين الله واحد في أصوله وإن اختلفت فروعه وتعددت مظاهره، والمشهور بين الناس أن النعيم عند المسيحين روحاني في الآخرة، ومثله العذاب، ولكن النصوص التي نقلها الأستاذ المؤلف عنهم أصح وأوثق)[4].

ثم أكد على أن هذه الأجساد التي تكون في الآخرة ليست هي التي كانت في الدنيا، بل تنشأ نشأة أخرى ، فقال رحمه الله :

(أما الأجسام التي تعرف في وجوه أهلها نضرة النعيم في الآخرة فهي ليست تلك الأجسام الفانية التي كانت لهم في الدنيا أبدا، يوضح ذلك قول الحكيم العليم :﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ (٥) أي: على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خَلقكم وأخلاقكم

---

(١) دعوة المجد -شعر أحمد مظهر العظمة، رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامي-، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٠٧/٢٤ ذو الحجة ١٣٦٨هـ.

(٢) هو عبد القادر المغربي صاحب كتاب الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة

(٣) انظر في تعريف الكاثوليك ص٤٦١

(٤) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٠٥/١٦ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.

(٥) سورة الواقعة: ٦٠-٦١

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾(1). وهذه النشأة الأولى دليل القدرة ، فالذي فطرهم أول مرة هو قادر أن ينشئهم نشأة أخرى أسمى من الأولى، وهذه الآيات في سورة الواقعة صريحة في ذلك)(2)

ثم تكلم الشيخ على عظم نعيم الجنة وتفاوته مع نعيم الدنيا مع دليل ذلك، فقال رحمه الله :

(ثم إن ما أعده الله لعباده الصالحين في الآخرة هو فوق ما يتصور العقل البشري، وبينه وبين ما في الدنيا من التفاوت ومن المباينة والمفاضلة : ما لا يخطر على بال مخلوق . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : ((أعددتُّ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))(3) مصداق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾(4).)(5) .

ثم ضرب الشيخ أمثلة يظهر بها الفرق بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة فقال رحمه الله في الخمر :

---

(1) سورة الواقعة:٦٢

(2) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٠٥/١٦ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.

(3) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ح(٣٠٧٢) وفي كتاب التفسير باب قوله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ ح(٤٥٠١) وح(٤٥٠٢) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ﴿إنه لقول فصل﴾ حق ﴿وما هو بالهزل﴾ باللعب ح(٧٠٥٩) ورواه مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح(٢٨٢٤) وفي ح(٢٨٢٤) وفي ح(٢٨٢٤)

(4) سورة السجدة:١٧

(5) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٠٥/١٦ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.

(وقال سبحانه في شأن خمر الآخرة وأهلها : ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾[١]. أي: وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن ، متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة، وهم حكماء علماء، إذا فخمر الأبرار في الآخرة شراب طهور، ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾[٢]. ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾[٣]. خمر الفجار في الدنيا رجس وإثم، وعربدة وسفه، واغتيال للعقول وأداة للوصول إلى السجون أو القبور، وقد اختلفت هذه عن تلك في مادتها وفي عاقبتها .

ومما نزل في خمر الأبرار أيضا قوله ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ ٢٦﴾[٤]. والرحيق : الشراب الخالص الذي لاغش فيه، كما قال الزجاج[٥] ، ومعناه أن أوانيه قد ختمت بمسك ، أو ختام شربه المسك، والمراد لذاذة المقطع، وذكاء الرائحة وأَرَجُها[٦] مع طيب الطعم، وهذا في مقابل ما يكون من الريح الكريهة والطعم المر البشع، وصعوبة المساغ في الدنيا ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٧]. أي : في ذلك النعيم وما تلاه فليرغب الراغبون إلى الله، وليسبق بعضهم بعضا بالكلم الطيب والعمل الصالح، فأين هذه الخمرة من تلك؟ "وأين الثريا من يد المتناول ")[٨] .

ثم ضرب مثلا آخر في الفرق بين نعيمي الدنيا والآخرة بأزواج الجنة والدنيا ، والتناسل في الدنيا ونفيه في الجنة، فقال رحمه الله :

---

(١) سورة الطور:٢٣

(٢) سورة الصافات:٤٧

(٣) سورة الطور:٢٣

(٤) سورة المطففين:٢٥-٢٦

(٥) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٠: الرحيق : الشراب الذي لا غِش فيه.

(٦) الأَرَج : نفحة الطيب الطيبة، وأَرِج الطيب إذا فاح انظر: العين للخليل ٦/١٧٤، وتهذيب اللغة للأزهري ١١/١٢٦

(٧) سورة المطففين:٢٦

(٨) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٦/٨٠٦ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.

(وقالوا في قوله تعالى : ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾(١). المطهرة : من طهرت من كل قذر حسي وكل أذى ، وطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاءة. وأزواج الدنيا لسن مطهرات، ألا تراهن يَدْمِين ويتركن الصلاة. قلت : ومسألة الدماء شاملة لبنات حواء في هذه الدار. وقال مجاهد وعطاء : أزواج مطهرة من الولد أيضا(٢) . أي : أن الله سبحانه قدَّر التناسل في الدنيا؛ لأنه قدَّر الموت، وأما في الآخرة فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني؛ إذ هو مُنْشَأٌ للبقاء والدوام، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار)(٣)

وقد أرجع الشيخ هذا التفاوت بين نعيمي الجنة والدنيا إلى اختلاف طبيعة الأجسام، فقال رحمه الله في سياق الكلام عن اختلاف النعيمين :

(هذا كله حق لا ريب فيه ، وسره : اختلاف الأجسام الباقية في دار الخلود عن الأجسام الفانية في هذه الدنيا، ففي جامع الترمذي(٤) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يدخل أهل الجنة الجنة جُرْدا مُرْدا(٥) مكَحَّلين أبناءَ ثلاث

---

(١) سورة البقرة:٢٥

(٢) أسند الطبري عن مجاهد في الآية: قال : مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد. وأسند كذلك عن عطاء : قال : من الولد والحيض والغائط والبول . انظر: تفسير الطبري ٤٢٠/١، ٤٢٢

(٣) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٠٦/١٦-٨٠٧ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.

(٤) في باب : ما جاء في سن أهل الجنة ٢٦٣/٤ (٢٥٤٥) وقال : حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسنند ٣١٥/١٣ (٧٩٣٣)

(٥)كلام شراح الحديث في معنى الجرد المرد يدل على أن أهل الجنة يدخلونها لا شَعْر لهم. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري ٣٥٩٠/٩ ، والكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٣٥٦٥/١١

وثلاثين)) فأهل الجنة لا يفنى شبابهم ((ولا تبلى ثيابهم))(١) ، وأما أهل الدنيا فقد وصفهم التنزيل الحكيم بقوله : ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾(٢). ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾(٣). فكم الفرق بين الدارين وحال أهلهما)(٤).

ومع تقرير الشيخ الفرق بين نعيمي الدنيا والآخرة إلا أنه فوض كنه نعيم الجنة إلى الله ﷻ ، وأن ما بينهما من الاشتراك في بعض الوجوه هو الذي فهم به معنى النعيم الأخروي ، فقال رحمه الله :

(أخبرنا سبحانه تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار ، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ، ولم يعرفوا كنهه، وبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه ، و به فهمنا المراد وأحببناه ورغبنا فيه، وبينهما مفاضلة ومباينة لا يقدر قدرها في الدنيا، وهذا من التأويل الذي لا نعلمه نحن ، بل يعلمه الله تعالى.)(٥) .

وفي تقرير أن النعيم في الجنة حقيقي في النصوص لا مجازي قال رحمه الله –تحت عنوان: الحقيقة والمجاز– :

(ذكر القرآن الحكيم أن جنة النعيم التي هي نزل الأبرار حقيقية، فيها غرف مبنية، فقال ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾(٦). فأخبر أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقةٍ؛ لئلا تتوهم النفوس أنها تمثيل، وأن ليس هناك بناء، وإن

---

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ح(٢٥٣٩) قال الشيخ الألباني: حسن. ورواه الدارمي: من كتاب الرقاق باب في بناء الجنة ح(٢٨٢١).

(٢) سورة يس:٦٨

(٣) سورة الروم:٥٤

(٤) المصدر السابق ص٨٠٥ ، وانظر منه ص٨٠٦

(٥) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٠٧/١٦ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.، وانظر منه ص٨٠٥-٨٠٦

(٦) سورة الزمر:٢٠

كان بينها وبين غرف الدنيا وقصورها ومقاصيرها[1] من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وهكذا سائر ما أعد في الجنة وإن اختلف عما في الدنيا بالكنه والحقيقة عما في الدنيا، ويوشك أن يكون القول بالتمثيل قولا بالتخييل لا حظ للحقيقة منه ولا نصيب، فتكون الحقيقة الوجودية المحسوسة الملموسة أمورا عدمية، وتكون الأنهار الأربعة مثلاً سراباً خادعاً، وتكون نساء الجنة أيضا من المتع النفسية لا الحسية)[2]

وقد ذكر الشيخ أن للمؤمن زوجتان من الحور العين ، ففي سياق رده على جميل صدقي الزهاوي[3] في نظمه :

أمـــا الجـــنـــان فـــإنهـــا	مـــقصـــودة المـــتـــبِّـــتـــل
مـــا شـــئـــت مـــن حُـــور[4] وَوِلْ	دانٍ وطـــيـــبـــة مـــأكـــل

، قال رحمه الله:

(فالذي في الصحيحين[5] -في أول زمرة تلج الجنة- لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين ، فأين قوله "ما شئت من حور " مما ثبت في الصحيحين من النص على اثنتين)[6] .

---

(١) أي : نواحيها . انظر: المخصص لابن سيده ٣٠٧/٣

(٢) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨١٠/١٦ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ.

(٣) هو جميل صدقي بن محمد فيضي بابان الزهاوي، ولد في العراق، شاعر ينحو منحى الفلاسفة، كان والده مفتيا للعراق، وبيت المترجم بيت وجاهة وعلم فيها، كان أستاذا للفلسفة الإسلامية في المدرسة الملكية في الإستانة، وكان أيضا نائبا في مجلس النواب العثماني، توفي عام ١٢٥٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٣٧/٢-١٣٨

(٤) في الأصل : جور .

(٥) البخاري باب ماجاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١١٩/٤ (٣٢٥٤)، ومسلم باب أول زمرة تدهل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وسفاتهم وأزواجهم ٢١٧٨/٤ (٢٨٣٤)

(٦) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي ، نقد وتقريظ : بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٠٦/١٦-٨٠٧ ذو الحجة عام ١٣٦٩هـ. وانظر منه ص٨٠٧

وفي رؤية الله ﷻ في الجنة أورد الشيخ[1] قول ابن قيم الجوزية رحمه الله :

ولله أبصـــار تـــرى الله جـــهـــرة فلا الضَّـــيم يغشـــاها ولا هي تَسْـــأم

وعند قول جده لأمه عبد الرزاق البيطار -قبل رجوعه عن التصوف- :"فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور" ، قال الشيخ معلقا :

(وهذا إنما يكون في الآخرة ، قال تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [2])[3] .

أما النار فقد قرر الشيخ أن وقودها الناس ، فقال رحمه الله:

(..فعلى رجال العلم والأخلاق أن يبينوا للناس أن أهل الخزي في الدنيا أهل الخزي في الآخرة، وأن نار الآخرة وقودها جثث وهام[4])[5] .

ومن أنواع الخزي على الكافرين ذكر الشيخ فضحهم بإنطاق الله ﷻ أيديهم والختم على أفواههم، فقال رحمه الله:

(أليس هو القادر على أن يختم على فم الإنسان وينطق جسمه الصامت كما أخبر بعدة آيات منها قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾[6].)[7] .

---

(١) ابن قيم الجوزية (أصله حديث إذاعي)، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ٢٠٥/٣٣ ربيع أول ١٣٨٦هـ .

(٢) سورة القيامة:٢٢-٢٣

(٣) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار (٨٨٠/٢)

(٤) الهام جمع هامَة، وهي في هذا السياق بمعنى: الرأس، ويحتمل بمعنى: رؤساء الكفار. انظر: الصحاح للجوهري ٢٠٦٣/٥، ومختار الصحاح لابن أبي بكر الحنفي الرازي ص٣٣٠

(٥) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٨١

(٦) سورة يس:٦٥

(٧) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٣

المطلب الثاني:الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر أحد ركان الإيمان الستة.

والمراد من الإيمان بالقدر هو الإيمان بمراتب القدر -التي دل عليها استقراء النصوص- من الإيمان بعلم الله ﷻ الشامل، وكتابته سبحانه لها في اللوح المحفوظ ، ومشيئته لها ، وخلقه لها على وفق العلم السابق.

فالمرتبة الأولى تتضمن الإيمان بأن الله تعالى قد أحاط علمه بكل شيء، يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

والمرتبة الثانية تتضمن بأن العلم السابق الشامل لما سيقع من المخلوقات مكتوب كتابة لا تتغير في اللوح المحفوظ : كتب بالقلم بعد خلق العرش وقبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

والمرتبة الثالثة تتضمن أن كل ما يقع لا يخرج عن مشيئة الله ﷻ وإرادته ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ودل استقراء النصوص أن الإرادة إرادتان : إرادة بمعنى المشيئة الكونية ، وإرادة بمعنى ما يحبه وشرعه لعباده.

وهو سبحانه قادر على كل شيء من المعدومات والموجودات.

أما **المرتبة الرابعة** : مرتبة الخلق، فما من شيء مخلوق إلا والله ﷻ خالقه، وهو ﷻ خالق أفعال العباد وإرادتهم وقدرتهم، وأثبت لهم تعالى قدرة لأفعالهم تؤثر في المقدور تأثيرا حقيقيا ، لكن لا يخرج كل ذلك عن مشيئته سبحانه وتعالى، فالأفعال التي تصدر من العباد مخلوقة مفعولة له سبحانه، وهي أفعال للعباد لا تنسب إلى الله إلا على سبيل الإيجاد والخلق، والشر في تلك الأفعال لا ينسب إلى الله تعالى ، بالنظر إلى فعله سبحانه ، فكل أفعاله خير وحكمة ، أما بالنظر إلى المخلوق فهي شر بالنسبة إليه.

والهداية في القرآن على قسمين هداية توفيق لا يملكها إلا الله ﷻ، وهداية إرشاد للنبي ﷺ والوارثين له .

والاحتجاج على المعاصي والمعايب بالقدر نتاج لوثة إبليسية جبرية لا تجوز، أما الاحتجاج بأثر تلك المعصية بعد التوبة منها فأجازها أهل السنة والجماعة.

والفرق بين القضاء والقدر على الراجح أن القدر هو التقدير المسبق للفصل، وأن القضاء هو الفصل والحكم والخلق لما تم تقديره مسبقا[١] .

ولأهمية الإيمان بالقدر قرر الشيخ أنه أحد أركان الإيمان الستة ، فقال رحمه الله عن الإيمان بالقدر :

(لأنه أحد أركان الإيمان الستة)[٢] .

وذكر الشيخ المراد من الإيمان بالقضاء والقدر بقوله رحمه الله:

(وأما الإيمان بالقضاء والقدر، فإيمان بإحاطة علمه تعالى الأزلي الأبدي بكل معلوم من الأمور والحوادث، ووقوعها طبقا لما في علم الحكيم العليم)[٣] .

لكن هذا تعريف بما يشمل مرتبتي العلم والخلق فقط .

وقد ذكر الشيخ الفرق بين القضاء والقدر عن صاحب[٤] كتاب مستقبلك بين يديك متى عرفت ربك، فقال رحمه الله :

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية ص٢٩-٤٩ ومصطلحات ترد في كتب العقائد ، د/محمد إبراهيم الحمد ص١٧٥-١٧٦

(٢) كتاب القضاء والقدر ، عبد الغني حمادة (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة بدمشق ٨٦٦/٤٨ رجب ١٣٨٨هـ.

(٣) الفوائد المهمة ، عبد الله الجباوي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧٨/٤٥ صفر ١٣٩٠هـ.

(٤) هو عبدالحميد الخطيب نزيل دمشق.

(وقد فسر "القضاء" بفعل الله بعباده كالخلق والتكوين والحياة والموت، والتذكير والتأنيث، وقد استأثر الله بالعلم بهذا القسم .

و"القدر" وهو أحكام معلقة بشرط أو شروط لا تنفذ إلا بتوافرها، وهي تتعلق بالأنظمة الكونية، والسُّنن المطردة والقواعد الكلية كالعمل لطلب الرزق، ونيل السعادة في الدنيا والآخرة، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞﴾ [(١)] وسرد كثيرا من آيات الجزاء على العمل ، فصار القدر عبارة عن سعي وعمل ، **لا ما قدر عليه في الأزل**)[(٢)]

وهذا الفرق الذي ذكره بين القضاء والقدر لم أقف على سالف له، فالأقوال في المسألة: الأول : أن القدر بمعنى التقدير المسبق، والقضاء : وقوعه بناء على التقدير المسبق، الثاني : عكسه ، والثالث : لا فرق بينهما، وقريب مما سبق قول – لا يخرج عن الأقوال السابقة–بأنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا[(٣)].

أما مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

ففي مرتبة العلم سبق ذكرها في كلام الشيخ عندما ذكر المراد من الإيمان بالقدر بقوله: (وأما الإيمان بالقضاء والقدر، فإيمان بإحاطة علمه تعالى الأزلي الأبدي بكل معلوم من الأمور والحوادث، ووقوعها طبقا لما في علم الحكيم العليم)[(٤)] .

---

(١) سورة الزلزلة:٧–٨

(٢) كتاب مستقبلك بين يديك متى عرفت ربك، عبدالحميد الخطيب (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٥٥/٣١ جمادى أولى ١٣٧٥هـ.

(٣) انظر مصطلحات ترد في كتب العقائد ، د/محمد إبراهيم الحمد ص١٧٥–١٧٦

(٤) الفوائد المهمة ، عبد الله الجباوي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧٨/٤٥ صفر ١٣٩٠هـ.

وأما مرتبة الكتابة : فقد ذكر الشيخ عن ابن تيمية[1] أن تقدير مقادير الخلائق كان بعد وجود العرش وقبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة مع دليل ذلك ، فقال رحمه الله :

(و[2]في صحيح مسلم[3]، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) وهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[4] .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾. [5] نقل عن ابن جرير[6] أن المراد بالذكر هو اللوح المحفوظ ، فقال رحمه الله:

(وقد نقل ابن جرير شيخ أهل التفسير ،عن بعض الأئمة : أن المراد بالزبور كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم ، وعنى بالذكر أم الكتاب التي عنده في السماء، واختار هو هذا القول ، ونقل أن الأرض أرض الأمم ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم)[7]

وأما مرتبة المشيئة والإرادة والقدرة : فقد أثبت الشيخ الإرادة الأزلية عن الله عز وجل بقوله رحمه الله معنونا :

---

(١) في الرسالة العرشية ص٨

(٢) **في الرسالة العرشية** ص٨ : (وثبت في صحيح مسلم)

(٣) كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/٢٤٤ (٢٦٥٣)

(٤) الكوثري وتعديه على التراث ، بهجة البيطار ص٢١

(٥) سورة الأنبياء:١٠٥

(٦) في جامع التأويل ١٦/٤٣١

(٧) كلمات وأحاديث ص٦٣

(إثبات الإرادة الأزلية والعلة الفاعلية[1] والغائية[2])[3].

وقد ذكر الشيخ من أدلة هذه المرتبة حديث أبي هريرة ، فقال رحمه الله:

(وقد ذكر القضاء والقدر في آي الذكر الحكيم ... وفي الحديث الصحيح[4] : استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[5]

وفي سياق نقده لكتاب الهداية والضلال للصاحب بن عباد المعتزلي : قرر أن استقصاء النصوص يقضي بتقسيم الهداية والإرادة إلى قسمين ، فقال رحمه الله:

(ولكنه لم يستقص آيات الهداية والضلالة ولا المشيئة والإرادة الواردة في القرآن كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[6]. ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[7]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[8]. ولا شك أن الهداية في القرآن نوعان

(١) العلة الفاعلية : هي السبب الذي يكون موجدا للشيء مؤثرا فيه. انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٣٢

(٢) العلة الغائية : هي الغاية والحكمة من وجود الشيء، وما وجد الشيء لأجله. انظر : التعريفات للجرجاني ص٢٣٢

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١١٤

(٤) رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٢٥٢/٤ (٢٦٦٤)

(٥) كتاب القضاء والقدر ، عبد الغني حمادة (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة بدمشق ٨٦٦/٤٨ رجب ١٣٨٨هـ.

(٦) سورة السجدة:١٣

(٧) سورة الأنعام:١٤٩

(٨) سورة الأنعام:١١٢

... ومثلها المشيئة الأزلية أو القدرية ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[1]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[2].)[3]

وفي معنى الإرادة بمعنى المحبة نقل عن ابن تيمية محبة ورضى الله تعالى عن الطاعة وكرهه عز وجل للمعصية فقال رحمه الله:

(وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ونهى عن المعصية وكرهها)[4]

وفي قدرة الله عز وجل على كل شيء ، لخص عن شيخ الإسلام[5] أن الظلم مقدور لله جل جلاله لكنه منزه عنه، فقال رحمه الله:

(الظلم مقدور لله منزه عنه كتعذيب الإنسان بذنب غيره، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[6].)[7].

أما في مرتبة الخلق فقد قرر الشيخ أن ما يخلقه الله تعالى تابع لأفعاله الاختيارية، فقال رحمه الله:

(حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابع لأفعاله الاختيارية)[8].

ومن أدلة هذه المرتبة قال الشيخ رحمه الله:

---

(١) سورة السجدة:١٣

(٢) سورة الأنعام:١١٢

(٣) الهداية والضلالة ، الصاحب بن عباد (تعريف وتقد)، بهجة البيطار مجمع اللغة مدمشق ٣٠/٦٤٣-٦٤٣ جمادى أولى ١٣٧٤هـ.

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٩

(٥) في منهاج السنة النبوية ٣٠٩/٢

(٦) سورة طه:١١٢

(٧) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣٨ وانظر منه ص٤٣

(٨) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١١٥

(وقد ذكر القضاء والقدر في آي الذكر الحكيم في سورة البقرة : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. أي : إذا أراد إيجاد إمر فإنما يأمره أن يكون موجودا فيكون، وفي آل عمران : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].)[3] .

وفي خلق أفعال العباد نقل الشيخ عن ابن تيمية خلاصة مذهب أهل السنة المحضة في ذلك ، فقال رحمه الله:

(والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ونهى عن المعصية وكرهها، والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله)[4] .

وقد ذكر الشيخ ما دل عليه استقراء النصوص من نوعي الهداية ، والفرق بينهما ودليلهما ، وحكمته جل جلاله بهداية التوفيق، فقال رحمه الله:

(هذا وإن من اهتدى بهدي القرآن : وجد آيات الهداية والولاية والضلال والإضلال قد بلغت المئات في السور والآيات إثباتا ونفيا وماضيا وحاضرا ومستقبلا، ومنها ما يملكه المؤمن لأنه من كسبه وعمله، ومنها ما لا يملكه، بل هو هداية من ربه، وقد خاطب الله نبيه ﷺ بنوعي هذه الهداية؛ ليكون كل مكلف على بصيرة من دينه،ويهتدي بهدي كتابه ونبيه، قال الله تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.[5] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾.[6].

---

(١) سورة البقرة:١١٧

(٢) سورة آل عمران:٤٧

(٣) كتاب القضاء والقدر ، عبد الغني حمادة (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة بدمشق ٨٦٦/٤٣ رجب ١٣٨٨هـ.

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٩ وانظر منه ص١٣٨

(٥) سورة الأنعام:٣٥

(٦) سورة يونس:٩٩

فهذه الآيات الحكيمة مردها إلى سنن الله تعالى في خلقه، وهي أن يكون منهم المهتدون والضالون، لتفاوت عقولهم وعلومهم، واستعدادهم واجتهادهم ، ومشيئتهم وإرادتهم، ومشيئة الحكيم العليم فيهم، وإحاطته بهم، وقدرته عليهم.

وقد قسم الله سبحانه وتعالى آيات الهدى والضلال إلى ما هو أزلي لا علم لنا به، ولا اطلاع لنا عليه، وإلى ما هو كسبي عائد إلى مشيئة الإنسان واختياره وإرادته وقدرته، قال الله تعالى خطابا لنبيه : ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.(١) وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.(٢) فالهداية الأولى لا يملكها إلا علام الغيوب؛ إذ هو العليم بخفيات القلوب، ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾.(٣) ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾(٤). وأنت يا رسول الله لا تملك هذه الهداية الربانية لتهدي من أحببت من الناس، وتدخلهم في حظيرة الإيمان وتشرح صدورهم للإسلام، ذلك ليس إليك، إنما عليك البلاغ وهو أعلم بمن عنده هذا الاستعداد لهذا التوفيق الإلهي، فيهديه ويوفقه، فالهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب العباد واستعدادهم للهدى والرشاد، أوالضلال والإلحاد، ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾. (٥) وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة؛ إذ هو أعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ ﴾.(٦) بأن يجعل إيمانهم ضروريا لهم كملائكة الرحمن أو يخلقهم على استعداد واحد لقبول الحق والخير، لا متفاوتي الاستعداد مختلفي الاختيار باختلاف العلوم والأفكار، والأخلاق والعادات ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.(٧) إذ عرفت سننه في خلق الإنسان، وأنه لا تبديل لخلق الله، فلا

---

(١) سورة القصص:٥٦

(٢) سورة الشورى:٥٢

(٣) سورة طه:٧

(٤) سورة غافر:١٩

(٥) سورة البقرة:٢٧٢

(٦) سورة الأنعام:٣٥

(٧) سورة الأنعام:٣٥

تكونن بالحرص على إسلامهم والميل إلى الإتيان بمقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى في خلقه)[1]

ثم تكلم الشيخ على هداية الإرشاد بقوله :

(وأما الهداية الثانية في قوله تعالى خطابا لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[2] فهي هداية النبوة، هداية التبصرة والتذكير والتخويف والتحذير، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.[3] أي: إنك لتهدي بذلك النور من تشاء هدايته إلى الحق القويم، والصراط المستقيم ، صراط الله الذي شرعه مالكُ السماوات والأرض والمتصرف فيهما، والحاكم الذي لا معقب لحكمه، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.[4] ، فيضع كلا منها في موضعه الذي يستحقه من نعيم أو حجيم، وفي هذا وعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم، ووعيد للظالمين.[5]

ثم لخص ما سبق فقال رحمه الله:

(فعلم مما تقدم من النصوص القطعية أن الهداية القلبية بيد مالكها وهو الله وحده، وأن الهداية الشرعية هي التي خولها المولى لرسوله عليه وآله الصلاة والسلام)[6].

وقد عبر عن نوعي الهداية بالهدايتين الإلهية والكسبية، فقال رحمه الله -في الفهرس-:

---

(١) الإسلام والصحابة الكرام، بهجة البيطار ص٤٧-٤٨

(٢) سورة الشورى:٥٢

(٣) سورة الرعد:٧

(٤) سورة الشورى:٥٣

(٥) المصدر السابق .

(٦) الإسلام والصحابة الكرام، بهجة البيطار ص٤٩، وانظر منه ص٥١-٥٢، وانظر أيضا الهداية والضلالة ، الصاحب بن عباد (تعريف وتقد)، بهجة البيطار مجمع اللغة مدمشق ٣٠/٦٤٢-٦٤٣ جمادى أولى ١٣٧٤هـ.

(عود على معنى الهداية الإلهية والكسبية)[1].

وفي مسألة الاحتجاج بالقدر على المعاصي لخص الشيخ كلام ابن تيمية[2] بأن العقل يدل على فساده وأنه باطل باتفاق الملل، فقال رحمه الله :

(ويقولون : الاحتجاج بالقدر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل، فإن الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدر أيضا ، فالاحتجاج على فعل المعاصي بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء، وإنما يحتج به من اتبع هواه كما قيل: أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري، أي: مذهب وافق هواك تمذهبت به، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحد أحدا، ولا أن يعاقب أحد أحدا)[3] .

---

(١) الإسلام والصحابة الكرام، بهجة البيطار ص٦٨، وانظر : مستقبلك بين يديك متى عرفت ربك لعبد الحميد الخطيب -تعريف ونقد-، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٥٥/٣١، جمادى الأولى ١٣٧٥هـ.

(٢) منهاج السنة٢٣/٣

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣٨-١٣٩

الفصل الثالث
جهوده في تقرير بقية مباحث العقيدة

ويتضمن سبعة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان.

المبحث الثاني : الصحابة.

المبحث الثالث : الإمامة .

المبحث الرابع : أهل الذمة .

المبحث الخامس : نواقض الإيمان .

المبحث السادس : الأسماء والأحكام .

المبحث السابع : الولاية الإلهية، والكرامة.

المبحث الأول:الإيمان .

الإيمان : اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويقبل التبعيض .

واستقراء النصوص دل على أن الأعمال التي تدخل تحت مسمى الإيمان درجات:

فمنها ما يكون تركه يخرج من الملة، ويناقض أصل الإيمان، كترك الصلاة كليةً.

ومنها ما يكون تركه يخل بالإيمان الواجب، كترك صلة الوالدين.

ومنها ما يخل بالإيمان المستحب، كترك صلاة الضحى [١] .

وقد قرر الشيخ أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص، فقال رحمه الله -نقلا عن شيخ الإسلام في مناظرته[٢]-:

(.. وأن الإيمان والدين، قول وعمل ، ويزيد وينقص)[٣] .

وفي موضع آخر قرر أن من الأعمال ما يكون من كمال الإيمان الواجب، وأن ترك بعض الأعمال يخل بكمال الإيمان الواجب، وترك بعضها يقابل الكفر، فقال رحمه الله:

(قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحبك إلا مؤمن))[٤] ، معناه : مؤمن إيمانا كاملا، فإن الإيمان يزيد وينقص، وليس المقصود بالإيمان هنا ما يقابل الكفر ، وإلا لاستلزم ذلك تكفير من

---

(١) التكفير وضوابطه ، لإبراهيم الرحيلي ص٢١-٣١، ٢٢٥-٢٤٩

(٢) عام ٧٠٥هـ ، انظر مجموع الفتاوى ٣/١٦١-١٦٢

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠

(٤) رواه الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٣٧٣٦) قال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه باب علامة الإيمان ح(٥٠١٨) قال الشيخ الألباني: صحيح، ورواه مسلم بلفظ: "لا يحبني إلا مؤمن" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق ١/٨٦ (٨٦)

أتى بالشهادتين وامتثل الأوامر، واجتنب النواهي إذا لم يكن محبا لعلي -كرم الله وجهه[1] - ، وهذا اللازم باطل ، فالملزوم مثله كما هو ظاهر....فعُلم أن المحبة من المتممات لا من الأساسيات)[2] .

---

(١) **تخصيص علي -رضي الله عنه- بكرم الله وجهه وإن قال بجوازها بعض العلماء، ودرج عليه جمع من علماء أهل السنة في سياق الأحاديث إلا أنها أضحت شعارا للروافض. انظر: معجم المناهي اللفظية، لبكر أبو زيد ص٤٥٤**

(٢) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٠١-١٠٢

المبحث الثاني:الصحابة

الصحبة للنبي ﷺ تثبت بلقائه على الإيمان في عالم الشهادة، والموت على الإسلام ولو تخللت ردة[1].

ولا يشترط لها -لا لغة ولا شرعا-الغزو أو طول الصحبة ونحوها.

نعم، يكون لذلك أثر في تفاضل الصحابة، لا في إطلاق مسمى الصحبة.

ومن حقوق الصحابة على الأمة : محبتهم، والدعاء لهم بالمغفرة، واعتقاد فضلهم وعدالتهم، ونشر محاسنهم، والشهادة لهم بالجنة على العموم والخصوص، والإمساك عما شجر بينهم، وبغض من يبغضهم، وصد الاعتداء عليهم، والاقتداء بهم[2] .

وهذه الحقوق التفصيلية ترجع إلى اعتقاد فضلهم وإمامتهم.

ولما كان "موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق -رضي الله عنهم-"[3] ، فإن الشيخ قرر أن أهل السنة يصفون حالهم -في الفتن التي حصلت بينهم- بما يليق بمكانتهم، فقال رحمه الله:

(١) انظر اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ناصر علي آل الشيخ ١٢١٧/٣

(٢) انظر حقوق الصحابة على الأمة، صالح سندي ص٤-٤٧

(٣) اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ناصر علي آل الشيخ ٧٢٧/٢

(وفي "نهج البلاغة"[1] أيضا قال[2] -وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم في صفين- : "إني لأكره أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر"[3]

قلت : ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقُصُّون ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ويصفون أعمالهم، ويذكرون حالهم، لكنهم يؤولون التشاجر بينهم تأدبا معهم واحتراما لصحبتهم، وحفظا لكرامتهم، ولحسن بلائهم في نشر الدعوة الإسلامية. على أنه قد انقضت عصور الأمويين والعباسيين، وأصحاب الجمل والنهراوان[4] وصفين، وحسابنا وحسابهم على رب العالمين)[5] .

أما في إمامة الخلفاء الراشدين فقد قرر الشيخ خلافتهم على ترتيب أهل السنة مع كيفية انعقاد ولايتهم وإنجازاتهم ، فقال رحمه الله:

(لقد تمت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من غير قتال ولا جدال، وبايعه من بعدُ المهاجرون والأنصار، ولم يسع عليا بعد وفاة فاطمة عليهما السلام[6] إلا أن يدخل فيما دخل فيه المؤمنون، فبايعه وصلى خلفه، وخطب فأعلى شأنه، وخطب أبو

---

(١) ص٣٢٣

(٢) أي : علي رضي الله عنه.

(٣) لم أجده مسندا في المصادر رغم تكرار البحث.

(٤) النهراوان : مدينة صغيرة تقع على أربعة فراسخ من بغداد، حصلت عندها الوقعة المعروفة بين علي رضي الله عنه وبين الخوارج، وهي حاليا قرية تقع على جنوب مدينة بعقوبة ضمن محافظة ديالي، وتبعد عنها حوالي ثمانين كيلا. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري ٥٨٢/١

(٥) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص١٣٢

(٦) تخصيص **الصلاة والسلام بعلي وفاطمة –وغيرهما من أهل البيت– دون بقية الصحابة : أصبح شعارا للروافض.**

بكر فقال -بعد أن حمد الله وأثنى عليه- : "أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فأعينوني، وإن صدَفْت[1] فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة"[2]

ولما مرض الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالناس[3] ، فكان ذلك أعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده)[4] .

ثم تكلم الشيخ على خلافة عمر وكيفيتها وإنجازاتها، فقال رحمه الله:

(واستخلف أبو بكر عمر وقال: ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فإني والله ما أَلَوْت من جهد الرأي، فقالوا: سمعنا وأطعنا.[5]

---

(١) الصُّدوف: هو الميل عن الشيء ، والمراد : إذا مِلت عن الحق فقوموني. انظر: العين للخليل ١٠٢/٧، وجمهرة اللغة لابن دريد ٦٥٥/٢

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، باب: لا طاعة في معصية (٢٠٧٠٢)، وابن هشام في السيرة ٦٦١/٢ وصحح إسناده ابن كثير في البداية والنهاية ٨٩/٨

(٣) روى البخاري في صحيحه: كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح(٦٤٦) وباب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح(٦٥٠) عن أبي موسى قال ((مرض النبي صلى الله عليه وسلم؛ فاشتد مرضه، فقال :(مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس) قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطيع أن يصلي بالناس. قال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فعادت فقال:(مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف) فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم)) وأخرجه كذلك مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس وأن من صلى خلف إمام جالس؛ لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه، ونسخُ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام، ح(٤١٨)

(٤) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص٤٩-٥٠، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٣٥-١٣٦

(٥) رواه الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٤٢٨/٣

وهو الذي ابتدأ تجريد الجيوش على الدولتين العظيمتين فارس والروم حتى يكون عدل الإسلام ومساواته عاميين لجميع الأمم الذين رُزِئوا[1] بملوك يعدون أنفسهم آلهة، ويعدون رعيتهم عبيدا، ويسيرون وراء لذاتهم وشهواتهم مهما عاد من ضررها على الرعية، ففازت جيوشه بالنصر في جميع مواقعهم، ثم قتله غلام مجوسي اسمه أبو لؤلؤة[2] ، ومضى شهيدا في سبيل الإسلام)[3] .

ثم تحدث الشيخ عن تولية عثمان الخلافة وكيفيتها، فقال رحمه الله:

(ولما أصيب المسلون بقتل عمر كانت أغلبية الشورى لعثمان، فقام بأمر الخلافة خير قيام، وقُتل ظلما رضي الله عنه، وظل المسلمون حيارى بعد قتل الإمام المظلوم)[4] .

ثم تكلم عن خلافة علي وكيفيتها ، فقال رحمه الله :

(ولم يكن لهم من يصلح للخلافة بعد عثمان إلا عليا بنَ أبي طالب، فقال لهم : التمسوا غيري، فناشدوه الله والدين، فقال: قد أجبتكم، ثم قام الناس فبايعوه[5] ، وتخلف

---

(١) الرِّزْء : هي المصيبة ، أي : حلت بهم مصيبة بسبب ملوكهم الذين يجعلون أنفسهم آلهة. انظر: العين للخليل ٣٨٢/٧، ولسان العرب لابن منظور ٨٥/١

(٢) اسمه : فيروز الديلمي، واختلف هل كان مجوسيا أو نصرانيا، وإن كان المشهور هو الأول، وكان غلام المغيرة بن شعبة، وقد قتل الفاروق رضي الله عنه، غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح. انظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٧٢/٢٤ والأعلام للزركلي ٤٥/٥

(٣) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص٥٠ ، وانظر : أبو بكر الصديق، عبد الغني حمادة (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٨٦٨/٤٣ رجب ١٣٨٨هـ.

(٤) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص٥٠

(٥) أخرج الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٥٧٣/٢ (٩٦٩) عن محمد ابن الحنفية قال: ((كنت مع علي، وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام علي، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفا عليه، فقال: خلِّ لا أمَّ لك، قال: فأتى عليٌّ الدار، وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها، وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم

عن بيعته جمع من أكابر الصحابة في المدينة، وسمى ابن خلدون في مقدمته[1] كثيرا منهم)[2] .

وأما الترضي عن الصحابة ، فقد قرر الشيخ أن الترضي عنهم بنص القرآن، فقال رحمه الله:

(والكلام في أبي بكر وعمر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن.

وهذ هي الآية الكريمة من سورة التوبة : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾. [3] ، أفليست صريحة في معناها، فلم لا نعمل بمقتضاها، وهو: الترضي عمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات وذلك الفوز العظيم؟!)[4] .

وأما بيعة الرضوان فقد قرر الشيخ هذه البيعة وأثرها ودليلها، وما تضمنته من المعاني، وسبب رضا الله عز وجل عنهم فيها، فقال رحمه الله:

أحدا أحق بها منك، فقال لهم علي: " لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله ما نعلم أحدا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس)). وصحح إسناده الدكتور /أكرم ضياء العمري في كتابه : الخلافة الراشدة ص ٥٨

(١) سمَّى ابن خلدون مجموعة من الصحابة، نصَّ على أنهم تأخروا عن بيعة علي رضي الله عنه -وليس تخلفوا-، وذلك في مقدمة تاريخه ٢/٦٠٣

(٢)الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص٥٠

(٣) سورة التوبة:١٠

(٤) الإسلام والصحابة الكرام، بهجة البيطار ص٨، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص١

(وأما بيعة الرضوان فهي بيعة مشهورة ، كتب عنها علماء التفسير[1] وكتاب السيرة[2] ، وكثير من المؤرخين ، وقد كان لها أثر عظيم في سياسة المسلمين العامة، وهذه آيتها من سورة الفتح : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.[3]

والمعنى كما يقول المفسرون ومدونو السيرة النبوية : لقد رضي الله عن المؤمنين الراسخين في الإيمان، الكاملين في الإخلاص، لقد رضي عنهم جميعا –إلا الجد بن قيس[4] ، فقد كان منافقا، ولم يبايع– ولأجل هذا الرضى سميت هذه البيعة ببيعة الرضوان.

﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ علم الله تعالى ما استقر في قلوبهم من الإيمان والصدق والإخلاص والوفاء، والسمع والطاعة في مبايعته، ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر[5] ، وقد كانت غنية بالزروع والثمار، وكان سكانها على جانب من

---

(١) انظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي ١٣٩/٤ ، وزاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ١٣٢/٤ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ١٢٩/٥

(٢) انظر : المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، أبو عبد الله الواقدي ٦٢١/٢ ، وتثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني ، أبو الحسين المعتزلي ٤٦٥/٢، الدرر في اختصار المغازي والسير، للحافظ يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ١٩٦/١

(٣) سورة الفتح:١٨

(٤) هو جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاريّ، أبو عبد اللَّه، قال ابن عبد البر: وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده، وجعل مكانه في النقابة عمرو بن الجموح.. قيل: إنه تاب، وحسنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه.ا.هـ انظر: أسد الغابة لابن عبد البر ٥٢١/١، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٧٥/١

(٥) خيبر مدينة تقع على شمال المدينة ، كان يقطنها اليهود وكانت محصنة ذا أموال كثيرة، وقد فتحها الرسول ﷺ، سنة سبع أو ست من الهجرة النبوية. انظر: مغازي الواقدي ٦٣٣/٢-٧٤٢، والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان ٣٠٠/١-٣١٤

الثراء، وما حصل بذلك من الخير العام على أيدي الصحابة الكرام المتصل بفتح خيبر، وفتح مكة(١) ، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصرة والرفعة في الدنيا والآخرة)(٢)

ثم ذكر الشيخ عددهم في بيعة الرضوان، وعلى ماذا بايعوا النبي ﷺ ، قال رحمه الله:

(وفي صحيح مسلم(٣) عن أبي الزبير عن جابر قال : ((كنا يوم الحديبية(٤) ألفا وأربعمائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة -شجرة الطلح- فبايعناه على ألا نفر)) ، وفي رواية(٥) : ((بايعناه على الموت)) ، ((ثم دعا رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه وأملى عليه كتاب الصلح فكتبه)))(٦) .

---

(١) فتح مكة : كان في السنة الثامنة للهجرة، وقد سار النبي ﷺ إليها بجيش عدده عشرة آلاف مقاتل، وسبب ذلك انتهاك قريش ما اتُّفق عليه في صلح الحديبية، فدخلها النبي ﷺ دون قتال إلا ما كان من جهة خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: مغازي الواقدي ٢/٨٠٩-٨٦٨، وسيرة ابن هشام ٢/٣٢٧-٤٢٧

(٢) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص٩-١٠

(٣) باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش ٣/١٤٨٣ (١٨٥٦)، **وتمام الحديث عنده** : (**ولم نبايعه على الموت**).

(٤) الحديبية منطقة تقع شمال شرق مكة ، فلما نزلها المسلمون وهم في طريقهم إلى مكة أرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش في مكة، فلما تأخر عن الرجوع بايع المسلمون الرسول ﷺ ألا يفروا؛ فسُميت بيعة الرضوان؛ إذ رضي الله عن المؤمنين المبايعين، وسُمي اليوم باسم المكان الذي نزلوا فيه، وكان ذلك آخر سنة ست للهجرة. انظر: مغازي الواقدي ٢/٦١٠-٦٢٣، والروض الأنف للسهيلي ٧/٧٦ وما بعدها، وأطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص٦٠

(٥) **جملة** : (**بايعناه** على الموت) تحديدا ليست رواية من حديث جابر –كما توهم العبارة وسياقها– بل حديث آخر أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع **باب**: **استحباب مبايعة الإمام الجيش** ٣/١٤٨٦ (١٨٦٠).

(٦) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص١٠

أما إطلاق الترضي عن غير الصحابة فاختلف فيها أهل السنة بين مطلق للاستحباب، منهم النووي، ونسبه للجمهور، مستدلين بقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].(١)

ومن أهل السنة من فرق بين الصحابة وبين غيرهم، فيقال في الصحابة رضي الله عنهم وفي غيرهم يقال رحمه الله ، منهم الشيخ ابن عثيمين، بناء على الاصطلاح العرفي، وبأنه لو قيل عن غير الصحابة رضي الله عنه –كعمر بن عبد العزيز–؛ لظن الناس أنه صحابي(٢) .

والذي يميل إليه الباحث هو الرأي الثاني؛ لقوة مأخذه، ولأن الآية التي استدل بها من لم يفرق إنما تدل على استحباب الترضي على غير الصحابة على سبيل التبع، وهو خارج عن محل النزاع في المسألة.

ولا يرى الشيخ إطلاق الترضي على غير الصحابة رضي الله عنهم، فقد تعقب أحد المصحِّحين عندما قال لغير الصحابة :"رضي الله عنه"، قال رحمه الله –تعقيبا على مصحح وناشر كتاب مجازات القرآن للشريف الرضي–:

(ولا نرى البحث في هَنَّات(٣) جاءت في مقدمة الناشر السيد المشكاة :....وقد عقب اسم أبيه أبي أحمد أيضا(٤) بقوله : " رضي الله عنه")(٥) .

---

(١) انظر : المجموع شرح المهذب، للنووي ١٧٢/٦

(٢) انظر: فتاوى نور على الدرب، لابن عثيمين ٤/ ٢

(٣) الهنات، مفردها هِنَة، وهي : الشر والفساد . انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٦٨/٦، والمعجم الوسيط ٩٩٨/٢ ، وأما بمعنى الخطأ الصغير لم أقف عليه في المعاجم.

(٤) أي : أبا المؤلف الشريف الرضي

(٥) كتاب تلخيص مجازات القرآن ، الشريف الرضي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٢٣/٣١ جمادى أولى ١٣٧٥هـ.

المبحث الثالث:الإمامة .

الإمامة : رئاسة بنظام عام لحراسة الدين وسياسة الدنيا .

وللأمام ألقاب، منها: خليفة، سلطان، أمير، ملك، بل نص بعض أهل العلم على أمير المؤمنين وإن كان فاسقا.

وحكم نصب الإمام : الوجوب الكفائي بالإجماع .

وتنعقد الإمامة بطرق توقيفية[1] هي :

١. النص عليها وقد حصلت لجماعة هي : قريش.
٢. العهد أو الاستخلاف لرجل أوجماعة يختارون واحدا من بينهم.
٣. اختيار أهل الحل والعقد ولا يشترط إجماعهم .
٤. التغلب بالسيف **حتى يستتب له الأمر** بالإجماع؛ حفظا لدماء المسلمين، وليست من طرق الانعقاد في حال السعة، بل هي كما يسميها بعض أهل العلم "البيعة القهرية"[2] .

وكما أن على الإمام واجبات فله حقوق ، فمن واجباته : حفظ الثغور، وتفريق أموال الله ﷻ في مصارفها، وإقامة الحدود، وإقامة العدل، وغيرها[3].

ومن حقوقه : القيام بالعبادات الجماعية معه وخلفه، والدعاء له وطاعته بالمعروف.

---

(١) **وجه القول بالتوقيف**: أنه منصب ديني يتعبد الله ﷻ بمقتضاه، وما سياسة الدنيا فيه إلا تبع.

(٢) انظر : ضوابط معاملة الحكام عند أهل السنة والجماعة، خالد ضحوي الظفيري ١/٧٧–٨٠

(٣) انظر الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد علي الشوكاني ص٢٩٧ ط٢ دار العاصمة عام ١٤٢٩هـ.

وما لم يظهِر الإمام كفرا صريحا عندنا فيه من الله ﷻ برهان ، فإن إخلاله ببعض واجباته كالاستئثار بالمال العام، وأنواع الظلم الأخرى للرعية ، لا تسوِّغ عدم اعتقاد ولايته فضلا عن الخروج عليه ، أو الإعانة على الخروج عليه، بل يُصبَر على جورهم مع القيام بالنصيحة بشروطها من الإخلاص والسرِّية، وعدم إفضائها لمفسدة أعظم.

وفي ألقاب الإمام لم يرتضِ الشيخُ أن يلقب ب " خليفة الخالق المختار" و "خليفة الله في طول الأرض وعرضها"، فقال رحمه الله :

(وما ذكره السير توماس في ص٧٦-٨٣[١] من ألقاب الخليفة ومنها : خليفة الخالق المختار، وظل الله في الأرض[٢] ، وخليفة الله في طول الأرض وعرضها الخ. فالمؤلف يستعرض الخلافة في كتابه هذا في جميع أطوارها التاريخية، وهذا الدور من أطوار التقهقر والخذلان أيام تغلغل نفوذ الأعاجم -الذين لم يرسخوا في الإسلام رسوخ أهله العرب فيه- فتعطلت أحكام الخلافة، وعادت اسما بلا مسمى، ولفظا بلا معنى، وطفق المتملقون[٣] والمستجدون من الشعراء يكيلون المدح لمن سموهم خلفاء المسلمين جزافا، وانتهى الأمر باجتياح التتار بلاد المسلمين ، والقضاء على الخلافة الإسلامية العربية، أما الخلافة أيام ازدهارها، واعتزاز العرب والمسلمين بها فكان الخلفاء في ذلك العهد الميمون يأبى عليهم ورعهم أن يسمعوا هذا الغلو

(١) في كتابه : الخلافة الذي يعرِّف به وينقده في مقاله.

(٢) وردت بهذا اللفظ أحاديث، منها ما أخرجه البيهقي في سننه : كتاب قتال أهل البغي، جماع أبواب الرعاة، باب فضل الإمام العادل ح(١٦٧٤٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، و ما أخرجه البزار في مسنده : مسند عبد الله بن عمر ح(٥٣٨٩) ، وهذه الأحاديث لم تثبت عند المحدثين. انظر: السلسلة الضعيفة للألباني ٤/ ١٥٩-١٦٢

(٣) الملَقُ: الود واللطف الشديد، ورجل مَلِق: يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. انظر: العين للخليل ١٧٤/٥، ومختار الصحاح لابن أبي بكر الرازي ص٢٨٨

ويقروه، ولما قال رجل للخليفة الصالح الأموي عمر بن عبد العزيز : ياخليفة الله في الأرض ، قال له عمر : مه ، فلست كذلك[1])[2].

وبالنسبة لنصب الإمام قرر الشيخ أن نصبه واجب باختيار الأمة فقال رحمه الله:

(نصب الإمام واجب ، وهو باختيار **الأمة** لا بالنص)[3] .

قال الباحث:مقصود الشيخ بنفي النص : عدم ثبوت الخلافة **لفرد** بالنص ، وإلا فقد أقر بأن خلافة قريش بالنص في قوله رحمه الله:

(ويشترط أن يكون الإمام قرشيا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((الأئمة من قريش))[4])[5].

وقرر الشيخ في موضع آخر وهو يعرف بكتاب : فقه الإسلام، لحسن الخطيب[6] ، أن مرجع سلطة الولاية في اختيار الإمام إلى الأمة، فقال :

---

(١) ذكره ابن عبد الحكم (ت:٢١٤) في كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز ص٥١، وعنه من جاء بعده، ولم أقف عليه مسندا.

(٢) الخلافة ، السير توماس(تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٧٣/٢٣ صفر ١٣٦٧هـ

(٣) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٦٨

(٤) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند من حديث أنس ين مالك ٣١٨/١٩ (١٢٣٠٧) ومن حديث أبي برزة الأسلمي ٢١/٣٣ (١٩٧٧٧) وصححه الألباني . انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٢٣٨/٢

(٥) المصدر السابق ص٥٥

(٦) هو فؤاد بن حسن الخطيب: أديب شاعر، وكاتب وسياسي، مشارك في بعض العلوم، انضم إلى إلى الثورة العربية التي أشعلها الحسن بن علي، وأصبح وزير خارجيته، ثم التحق بفيصل الأول، لما أسس الحكومة العربية بدمشق، ثم بعبد الله الأول بن الحسين ، ثم بالملك عبد العزيز آل سعود، توفي عام : ١٩٥٧م انظر : معجم المؤلفين لكحالة ٨٠/٨

(والباب الخامس في محاسن الشريعة ومزاياها، ومنها "ص٣٣٥ المزية ٢٢" وضعها قاعدتين أساسيتين للحكم : **سلطة الولاية مرجعها إلى الأمة**، بناء الحكم على الشورى —فأين من هذا الذين يرمونها بحكم الفرد؟)[١] .

قال الباحث: كرر الشيخ -في أكثر من موضع كما سبق- مصطلح الأمة في اختيار الإمام، وهذا مخالف للطريقة الشرعية في اختيار الإمام؛ فإنَّ جعل اختيار الإمام لكل فرد عن طريق الانتخاب المباشر، فضلا عن كونها طريقة جائرة في الاختيار لمساواتها بين العالم والجاهل في الأصوات، فإن فيها مشابهة مذمومة في منصب ديني[٢] .

وفي واجبات الإمام : قرر أهمية العدل والمساواة بين الناس في الحقوق والحكم والعقوبات، فقال رحمه الله:

(ووضعت الأحكام في الإسلام على شكل التكافؤ، وأديرت سياستها على قطب المساواة، فلا فضل فيها لشريف على وضيع، ولا امتياز لملك على سوقي، والعقوبة الموضوعة على صعلوك الأمة هي المحمولة على سيدها بدون فارق، فلو ادعى أمير المؤمنين على أدنى الناس درهما واحدا لم يقض له باستحقاقه إلا بشهادة عادلة. وهذا المعنى عام في جملة الشريعة وتفاصيلها.

ومن أدلة المساواة : قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. [٣] أخَذت هذه الآية بيد المستضفين من الناس، وأوقفتهم في مرتقى أولي القوة جنبا إلى جنب؛ إذ المعروف في الأخوة اتحادهم في النسب، وهو يقتضي عدم تفاضلهم وتمايزهم في

---

(١) فقه الإسلام، لحسن أحمد الخطيب (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٨٢/٣٠ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ.

(٢) وانظر: ضوابط معاملة الحكام عند أهل السنة والجماعة، خالد ضحوي الظفيري ٧٤/١-٧٦، والإمامة العظمى، إعداد: عبد العزيز الريس ص٦٦-٦٧ ، وانظر للاستزادة : إبطال نظرية سيادة الأمة ونقض شبهات القائلين بها، عبد العزيز محمد السعيد.

(٣) سورة الحجرات: ١٠

الحقوق، فالآية وإن دلت على التواد والتراحم من جهة ، لا تخلو من الدلالة على المساواة من جهة ثانية)[1] .

وفي الفارق بين الخلافة الإسلامية وغيرها : أوضح الشيخ أن الأُولى قوانينها واختلافها مرجعه إلى الوحي، وأنها قائمة على الفضيلة والعدل، بخلاف غيرها، فتبيح الضرر في الضروريات الخمس، وتُحَكِّم الأكثرية في شؤونها بما يعود عليها وعلى الآخرين بالظلم، قال الشيخ رحمه الله:

(ونحن نكتفي بإيراد كلمة مجملة في وصف الخلافة يتبين منها أنها تفضل غيرها من الحكومات المدنية في القرن العشرين : إن الخلافة في الإسلام هي روح الديموقراطية الحرة[2]؛ لأنها تستمد قوانينها من كتاب الله الحكيم، وسنة النبي الكريم، ومن مميزات هذه الحكومة الإسلامية على سائر الحكومات النيابية المدنية أن قوانينها مبنية على الفضيلة والعدل ((لا ضرر ولا ضرار))[3] بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيرا من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال، ومن مميزاتها : الرجوع عند تنازع أولي الحل والعقد إلى كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ، وهما الأصلان تسلم الأمة لحكمهما تسليما، والقول في كل مصلحة لما كان أهدى سبيلا، وأدنى إلى المصلحة العامة بخلاف المجالس القانونية التي كثيرا ما تحكم الأكثرية فيها بما يملي عليها الهوى والظلم، أو المصلحة الخاصة، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة، فلا هي معتقدة بصحة حكمها، ولا الأقلية المنصفة مقتنعة بفساد رأيها، ولكنها تكون مغلوبة

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٧٥

(٢) إن مصطلح (الديمقراطية) الذي يختص عند أهله بمعان مخالفة للكتاب والسنة، لا ينبغي استعماله في المعاني الموافقة للشريعة؛ وذلك دفعا للالتباس. وانظر: في تعريفها ص٤٩٨

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: مسند ابن عباس رضي الله عنه ح(٢٨٦٥)، وابن ماجه في السنن، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره ح(٢٣٤١) وصححه بشواهده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لسنن ابن ماجه، وكذا الألباني في إرواء الغليل ٣/٤٠٨ .

للأكثرية –كقرار الأكثرية المزعومة في منظمة الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين بين أهلها والمعتدين عليها !!–)[1] .

وقد تكلم الشيخ عن مفهوم الخليفة الروحي لدى أهل الكتاب الذي يدَّعي لنفسه حق التشريع، وبين الخليفة في الإسلام الذي لا يدعي حق التشريع ولا العصمة، بل هو حافظ لتشريع النصوص الإلهية تحت مراقبة أهل الحل والعقد، ومجلس الشورى، فقال الشيخ رحمه الله:

(وقد أصاب السير توماس ببيان هذا الفرق بين الخليفة الروحي غير المسلم الذي يشرع ويحلل ويحرم، وبين الخليفة المسلم الذي لا يدعي أنه ينفرد بتلقي الشريعة عن الله عز وجل، أو أن له حق الأَثَرة بالتشريع، ولا يدعي أنه مؤيد بالعصمة، بل لا نعرف في الإسلام أقل حق يمتاز به أكبر خليفة عن أصغر واحد من الرعية، وليس الإمام إلا حافظا ومنفذا للأحكام العادلة المأخوذة أو المستنبطة من الأحكام الشرعية العامة تحت مراقبة أولي الأمر، وهم أهل الحل والعقد والشورى في الإسلام)[2] .

ثم قرر بأن الإمام إنما تجب طاعته ما استقام على أمر الله عز وجل، فإذا اعوَجَّ قُوِّم بالكلام أو السلاح! فقال رحمه الله:

(ويبقى له هذا الأمر، وتجب طاعته فيه، وإعانته عليه مدة استقامته كما أُمر، فإذا اعوج وجب تقويمه بالكلام أو بحَدِّ الحسام، يؤيد ذلك قول عمر رضي الله عنه: ((إن

(١) الخلافة، للسير توماس (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٨٣/٢٣ صفر ١٣٦٧هـ، وانظر: سلسلة مطبوعات دار العروبة في باكستان (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٩٣/٢٧ ربيع الآخر ١٣٧١هـ.

(٢) الخلافة، للسير توماس (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٧٨/٢٣ صفر ١٣٦٧هـ

رأيتم فيَّ اعوجاجا فقوّموني بألسنتكم)) قالوا : بل نقومك بسيوفنا، فإذا لم يرجع إلى الحق وجب خلعه ما لم تترتب على ذلك مفسدة أكبر من مفسدة بقائه)[1] .

قال الباحث: أما أثر عمر رضي الله عنه فلم أقف عليه لا بسند صحيح ولا ضعيف بعد تكرار بحث، وأقرب أثر مسند وارد لما ذكره الشيخ هو ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه[2] عن حذيفة، قال: دخلت على عمر وهو قاعد على جذع في داره وهو يحدث نفسه فدنوت منه فقلت: ما الذي أهمك يا أمير المؤمنين، فقال: هكذا بيده وأشار بها، قال: قلت: الذي يهمك والله لو رأينا منك أمرا ننكره لقومناك، قال: ((الله الذي لا إله إلا هو، لو رأيتم مني أمرا تنكرونه لقومتموه)) فقلت: الله الذي لا إله إلا هو، لو رأينا منك أمرا ننكره لقومناك، قال: ففرح بذلك فرحا شديدا، وقال: ((الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد من الذي إذا رأى مني أمرا ينكره قوَّمني)).

وهو كما ترى ليس فيه التقويم بالسيف؛ فيُفسر التقويم بما يتوافق مع الأحاديث الصحيحة الصريحة في الصبر على جور وفسق الحاكم ما دام مسلما مقيما للصلاة في رعيته، ويكون التقويم بأن يُنصح سرًّا بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولو صح التقويم بالسيف –وكذا خلع الحاكم إذا لم يرجع للاستقامة– لكان مخالفا للأحاديث السابقة الذكر، واستقر إجماع[3] أهل السنة كذلك على عدم الخلع والخروج على الحاكم المسلم الفاسق، وأصبح يُذكر في عقائدهم[4] .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ٧/٩٩ (٣٤٤٨٨) ، وانظر: الإمامة العظمى، لعبد العزيز الريس ص ٢٠٠-٢٠٢

(٣) قال النووي رحمه الله: (وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحكي عن المعتزلة أيضا؛ فغلط من قائله مخالف للإجماع) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ١٢/٢٢٩

(٤) انظر: العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ص٥٢

وفي موضع آخر قرر أن إقامة الحدود والتعزيرات من صلاحيات الإمام، فقال ﷺ -تحت عنوان: إقامة الحدود من صلاحيات ولاة الأمور-:

(وإقامة الحدود، وتنفيذ العقوبات والتعزيرات طبقا لنصوص الشرع الحنيف وقواعده هي من خصائص جلالة الملك[١] الإمام، ومن يوليه من القضاة والحكام)[٢] .

وفي واجبات الإمام المتنوعة قال ﷺ -عند ترجمة جده ليوسف باشا[٣]-:

(ثم بعد أن استولى[٤] على البلاد التي قاتل أهلها "رجع إلى الشام واستقام أمره وحسنت سيرته، وسلك طريق العدل في الأحكام، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات، واستتاب الخواطئ وزوجهن، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل، وأمر بترك الإسراف في المآكل والملابس، وشاع خبر عدله في النواحي)[٥] .

قال ﷺ: (قلت : في هذا عظة بالغة للحكام ، فمن أراد منهم أن يجعل له لسان صدق في الآخرين فهذا سبيله وهذا دليله)[٦] .

---

(١) يقصد الملك عبد العزيز آل سعود ﷺ، وقال الشيخ ذلك لما كان مديرا للمعهد العلمي السعودي بمكة عام ١٣٤٥هـ.

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٤٨/١

(٣) أصله كردي ، وزير ، والي الشام، خاض حربا مع أتباع الإمام محمد بن عبد الوهاب، ذهب ملكه وولايته في ساعة عند نومه وغفلة جيشه في إحدى الحروب الكثيرة التي خاضها، توفي عام : ١٢٣١هـ. انظر : حلية البشر ١٥٩٦/١-١٦٠٢

(٤) أي الوزير يوسف باشا والي الشام .

(٥) حلية البشر ١٦٠٠/١ في ترجمة يوسف باشا.

(٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ١٦٧٧/٣ (الملاحق).

وقد أورد قول عمر بن عبد العزيز في الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية فقال رحمه الله :

(قال صباح بن سوادة الكندي[١] :سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[٢]. ثم قال:" ألا إنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولَّى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك غير المبروزة[٣] ولا المستكره بها، ولا المخالف سرها علانيتها"[٤])[٥] .

وفي تقرير طاعة الولاة في غير معصية قال رحمه الله :

(وقد بحث في الفصل الأول من الباب الأول في نظام الدولة الإسلامية، والقائمين عليها، ووجوب طاعتهم في غير معصية ..)[٦] .

وقد نقل الشيخ عن ابن بطة الإجماع على مشاركة الإمام في العبادات الجماعية، وصحة قضائهم، ووجوب طاعتهم، فقال رحمه الله:

(وهذه شذرة بقلم المؤلف في وصف كتابه :

---

(١) لم أجد له ترجمة سوى عند ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل حيث قال:(صباح بن سوادة الكندي سمع عمر بن عبد العزيز يخطب روى أبو توبة الربيع بن نافع عن أبي ربيعة عن ابيه عنه) ٤٤٣/٤

(٢) سورة الحج:٤١

(٣) لعله يقصد: ألا يبارزوا الإمام بالسيف.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٣٧/٥ ، وعنه من جاء بعده، ولم أقف عليه مسندا بعد تكرار بحث.

(٥) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٦٤

(٦) الدستور القرآني في شؤون الحياة، محمد عزة دروزة (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٢٩/٣٢ جمادى أولى ١٣٧٦هـ.

"وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد منذ أول الأمة إلى وقتنا هذا ، أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات، والغزو، والحج والهدي مع كل أمير بر وفاجر، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار ، جائز.

والصلاة في المساجد العظام التي بنوها، والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها في كل عصر ومع كل أمير ، جائز على حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه، والمتمسك بسنة نبيه ﷺ ظلم ظالم، ولا جور جائر إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعا يخالف الكتاب والسنة لم ينفعه عدل الإمام. والمحاكمة إلى قضائهم ، ورفع الحدود والقصاص وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشُرَطهم، والسمع والطاعة لمن ولوه، وإن كان عبدا حبشيا إلا في معصية الله ﷻ، فليس لمخلوق فيها طاعة. اهـ)[1] .

وقد قرر الشيخ أن اعتقاد أهل السنة والجماعة إمامة شخص لا يعني أنه عادل في جميع أموره، أو تجب طاعته في كل ما يأمر به، ولكنهم يشاركونه فيما يحتاج إليه من طاعة الله ﷻ، فقال رحمه الله –ملخصا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الحِلي:

(ثم إن عنيت باعتقاد إمامة يزيد[2] أنه كان ملك وقته، وصاحب السيف كأمثاله من المروانية والعباسية ، فهذا أمر متيقن، وحكم يزيد على حوزة الإسلام سوى مكة، فإنه غلب عليها ابن الزبير، وامتنع عن بيعة يزيد، ولم يدع إلى نفسه حتى بلغه موت يزيد، وهذا معنى كونه إماما وخليفة وسلطانا، وأما كونه برا أو فاجرا مطيعا أو عاصيا فذاك أمر آخر.

فأهل السنة إذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد أو عبد الملك أو منصور أو غيرهم ، كان بهذا الاعتبار، وكذلك كونه عادلا في جميع أموره، مطيعا في جميع أفعاله

---

(١) الشرح والإبانة ، لابن بطة (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٥٠/٣٤ رمضان ١٣٧٨هـ.

(٢) أي : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

ليس هذا اعتقاد أحد من المسلمين، وكذلك وجوب طاعته في جميع ما يأمر به وإن كان معصية لله ليس هو اعتقاد أحد من المسلمين، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله .)[١] .

وقد أكد الشيخ على أن تطبيق الخلافة في العصر الحاضر ما زال ممكنا، فقال–ردا على السير توماس في دعواه بألا أمل مباشر في استعادة الخلافة الإسلامية–:

(وقول المؤلف في أواخر كتابه ص١١٢ قبل ملاحِقِه الخمسة : "ويبدو أنه لا أمل مباشر لجماعة سياسية أن تؤسس في العالم الإسلامي تحت زعامة الخليفة في الظروف الراهنة كما تطلب العقيدة الإسلامية " فالجواب : أن الأمل كان ضعيفا أيام ظهر كتاب الخلافة سنة ١٩٣٤ بعد أن مزقت الدول القوية بلاد العرب والمسلمين شر ممزق[٢]، أما الآن فإن الله تعالى قيض للإسلام حماة ودعاة في الشرق والغرب، وأنشئت جامعة الدول العربية، ودولة الباكستان الهندية، وبدأ ينقشع عن محيا العروبة والإسلام ما علق به من تضليلات الشعوبية[٣] والشيوعية الهدامتين ولله الحمد)[٤]

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤٧

(٢) وذلك في اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م بين فرنسا وبريطانيا وبصادقة روسيا القيصرية آنذاك.

(٣) الشعوبية: نزعة في العصر العباسي تنكر فضل العرب ، وتحاول الحط منهم . انظر: المعجم الوسيط ص٤٨٤

(٤) الخلافة، للسير توماس (تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٧٨/٢٣ صفر ١٣٦٧هـ

المبحث الرابع:أهل الذمة

أهل الذمة : هم من لهم شبهة كتاب ويعيشون في الدولة الإسلامية، ويدفعون الجزية، ويلتزمون أحكام الإسلام جملة، مقابل حمايتهم وتوفير حقوقهم.

ولأهل الذمة في الدولة المسلمة حقوق وعليهم واجبات.

وحقوقهم هي :

١. الحقوق الشخصية: وجماعها : حق الأمن على النفس والمال والعرض، وحق التنقل والاجتماع، وحق المسكن.

٢. الحقوق العقدية والفكرية: وجماعها : البقاء على عقيدتهم وتركهم وما يتدينون، وحق التعليم والتعلم، وحق إبداء الرأي.

أما البقاء على عقيدتهم وما يتدينون، فإن الذميين يتركون في مزاولة عباداتهم سواء في بيوتهم، أو في معابدهم التي أُقروا عليها.

وأما حق إبداء الرأي مثل إبداء التظلم، ورفع الدعوى ضد أحد أو إسداء النصيحة لأحد من الناس، أو إبداء وجهة نظر حول أمر من أمور الحياة الدنيا، بل وأمر من أمور دينهم هم ونحو ذلك ، فجائز، وهو حق لهم ما داموا ينشدون العدالة والحقيقة.

٣. الحقوق السياسية: بمعنى حق النصح للحاكم المسلم[١] .

٤. الحقوق الوظيفية : بأن يطلب الوظائف العادية إن كان أهلا لها كغيره من المسلمين.

٥. الحقوق الاقتصادية: وجماعها : حق التملك وحق الكسب والعمل.

أما الواجبات على الذميين، فيمكن إجمالها في أمرين :

---

(١) أما اختيار الحاكم فلمسلم حصرا.

الأمر الأول : أداء الجزية وما في معناها من خراج وعشور.

الأمر الثاني: التزام أحكام الإسلام التي تناسبهم.

وجماع التزامهم بأحكام الإسلام ما يلي :

١. خضوعهم لولاية القضاء الإسلامي.
٢. اجتناب ما فيه غضاضة على المسلمين في دينهم.
٣. اجتناب ما فيه ضرر على المسلمين.
٤. عدم إظهار المنكرات[١] .

وقد قرر الشيخ حق الذميين بالعقيدة والعبادة في الدولة المسلمة، فقال رحمه الله:

(قرر الإسلام في معاملة الأمم التي يضمها تحت رايته حقوقا يضمن لهم الحرية في ديانتهم ، والفسحة في إجراء أحكامها بينهم، وإقامة شعائرها بإرادة مستقلة، فلا سبيل لأولي الأمر إلى تعطيل شعيرة من شعائرهم ..وإبقاء الرعية على شرائعهم وعوائدهم منظر من مناظر السياسة العالية، وباب من أبواب العدالة السامية)[٢] .

وفي خضوع أهل الذمة لولاية القضاء الإسلامي، يقرر الشيخ أن القضاء الإسلامي لا يتدخل ابتداء في فصل منازعاتهم الخاصة إلا إذا ترافعوا هم إلينا، فيحكم القاضي المسلم بالعدل، فقال رحمه الله :

(فلا سبيل لأولي الأمر إلى تعطيل شعيرة من شعائرهم، ولا يدخل في فصل نوازلهم الخاصة إلا إذا إن تراضوا عن المحاكمة أمامها ، فتحكم بينهم على قاعدة العدل والمساواة،

---

(١) انظر: التعامل مع غير المسلمين، أ.د/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي ص١٧٢-١٨٦ ط١ دار الفضيلة عام ١٤٢٩هـ

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٧٦، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص٧١، والإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٥

قال تعالى : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.[1])[2]
.

قال الباحث: ما ذهب إليه الشيخ من وجوب الحكم على القاضي المسلم إذا ترافع أهل الذمة إلينا ، هو مذهب الظاهرية و الحنفية والشافعية[3] - وهو الراجح-؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾[4].

وذهب المالكية والحنابلة[5] إلى عدم وجوب ذلك على القاضي المسلم بل هو مخير بين الحكم والترك؛ لقوله ﷻ : ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[6].

وخيرُ جمعٍ وقفتُ عليه بين التعارض الظاهر للآيتين هو حمل الآية الأولى على الكفار الخاضعين للحكم الإسلامي ممن له عهد وذمة، وحمل الآية الثانية على الكفار غير الخاضعين للحكم الإسلامي كأهل الصلح إذا دخلوا دار الإسلام[7].

وفي تعليل عدم تدخل الدولة المسلمة وقضائها بعبادات أهل الذمة ومعتقداتهم، وانحصار تدخلها بينهم في الشؤون الدنيوية ، يقول الشيخ رحمه الله :

---

(١) سورة المائدة:٤٢

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٧٦/١، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص٧١، والإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٦

(٣) انظر: بدائع الصنائع، لابن عابدين ٣١٢/٢، والأم للإمام الشافعي ٢٢٢/٤

(٤) سورة المائدة:٤٩

(٥) انظر: المغني لابن قدامة ٨١/٩، وشرح الزرقاني على مختصر خليل ٤٠٨/٣

(٦) سورة المائدة:٤٢

(٧) انظر: التعامل مع غير المسلمين، للدكتور/ عبد الله الطريقي ص١٨٦-١٨٨

(الأصل في كل مملكة أن حق الولاية الشرعية يكون في يدها دون سواها، بحيث تفصل المحاكم التابعة لها في جميع من تقلهم **أرض الوطن**، سواء كان النزاع متعلقا بالجرائم، أو الأموال أو الأحوال الشخصية، ولكن **عملا بحرية الأديان والمعتقدات قُيدت هذه** الولاية وانحصر سلطانها في الأمور الدنيوية، وأصبح كل إنسان حرا في أحواله الدينية وما يتبعها.

تنظر إلى أبواب الشريعة فتبصر في جملتها أحكاما كثيرة مبنية على التسامح مع غير المحاربين!

تطالع أبواب الهبة والوقف والوصية فتستفيد من أحكامها أن الإسلام لم يقتصر على إباحة معاملتهم بمعاوضة ، بل أجاز للمسلم أن يهب جانبا من ماله أو يوقفه أو يوصي لغير المسلم)[1] .

قال الباحث: من التطبيقات العملية في معاملة العصرانيين لأهل الكتاب: التنصل من أحكام أهل الذمة، والاستعاضة عنها بالوطنية، والمناداة بحرية الأديان[2]، وقد كان لأصحاب المدرسة العقلية الحديثة صولة وجولة في زمن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد تأثر الشيخ بهذه النظرة، فهو وإن لم يتنصل من أحكام أهل الذمة، إلا أنه يطرح فكرة الوحدة الوطنية على حساب الوحدة الدينية، ويذكر الألفاظ والأدبيات التي كان يتكلم بها عصرانيُّو تلك الفترة.

وقد قرر الشيخ الإحسان إلى الذميين وحقوقهم الشخصية في الأمان على نفوسهم ومالهم وعرضهم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٧٦/١-٢٧٧، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص٧١-٧٢، والإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٦

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية)، للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي ٦٩٨/١-٧١٦ ط ابن الجوزي، وشبهات عصرانية مع أجوبتها، لسليمان بن صالح الخراشي ص٩ ط١ دار الوحيين عام ١٤٣٠هـ.

(أمر الإسلام بالعدل والإحسان في معاملتهم ، والرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وحرم الاعتداء عليهم، ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم.

وحكى ابن حزم في "مراتب الإجماع"[1] أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه ، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالسلاح، ونموت دون ذلك؛ صونا لهم)[2].

وبما أن من حقوق الذميين الشخصية أماهم على أنفسهم ، فقد أثنى الشيخ على ابن تيمية لسعيه في إطلاق أسارى أهل الذمة من التتار، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(ومن مساعيه المشكورة في خدمة أهل الملل السماوية: سعيُه في إطلاق أسرى المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء، وإصراره على ذلك، ولم يرض بإطلاق أسارى المسلمين فقط، وإنما فعل ذلك عملا بقواعد دينه العام، الذي يوجب المساواة في الحقوق والأحكام بين جميع من يظلهم الإسلام، وإليك شذرة مما كتبه في الرسالة القبرصية[3] خطابا لسِرْجوان ملك قبرص[4] :

"ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة؛ فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ولا نصيحة أعظم

---

(١) بحثت مرارا في مراتب الإجماع عما نقله الشيخ عن ابن حزم فلم أجده.

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٧٧/١، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص٧١-٧٢، والإنجيل والقرآن، بيهجة البيطار ص٦

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١٥/٢٨، ٦١٧-٦١٨

(٤) قد اختلف في «سرجوان» هذا الذي وُجهت إليه الرسالة، فذهب بعض المستشرقين إلى أنه «هنري دي لوزينيان»، وكان ملكا على القدس وقبرص بين عامي ١٢٨٥ و١٣٢٤م (٦٨٤-٧٢٥هـ)، وذهب بعضهم إلى أن المقصود بسرجوان هو يوحنا الثاني سيد جِبْلت (أو جبيل) في لبنان، والتحقيق أن سِرْجوان ليس علما بل لقب تشريفي معنا القديس، وهو هنا ويليام [أو جِيُوم] دي فيلاريه»: القائد الأعلى لتنظيم «فرسان القديس يوحنا» في قبرص، وكان وجيهًا بين أتباعه. انظر تحقيقا مطولا في ذلك في مقالة: "من ابن تيمية إلى ويليام فيلاريه" بقلم هيئة التحرير في مجلة البيان العدد ٣٤٤ ربيع الثاني ١٤٣٧هـ.

من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه؛ فإنه لا بد للعبد من لقاء الله ولا بد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾[١].

(إلى أن قال):

وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان وقُطْلو شاه[٢] وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنا نفتكهم ولا ندع أسيرا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله. وكذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم؛ كما أوصانا خاتم المرسلين ا. هـ..)[٣]

وبما أن الدولة المسلمة ملزمة بدفع الظلم عن الذميين ، نقل الشيخ عن ابن تيمية أن السلطان ملزم بإنصاف الذميين، فقال رحمه الله :

(ولو أن يهوديا طلب من السلطان الإنصاف لوجب عليه أن ينصفه)[٤] .

ووجه الشاهد أنه لا يمكن لليهودي طلب الإنصاف من السلطان المسلم في شيء وهو ليس تحت سلطانه.

وقرر الشيخ التعاون مع أهل الذمة في نشر الفضيلة وقمع الجرائم و الرذائل ، فقال رحمه الله :

---

(١) سورة الأعراف:٦

(٢) هو قتلغ شاه نوبان، نائب غازان التتري، قاد معركة شقحب ضد المسلمين ، وانتهت بانتصار المسلمين، وتوفي عام ٧٠٧هـ. انظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٢٩٧/٤

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤-١٥، وانظر : مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٣٠٩/١-٣١٠

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠

(والخير كل الخير في أن يتعاون رجال الأديان وحملة العمائم والقلانس من أهل الوطن الواحد على نشر ألوية المودة والفضيلة، وقمع جراثيم الرذيلة، ومحو الجرائم والآثام كالبغاء والميسر وغيرهما من الشرور والمفاسد)[1] .

---

(١) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٩٦-٩٧، وانظر منه ص١٠٦

المبحث الخامس:نواقض الإيمان

المراد بالنواقض: الكفر الأكبر، وما يناقض الإيمان من كل وجه.

وبما أن الإيمان : اعتقاد وقول وعمل؛ فإن الكفر -ما دام يقابله- يقع أيضا : بالقول والاعتقاد والعمل بذاته.

وكما أن الإيمان درجات ، فكذلك الكفر دركات -وكذلك البدع وعموم المحرمات-

.

والكفر الوارد في نصوص الكتاب والسنة ينقسم إلى كفر أكبر مخرج من الملة، وكفر أصغر -غير مخرج من الملة-، وإطلاق الكفر عليه للتغليظ في شأنه.

ومن أبرز ما يميز أهل السنة في التكفير : تفريقهم بين التكفير المطلق والتكفير بالتعيين، ففي التكفير بالتعيين لا بد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع من قِبل القضاة وخاصة العلماء[1] .

وقد تنوع كلام أهل العلم في عد النواقض، ولا يمكن حصر النواقض بالتفصيل؛ إذ تفاصيل ما يستجد من أقوال وأعمال الكفر -التي لم تكن في العهد السابق- ، لا يمكن ضبطه ولا حصره بشهادة الواقع والتاريخ.

نعم يمكن ضبط أجناس الكفر دون تفاصيله.

هذا وقد حذرت الشريعة من التسرع في التكفير، ويكفي فيه قول الله ﷻ : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2]. وقول رسوله ﷺ : ((من قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله))[3] ، وقد قال الله ﷻ في قاتل المؤمن

---

(١) انظر: التكفير وضوابطه، للدكتور إبراهيم الرحيلي ص٦٣-٧١، ٩٣-٩٤، ١١٧-١٢٤

(٢) سورة الإسراء:٣٦

(٣) رواه البخاري: كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ح(٥٧٠٠)

متعمدا : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(1).

وقد قرر الشيخ أن من أنواع الكفر الواردة ما يكون كفرا أصغر للزجر والتغليظ، فقال رحمه الله :

(.. وأما لفظ الشرك فالمقصود منه الزجر عن البدع والمحرمات)(2) .

وفي موضع آخر أبان أن لفظ المشرك في القرآن يدل في الأصل على شرك الوثنيين، وبشكل طارئ على غيره كشرك النصارى في التثليث، فقال رحمه الله :

(لم يكن لفظ المشرك في القرآن عنوانا على أهل الكتاب، وإنما هو عنوان على الوثنيين، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(3). وإنما وعظهم وزجرهم عن الشرك الذي طرأ عليهم بقوله عز وجل :﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.(4))(5) .

قال الباحث: في الكلام السابق إقرار من الشيخ بأن التثليث ناقض للإيمان، لكن ليس في آية النساء دلالة على الشرك الذي طرأ على النصاري، ولم تذكر الشرك أصلا، وأظن أن الدليل لما يريده الشيخ هو قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ

---

(1) سورة النساء:93

(2) نظرة في النفحة الزكية، بهجة البيطار ص22

(3) سورة الحج:17

(4) سورة النساء: 171

(5) الإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق 683/35 ربيع آخر 1380هـ.

﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَـٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ **عَمَّا يُشۡرِكُونَ** ٣١﴾[1].

ومما يدل من كلام الشيخ على أن الإيمان درجات والكفر دركات قوله رحمه الله :

(وقد سبق القول بأن القرآن يزن بالقسطاس المستقيم عقائد الناس وأعمالهم، **ويميز بين أصناف موحديهم ومشركيهم،** لا يحكم عليهم في الدنيا حكما واحدا عاما، ولا يجعلهم في الآخرة مستويين في منازل الكرامة أو الندامة ﴿**أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ**﴾[2]. ﴿**أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ**﴾[3].)[4] .

وفي التحذير من التكفير بغير بينة يقول الشيخ رحمه الله :

(فلو أن كلَّ إنسان كفَّرَ لمعاداته أخاه أو بغضه إياه، بشبهة وبدونها ، للزم تكفير أكثر من في الأرض من المسلمين، ولفتح علينا بابا من التكفير واسع، ماله من دافع، واتسع الخرق على الراقع)[5] .

وقد قرر الشيخ أن الدعاء والاستغاثة بالأموات بما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، شرك، فقال رحمه الله :

(وأما الاستغاثة بأهل القبور أنفسِهم بمعنى طلب الغوث منهم أي: زوال الشدة والهم[6] والكرب وقضاء سائر الحوائج ، فهذه استغاثة شركية لا تدخل في دائرة الأسباب

---

(١) سورة التوبة: ٣٠-٣١

(٢) سورة ص:٢٨

(٣) سورة الجاثية:٢١

(٤) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٦/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(٥) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٠٧

(٦) في الأصل: الهمم.

والمسببات بحال، بل هي توسل الغلاة والجهال في الحضر والسفر، والبر والبحر والعسر واليسر، والفرج والشدة، ونحن نجل أهل العلم والعقل والإيمان من الوقوع في مثل هذا الطغيان والهذيان)[1] .

وفي سياق الدفاع عن علماء نجد والدفاع عنهم من تهمة تكفير المسلمين عصبيةً ، ذكر أن إنكار المعلوم من الدين ضرورةً بإجماع ناقض للإيمان، فقال رحمه الله :

(ويبرَؤون[2] إلى المولى سبحانه مما عُزِي إليهم من المزاعم الباطلة، لا سيما تكفير المسلمين، اللهم إلا من أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة مجمعا عليه إجماعا صحيحا)[3] .

وعندما كان يرد على القرآنيين في إنكار الصلاة بالاصطلاح الشرعي المأخوذ من السنة، واكتفاؤهم بالاصطلاح اللغوي الوارد في القرآن[4] ، قرر أن إنكاره إنكار لركن من أركان الإسلام الناقضة للإيمان، فقال رحمه الله :

(.. الثاني : أن الصلاة على هذه الكيفية بركعاتها وهيئاتها أحد الأركان الخمسة التي عليها مدار الإسلام، فمن أنكرها أو أنكر شيئا من ركعاتها مثلا فلا يعد مسلما؛ حيث أنكر أمرا متواترا من الدين لا يجوز إنكاره لأحد من المسلمين)[5] .

وقد قرر الشيخ كفر هذه الطائفة ، فقال رحمه الله :

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٣-٦٤، وانظر : ديوان السيد موسى الطالقاني (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٤١/٣٤ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ، والإمام محمد بن عبد الوهاب، أحمد عبد الغفور عطار (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٦٣/٣٤

(٢) أي : علماء نجد.

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٩١/١

(٤) **أي : اكتفاءهم با**لدعاء.

(٥) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٢٥-١٢٦

(تُعد هذه الطائفة خارجة عن ربقة[١] الإسلام بما أنها أنكرت ضروريا من ضرورات الدين لا يقبل الاجتهاد والتأويل)[٢] .

و قد بين الشيخ أن عقيدة الحلول والاتحاد ناقض للإيمان ردةٌ عنه، فعند وصف حال سعيد الخالدي الدمشقي الشاذلي ب" وصار لا يقول بواجب ولا مسنون، ويقول: إن التمسك بذلك محض جنون، ومن دخل في الطريق وترقى في المقامات صارت ذاته عين الذات، وصفاته عين الصفات، وهل يجب على الله صلاة أو صيام بحال، وهل يقال في حقه عن شيء حرام أوحلال بحال"[٣]، علق الشيخ قائلا :

(لعمري : إن هذا التصوف كفر وزندقة، وإباحة مطلقة، وردة عن الإسلام، ومحاربة لله ورسوله، يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. [٤])[٥] .

وفي إنكار أحد الأنبياء أو أحد كتبهم نقل عن شيخ الإسلام[٦] أنه ناقض ، فقال رحمه الله :

(١) الرِّبْقة في الأصل: عُرْوة في حبل تُجعل في عنُق البهيمة أو يدها تمسكُها، فاستعارها للإسلام، فربقة الإسلام: ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام: أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه. انظر: العين للخليل ٣٩٧/١، والنهاية لابن الأثير ١٩٠/٢

(٢) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٢٥

(٣) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٦٧١/٢

(٤) سورة المائدة:٣٣

(٥) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٦٧١/٢

(٦) في الجواب الصحيح ١٣٢/١

(فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد فهو عندهم[1] كافر)[2] .

ولم يستبعد الشيخ أن بغض علي لخصوص قرابته ونصرته للإسلام صاحبه كافر كفرا أكبر، فقال رحمه الله :

(قوله صلوات الله عليه : ((لا يبغضك إلا منافق))[3] المراد منه الذي يبغضه عليه السلام لخصوص قرابته منه ﷺ، وحبه للنبي وحب النبي له، وكونه زوج كريمته، وحامل ذريته، وأبا السبطين الشهيدين عليهما السلام، ولنصرته للإسلام وسابقته فيه، فمن كان كذلك؛ فلا يستغرب منه النفاق، ولا يستبعد عنه الكفر؛ حيث إنه بغيض للدين، عدو للإسلام والمسلمين، مناصب العداء للرسول الأمين، وآل بيته الطاهرين)[4].

وقد أثنى الشيخ على تحقيق ابن قيم الجوزية لحكم تارك الصلاة عمدا، بعدم صحة إيمان من لم يصل، فقال رحمه الله :

(ساق هذا الإمام[5] حجج الفريق الأول القائل بصحة إيمان من لم يصل ، وجاء بأدلة الفريق الثاني، فعد من القرآن عشرة أدلة ، ومن السنة اثني عشر دليلا بعدم صحة إيمانه، ونقل إجماع الصحابة عليه، ثم عقد فصلا في الحكم بين الطائفتين، ثم كان هو الحكم العدل بما عهد فيه من تحرير لمحل النزاع، وإنصاف للخصم، وبعد عن الهوى، وناهيك بما أوتي من سعة في العلم، وإصابة في الحكم، ونصر للدليل، وطلب للحق، وابتغاء لمرضاة الله تعالى)[6] .

---

(١) أي : عند المسلمين.

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨٠

(٣) رواه الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٣٧٣٦)، ورواه النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه باب علامة الإيمان ح(٥٠١٨) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٠٦

(٥) انظر : كتاب الصلاة لابن قيم الجوزية ص١٤٠-١٠٧

(٦) كتاب الصلاة وأحكام تاركها، ابن قيم الجوزية (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٦٥/٣١ جمادى أولى ١٣٧٥هـ.

المبحث السادس:الأسماء والأحكام

محل بحث الأسماء والأحكام في الفاسق الملي، حيث الوعيدية ينفون عنه اسم الإيمان ويخلدونه في النار[1] ، وحجتهم النصوص التي فيها نفي الإيمان عنه -والإيمان عندهم لا يتبعض-.

والانحراف في هذا الفهم أتى من عدم جمع ما في الباب من النصوص التي من ضمنها نصوص تصرح بعدم تخليد الفاسق في النار مع ارتكاب الذنوب كقوله ﷺ : ذر، يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قال أبو ذر ﷺ: وإن زنى وإن سرق؟ قال ﷺ : وإن زنى وإن سرق))[2].

والاجتزاء بنص وعدم اعتبار جميع ما في الباب من منهج أهل الأهواء والبدع في التعامل مع النصوص.

وأهل السنة يعتبرون جميع ما في الباب من النصوص، ولا يكفرون مسلما بذنب ما لم يستحله، ولا يخلدونه في النار لأجل ذنبه، ويعتبرون الفاسق الملي مؤمنا ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأمره إلى الله ﷻ : إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه بمنه وكرمه، وأصحاب الكبائر ممن جاءت النصوص بصلاحيتهم للشفاعة[3] .

---

(١) الاختلاف بين الوعيدية في تخليد الفاسق في النار هو: أن الخوارج يجعلون عذابه مثل عذاب الكافر، أما المعتزلة فدون عذاب الكافر. انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص٧١٣

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ح(٩٤)

(٣) انظر: العقيدة الطحاوية، أبي جعفر الطحاوي ص٤٥، ٤٩-٥٠، والعقيدة الواسطية، لابن تيمية ص١٢٣-١٢٥

وفي عدم تكفير المسلم بذنب، وعدم تخليده في النار ، نقل الشيخ عن ابن تيمية قوله :

(وأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب، ولا نخلد أحدا في النار من أهل الإيمان)[1] .

وفي سياق رد الشيخ على أحد الروافض في تكفيره بعض الخوارج؛ لقتالهم عليا بحديث ((لا يبغضك إلا منافق))[2] ، قرر الشيخ أن إطلاق النفاق هنا كإطلاق الكفر على المسلم بذنب دون الكفر إلا إن حُمل على بغض علي لأجل قرابته للنبي ﷺ ونصرته إياه، قال رحمه الله :

(... ثم إن لهذا الحديث[3] نظائرَ وأشباهاً في السنة، كقوله ﷺ : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[4] وقوله صلوات الله عليه : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[5] ، وقوله : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن))[6] ، ومثل هذا في السنة كثير.

وقد قال الإمام النووي رحمه الله عند قوله ﷺ : " لا يزني الزاني .... إلخ" : "باب : بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ،

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠، وانظر منه ص١١٣

(٢) رواه الترمذي: كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٣٧٣٦) ورواه النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه باب علامة الإيمان ح(٥٠١٨) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) أي : حديث ((لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق))

(٤) رواه البخاري: كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ح(١٠) وفي كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي ح(٦١١٩) ورواه مسلم: كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ح(٤١).

(٥) رواه البخاري: كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح(١٣).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة ١٠٤/٧ (٥٥٧٨) ومسلم في كتاب الإيمان باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ٧٦/١ (٥٧)

وساق الحديث بتمامه، ثم قال : " هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان".

قال :" وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ولا عيش إلا عيش الآخرة".

قال: " وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره : ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق)) ، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه صلى الله عليه وسلم على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا .. إلى آخره، ثم قال لهم ﷺ : ((فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه))(1) .

قال :" فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قوله الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾.(2) مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك ، لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان : إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة.

قال: وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه." انتهى كلام النووي رحمه الله(3) .

---

(1) رواه البخاري : باب : علامة الإيمان حب الأنصار ح(١٨)، ورواه مسلم : باب الحدود كفارات لأهلها ح(١٧٠٩) .

(2) سورة النساء:٤٨

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي ٢/٤١

قلت : ويقال في قوله ﷺ لعلي عليه السلام : ((لا يحبك إلا مؤمن))[1] : ما قاله النووي في حديث : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. إلخ)) حرفا بحرف؛ إذ الأولى حمل الأشباه على نظائرها، والنظائر على أشباهها، فعلى هذا : معنى الحديث : لا يحبك إلا مؤمن تام الإيمان، وأصل الإيمان حاصل لمن يكن متصفا بهذه الصفة، وليس المقصود أن من لم يكن متصفا بها يكون خارجا عن الدين، معدودا في جملة الكافرين.

الثاني : أن قوله ﷺ : ((لا يبغضك إلا منافق))[2] : ليس المقصود منه النفاق الشرعي الذي هو إظهار الإيمان واستبطان الكفر، بل هو نفاق دون نفاق)[3] .

ثم قررالشيخ في مبغض علي رضي الله عنه التفريق بين أن يبغضه لأمر ديني أو أمر دنيوي وشبهه، فقال رحمه الله :

(أقول : إن هذا[4] مفرع على ما فهمه من الوعيد على مطلَق البغض، مع أنه مقيد ببغض منشؤه أمر دنيوي، وحظ نفسي ، وحسد على فضل سابقته، وكرامة مزيته، وأما بغض نشأ على تأويل، وزعم صاحبه فيه أنه مطيع لله سبحانه، ولم يقصد فيه إلا وجهه تعالى ، فلا يتناوله الحديث بلا ريب ..)[5] .

وفي تقريره أن النفاق لا يرادف الكفر الأكبر في جميع النصوص ، قال الشيخ – مفرقا بين النفاق الاعتقادي والعملي– :

---

(١) سبق تخريجه ص١٩١

(٢) سبق تخريجه ص٢٠٥

(٣) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٠٣-١٠٤

(٤) أي قول جعفر آل كاشف الغطاء النجفي الرافضي: "كل من يبغض عليا منافق، وكل منافق كافر".

(٥) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١١٥

(... لأن النفاق لا يساوِقُ[1] الكفر في سائر موارده، كما يعلم ذلك من استقرأ مواضعه في الأحاديث والآثار، فلا يسلم له[2] قوله : المنافق كافر أو أسوء منه كليا؛ لأن المنافق أو الأسوء منه إنما هو المنافق الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر، بمعنى : أنه يظهر الإيمان تقية من أهله، وهو مع ذلك يشرك بالله، ويكذب بوحيه، ويكفر برسوله ، ويجحد كل ما جاء به النبي ﷺ، فهذا هو المنافق الكافر)[3]

---

(١) أي : لا يتابعه في جميع المواضع ، من تساوقت الإبل إذا تتابعت. انظر: المصباح المنير للفيومي ص٢٩٦، وتاج العروس للزبيدي ٤٨١/٢٥، والمعجم الوسيط ٤٦٤/١

(٢) أي للرافضي : جعفر آل كاشف الغطاء.

(٣) نقد عين الميزان ص١١٦

المبحث السابع:الولاية الإلهية، والكرامة

الولاية الإلهية : هي المعية الخاصة.

والولي: هو المؤمن التقي، قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [(١)]

وسبب الولاية هو : الإيمان والتقوى[(٢)] .

والكرامة : هي ما يمتن الله به على أحد أوليائه من إكرام معنوي[(٣)] ، أو خرق حسي للعادة؛ لوجود سبب يقتضيه[(٤)] .

والكرامة حق باتفاق أهل السنة والجماعة، بشقيها الحسية والمعنوية –وإن كان الأولى أكثر ذكرا في المصنفات–.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الكرامة: وسط بين المقصرين الذين أنكروها كالمعتزلة، والغالين الذين غلوا في إثباتها كالروافض والمتصوفة.

وقرر الشيخ أهمية ومنزلة الولاية بقوله رحمه الله :

---

(١) سورة يونس:٦٢-٦٣

(٢) ورد في كتاب: كرامات الأولياء ، عبد الله العنقري ص٢٧ أن "الولاية هي اجتماع الإيمان والتقوى" وليس بصحيح ؛ إذ اجتماعهما هما سبب الولاية.

(٣) كإجابة الدعاء، والاستقامة، وليس فيهما خرق عادة. انظر: المصدر السابق ص٤٤-٤٥

(٤) انظر المصدر السابق ص٣١

(ما أشد حاجة الأمة في كل زمان ومكان إلى هذه الولاية الإلهية، وإلى الدلالة عليها، ومعرفة الطريق الموصلة إليها)(١) .

وفي تقرير وجوب الإيمان بالأولياء(٢) نقل عن الشيخ محمد رشيد رضا في الوحي المحمدي، وعقب الشيخ عليه تركه وصف الأولياء في القرآن ، فقال الشيخ رحمه الله :

(وقال ص٣٣ :".... ويجب الإيمان بالأولياء، قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (٣)"

وقد ترك المؤلف وصفهم في الآية التالية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.(٤) ، فأولياء الله هم الصالحون المؤمنون المتقون، وليس لولاية الله في هذه الآية غير هذا المعنى)(٥) .

وقال في موضع آخر –عن الأولياء– معرفا بهم ومستدلا بالقرآن :

(وأولياء الله هم المتقون المؤمنون، وكرامتهم ثمرة إيمانهم وتقواهم، كما جاء في سورة يونس ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.(٦) ، والمعنى كما يقول بعض الأئمة بإيجاز : أولياء الله الذين يتولونه بإخلاص العبادة له وحده والتوكل

---

(١) ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق لكتاب: "قطر الولي على حديث الولي"، بقلم: إبراهيم هلال، تقديم : ابن الخطيب(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٨٥٥/٤٥ شعبان ١٣٩٠هـ

(٢) كذا في الأصل، والمراد الإيمان بوجودهم؛ حيث أثبتهم القرآن .

(٣) سورة يونس:٦٢

(٤) سورة يونس:٦٣

(٥) محمد رسول الله، محمد رشيد رضا (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧٩/١٦ شعبان ١٣٦٠هـ .

(٦) سورة يونس:٦٢-٦٤

عليه، ولا يتخذون له أندادا يحبونهم كحبه، لا خوف عليهم في الآخرة -وهم أولياء الرحمن- مما يخاف منه أولياء الشيطان، ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ . وكذلك في الدنيا ، لا يخافون مما يخاف منه غيرهم، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١). فالموصوفون بما ذكر بهذه الآيات الكريمةوغيرها ، لهم البشرى في الحياة الدنيا بالنصر، وحسن العاقبة في كل أمر، ولا تغيير ولا تبديل في مواعيده تعالى، ومن جملتها بشارة المؤمنين المتقين بجنات النعيم، ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ لأنه ثمرة الإيمان الحق، والتقوى في حقوق الله وحقوق الخلق)(٢) .

وفي ذكر الولاية في القرآن يقول الشيخ رحمه الله :

(والناظر في آي الذكر الحكيم بتدبر وإمعان، يراها مجتمعة في ثلاث آيات كريمة ، وهي قوله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

(٣)، فقد وصفهم الله تعالى بالإيمان والعمل، ونفى عنهم الخوف والحزن، وبشرهم بالسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة)(٤) .

وفي ذكر الولاية في السنة يقول الشيخ رحمه الله :

(وهذا الكتاب : "ولاية الله والطريق إليها" للإمام الشوكاني الشهير، ولمحققه الكاتب الكبير: إبراهيم إبراهيم هلال ، هو شرح لحديث الولي، ونصه :

---

(١) سورة آل عمران:١٧٥

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٤٧/٤٦ ذو القعدة ١٣٩٠هـ .

(٣) سورة يونس:٦٢-٦٤

(٤) ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٨٥٥/٤٥ شعبان ١٣٩٠هـ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه))[1] إلى آخر هذا الحديث الشريف، ومبنى الكتاب عليه)[2] .

وفي معنى الولاية التي سار عليها السابقون قال الشيخ رحمه الله :

(والولاية الإلهية -كما لا يخفي- هي زهد في الدنيا، وعرضها الأدنى ، وإيثار لمرضاة الله عليها، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فصاروا بهدي الله أمة دين وعرفان، ومدنية وعمران، وعزة وثروة وقوة، وعلوم وفنون وصناعات)[3] .

وقد ذكر الشيخ مراحل تطور مصطلح الولاية ، فقال رحمه الله :

(... وهذه الفصول الخمسة مقدمات تبلغ مئتي صفحة، وهي دراسة للمحقق "الهلال" وفيها بيان أن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، هم الذين تصدق عليهم هذه الولاية الإلهية، وهي علم وعمل واعتقاد وجهاد، ثم سرى في الأمة اسم الولاية على التصوف وهو الانعزال عن الناس مع صفاء القلب والسريرة "صافي وصوفِيَ حتى سُمِّي الصوفي" ثم بعُد عن الأصل حتى صار علما اصطلاحيا، تُذكر فيه المقابلات بين الحق والخلق، والوجود والشهود، والبقاء والفناء، وشواهد ذلك كله موجودة في الفتوحات

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: التواضع ١٠٥/٨ (٦٥٠٢)

(٢) ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٨٥٥/٤٥ شعبان ١٣٩٠هـ .

(٣) المصدر السابق ٨٥٦/٤٥

وفصوص الحِكم للشيخ ابن عربي، وغيرهما ككتب الشيخ الجيلي[1] ، ثم ضعف وانقلب عند بعض العامة إلى شعبذة وشعوذة[2])[3].

ثم يثْنِي الشيخ على الرد على الفرق المنحرفة في الولاية ويقول رحمه الله :

(ولكن مؤلف الكتاب ومحققه يردان أبلغ رد على الفرق المنحرفة عن ولاية الله الظاهرة في الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، ويدعون الدعوة الصادقة إلى إعادة الولاية إلى ما كانت عليه في الصدر الأول)[4] .

وفي سياق رده على الإسكندراني[5] في اتهامه أتباع الإمام محمد بن عبدالوهاب بأنهم ينكرون الكرامة ، يقول الشيخ رحمه الله :

(ثم إن كرامات الأولياء ما سمعنا من أحد إنكارها، وإذا كان ثَم إنكار فإنما هو على أشياء مكذوبة لا تطابق عقلا ولا نقلا، وكيف ينكرها قوم يتلون كتاب الله وسنة رسوله ..)[6] .

---

(١) الجيلي يطلق على كثيرين ! والمقصود هنا هو القطب الجيلي : عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، والمترجم له من علماء المتصوفة، له كتب كثيرة، منها: الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر(في اصطلاح المتصوفة)، وشرح مشكلات الفتوحات المكية . وتوفي عام : ٨٣٢هـ. انظر : الأعلام ٥١/٤

(٢) الشعوذة والشعبذة بمعنى واحد وهي:خفة في اليد، وأخذٌ كالسِّحر يُري غير ما عليه الأصل من عجائب يفعلها كالسِّحر في رأي العين. انظر: العين للخليل ٢٤٤/١، وتهذيب اللغة للأزهري ٢٥٨/١

(٣) ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٨٥٧/٤٥ شعبان ١٣٩٠هـ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سبقت ترجمته ص٤٧

(٦) النفخة على النفحة والمنحة، ناصر الدين الحجازي الأثري (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص٥٠، مطبعة الترقي عام ١٣٤٠هـ .

وقد نقل الشيخ عن رشيد رضا الفرق بين كرامة الولي وآية النبي ﷺ بأن الولي لم ينتسب إلى النبوة بخلاف النبي ﷺ ، فقال رحمه الله :

(وقال ص٣٣ : " وكرامات الأولياء كمعجزات الأنبياء، غير أنهم لم يدَّعَوا النبوة)[١]

.

و في ترجمة رجب الصيادي[٢] قال جد الشيخ -قبل أوبته إلى طريقة السلف- في كتابه :"حلية البشر " :

" ... ورأى من الكرامات ما يحير العقول ، وقد ذكر بعضها السيد أبو الهدى المومى[٣] إليه، في تنوير الأبصار[٤] ، كإبراء المقعد والمجنون، والملووق[٥]، والإخبار ببعض المغيبات،والإنفاق مما لا يعلم له أصل ولا سبب، بل من كنز الغيب، وإقبال الخاص والعام عليه، وقال في آخرها: ولو أردنا تعداد كراماته الثابتة المتواترة لاحتجنا إلى مجلد كبير"[٦].

فعلق الشيخ -منكرا مبالغات الصوفية في الكرامة- قائلا :

---

(١) محمد رسول الله، محمد رشيد رضا (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧٩/١٦ شعبان ١٣٦٠هـ .

(٢) هو رجب بن محمد بن حمود بن عثمان آل خزام الصيادي ، ولد بالشام ، صوفي، توفي عام ١٢٨٠هـ. انظر حلية البشر ٦٢٨/٢

(٣) **في الأصل** : **المرمى وقد أومأ** إلى **اسمه** في حلية البشر **قبل أسطر بقوله: "أبو الهدى أفندي بن السيد حسن وادي"**

(٤) هو كتاب : تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، لمحمد أبو الهدى أفندي بن السيد حسن وادي.

(٥) كذا **في المصدر ولم أجده في كتب اللغة بأنواعها، وأظن الصواب: المألوق، أي: المصروع الممسوس**. انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢١٣/٥

(٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٦٢٧/٢

(ترجمة السيد رجب الصيادي في "التنوير"، المطبوع بالقطع الكبير في ص١١٨-١٢١ ، وهي مملوءة بهذه العجائب الغرائب، قال : "وظهر على يديه من الخوارق ما لا يكاد يحصى" وذكر منها أشياء كثيرة، وأعلن أنها مشاهدة مشهورة.

قلت[1] : إن ما عده التنوير من خوارق العادات، حكاياته لا تحصى كثرة في جميع الأمم على تراخي العصور، ولو ثبت ظهور ما يحير العقول، كإبراء المقعد والمجنون والملووق، وكتكثير الطعام القليل، وكإزالة الخوف والضرر، في أشد ساعات الخطر، لو ثبت ذلك كله لكان رحمة من الله تعالى يظهرها على أيدي بعض الصالحين من عباده، بأسباب روحية أو مادية)[2] .

ثم قال الشيخ مشككا بمثل هذه الحوادث:

(وكم ذا رأينا من قعد بهم المرض، ومن منعهم من الكلام، ومن هدَّت قواهم الآلام، وقد أنفقوا ما يملكون على أجور الأطباء والمشايخ، وشراء الأدوية والعقاقير، فلم يفدهم ذلك . رأينا بعض من فتنوا بمدعي الطب الروحاني قد سلبوا أموالهم وعقولهم معها.

والصواب هو الأخذ بالأسباب، والتوكل على رب الأرباب جلَّت حكمته)[3] .

---

(١) أي البيطار .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق.

الباب الثاني
جهود العلامة البيطار في الدفاع عن عقيدة السلف

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : جهوده في الدفاع عن مصادر العقيدة، والذب عن السلف، ومن سار على منهجهم.

الفصل الثاني: جهوده في التحذير من البدع، وتقرير كمال الدين .

الفصل الثالث : جهوده في الرد على الأديان والمذاهب والدعوات الباطلة.

الفصل الأول
جهوده في الدفاع عن مصادر العقيدة، والذب عن السلف، ومن سار على منهجهم.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : جهوده في الدفاع عن مصادر عقيدة السلف .

المبحث الثاني : جهوده في الدفاع عن السلف الصالح، وبيان فضلهم والثناء عليهم.

المبحث الثالث : جهوده في الدفاع عمن سار على طريقة السلف من العلماء .

المبحث الأول : جهوده في الدفاع عن مصادر عقيدة السلف .

مصادر العقيدة تشمل نوعين من المصادر :

١. مصادر الاستدلال، وهي : الكتاب والسنة والإجماع .

٢. ومصادر علم العقيدة والبحث فيها، وهي : الكتب والمراجع التي يُرجع إليها في تقرير مسائل العقيدة[١] .

والمراد هنا هو النوع الأول .

ولما كان ابتناء العقيدة على الأمر المعصوم كان من الأهمية بمكان حصر الاستدلال أصالة بالكتاب والسنة .

وقد قام أهل السنة بالدفاع عن المصادر الصحيحة للعقيدة، بمحاربة المصادر الفاسدة لعقائد المنحرفين عن جادة السلف، والتي أضعفت التمسك بالمصادر الصحيحة للعقيدة، مثل : العقل بجعله حاكما مستقلا عن النصوص، والإلهام والمنامات ونحوها .

وقد قرر الشيخ وجوب رد ما يتجدد إلى الوحيين، وسنة السلف، فقال رحمه الله -بعدما منع الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته- :

(فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل وسنة النبي المرسل، وما عرف من سنن الصدر الأول للإسلام)[٢] .

وفي موضع آخر بين الشيخ أن السعادة وسبيل نهضة الأمة لا تكون إلا بالرجوع إلى الوحيين، فقال رحمه الله :

---

(١) انظر : مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة، أ.د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ص٦٢

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ١٢٣٥/٣، وانظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٣

(ألا وإن السعادة لا تعود لهذه الأمة إلا إذا هي عادت للقرآن الحكيم وسنة النبي الكريم علما وعملا **واعتقادا**، وأدبا وخلقا، ففيهما أقوى الحوافز إلى أسمى الآفاق، وأبعد الأشواط الموصلة إلى أعلى ما يكون من رفعة الذكر وعلو القدر وقوة التمكين والنصر، وبالله التوفيق)[١] .

وفي تقرير كفاية الكتاب والسنة فيما يحتاج إليه من الاعتقاد ودلائله، لخص الشيخ كلام ابن تيمية[٢] ، فقال رحمه الله :

(إن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها، ويجب أن تذكر قولاً، أو تعمل عملاً، كمسائل التوحيد والصفات، والقدر، والنبوة، والمعاد، أو دلائل هذه المسائل. أما القسم الأول فكل ما يحتاج الناس إلي معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر. وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه، والحكمة التي هي سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم التي نقلوها أيضاً عن الرسول، مشتملة من ذلك على غاية المراد، وتمام الواجب والمستحب.

والرسل صلوات الله عليهم وسلامه بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بإفسادها وتغييرها، قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) الإمام الشافعي، عبد الغني الدقر (تعريف ونقد) بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة ٦٧٣/٤٨ جمادى الأولى ١٣٩٢هـ ،وانظر : مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٢٨/١، و كتاب الشرح والإبانة علي أصول السنة والديانة، لابن بطة العكبري (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة ٣٤٩/٣٤ رمضان ١٣٧٨هـ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ٢٧/١ وما بعده.

يَعۡلَمُونَ﴾.(1) والغرض التنبيه على أن في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين)[2] .

ويقول الشيخ في مفاسد الإعراض عن العمل بالوحيين :

(وهل فرّق كلمتنا ومزق وحدتنا وجعلنا حجة لخصومنا على ديننا إلا الإعراض عن هديهما ، وعدم العمل بهما ؟ وكيف يُرجى التجديد لما اندرس لمعالم هذه الأمة إذا قرئ القرآن وتليت السنة لا للعمل؟ ومنزِّل الكتاب عز شأنه يقول : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.(3))[4] .

وقد رد الشيخ على من يظن أن العمل بنصوص الوحيين فتح لباب الفوضى، فقال رحمه الله :

(يظن كثير من الناس أن العمل بالكتاب والسنة وبالاجتهاد هو فتح لباب الفوضى والفساد، وهذا خطأ لا يحتمل الصواب، وإنما القصد أن ينظر العلماء فيما يجد ويتجدد من الحوادث والنوازل ، وما يسخر من مخترعات البر والبحر والجو، فيستنبطون لها من الكتاب والسنة والأحكام من حلال وحرام، على قاعدة جلب المصالح للأمة ودفع المفاسد والمضار عنها، هذا هو الطريق الوسط بين الجمود والتقليد ، وبين التهور أو التدهور المسمى بالتجديد)[5] .

---

(1) سورة الروم: ٣٠

(2) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٩٦ -٩٧

(3) سورة الرعد: ١١

(4) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٢٨

(5) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ١٣١٩/٣

ومن قبيل الدفاع عن الكتاب والسنة نقل الشيخ عن ابن تيمية[١] وجه الكلام المحدث وما بني عليه الذي عارض به المتكلمون الوحيين، فقال رحمه الله :

(..من عرف ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ، ازداد بصيرة وعلماً ويقيناً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنة من كلامهم الذي يسمونه عقليات: هي من هذا الجنس الذي لا ينفُق[٢] إلا بما فيه من الألفاظ المجملة المشتبهة، مع من قلت معرفته بما جاء به الرسول وبطرق إثبات ذلك، ويتوهم أن بمثل هذا الكلام يثبت معرفة الله وصدق رسله، وأن الطعن في ذلك طعن فيما به يصير العبد مؤمناً، فيتعجل رد كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لظنه أنه بهذا الرد يصير مصدقاً للرسول في الباقي.)[٣] .

وفي رد أن يكون في الأدلة العقلية الصحيحة ما يناقض ما في الوحيين لخص الشيخ عن ابن تيمية[٤] أن ما في السمع من الأدلة العقلية ما يغني عن معقولات النظار، فقال رحمه الله :

(فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول، وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر: ليس موقوفاً على وجودنا، فضلاً عن أن يكون موقوفاً على عقولنا، أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا.

وهذا كما أن وجود الرب تعالي وما يستحقه من الأسماء ثابت في نفس الأمر، سواء علمناه أو لم نعلمه.

ومعلوم أن السمعيات مملوءة من إثبات الصانع وقدرته وتصديق رسوله، ليس فيها ما يناقض هذه الأصول العقلية التي بها يعلم السمع، بل الذي في السمع يوافق هذه الأصول، بل السمع فيه من بيان الأدلة العقلية على إثبات الصانع، ودلائل ربوبيته وقدرته،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٠٦

(٢) في أصل البيطار: يتفق، والتصحيح من المصدر الذي استقى منه الشيخ.

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٢٠

(٤) الدرء ١/٩٢،٨٨

وبيان آيات الرسول ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النظار، فليس فيه –ولله الحمد– ما يناقض الأدلة العقلية التي بها يعلم صدق الرسول)[1] .

وفي تعريف الدين بما يدل على استمداده من غير الوحيين رد الشيخ قائلا :

(وقد وقع المؤلف في أغلاط دينية كبرى ما ندري ما الذي جره إليها، أو جرأه عليها ! فمنها تعريفه الدين أنه "تجنب السلوك بما يجانب الفطرة"، " أو هو الكيفية التي توحي بها الفطرةُ السليمة حلَّ المشاكل الإنسانية" ا. هـ.. ص٤٣ .

وهذا دين غير إسلامي ولا سماوي؛ لأنه يستمد الإلهام والنظام من الفطرة الإنسانية، لا من الشرائع السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه، وأرسلهم بها إلى الناس، وليس منبع الدين النفس ولا مصدره الإلهام، ولكنه وضع إلهي ، ووحي سماوي ينير للفِطَر السليمة طريق السعادة العظمى)[2] .

وفي كلامه السابق أيضا إبطال أن يكون الإلهام مصدرا للدين.

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٩٧-٩٨ ،

(٢) تاريخ التوحيد أحمد صبري شويمان (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٥٨/٢١ شوال وذو القعدة ١٣٦٥هـ .

المبحث الثاني:جهوده في الدفاع عن السلف الصالح وبيان فضلهم والثناء عليهم .

السلف، هم: الصحابة والتابعون وتابعوهم -على الراجح-.

وقيل : الصحابة فقط.

وقيل : الصحابة والتابعون فقط[1] .

والإلزام باتباع منهجهم، لقول النبي ﷺ:

((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ)) [2] ، ولكونهم خير القرون بشتى مجالات الاقتداء: علما وعملا وسلوكا، قال ﷺ:

((خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[3] .

وكفاهم فضلا أن رضي الله عنهم بقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4].

---

(١) انظر: وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم عبد الله، ص٩٧-٩٨

(٢) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح(٢٦٧٦)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني» أراد به الصحابة الذين كانوا قبله وبعده ٢٠٦/١٦ ح(٧٢٢٣) وأصله في صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ح(٢٥٠٩) ، وصحيح مسلم صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ح(٢٥٣٣).

(٤) سورة التوبة: ١٠٠

ولما كان السلف -وأولاهم الصحابة-هم الذين ائتُمنوا على الدين، ونقلوه إلينا جيلا بعد جيل؛ فإن الطعن فيهم أو التهوين من التمسك بهديهم ، يؤدي إلى تغيير الدين الخالص الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ .

ولذلك قام أهل السنة الخلَّص بالدفاع عنهم في شتى مجالات التعبد.

وبناء على عموم رسالة نبينا ﷺ ، قرر الشيخ عموم دعوة السلف في الأعصار والأمصار، فقال رحمه الله :

(لم يقتصر أمر الدعوة إلى الدين الخالص ومذهب السلف الصالح والحضارة الإسلامية العربية المصفاة من الشوائب على زمان خاص أو مكان خاص، بل هو عام في كل الأعصار والأمصار و ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله))[(١)] كما قال الرسول -صلوات الله وسلامه عليه)[(٢)]

وقد قرر الشيخ في تحديد المراد بالسلف بأنهم القرون الثلاثة المفضلة ومن تبعهم بإحسان، وأنهم رضي الله عنهم بالنص، فقال رحمه الله :

(وإذا قلنا : نتبع السلف الصالح في المعقول والمنقول، المراد بهم أئمة الكتاب والسنة، وهداة هذه الأمة من السابقين الأولين من الصحابة الكرام، ومن التابعين لهم بإحسان ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن، ومنهم أئمة الحديث، والفقه في الذين تبعوهم في الاعتصام بنصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تبديل)[(٣)]

ثم قال رحمه الله مادحا للسلف:

(فهذه هي السلفية الصحيحة التي يقال في مثلها :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب: قوله ﷺ : لا تزار طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ١٥٢٣/٣ (١٩٢٠)

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٨٧/١

(٣) الإسلام والصحابة الكرام، بهجة البيطار ص٢٨

وكـل خـير في اتبـاع مـن سـلـف وكـل شـر في ابتـداع من خلف[1])

وما ذهب إليه الشيخ في تحديد المراد بالسلف هو قول السفاريني رحمه الله في لوامع الأنوار[2] .

وفي ثناء الشيخ على من يتمسك بمنهج السلف، وتأكيده على عدم صلاح هذه الأمة إلا باتباعهم ، قال رحمه الله:

(كان شيخ الإسلام يرجح في أمر المعتقد مذهب السلف الصالح، ويعض عليه بالنواجذ ويحاول إرجاع الناس إليه بكل الوسائل، يرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها[3] ، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديما وحديثا، وكان شديد الانتصار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج العقلية والنقلية)[4] .

وفي بيانه للمقام العالي الذي كان عليه السلف الصالح ، قال رحمه الله:

(ما كان عليه السلف الصالح من علم وعمل وتقوى لله عز وجل)[5]

و قد وضح الشيخ أن العلوم الحديثة أبانت أن ما فهم السلف هو الأعلم والأحكم، فقال رحمه الله :

---

(١) البيت للَّقَّاني في منظومته: جوهرة التوحيد بيت رقم ١٣٧ (ضمن مجموع مهمات المتون، ليوسف بديوي ص٣١)

(٢) ١/ ٢٠ ط٢ الخافقين (دمشق) عام ١٤٠٢

(٣) لم أقف على من روى هذه العبارة مسندة عن مالك، وأقدم من ذكرها هو القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي المالكي (ت:٢٨٩) في كتابه المبسوط (وهو مفقود) ونقلها عنه القاضي عياض في كتابه الشفا ٢/ ٢٠٥

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٨، وانظر منه أيضا : ص٦١

(٥) الإمام الشافعي، عبد الغني الدقر (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٧٣/٤٨ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ .

(العلوم الحديثة قربت فهم النصوص على طريقة السلف، وبينت أنها الأعلم والأحكم، بَلْهَ كونها الأهدى والأسلم)[1] .

وقد بيَّن الشيخ المعنى الصحيح لاتباع السلف بما يبطل ظن بعضهم بأن المتبعين للسلف يريدون إحياء الدين وإماتة الحضارة، أو عدم الانتفاع من مخترعات الغربيين، فقال رحمه الله :

(يظن بعض الناس أن دعاة الإصلاح والتجديد لأمر الدين والتوحيد على أساس الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة ، إنما يحاولون إحياء الدين وإماتة ما عداه من علوم السلف وحضارتهم، أو عدم الانتفاع بما تدعو إليه الحاجة من مخترعات الغربيين ومدنيتهم، إن تعجب فعجب هذا الزعم الباطل !

إن سلفنا الصالح الذين نهتدي بهديهم ونقفو أثرهم قد جعلهم الله هداة للناس في الدنيا والآخرة ، وأورثهم أرض كثير من الأمم القديمة وما عليها من علوم وآداب وحضارة وصناعة وعمران ونحن نتلو أخبارهم، ونقفو آثارهم، وإن لم نبلغ شأوهم[2] ، ونستفيد من محدثات الأمم المعاصرة، كما استفاد سلفنا من مزايا الشعوب والأمم الغابرة .

إنا نحاول أن نكون أمة ذات مدنية عربية إسلامية، لا شرقية ولا غربية، أساسها الأخلاق والفضائل ، وميزانها إقامة العدل بين الخلائق، وهذا الطراز الممتاز من المدنية نقتبسه من نور العصور الذهبية للإسلام.

ولقد ذاق الناس من ظلم المدنية الحدثية ما جعل أشد الناس إيمانا بها من قبل ، أشدهم بغضا لها، وكراهية للناس المستبدين الظالمين من أهلها)[3] .

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٢

(٢) أي : غاية ما وصلوا إليه؛ من الشأو بمعنى : الغاية. انظر: العين للخليل ٦/٢٩٧، وتاج العروس للزبيدي ٣٨ /٣٤٥

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦١

وفي دفاعه عن السلف في اتهامهم بأنهم حشوية ، نقل الشيخ عن ابن تيمية في مناظرته[1] تأريخ هذه الفرية وأثرها ، فقال رحمه الله :

(هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة، فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم الحشو، كما تسميهم الرافضة الجمهور، وحشو الناس: هم عموم الناس وجمهورهم وهم غير الأعيان المتميزين، يقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جمهورهم.

وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد، وقال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشويا: فالمعتزلة سموا الجماعةَ حشواً كما تسميهم الرافضة الجمهور. وقلت – لا أدري في المجلس الأول أو الثاني – : أول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي. وقلت لهذا الشيخ: من في أصحاب الإمام أحمد – رحمه الله – حشوي بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم أبو داود، المروذي[2] ، الخلال، أبو بكر عبد العزيز[3] ، أبو الحسن التميمي[4]، ابن حامد، القاضي أبو يعلي، أبو الخطاب، ابن عقيل؟ ورفعت صوتي وقلت:

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٦ ط مجمع الملك فهد عام ١٤٢٥هـ

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ، أبو بكر المروذي: عالم بالفقه والحديث، كان أجل أصحاب الإمام أحمد، خصيصا بخدمته، يأنس به الإمام ويقول له: كل ما قلتَ فهو على لساني وأنا قلتُه! وروى عنه مسائل كثيرة، هو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله، توفي عام : ٢٧٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٥٦-٦٢ ، والأعلام للزركلي ١/٢٠٥

(٣) هو عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداذ ابن معروف البغوي، أو بكر، غلام الخلال: مفسر، ثقة في الحديث، متسع الرواية، من أعيان الحنابلة، من أهل بغداد، كان تلميذا لأبي بكر الخلال، فلقب به، وقد ذكر أبو الحسن ابن أبي يعلى طرفا من اختياراته التي خالف فيها اختياراتَ شيخه أبي بكر الخلال انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢/ ١١٩-١٢٦، والأعلام للزركلي ٤/١٥

(٤) هو عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث، أبو الحسن التميمي: فقيه حنبلي، له اطلاع على مسائل الخلاف. صنف كتبا في " الأصول " و " الفرائض " قال ابن الجوزي : (وقد تعصب عليه الخطيب -أي البغدادي-، وهذا شأنه في أصحاب أحمد، فحكى عن أبي القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العكبري أن التميمي وضع حديثا، وهذا العُكْبري لا يعول على قوله، فإنه لم يكن من

سمّهم ! قل لي من هم؟ من هم؟؟ أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين؟)[1] .

وفي دفاع الشيخ عن علوم السلف وحضارتهم، قرر -ردا على الزهاوي الذي لم ترق له علوم السلف- أن المنصفين شهدوا بتقدم حضارتهم، وأن لم يكن ممكنا أبدع ما توصلوا إليه في حضارتهم حينها، وأن ما ينشره الزهاوي من الاستغاثة بغير الله هي التي يتخلف المسلمون بها عن التقدم والنصر، فقال رحمه الله :

(وإني أعرض أمثلة من كتاب واحد على القارئ المنصف ؛ ليتأكد بها أني أنظر فيما أكتب إلى ما قال لا إلى من قال، وأعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال)[2]

ثم عَنْون الشيخ بعنوان جانبي قائلا :

(رباعيات الشاعر الزهاوي ج٣ :

قال في طليعتها- مترجما نفسه تحت عنوان : "حياتي"- :

تعلمت كثيرا من علوم الأولين فلم ترُق لي !!

أقول[3] : لم يبق مؤرخ منصف شرقي أو غربي، عربي ولا أعجمي إلا وشهد لسلفنا الصالح في قرونهم الثلاثة الأولى الذهبية -قرون التوسع في العلوم واستبحار العمران- بأنهم فجروا الأرض عيونا، واستنبطوا منه علوما وفنونا، وصححوا ما نقلوه عن اليونان[4] والروم

أهل الحديث والعلم، إنما كان يعرف شيئا من العربية، ولم يرو شيئا من الحديث) توفي عام :٣٧١هـ. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٢٨٤/١٤ ، والأعلام للزركلي ١٦/٤

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٤

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٩٣/١

(٣) أي : الشيخ بهجة.

(٤) لقد نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية ولم يصححوا كل ما نقلوه منها باعتراف ابن السبكي (انظر : منع الموانع عن جمع الجوامع، لابن السبكي ص ٥٤٢-٥٤٣)، وما تجريد القواعد، لنصير الدين الطوسي-الذي انتشر انتشار الهشيم في النار-، والصحائف للسمرقندي، وطوالع الأنوار من مطالع الأنظار، للبيضاوي = عنا ببعيد .

والفرس والهنود، ووضعوا في لغتهم أضعاف ما نقلوا إليها، ولم يكن في الإمكان أبدع مما ظهروا به في حياتهم الدينية والمدنية، وسيرتهم العلمية والعالمية.

والمؤلف الشاعر لم يرق له ذلك من علوم السلف !! ولذلك أبرز للناس كتابا دينيا سماه : "الفجر الصادق" وأودعه الشبه والأوهام التي يوردها المشتبهون والواهمون على التوحيد الخالص، وخلاصتها الحض على الاستغاثة والاستعانة بمن أرشدوا الناس بوجوب الاستعانة بالله وحده في جميع المطالب التي لا يقدر عليها أحد من البشر الأحياء ولا الأموات .

وبمثل إرشاد المؤلف وأمثاله قديما وحديثا أضاع المسلون دينهم ودنياهم)[١] .

ثم قال الشيخ عن سبب قول الزهاوي ما تقدم :

(لقد علم القارئ لما تقدم أن معلومات الزهاوي القديمة التي خالف فيها الشرع والعقل والحس، وأودعها مؤلفه المذكور الذي سماه " الفجر الصادق" ، هي التي أوجبت أن يقول : تعلمت كثيرا من علوم الأولين فلم يرق لي منها شيء !! ، وأن ينشد :

سئمت كل قديم عرفته في حياتي

لأنه لم يدرس إلا القشور، ولم يكن فجره صادقا ، فهو قد أنفق حياته الأولى في الباطل، ولم يظفر منها بطائل)[٢] .

وفي دفاعه عن علي -رضي الله عنه- من الطالقاني[٣] الرافضي الذي نسب إليه خزانة مال، قرر أن لو كان علي عنده هذه الخزانة لأنفقها في سبيل الله تعالى، ولما كنزها عنده، قال رحمه الله :

---

(١) المصدر السابق ١/١٩٤

(٢) المصدر السابق ١/١٩٧

(٣) هو محمد بن حسن بن شكور الطالقاني، ولد بنجف العراق، عالم رافضي وشاعر وأديب، توفي عام ١٤٢٤هـ. انظر : منتخب أعلام الفكر والأدب، لكاضم عبود الفتلاوي ص٤٤٦ بواسطة وكيبيديا رابط:

(قال[1] : ويؤخذ عليه[2] اهتمامه الكثير وعزمه الشديد على الاستيلاء على خزانة الإمام علي عليه السلام وبيعها، واستعمال المال في مشاريعه، ولقد أخفق ولله الحمد اهـ .

أقول[3] : ليت الإمام عليا كان حيا لما أهديت إليه هذه الخزانة، إذا لرأيته أزهد الزهاد بما فيها، وأسرعهم في إنفاقها على مستحقيها، فما هو ممن يكنزون الذهب والفضة)[4] .

وفي سياق رده على الرافضي الخالصي[5]، قال الشيخ دفاعا عن علي رضي الله عنه -في حادثة عزم النبي ﷺ كتابة كتاب قبل موته-:

(وهل امتناع علي رضي الله عنه عن الكتابة رد للوحي ؟! حاشا وكلا، ولكنه اجتهاد منه فيما يمكن أن يستغنى عنه بما إن تمسكوا به لن يضلوا بعده أبدا، وهما كتاب الثقلان بكتاب[6] الله وسنته، وكتاب الله وعترته كما نطقت به الأحاديث)[7]

وفي دفاعه عن السلف من تهمة أن فتوحاتهم كانت لجوعهم وحاجتهم، رد بأن هدفهم نشر الدين وإقامة العدل، وضرب مثال حادثة خالد بن الوليد مع أهل حمص، فقال الشيخ رحمه الله :

---

(١) أي: الطالقاني .

(٢) أي : السلطان أحمد شاه.

(٣) أي : الشيخ بهجة.

(٤) ديوان السيد موسى الطالقاني تحقيق: محمد الطالقاني (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٤/١٤٤ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ .

(٥) هو محمد بن محمد مهدي الخالصي، ولد بكاظمية العراق، فقيه إمامي، شارك في ثورة العشرين ضد احتلال الإنجليز للعراق عام ١٣٣٨هـ ، توفي عام ١٣٨٣هـ. انظر : الأعلام للزركلي ٧/ ٨٦

(٦) كذا في المصدر ولعل الصواب: كتاب ، دون باء

(٧) الإسلام والصحابة الكرام ، بهجة البيطار ص٤٢

(وقال[1] ص١٠ : "إن أثر المصالح الدينية كان ضئيلا في وعي الجيوش العربية الفاتحة التي اكتسحت سوريا وفلسطين والعراق وفارس، إذ لم يكن هذا التوسع للعرق العربي سوى هجرة شعب نشط قوي، ساقه الجوع والحاجة إلى مغادرة صحاريه القاحلة الخ" .

[2]وهذا خطأ تارخي أيضا : فقد كانت المهمة الأولى والهدف الأسمى للعرب نشر الدعوة الدينية، وبث الأمن في البلاد، ورفع لواء العدل بين الجميع.

أرأيت ذلك الصحابي الجليل والقائد العظيم خالد بن الوليد -رضي الله عنه-، ألم يرد على أهل حمص أموالهم، إذ اضطر أن يعود بجيشه إلى اليرموك[3] ، وقالوا : لقد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم[4] ، ولندفعن جند هرقل عن مدينة حمص إلا أن نُغلب ونجهد؛ فألقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، فلما هزمت الروم وظهر المسلمون عليهم، فتحوا مدنهم واستقبلوهم بمظاهر الفرح وأدوا لهم الخراج.[5]

---

(١) أي: المستشرق السير توماس في كتابه الخلافة .

(٢) من هنا يبدأ كلام الشيخ.

(٣) موضع شمال دمشق سُمي باسم النهر الذي يقع عنده ، وكانت بقربه الوقعة المشهورة بين المسلمين والروم عام ١٥هـ، وتقع حاليا في الأردن قرب الحدود السورية الأردنية. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لابن عبد المنعم الحميري ١/ ٧١٦، وأطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص١١١

(٤) الغَشْم هنا بمعنى : أشد الظلم. انظر: المعجم الوسيط ص٦٥٣ ، وتاج العروس للزبيدي ١٧٣/٣٣

(٥) رواه البلاذري في فتوح البلدان ص١٣٩

أولم يقل الإمام العادل عمر بن عبد العزيز : "إن الله بعث محمدا هاديا، ولم يبعثه جابيا"[1])[2] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٨٤/٥، والجباية : جمع الدولة المال المترتب في ذمم الرعية من الزكاة والجزية والخراج ونحو ذلك. انظر: لسان العرب لابن منظور ١٢٩/١٤، ومعجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي ص١٥٩

(٢) الخلافة ، السير توماس(تعريف ونقد)، بهجة البيطار مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٧٣/٢٣ صفر ١٣٦٧هـ

المبحث الثالث:جهوده في الدفاع عمن سار على طريقة السلف من العلماء

قد دافع الشيخ عن أئمة أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالح إجمالا -في باب الأسماء والصفات- وتفصيلا .

أما **تفصيلا** فمحصل الذين دافع الشيخ عنهم :

١. شيخ الإسلام ابن تيمية .
٢. الإمام محمد عبد الوهاب، والإمامان : عبد العزيز، وابنه سعود بن عبد العزيز بن محمد الكبير.
٣. العلامة الألوسي.
٤. العلامة القاسمي، والبخاري.
٥. العلامة محمد رشيد رضا .
٦. العلامة محب الدين الخطيب.

وقد دافع الشيخ عن أئمة أهل السنة والجماعة **إجمالا** فيما ذهبوا إليه في باب أسماء الله وصفاته، فلخص عن ابن تيمية بُعد كلام هؤلاء الأئمة عن الاضطراب؛ لصحة أصولهم المبنية على الاتباع، ودقة النظر، قال الشيخ -بعدما عنون بقوله : باب أسماء الله وصفاته- :

(ج١ ص١٥٤ من تدبر كلام أئمة السنة المشاهير في هذا الباب ، علم أنهم كانوا أدق الناس نظرا، وأعلم الناس في هذا الباب بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأن أقوالهم هي الموافقة للمنصوص والمعقول، ولهذا تأتلف ولا تختلف، وتتوافق ولا تتناقض)[1] .

أما دفاعه عن أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف الصالح تفصيلا:

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٩٤-٩٥، وانظر : التنكيل ، عبد الرحمن المعلمي(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٧٩/٤٢ رمضان ١٣٨٥هـ .

أولا : شيخ الإسلام ابن تيمية

افترى ابن بطوطة على ابن تيمية بأنه خطب على منبر دمشق –لما تكلم عن حديث النزول– فقال : كنزولي هذا ؛ فرد الشيخ الفرية بأن ابن تيمية لم يكن خطيب المسجد، وأن ابن بطوطة لم يلتق بابن تيمية، وأن عبارة : كنزولي هذا لا توجد في كتبه، فقال الشيخ –عارضا فرية ابن بطوطة– :

(دفع الفرية التي وردت في رحلة ابن بطوطة عن حديث نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا(١) ، وأنه قال –وهو يخطب الجمعة على منبر دمشق– : كنزولي هذا)(٢)

ثم أجاب الشيخ بالقواصم الثلاث قائلا :

(وردناها بثلاثة أمور :

الأول : أن ابن تيمية لم يكن خطيب المسجد، بل كان واعظا ومدرسا،

والثاني : أن ابن بطوطة لم يره ولم يجتمع به؛ إذ كان وصول ابن بطوطة إلى دمشق في أواخر شهر رمضان سنة ٧٢٦هـ ، وابن تيمية دخل قلعة دمشق في أوائل شعبان ٧٢٦هـ ، ولبث فيها إلى أن توفاه الله تعالى ٧٢٨هـ .

والثالث : أنه ذكر حديث النزول في مواضع من كتبه ولم يقل فيها : كنزولي هذا.)(٣)

.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه : أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ح(١٠٩٤)عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((ينزلُ ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخِر، يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)) وكذا أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ح(٧٥٨)

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١

(٣) المصدر السابق، وانظر: الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ، بهجة البيطار ص٢٧

وقد زاد الشيخ في موضع آخر وجوها أخرى من الرد على ابن بطوطة بأن في رحلة ابن بطوطة غرائب لا تصح عقلا ولا نقلا ، ويورد الأخبار على عواهنها دون تعقب مما يفقد الثقة فيما ذكره عن ابن تيمية.

وبأن الذي شهر ذلك عنه ظلما الشيخ نصر المنْبِجي(١) الذي كان مقدما في الدولة، وذلك بسبب كتاب شيخ الإسلام إليه ينكر عليه وحدة الوجود ، فعظم ذلك عليه.

وبأن جملة القول أن الرواية مختلقَةٌ عن ابن تيمية سواء صحت عن ابن بطوطة أو لا، ولو ثبتت الرواية والسماع لصح أن ابن بطوطة شُبه له ابن تيمية بشخص آخر على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ! بل أملاها على ابن جزي الكلبي(٢)، فيجوز أن يكون من تحريف النساخ، أو وسوسة بعض الخصوم(٣) .

هذا وقد ألف الشيخ محمد أبو زهرة كتابا في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، ونسب إليه أمرين هو منهما بريء ، أولاهما : أنه يمنع زيارة قبور الصالحين(٤)، وثانيهما : أنه يشبه الله ﷻ بخلقه(٥).

---

(١) نصر بن سليمان (بعض المصادر تقول : سلمان، كالدرر الكامنة) بن عمر المنبجي الحنفي ، أبو الفتح، تصدر في القراءات وشارك في العلوم الأخرى ، ثم انقطع وتعبد ، وارتفع ذكره ، فتردد إليه الكبار ويهرب منهم، وكانت له وجاهة في الدولة، توفي عام : ٧١٩هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ١٠٨/٦، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشي، أبو محمد ١٩٤/٢، وأعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين الصفدي ٥٠٢/٥

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن جزي الكلبي، أبو عبد الله ، مؤرخ، أديب شاعر، من كتاب الدواوين السلطانية قال فيه ابن حجر: وكان من سعة الحفظ وثقوب الفهم فوق الوصف. توفي عام ٧٥٦هـ، أبوه هو العالم المالكي المشهور صاحب القوانين الفقهية. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٤٢٨/٥، الأعلام ٣٧/٧

(٣) انظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٧-٤٤

(٤) انظر: ابن تيمية –حياته وعصره وآراؤه وفقهه–، لمحمد أبو زهرة ص٢٧٢

(٥) انظر : المصدر السابق ص٢٣٠

فدافع الشيخ عن ابن تيمية بأنه صرح في كتبه باستحباب زيارة قبور المؤمنين عامة، والأنبياء -وأولاهم نبينا ﷺ- بخاصة، قال الشيخ رحمه الله :

(رأيت لبعض مؤرخي عصرنا المحققين، ألا وهو صديقنا الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة كتابا مستقلا في حياة الشيخ، وفيه مباحث تاريخية علمية دينية، تتعلق بسيرته رحمه الله، وفيها وهم واشتباه،فكان عليَّ أن أنبه إلى ذلك ، لتكون حياته الطيبة خالية من الشوائب التي علقت بها، وإن لم يكن معصوما)[1] .

ثم قال الشيخ -في عرض ما نسبه أبو زهرة لابن تيمية- :

(فمنها : دعوى منعه زيارة القبور، لا سيما قبور الصالحين، وأعظمها قبور الأنبياء والمرسلين، لا سيما خاتم النبيين، عليهم جميعا أفضل الصلاة والتسليم)

ثم قال الشيخ في الجواب عليها :

(وقد أجاب ابن تيمية عن هذا بقلمه، ودفع الفرية بنفسه، فقال [2]: "إن السفر إلى مسجده وزيارة قبره -كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج- عمل صالح مستحب....، بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور؛ بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور أهل البقيع وشهداء أحد، وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى".

وقد ذكر في كتاب التوسل والوسيلة كيفية الزيارة وأدبها، وكذا في كثيرمن رسائله، وإنما منع أمرين اثنين : الزيارة الشركية المبتدعة، وشد الرحل لمجرد الزيارة -أي : بلا نية شد الرحل إلى المسجد النبوي والصلاة فيه-)[3] .

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢

(٢) مجموع الفتاوى ٣٣١/٢٧

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣

وفي نسبة أبي زهرة إلى شيخ الإسلام بأنه يشبه الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه ، رد الشيخ بأن شيخ الإسلام مشهور عنه التصدي للمجسمة مع القدرية والجهمية وغيرهم، وبأن تراث شيخ الإسلام شاهد على أنه لا يزيد فيه على ما وصف الله جَلَّ جَلَالُهُ به نفسه أو وصفه به رسوله، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

(اتُّهم شيخ الإسلام بتشبيه الله تعالى بخلقه أو التجسيم، على كثرة ردوده على المشبهة والمجسمة، كما كان يرد على القدرية والجهمية والمعتزلة، وغيرهم من المؤولة والمعطلة، وهو لا يزيد على ما وصف الله به نفسه في مثل قوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١). فقد أثبت لنفسه في هذه الآية ذاتا وصفاتا وفيهما التنزيه عن المماثلة)(٢) .

وقد اتُّهم شيخ الإسلام بخرق الإجماع؛ لإفتائه في مسائل على خلاف السائد في عصره، كالتوسل وشد الرحل لقبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والطلاق، فرد الشيخ بأن ابن تيمية بلغ مرتبة الاجتهاد، وبأن الشيخ لم يقل في مسألة بما لم يسبق إليه، ، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(اشتهر شيخ الإسلام بمسائل أُثِرت عنه، وظن كثير من الناس أنه انفرد فيها عن غيره، بل ظنوا أنه خالف في بعضها الإجماع ، وهي أمور اجتهادية يقع في مثلها الخلاف بين العلماء، ومن المفروغ منه أن ابن تيمية بلغ رتبة الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وأنه كان يفتي الناس بما أداه إليه اجتهاده، وأنه موافق في فتاواه بعض الصحابة أو التابعين أو أحد أئمة المذاهب الأربعة أو غيرهم، ممن عاصرهم أو جاء قبلهم أو بعدهم)(٣)

وقد لقب الكوثري شيخ الإسلام بالحشوي فرد الشيخ بأن هذا من التقليد المقيت، والتشبه باليهود والخوض فيه لا يضر شيخ الإسلام بدليل ظهور أقواله بالخافقين، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) سورة الشورى:١١

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٣ .

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٥

(وهل يعقل ما يقول من يعادي هذه النصوص، ويخرق الإجماع الذي حكاه ابن عبد البر، ويلقب ابن تيمية بالحشوي، ويسمي المؤولين والمعطلين بأهل السنة؟ ويقول عن ابن تيمية: لا يعد هذا الحشوي من صغار تلامذتهم، كما تراه في مقدمة تبيين كذب المفتري.

وتلقيب شيخ الإسلام بالحشوي من الحشو الذي لم يقع له نظير، ومن التقليد المميت للعقل والشعور، بل من التعصب الشنيع الذي لا يرضاه لنفسه إلا ورثة اليهود البُهت، فإن هذا الإمام جمع في كتابه بين العقل والنقل جمعاً كمم فيه أفواه جميع أهل الابتداع والأهواء، وهذا الخوض بالباطل لا يضر شيخ الإسلام ولا يزيد مريديه إلا بصيرة في دينهم ورسوخاً، ويأبى الله للحق إلا أن يظهر، وللباطل إلا أن يذل ويقهر، وها هي ذي كتب شيخ الإسلام تطبع وتنشر، وتطرد بدورها ظلام الشكوك والأوهام ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾. (1))(2) .

وقد اتهم الكوثري أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية بأنهما نسبا إلى الباقلاني ما لم يقله ؛ اعتمادا على النسخة المطبوعة للتمهيد، فرد الشيخ بأن النسخة التي اعتمد عيها الكوثري في اتهامه ناقصة، وأن ما نسباه إليه موجود في النسخة الكاملة، قال الشيخ رحمه الله :

(وقد طبعت معهما[3] رسالة ثالثة بعنوان: "الإمام الباقلاني، وكتابه التمهيد" بقلم العلامة محمد عبد الرزاق حمزة[4] المدرس بالمسجد الحرام، ومدير دار الحديث بمكة المكرمة، وهي في الرد على الأستاذ الكوثري في دعواه أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه

---

(١) سورة الأنبياء:١٨

(٢) الكوثري وتعليقاته، بهجة البيطار ص٢٢-٢٣

(٣) أي: مع طليعة التنكيل للمعلمي ، والكوثري وتعليقاته للشيخ.

(٤) هو محمد بن عبد الرزاق حمزة: مفسر محدث، خطيب وإمام الحرم المدني، ورئيس هيئة الأمر بالمعروف بالمدينة، ثم مدرس في الحرم المكيّ، له (ظلمات أبي ريا) نقد لكتاب له، و (الشواهد والنصوص) نقد لكتاب (الأغلال) لعبد الله القصيمي، توفي عام : ١٣٩٢هـ. انظر: مشاهير علماء نجد، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ٥١٤-٥١٦، والأعلام للزركلي ٢٠٣/٦

ابن قيم الجوزية نسبا إلى الباقلاني ما لم يقله، فكان جواب الأستاذ ابن حمزة في رسالته هذه تنبيها لأهل العلم على ثبوت النقص في النسخة المطبوعة من كتاب التمهيد بالقاهرة، وتوجيها لأنظارهم إلى ما نقله من النسخة الكاملة والمصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية، ثم قيض الله من قام بنشر الكتاب : التمهيد في بيروت على النسخة التي صورها معهد المخطوطات من استنبول[1]، وقد نوه الناشر بهاتين النسختين، ودحض دعوى ناشري النسخة بمصر، وأثبت الفصل الذي نقله ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية صفحة ١١٩ و ١٢٠ من الطبعة المنيرية، فوجد النقل حرفا بحرف، وبرأ الله ابن القيم من تهمة التزوير التي افتراها عليه الكوثري في قوله ص٢٦٥ من تعليقه : " لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم إلى كتاب التمهيد هذا، ولا أدري ما إذا كان ابن القيم عزا إليه ما ليس فيه زورا؛ ليخادع المسلمين في نحلته! أم ظن بكتاب آخر أنه التمهيد للباقلاني"

قلنا : فياله من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل !!

إذ قد ثبت بما لا يحتمل الجدل انخرام النسخة الباريزية[2]، التي اعتمدها ناشر الكتاب بمصر)[3] .

وقد اتهم الكوثري الإمام ابن تيمية بأن شدته مع ابن المطهر الحلي[4] كانت سبب قيام دولة التشيع الغالي في عدة دول، ولأن شدة ابن تيمية وصلت إلى حد تعرضه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فرد الشيخ بالتعجب من حال الكوثري في تشويه

---

(١) استقر تعريبها على إسطنبول.

(٢) **كذا في الأصل ، قبل أن يستقر التعريب علي (الباريسية).**

(٣) التنكيل ، المعلمي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٢/٥٧٥-٥٧٦ رمضان ١٣٨٥هـ .

(٤) هو الحسن (ويقال : الحسين) بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، ولد بحلة العراق، **معتزلي، من أئمة الروافض، لازم النصير الطوسي مدة، وكان صاحب أموال،** له كتب كثيرة، منها: نهاية المرام في علم الكلام، منهاج الهداية (في علم الكلام أيضا)، استقصاء النظر في القضاء والقدر، توفي عام٧٢٦،وقيل: ٧٢٥هـ.انظر:الدرر الكامنة لابن حجر ١٨٨/٢، والأعلام٢/٢٧٧

حقائق التاريخ، وبأن شيخ الإسلام لم يؤلف كتابه: منهاج السنة ابتداء، بل ردا على كتاب منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي بعدما عرف شيخ الإسلام بأنه يسعى إلى إضلال بعض الملوك بذلك الكتاب، فمن بعد ذلك أولى منه بالرد وهو شيخ الإسلام والمسلمين، وبأن الملك المغولي تشيع قبل صدور رد شيخ الإسلام، فقال رحمه الله:

(قال هداه الله (ص ٧٣) :" ولولا شدة ابن تيمية في رده على ابن المطهر في منهاجه، إلى أن بلغ به الأمر أن يتعرض لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه على الوجه الذي تراه في أوائل الجزء الثالث منه، بطريق يأباه كثير من أقحاح الخوارج مع توهين الأحاديث الجيدة في هذا السبيل- لما قامت دولة الغلاة من الشيعة في بلاد الفرس والعراق وشرقي الأسيا (كذا) الصغرى وأذربيجان[١] من عهد الملك المغولي خدابنده.

وابن المطهر الحلى لما وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا، قال: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامي، ولكن جوابي يكون بالفعل. حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنية من تلك الأقطار، إلى دولة غالية في التشيع بحمل خدابنده الملك الشعوب على التمذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع في تلك البلاد منذ عمل ابن تيمية هذا، ولو كان يسعى بحكمة لما بعدت شقة الخلاف بين الإخوان المسلمين على الوجه الذي تراه". اهـ

أقول[٢]: كلامه هذا صريح في أن الإمامٍ ابن تيمية هو الذي أثار ثائرة الشيعة بتعصبه عليهم. وطعنه فيهم، وتنقيصه علياً عليه السلام بما يأبى مثله الخوارج، وأنه هو الذي حمل ابن المطهر على هذا الغلو في التشيع، والسعي في نشر المذهب من عهد الملك

---

(١) أَذْرَبيجان بلاد تقع جنوب بحر الخزر (بحر قزوين) فتحها المسلمون عام ٢١، كانت ضمن الاتحاد السوفيتي، واستقلت عنها بنظام جمهوري عام ١٩٩١م. انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري الأمدلسي ١٢٩/١، وأطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص١١٧

(٢) أي الشيخ بهجة رحمه الله.

المغولي خدابنده[1] الذي تشيع وقلب دولته شيعية بسعي ابن المطهر الحلي، هذا وأن "منهاج السنة النبوية" في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام هو الذي زاد النار ضراماً. إلخ.

سبحان الله!! ما أجرأ هذا الرجل على تشويه الحقائق وإفساد التاريخ، فهو ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً، وإليك الجواب عن هذا الكذب الصريح.

١ -إن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يؤلف كتابه "منهاج السنة النبوية" ابتداء، ولكنه ألفه رداً على كتاب الحلي الشيعي الذي سماه "منهاج الكرامة"، وقد قال رحمه الله في مقدمة كتابه: "أما بعد فإنه أحضر إليَّ طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا منفقاً لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية من أمكنه دعوته من ولاة الأمور وغيرهم (إلى أن قال) وذكر من أحضر هذا الكتاب بأنه من أعظم الأسباب في تقرير مذهبهم عند من مال إليهم من الملوك وغيرهم، وقد صنفه للملك المعروف الذي سماه: خدابنده، وطلبوا مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب" ا. هـ.

فأنت ترى أن كتاب منهاج السنة النبوية قد كتب رداً لاعتداء من اعتدى على أهل السنة وتهجم عليهم، وطعن في دينهم، وأن شيخ الإسلام، قد أُحضر إليه كتاب الشيعي ولم يكن رآه، وطلب منه أهل السنة والجماعة رد مفترياته على أهل السنة وهو شيخهم بل شيخ الإسلام، ومن أولى منه ببيان الحق وأقدر منه عليه؟

٢- إن الملك المغولي خدابنده قد ترفض أو تشيع على يد ابن المطهر الحلى قبل صدور رد شيخ الإسلام عليه كما هو ظاهر من كلامه)[2] .

---

(١) هو محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، خدابندا، صاحب العراق وأذربيجان وخراسان، وغازان، دامت دولته ثلاث عشر سنة ، لعب الروافض بعقله فرفَّضوه، لكنه رجع قبل موته عن التشيع توفي عام ٧١٦. انظر : أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي ٣١٥/٤

(٢) الكوثري وتعديه علي التراث، بهجة البيطار ص٢٤-٢٦

ثم بين الشيخ بأن غاية ما في كلام ابن تيمية هو الاعتدال في الأقوال والأفعال، ثم نقل عن ابن تيمية بأنه حكى عن النواصب مذهبهم في الطعن بعلي رضي الله عنه، وأن شيخ الإسلام نفسه قد حكم عليهم بالضلال، فقال رحمه الله:

(٣- إن أقصى ما في كلام شيخ الإسلام هو الدعوة إلى الاعتدال في الأقوال والأعمال، وتخفيف غلو الغاليين في العقائد، وتقليص ظل عصبيات أهل البدع والأهواء، ودفع أكاذيبهم وأباطيلهم، والغرض من ذلك كله تنوير العقول، وتقريب القلوب، وتطهيرها مما تراكم عليها من أوضار الباطل، وأوغار الحقد، وإزالة ما استحكم فيها من جفوة وقسوة.

وهذه نبذة صغيرة من كلام شيخ الإسلام مصدقة لما ذكرناه : قال رحمه الله: "وأما الرافضي فإذا قدح في معاوية بأنه كان باغياً ظالماً، قال له الناصبي: وعلي أيضاً كان باغياً ظالماً لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال، وصال عليهم وسفك دماء الأمة بغير فائدة لا في دينهم ولا في دنياهم، وكان السيف مسلولاً في خلافته على أهل الملة، مكفوفاً على الكفار- إلى أن قال-: فالخوارج والمروانية[١]، وكثير من المعتزلة وغيرهم يقدحون في علي- رضي الله عنه- وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون ". اهـ

فأنت ترى أن شيخ الإسلام يحكي كلام الروافض والنواصب والخوارج، ولكنه لا يحكم لفريق على فريق، بل يحكم بأنهم مخطئون مبتدعة ضالون، خلافاً لما يزعمه الكوثري، المقلد الغبي، من انتقاص مقام الإمام علي، فما أضيع البرهان عند المقلد!)[٢].

---

(١) سلالة كردية حكمت شمال سوريا وجنوب الأناضول (تركيا) عام ٩٩٠م-١٠٨٤م بعد وفاة عضد الدولة البويهي عام ٩٨٣م، وأصل نسبتها إلى مروان بن الحكم. انظر: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي على ابن مِسكوية ١٠١/٢، والتكوين التاريخي الحديث للجزيرة السورية، لمحمد جمال باروت ص٢٣٥

(٢) الكوثري وتعديه علي التراث، بهجة البيطارص٢٦-٢٧

وفي اتهام الكوثري ابن تيمية بأنه هو سبب ترفض الملك المغولي نقل الشيخ من كتب الرافضة أنفسهم أن سبب ترفض ذلك الملك هو طلاقه لامرأته ثلاثا مرة واحدة وندمه بعد ذلك، بما يظهر تزويره للتاريخ وحقده على علماء الإسلام، فقال رحمه الله:

(٤- وأوضح وأفضح مما تقدم أن هذا المعتدي على التاريخ، الذي أسقطه الحسام القدسي بسبب اعتدائه- كما بينا من قبل- دعواه أن ابن تيمية هو سبب الغلو في التشيع، وبسط سلطانه في الأرض، ويوهم كلامه أو يفهم أن السلطان خدابنده قد ترفض ونشر مذهب ابن المطهر بسبب ابن تيمية، وتحامله على الشيعة في منهاج السنة النبوية، وقال: وابن المطهر الحلى لما وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا، قال: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامي، ولكن جوابي يكون بالفعل حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنية من تلك الأقطار إلى دولة غالية في التشيع بحمل خدابنده الملك الشعوب على التمذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع متغلغلاً في تلك البلاد، منذ عمل ابن تيمية هذا. اهـ

ونحن ننقل لك بعد هذا الكلام ما ذكره الشيعة الامامية أنفسهم في سبب ترفض الملك خدابنده، ليعلم مبلغ هذا الرجل من تحريف التاريخ وقلب الحقائق الواقعية بكل وقاحة وصفاقة، ونسجل عليه حقده وتعصبه على رجال الإسلام العظام، وافتراءه عليهم الكذب الصريح.

جاء في كتاب "روضات الجنات في تراجم الشيعة" تأليف ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الميلاد، والأصفهاني الموطن والمهاد- في ترجمة الحسن بن المطهر الحلي ما نصه - ثم نقل عن كتاب شرح مولانا التقى المجلسي علي الفقيه نقلاً عن جماعة من الأصحاب-: أن الشاه خدابنده المذكور غضب يوماً على امرأته فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، ثم ندم وجمع العلماء فقالوا: لا بد من المحلل فقال عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أوَ ليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا لا، فقال أحد وزرائه: إن عالماً بالحلة وهو يقول ببطلان الطلاق، فبعث كتابه إلى العلامة، وأحضره- وهنا أطال في وصف اجتماعه بعلماء السنة ومناظرته لهم، بما يضحك الثكلى ويشبه كلام الصبيان- (ثم قال) وعلى أي حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل، لأنه لم يتحقق شروطه، ومنه العدلان، فهل

قال الملك بمحضرهما؟ قال لا. ثم شرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعاً فتشيع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الاثني عشر، ويضربوا السكك على أسمائهم، وينفقوها على أطراف المساجد، والمشاهد منهم.

(ثم قال) : والذي في أصفهان[1] موجود الآن في الجامع القديم الذي كتب في زمانه ثلاثة مواضع منه، وكذا في معبديه: مكوار لنجان[2] ، ومعبد الشيخ نور الدين النطزي[3] من الفرقاء، وكذا على منارة دار السيادة التي تممها هذا السلطان من بعد ما أحدثه أخوه غازان. اهـ.

(ثم قال) : وهذه اليد العظمى والمنة الكبرى التي له على أهل الحق مما لم ينكره أحد من المخالفين والموافقين، حتى أن في بعض تواريخ العامة (أي أهل السنة) رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة ومن سوانح[4] سنة سبع وسبعمائة، أظهر خدابنده شعار التشيع بإضلال ابن المطهر. اهـ

أعلمت الآن أيها القارئ الكريم السبب الذي من أجله ترفض هذا الجاهل الأعجمي المغولي وأنه مسألة شخصية. لا دخل فيها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا لكتاب منهاج السنة النبوية، وهو كونه طلق زوجته ثلاثاً وهو غضبان، واستفتى أمثال الكوثري من علماء عصره فأفتوه بالمحلل، وهو الذي سماه الرسول – صلى الله عليه وسلم –: التيس المستعار، وقال الملك لهم: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أو ليس لكم هنا اختلاف

---

(١) أصفهان : مدينة كبيرة في قلب الدولة الصفوية، وقد فتحها المسلمون عام ١٨هـ، وهي حاليا محافظة في إيران تقع جنوب طهران ، تبعد عن طهران حوالي ثلاثمائة كيلا. انظر: آثار البلاد في أخبار العباد، لزكريا القزويني ٢٩٦/١، وأطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص٢٣٠

(٢) لَنجان: قرية تبعد عن أصبهان أربعة فراسخ ، وهي حاليا إحدى مقاطعات محافظة أصفهان في إيران، تقع جنوب شرق أصفهان. انظر: المسالك والممالك للإصطرخي ١٣٣/١، و مراصد الاطلاع لابن عبد الحق القطيعي الحنبلي ٤٨٨/١

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) أي : ما عرض وحدث في ذلك العام؛ من قولهم : سنح لي رأيٌ في كذا إذا عرض ، انظر: تاج العروس للزبيدي ٤٨٨/٦، والمعجم الوسيط ص٤٥٣

قالوا لا، لا بد من المحلل- أي الملعون بلسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو والمحلل له، فاستنكف الملك عن هذا التحليل الذي هو زنا صريح)[1] .

ثم بين الشيخ أن لو أخذوا بقول شيخ الإسلام بالطلاق ثلاثا في مجلس واحد لما وقع الملك في الحرج وترفَّض، ثم أنَّب الشيخ الكوثري بإلباس ابن تيمية ذنب غيره، فقال رحمه الله:

(ولو أخذوا بما كان عليه الطلاق الثلاث في عهده ﷺ وفي عهد صاحبيه، لخرجوا من جحر الضب الذي أوقعوا الملك معهم فيه، ولو اهتدى إلى شيخ الإسلام ابن تيمية لوجد لمسألته عنده حلاً نبوياً سنياً غير شيعي، ولكن الكوثري يُلْبِس شيخ الإسلام ذنب غيره، فعليه ما يستحق من ربه، لماذا تسكت أيها الكوثري عمن أحرجوا الملك فأخرجوه من بينهم، وتطعن في دين من يرده وقومه إلى حظيرة السنة؟ أكان بالله إثماً أن يؤلف ابن تيمية كتاب "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية". ويرد به ضلالات ابن المطهر الحلي !)[2] .

ثم لخص الشيخ النتيجة من كلامه السابق بأنه رجل لا يوثق بعلمه ولا دينه، فقال رحمه الله:

(وجملة القول : أن هذا الرجل " الكوثري" لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه.

ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه فيه، على أنا أوردنا شواهد منها دلت على سائرها، وعرفتنا حقيقة قائلها، فمن بقي له شك فيها فليرجع إليها، ليرى كيف أن التعصب يعمي ويصم، والله عليم بذات الصدور)[3] .

---

(١) الكوثري وتعديه علي التراث، بهجة البيطار ص٢٧-٣٠

(٢) المصدر السابق ص٣٠

(٣) المصدر السابق ص٣١

ثانيا :الإمام محمد عبد الوهاب، والإمامان : عبد العزيز، وابنه سعود بن عبد العزيز بن محمد الكبير.

قرر الشيخ أن الإمام محمد بن عبد الرهاب مجدد القرن الثاني عشر، فقال رحمه الله:

(لا شك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجدد أمر الدين في القرن الثاني عشر، في أرض نجد وما جاورها من الأقطار العربية)[1] .

ثم بين الشيخ حال الناس لما دعاهم الشيخ إلى التوحيد، وما هم عليه من مناقضة التوحيد -وفي ضمنه سبب رميهم الشيخ بالعظائم- ، فقال رحمه الله:

(فقد نشأ المترجم ورأى الناس منغمسين في الجهالة والضلالة معا، ووجد أكثر من يقول : لا إله إلا الله، منهمكين في دعوة من سواه ممن لا يضر ولا ينفع؛ لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وهم ينكرون على من دعا إلى عبادة الله وحده، ويزعمون أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادون من عمل بالتوحيد وأحبه، وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعِد التوحيد علما، ولا يلتفت إليه ؛ لجهله به ، وعدم محبته له)[2] .

ثم بين الشيخ أن ما دعا إليه الإمام هو الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم، وبين أيضا حكمة الإمام وبيانه للتوحيد، ورفقه بالمدعوين في بلاده، فقال رحمه الله :

(نحن نعلم بالضرورة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه : لم يشرع لأحد أن يدعو أحدا من الأموات بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، وأن ذلك مما نهى الله عنه ورسوله، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٣). ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبيَّن لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يخالفه، كما جرى للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته

---

(١) الإمام محمد عبد الوهاب، أحمد عبد الغفور العطار (نقد وتعريف)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٦٣/٣٤ ربيع أول ١٣٧٩هـ.

(٢) المصدر السابق، وانظر : حلية البشر ١١٤٨/٢-١١٤٩

(٣) سورة الجن:١٨

فإنه كان ﷺ إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب[1] رضي الله عنه قال : "الله خير من زيد" ؛ تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام، ونظرا للمصلحة وعدم النفرة)[2] .

وما سبق من كلام الشيخ وإن كان لم يوجه إلى شخص بعينه، لكن إظهاره في بيئة بلاد الشام التي ينتشر فيها المتصوفة الذين يحاربون دعوة الإمام ، يعد دفاعا عنه.

وفي الافتراء بأن علماء نجد يكفرون المسلمين من عصر الستِّمائة رد الشيخ بأن ذلك يخالف ما هو مشهور عنهم، وأنهم لا يكفرون إلا من أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، مسترشدين بالكتاب والسنة فقال ﷺ :

(ومن هذه المفتريات : أن النجديين قاطبة يكفرون عامة المسلمين الأحياء منهم والأموات، من عصر الستمائة إلى عصرنا هذا ، إلا من كان من أهل مذهبهم أو على طريقتهم.

فأخذ علماء نجد الغيورين على الدين، وحفظ وحدة الإسلام ، يؤلفون الكتب والرسائل، ويدفعون بها عن أنفسهم المطاعن والمثالب، ويبينون للناس حقيقة ما هم عليه من صحة المعتقد، ويبرؤون إلى المولى سبحانه مما عُزي إليهم من المزاعم الباطلة، لا سيما تكفير المسلمين، اللهم إلا من أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة مجمعا عليه إجماعا صحيحا، وهم يشترشدون في أعمالهم بنصوص الكتاب والسنة ، وعمل النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وقد طبعت تلك الرسائل، ووزعت في كثير من الأمصار

---

(١) هو زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، صحابي، كان أسن من أخيه عمر، وأسلم قبله أيضا، شهد بدرا والمشاهد، ولما قتل -في يوم اليمامة سنة : ١٢هـ- حزن عليه عمر حزنا شديدا. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٢/٤٩٩، ٤/٤٨٤ تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١ دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣ / ٤١٢

(٢) الإمام محمد عبد الوهاب، أحمد عبد الغفور العطار (نقد وتعريف)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٤/٦٦٣ ربيع أول ١٣٧٩هـ.

الإسلامية؛ فأزالت عن العقول الحَيْرى المسترشدة كلَّ شبهة، وكشفت عن وجه الحقيقة كل تمويه وتضليل، وقرَّبت مسافة الخلف بين أمة التوحيد)[1] .

وفي جعل المستشرق ألفريد غيوم -في كتابه الإسلام- المذهب السائد في السعودية هو المذهب الوهابي ، رد الشيخ بأنْ ليس لديهم مذهب خاص، بل اتباع لمذهب أحمد في الفقه ، وما الإمام إلا مجدد للدين، قال رحمه الله:

(ص: ١٠٠ "في المملكة الوهابية حيث يسود المذهب الوهابي".

ج: ليس للوهابية، ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رحمه الله كان مجددا لدعوة الإسلام، ومتبعا لمذهب الإمام أحمد بن حنبل)[2] .

وقد اتهم الرافضي محمد الخالصي السعوديين (ويقصد أتباع دعوة الإمام) بالشرك والبدعة، ومعاداة السنة، فرد عليه الشيخ بطلب الدليل؛ إذ لم يذكره الرافضي، وبأن يتحاكما إلى مفتي الديار السعودية حينها : العلامة محمد بن إبراهيم، قال الشيخ رحمه الله:

(قال فضيلته[3] : "كتبت كتابا عن سفر الحج في هذه السنة، وذكرت ما شاهدته من السعوديين من البدع والكفر والشرك، ومعاداة السنة وترويج البدعة".

الجواب: تذكرتُ في هذا المقام قول علي -عليه السلام- لما اتهم بعضُ أصحابه الخوارج بالكفر، قال : هم من الكفر فروا،[4] وهؤلاء السلفيون أو الوهابيون هم من الشرك والكفر والبدع فروا، ولم يذكر فضيلته ما يدل على ما وصمهم به.

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٩٢

(٢) الإسلام، لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ، وانظر : كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص١٤٥

(٣) انظر: ص٤٠٠ حاشية ٢

(٤) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف ١٥٠/١٠ (١٨٦٥٦) .

ثم إذا رأى عرض هذه القضايا الثلاث الشرك والكفر والبدع على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية على أن توضح بالقواعد والشواهد ، فلا مانع من ذلك)[١]

وقد ألف جميل الزهاوي[٢] في الرد على الوهابية كتابا سماه : الفجر الصادق، وصرح بأن سبب تأليفه له سياسي؛ فتعجب الشيخ كيف يؤلف في دعوة دينية بسبب سياسي؟! قال الشيخ رحمه الله:

(قال المؤلف في رباعياته : "وطبع لي ثلاثة كتب ، اثنان منهما فلسفيان، والثالث في الرد على الوهابية "-أي الكتاب الذي سماه: الفجر الصادق- قال :" وسبب تأليفي لهذا الكتاب سياسي"!!

أقول[٣] : عجبا له !!إن كان تأليفه لهذا الكتاب ناشئاً عن اعتقاد فتلك مصيبة ، وإن جرى فيه على منهج السياسيين الذين يقولون ما يعتقدون فالمصيبة أعظم.

وقد طبع حديثا رد على هذا الكتاب للشيخ سليمان بن سحمان، أحد أعلام نجد، سماه : الضياء الشارق[٤] ، بدد بضياء حقائقه ظلام الأوهام الحالك)[٥] .

وفي ترجمة عبد الحميد بن عبد الوهاب السباعي الحمصي مفتي حمص قال في حلية البشر[٦] : "وله من المؤلفات :....... ، ومؤلف سماه بغية الطلاب في الرد على ابن عبد الوهاب : أصل الفرقة الوهابية".

---

(١) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٦٢-٦٣

(٢) سبقت ترجمته ص٢٣٧

(٣) أي الشيخ بهجة رحمه الله.

(٤) اسمه الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق، وهو مطبوع في مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٤هـ.

(٥) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٩٥

(٦) عبد الرزاق البيطار ٢/٨٢٤

فعلق الشيخ ناقلا عن كتاب عنوان المجد لابن بشر بأنْ كيف وحد الله ﷻ على يد الإمامِ الديارَ النجديةَ[١]، وظهر التوحيد والسنة ، ومات الشرك والبدعة، قال الشيخ رحمه الله:

(قال العلامة عثمان بن بشر في تاريخه : "عنوان المجد في تاريخ نجد"[٢] -في وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب ونهضة البلاد النجدية-:"جمعهم الله تعالى به بعد الفرقة ، فأعزهم بعد الذلة ، وأغناهم بعد العيلة، وجعلهم إخوانا فأمنت به السبل، وحييت[٣] السنن ، وماتت البدع، واستنار التوحيد بعدما خفي ودرس ")[٤] .

وفي ظن بعضهم بأن المتبعين للسلف -وعلى رأسهم : الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله- يريدون إحياء الدين وإماتة الحضارة، أو عدم الانتفاع من مخترعات الغربيين ، رد الشيخ بما يبين المعنى الصحيح لاتباع السلف الصالح، فقال رحمه الله :

(يظن بعض الناس أن دعاة الإصلاح والتجديد لأمر الدين والتوحيد في هذا العصر على أساس الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة -وفي مقدمتهم رجل الإسلام والعرب الإمام عبد العزيز آل سعود- ، إنما يحاولون إحياء الدين وإماتة ما عداه من علوم السلف وحضارتهم، أو عدم الانتفاع بما تدعو إليه الحاجة من مخترعات الغربيين ومدنيتهم !!

إن تعجب فعجب هذا الزعم الباطل، والتهمة الشنيعة، بل الفرية الغريبة التي تخالف الحس والواقع.

---

(١) انظر: مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية-خلال القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر- ، د/ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ط١مدار الوطن عام ١٤٣٥هـ

(٢) ص٢٨

(٣) كذا ولعل الصواب : وأحييت.

(٤) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٨٢٤/٢، وانظر منه ٤٥٨/١

إن سلفنا الصالح الذين نهتدي بهديهم ونقفو أثرهم قد جعلهم الله هداة للناس في الدين والدنيا، وأورثهم أرض كثير من الأمم القديمة وما عليها من علوم وآداب وصناعة وعمران.

إن سلفنا الصالح رضي الله عنهم كانوا أئمة في الدين، أئمة في العلم، أئمة في الصناعات، أئمة في الإبداع والاختراع.

ونحن نتلو أخبارهم، ونقفو آثارهم، وإن لم نبلغ شأوهم، ونستفيد من مستحدثات الأمم المعاصرة، كما استفاد سلفنا من مزايا الشعوب والأمم الغابرة)[1] .

وقد أثنى الشيخ على الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود الذي افتتح غالب جزيرة العرب بالتوحيد بالتعاون مع الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأثر ذلك على صنعاء، وذمار[2] وما يتصل بها، فقال الشيخ رحمه الله:

(وقد علقنا على ترجمة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي افتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية[3] ، والحسا والقطيف، والبلاد الحجازية وغالب جزيرة العرب، وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها الأمور الجاهلية، فوصل إليه الداعي إلى التوحيد الخالص، وما زال الوافدون من سعود يفدون صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور[4]،

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٨٦ ، وانظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦١

(٢) ذِمار: قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء، وهي حاليا محافظة غرب اليمن، وتقع شمال محافظة صنعاء، وتبعد عن صنعاء ثمانين كيلا تقريبا. انظر: الأماكن لزين الدين الهمداني ١/٤٤٦، ومراصد الاطلاع ٢/٥٨٧

(٣) البلاد العارضية الاسم القديم لدولة الكويت ، ويطلق اسم : العارضية حاليا على مدينة ضمن محافظة الفروانية تقع على بعد ١٨ كيلا من جنوب غرب العاصمة : الكويت. انظر: أطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص٣١

(٤) هو علي بن العباس بن الحسين، من بني قاسم، لقبه المنصور بالله، ولد بصنعاء، **إمام زيدي يماني، طالت مدته ، ولم يخرج من صنعاء لغزو**، توفي عام ١٢٢٤هـ، انظر:الأعلام ٤/٢٩٨

وولده الإمام المتوكل(١) بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار وما يتصل بها)(٢) .

وفي موضع آخر عدَّد -وهو يدافع عن الدولة السعودية حينها- مناقب وفضائل للملك سعود رحمه الله(٣) -لا علاقة لها بالعقيدة- ومنها تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة، وجعله أحد قصوره مقرا لها(٤) .

ثالثا: الألوسي وتلميذه بهجة الأثري.

وفي رمي العالمين : محمود شكري الألوسي، وتلميذه بهجة الأثري بالوهابية ، تعجب الشيخ من أنه كلما ظهر مصلح يدعو الناس إلى التوحيد، والسنة ورد البدع واتباع الكتاب والسنة ، رموه بالوهابية، حتى صارت الوهابية لقب على دعاة الحق، قال الشيخ رحمه الله:

(ومن عجيب شأن الناس أنه كلما قام مصلح بالدعوة إلى تجريد التوحيد، واقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، والتمسك بسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، أطلقوا عليه لقب وهابي، مهما تقادم عهده أو تنآى بلده !! حتى قال بعض أفاضل النجديين: صار اسم الوهابية علما على أهل الحق في كل زمان ومكان : ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.(٥)

---

(١) هو أحمد بن علي بن العباس، من بني قاسم، ولد بصنعاء، **من أئمة الزيدية في باليمن، كانت له إمارة الأجناد وولاية صنعاء في عهد أبيه، عرف بالشجاعة وحسن السياسة،** لقب بالمتوكل على الله، وربما قيل: الملك العادل ، توفي عام١٢٣١هـ. انظر : الأعلام ١/١٨٢

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده بهجة البيطار ٢/١١٤٩

(٣) المقصود هنا: الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الذي توفي عام ١٣٨٨هـ.

(٤) انظر : الإسلام والصحابة الكرام ، بهجة البيطار ص٥٩-٦٢

(٥) سورة الحجرات:٨

إذن فلا عجب إذا لقب السيد الألوسي بهذا اللقب، فقد كان رحمه الله تعالى من أكبر دعاة الحق وأنصاره، ولكن دعاة السوء كانوا يرمون الوهابيين أنفسهم بما كان يملي عليهم الهوى والجهل، كقولهم بأنهم أعداء الرسل، أو يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ..الخ)[1]

ثم نقل الشيخ عن بهجة الأثري في كتابه أعلام العراق أن رمي كل داع إلى التوحيد والسنة بالوهابية ، تخطيط سياسي من الأتراك حينها لإسقاط هذه الدعوة المباركة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وقد قال الأستاذ البهجة الأثري في ص١٠ من كتابه –دفاعا عن الحق، وردا للباطل– :

" من تتبع الحقائق عرف أن هذا بهتان روجته السياسة على البسطاء باسم الدين والمذهب؛ فإن دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب الإصلاحية، ونهضة الأمير محمد بن سعود في تأييدها، كل ذلك حمل الأتراك على حربهم والتشنيع على معتقداتهم، والنيل منهم بضروب الوسائل، وقد حملوا كثيرا من سماسرتهم وكتابهم وصنائعهم على الحط منهم في جميع الأقطار الإسلامية؛ ليسقطوهم من الأنظار، ويضعفوا شأنهم "!!

إلى أن قال : "ولا أعلم متى ينتبه المسلمون من رقادهم، ولا تروج عليهم أمثال هذه الدسائس التي خدرت أعصابهم، وجعلتهم شذر مذر[2] .

اللهم إن ذلك لا يتحمله قلب مليء بالإيمان، ولا يسيئه امرؤ رُزق حظا من الإسلام" اهـ باختصار)[3] .

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٨٨، وانظر: حلية البشر ١/٤٥٨

(٢) يقال : ذهب القوم شذر مذر إذا تفرقوا من كل وجه. انظر: الكنز اللغوي في اللَّسن العربي لابن السكِّيت ١/١٣، والصحاح للجوهري ٢/٨١٣

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٨٩

ثم قرر الشيخ سعة انتشار هذه الدعوة المباركة، وأن سبب اقتداء وحب أهل الحق المعاصرين لأهل نجد ، هو أن إمامَهم أولُ من جدد عقيدة التوحيد قولا وعملا في هذا العصر، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إن هذه الحركة المباركة قد عمت البوادي والحواضر، ونادى بها دعاة التوحيد والتجديد والإصلاح الديني في جميع البلدان الإسلامية، وصار لقب الوهابية علما على أهل الحق في كل زمان ومكان، كما أثرنا ذلك عن بعض فطاحل النجديين.

وإنما أحب حزبُ الإصلاح في عامة الأقطار أهل نجد؛ لأنهم هم الذين جددوا أمر الدين، وأقاموا معالم التوحيد قولا وعملا واعتقادا، فاستحق إمامهم ومن تبعه منهم بإحسان أن لُقِّب مجدد ديني حقا وصدقا)[1] .

وقد قرر الشيخ لحوق علامة العراق : بهجة الأثري بشيخه الألوسي في استحقاقه لقب وهابي؛ لدعوته إلى الدين الخالص، وبما لقي من عباد القبور، ودعاة الفساد والإلحاد، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وممن استحق لقب وهابي بغيرته على الدين الخالص ودعوته إليه مؤلف كتاب أعلام العراق سيدي الأستاذ البهجة، فقد لقي من عبدة القبور والأوهام ، ودعاة الإلحاد والفساد ما يحتسبه عند ربه، ولم يبال بوشاية الواشين، وإرجاف المرجفين.

وكتابه: أعلام العراق -الذي هو ذخيرة دين وعلم وأدب- شاهد عدل على حبه لمذهب السلف، وجَرْيِهِ عليه علما وعملا، أكثر الله من أمثاله في العراق وسائر الآفاق)[2] .

هذا وقد ألف يوسف النبهاني[3] قصيدة بعنوان: الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا، كفر فيها العلامتين : محمد رشيد رضا، والألوسي، فرد عليه الشيخ بقصيدة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ١/١٩٠

(٣) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، ولد بحيفا فلسطين، شاعر أديب من رجال القضاء، صوفي ، له كتب كثيرة خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام-كابن تيمية وابن القيم —حملة

عنوانها: الطامة الكبرى في الرد على صاحب الرائية الصغرى يصد فيها عدوانه عن هذين العلمين، فتعجب الشيخ في بداية القصيدة مما ذكره النبهاني من التكفير واللعن والتفسيق لمن ينتمون لسنته ﷺ مع رؤيته الخير فيمن ينتمون بأفعالهم لغير سنته ﷺ من المتصوفة، وتشكيكه في نسب الشيخ محمد رشيد رضا، فقال رحمه الله -بعدما عنون ب "الفصل الأول : في غرور النبهاني في دعاويه"[(١)]:

(ألســـت ترى من آل نبهان يوســـفا ... يصـــرح في تضـــليل أهل الهدى جهرا
تآليـفـه مـلأى بـكـل ســـفـاهـة ... فيبـدي بهـا لعنـا ويبـدي بهـا كفرا
ويـطـعـن في أنســـاب آل محـمـد ... ويســـخر من أنصـــار ســـنته الغرا
يـرى الخير فـيـمـن ينـتـمـون لـغيره ... ولـيـس يـرى في المنـتـمـين لـه خـيرا
دليلي على مـا قلـت من ضـــلالـه ... قصـــيـدتـه المســـمـاة رائيتـه صـــغرا
حشـــاهـا بمـا أوحـى إليـه غـروره ... مـن الإفـك والبـهـتـان مخرقـة كـبرى
وراح يـرمـي بهـا بـكـل مـذمـة ... أئمـة هـذا العصـــر إذ نوروا العصـــرا
إذا ذكـر الأعـلام في الـديـن والـتـقـى ... يـفســـقـهـم طـورا ويـكـفـرهـم طـورا)

وقد قام النبهاني في رائيته برمي الألوسي بالجنون، وبأنه لم ينظم في مدح الرسول ﷺ حديثا واحدا، وبأنه نصر ابن تيمية في منع الاستغاثة، ولم ينصر النبي ﷺ ، وبأنه هلا عفى عنه (أي النبهاني) إذا أذنب ؛ وذلك لمدح النبي ﷺ ، فرد عليه الشيخ بتقرير منزلة الألوسي والثناء عليه ، وبعظم وقع كتاب غاية الأماني علي النبهاني ، ولم يستطع الرد عليه، فنظم رائيته، وقرر الشيخ في النهاية القيمة العلمية لغاية الأماني بشهادة

شعواء، وللألوسي كتابان في الرد عليه : ١-غاية الأماني في الرد على النبهاني، ٢- والآية الكبرى (في الرد على الرائية الصغرى) توفي عام ١٣٥٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٨-٢١٨

(١) ست منظومات في الرد علي الصوفي يوسف النبهاني ص١٩٥

علماء عصره، قال الشيخ رحمه الله-بعدما عنون ب:"الفصل الخامس في الانتصار لعلامة العراق: السيد محمود شكري أفندي الألوسي"[1]-:

وأما الألوسي حبر بغداد فهو من ... أئمة هذا العصر أعظم به حبرا
فأهديه من شكري ثناء معطرا ... ولست أؤدي ماحييت له شكرا
أماني في سفر له فبه ترى ... سهاما على النبهاني قاصمة ظهرا
فقد كشف الأستار عن جهله بما ... عليه به سقف المساوي قد خرا
وألقمه صخر الحجاج مبرهنا ... فمن هو له قد كاد يسكِنه القبرا
ولست أرى أن الذي قد حدا به ... على نظمه ذا الوقت رائية صغرى
سوى ذلك السفر العجيب الذي به ... الإمام الألوسي أحرز الفخر والنصرا
وما ذا عسى أني أقول ومدْحه ... من العلماء قد طبق البر والبحرا
أقر له الأعلام بالفضل والتقى ... وألبابهم في سفره قد غدت حَيْرى
إذا ما أجَلْت الطرف في حسن روضه ... رأيت من التحقيق ما يدهش الفكرا
غدا نا صرا للدين فيه وإننا ... لنشكره سرا ونشكره جهرا
وأحمد ربي شاكرا ومصليا ... على المصطفي الهادي المشفع في الأخرى

رابعا: القاسمي والبخاري

وقد انتقد الرافضي جعفر آل كاشف الغطاء على البخاري -روايته-، والقاسمي -دفاعه- عن رواية الخوارج والمرجئة ومعاوية ابن أبي سفيان ، ومروان بن الحكم للسنة، وعدم روايته عن جعفر الصادق، فأجاب الشيخ في عدم روايته عن جعفر الصادق بأن القاسمي نفسه بيَّن في كتاب : نقد نصائح الكافية[2] أن البخاري مجتهد ولا ملام عليه في اجتهاده، وبأن تركه للرواية عنه لشهرة جعفر بالفقه أكثر من الحديث، فقال الشيخ نقلا عن القاسمي:

---

(١) المصدر السابق ٢٠١-٢٠٢

(٢) ص٤٠

(قال حفظه الله :

"الثالث: اتفقوا على أن لا ملام على إمام في اجتهاده، والبخاري من كبار الأئمة المجتهدين، فهب أنه اجتهد في رواية جعفر، فإن أخطأ كان مأجورا معذورا"

الرابع:قد يترك جامع المسند الرواية عمن غلب عليه الفقه؛ لأن شهرة الراوي بالرواية والحفظ تدعو لتحمل طالب الحديث عنه وكتابة حديثه أكثر من التحمل عمن اشتهر بالفقه..")[1] .

وتابع النقل عن القاسمي بأن ترك الرواية قد تكون لمقصد من مقاصد المتحملين ككونه أعلى سندا منه، أو استغناء بغيره، أو أعلى منه علما وضبطا، قال الشيخ :

("الخامس : قد يترك المحدث الرواية عن راو لراو آخر في طبقته : إما أنه لا يراه فوقه في العلم، وأن ما عنده أضبط وأسد، أو أن في سنده علوا، أو نحو ذلك من مقاصد المتحملين، وكله مما لا حرج فيه، ولا يستلزم الغض من سالك سبيله لأنه سبيل مشروع، وعمل متبوع ..")[2] .

أما في الرواية عن المرجئة فأجاب بأن القاسمي أبان بأن الذي يهم المحدث هو صدقه، وأما بدعته فعليه، قال الشيخ ناقلا عن القاسمي في كتابه السابق:

(" وأما احتجاج البخاري بالمرجئة، فإنه لم يحتج بهم ويرو لهم لهذا العنوان -أعني :الإرجاء- وأنما خرج رواية الثبت الصدوق منهم، وهذا ما يَهُمُّ الراوي والمتحمل مهما كان مذهب المروي عنه ومشربه")[3].

أما الرواية عن كبار الخوارج فأجاب الشيخ ناقلا عن القاسمي بأنه لما سبق في الرواية عن المرجئة، ولأنهم يكفرون من يكذب، وأما مروان فلأنه لا يُتَّهَم في الحديث، وأما معاوية فالإسلام يجب ما قبله، قال الشيخ:

---

(١) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٥١

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص١٥٢

("وأما احتجاجه بعمران بن حطان مع أنه من كبار الخوارج، فلما ذكرنا من الصدق في الحديث، والتوقي في الرواية والأمانة العظمى، وما قولك فيمن يرى الكذب كفرا؟ وأما مآتيه وعقده فحسابه على ربه.

وأما مروان ، فقد قال عروة[1] -ومقامه في التابعين معروف-: لا يتهم مروان في الحديث[2].

وأما ابن المرأة المخطئة، فيعني به الناظم : معاوية، ويشير إلى أمه هند في خطئها في قصة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، وما وقع منها في جاهليتها، إلا أن الناظم فاته أن الإسلام يجب ما قبله؛ لأن الإسلام بسماحته ودعوته إلى الصفح والعفو يتناسى أمثال ذلك ولا يذكرها" اهـ)[3] .

وفي موضع آخر ادعى الرافضي آل كاشف الغطاء النجفي بأن موالاة أهل البيت من الضروريات التي تواتر موجبها، وعليه فالخوارج خالفوا ما هو معلوم من الدين بالضرورة فكفروا، فكيف يدافع عنهم القاسمي ويروي لهم البخاري ؟!

فرد الشيخ بأن مودة أهل البيت صحيحة ثابتة لكنها لم تبلغ درجة التواتر، فقال رحمه الله:

---

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله المدني، تابعي ثقة فقيه مشهور، ت:١٩٤ روى له الجماعة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٤٢٠

(٢) أسند البخاري في التاريخ الكبير ٣٦٨/٧ (١٥٧٩) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخبِرْني: مروان بن الحكم ، قال : (فلا إخاله يُتَّهم علينا)... . فعلق الشيخ عبد الرحمن المعلمي على ذلك بقوله: ومعنى هذه العبارة -كما لا يخفى-: أن مروان لا يتهم بأن يكذب في فضيلة لآل الزبير مع ما بينه وبينهم من الشحناء منذ قتل عثمان واتهم الزبير بانه ممن أَلَّبَ عليه. ا. هـ. ثم بيَّن أن بين هذه العبارة وبين ما في فتح الباري لابن حجر ٤٤٣/١ : (كان مروان لا يتهم في الحديث) فرق لا يخفي؛ قلت : وذلك لأن هناك فرقٌ بين ألا يتهم في حديث رسول الله ﷺ ، وبين ألا يتهم في فصيلة لآل الزبير.

(٣)نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٥٣-١٥٤

(أقول : للمتواتر شروط مبسوطة في كتب المصطلح وأصول الفقه[1]، وحاصلها:

١. عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب

٢. رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

٣. كان مستند انتهائهم الحس.

٤. انضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه.

وليس المقصود نفي وجوب مودة آل البيت عليهم السلام، كيف وقد ثبتت بالأحاديث الصحيحة والآثار الرجيحة، ولكنها لا تلحق بالضروريات،ولا تكون في مصاف البديهيات)[2] .

ثم أجاب الشيخ بأن الخوارج لم يبغضوا كل آل البيت ، بل من شهد الحرب منهم ورضي بالتحكيم، بذريعة أنهم حكموا الرجال في الدين، قال رحمه الله:

(.. ومنه يعلم أنهم لم يبغضوا آل البيت عليهم السلام كما ادعى الأستاذ، سواء منهم المائت والشاهد، والغابر والحاضر، بل كان بغضهم محصورا على من شهد الحرب، ورضي بالتحكيم منهم ومن غيرهم، وليس ذلك إلا للشبهة التي دخلت عليهم..)[3] .

وقد اتهم جعفر آل كاشف الغطاء القاسمي بأنه ممن يتول عن نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتأول الحديث الذي يثبت أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأجاب الشيخ بأن القاسمي لم يتول ، بل اقتصر على مورد الحديث، ولم يكفر من أتى بعد الخوارج الذين كانوا على عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبأنه على التسليم بأنه تأول، فقد سبقه الإمام علي رضي الله عنه ، ومن قاتل معه من الصحابة أجمعين، وهم أعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال الشيخ رحمه الله:

---

(١) انظر: علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوري ص٢٦٧-٢٦٩ ، وجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ضمن مجموع مهمات المتون) ص١٥٨

(٢) نقد عين الميزان ٩١-٩٢ مختصرا.

(٣) المصدر السابق ٩٤

(وأما قول الأستاذ : " إن من أمتك من يتولون عن نصائحك ويتأولون"، فإن عنى بذلك السيد القاسمي فغير محق؛ لأنه ما تولى عن النصائح، ولم يتأول شيئا، ولكنه اقتصر على مورد الحديث لما قدمنا، ولم يكفر من جاء بعد من الخوارج؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكفرهم، فهل يعد متأولا ومتوليا عن النصائح من عرف كلام الرسول فوقف عنده، ولم يتجاوزه إلى ما بعده؟!

ثم أقول : وهب أنه قد تأوله كما زعمتم، فليس هو بِدعا في تأوله، بل قد تأول حديث الخوارج مِن قبلِه حملَتُه ورواتُه، كعلي بن أبي طالب ومن قاتلهم معه من الصحابة أجمعين، وأصحاب رسول الله أعلم منا بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..)[1].

خامسا: محمد رشيد رضا

سبق أن النبهاني ألف قصيدته الرائية وكفر فيها العلمين: محمد رشيد رضا والألوسي، فرد الشيخ بالطامة الكبرى، وذكرتُ الرد الإجمالي على النبهاني، وهنا سأذكر رد الشيخ التفصيلي عليه.

ذكر النبهاني في رائيته عن العلامة محمد رشيد رضا ما محصله :

١. أن رشيد رضا أتاه ببيروت قاصا شعر لحيته، وأنه وُبخ في مجلس النبهاني على ذلك.
٢. أنه ألقى خطبة في كنيسة، وعانق فيها القس.
٣. جاء إلى مصر مطرودا فآواه محمد عبده وأشبعه خبزا وشرا.
٤. أنه سمع من ابن عم محمد رشيد رضا أنه لا نسبة لهم تُدرى.
٥. رؤيته في المنام مسْوَد الوجه بسبب الضلالات التي نشرها في مجلة المنار متابعا أشياخه.
٦. جواب رشيد رضا عن سجود الشمس تحت العرش بعد الغروب ، بأن ذلك غير واقع، وأنه هل يحتاج بعد هذا التكذيب دليلا على كفر رشيد رضا ؟!

---

(١) نقد عين الميزان ص١٢٨-١٢٩

٧. أنه جوز أن يُعبد الله ﷻ في كنيسة.

٨. اضطرابه بحظر ما كان واجبا بالأمس؛ حكما بالتشهي.

٩. دفاعه عن شيخه محمد عبده، وكان يترك الصلاة جهرة.

١٠. قوله بأن حكم الديانات واحد.

فرد الشيخ عليه في الطامة الكبرى بأن تلاميذ محمد عبده تابعوه بنصرة الحق ، وأن خير تلامذته هو الشيخ رشيد رضا أغزرهم علما وأقواهم على حل المشكلات، فقال الشيخ رحمه الله-بعدما عنون: الفصل الرابع:في الانتصار للعلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار[١]-:

(وإن تلاميذ الإمام تواطؤوا ... على نهج ذلك الليث واستسهلوا الوعرا
وسلُّوا سيوف الحق فوق عُداته ... بذا نصروا دين النبي أبي الزهرا
وإن لَمِنْ خير التلاميذ نسبة ... وأغزرهم علما وأرفعهم قدرا
منار الهدى بحر الندى قاهر العِدى ... رشيد رضا من أحرز الفخر والنصرا
إمامٌ إذا ما المشكلات تعقدت ... وأعجزت الأبطال أن يدركوا السرا
أتَوْه سراعا يقصدون جنابه ... ليكشف لهم عن وجه الخفا لهم السترا
فيوضح منها كل ما كان غامضا ... ويصبح بعد العسر إدراكها يسرا
يَراعَتُه إن هزها بيمينه ... على طِرسه تستحقر البِيض والسمرا

ثم قرر الشيخ سعة انتشار المنار بقوله[٢]:

وهذا منار العلم قد صاح في الورى ... ففي سائر الأقطار قد زلزل الكفرا
يجوب بلاد الله شرقا ومغربا ... ويجتازها برا ويجتازها بحرا

(١) ست منظومات في الرد علي الصوفي يوسف النبهاني ص٢٠٠

(٢) المصدر السابق.

وفي اتهام النبهاني رشيد رضا بتكذيب حديث سجود الشمس تحت العرش[1] ، رد الشيخ بأن الشيخ بذل اجتهاده بأن الحديث من أمور الدنيا –لا الدين– التي لم تطابق الواقع، كتأبير النخل[2] ، فقال الشيخ رحمه الله[3]:

(وقد نقد النبهاني بعض مباحث	بأجزائه أبدى المنار لها ذكرا
ومنها حديث الشمس بعد غروبها	فتسجد تحت العرش تستأذن السيرا
فقد سألوا عنه المنار وأنه	أجابهم فيما **رأى أنه الأحرى**
أجاب بأن المصطفي لم يجئ بما	بذي النشأة الأولى مع النشأة الأخرى
أقام على هذا دليلا بأنه	نهى صحبه أن يُأَبِّروا نخلهم أَبْرا
فلما بدى عكس الذي هو آمل	فقال لهم أنتم بدنياكم أدرى
وهيهات أن تدري معاني كلامه	ومن أين للخفاش أن يبصر البدرا
على السيد المفضال **بذل اجتهاده**	وليس عليه أن يعلمه الحُمْرا)

قال الباحث: لما كان أتباع المدرسة العقلية الحديثة في عصر اشتداد نقد المستشرقين –بسبب ماديتهم– على الإيمان بالغيبيات وآيات الأنبياء عند المسلمين، خصوصا مع

---

(١) روى البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر ﴿بحسبان﴾، ح(٣٠٢٧) وفي كتاب التفسير، باب ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾، ح(٤٥٢٤) عن أبي ذر رضى الله تعالى عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس ((تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيُؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز﴾ العلم))

(٢)روى مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي، ح(٢٣٦٣) عن أنس ((أن النبي صلى الله عليه وسلم مَرَّ بقوم يلقِّحون فقال: لو لم تفعلوا لصلَح قال فخرج شِيصاً فمر بهم فقال: ما لنخلكم قالوا قلت: كذا وكذا قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم))

(٣) ست منظومات في الرد علي الصوفي يوسف النبهاني ص٢٠٠

الاكتشافات العلمية الحديثة ، حاول المتأثرون بهذه المدرسة (ومنهم الأستاذ رشيد رضا)، -لأجل دفاعهم عن الإسلام- أن يضيِّقوا مساحات الغيبيات والمعجزات في الإسلام؛ فوجدوا في إرث المعتزلة ما يمكِّنُهم من ذلك، فما لم يستطيعوا رده من المتواتر صرفوه بما يوافق عقولهم (وإن شئت قل : شبهاتهم)، وما لم يكن متواترا من الأحاديث الصحيحة ردوه بمزاعم شتى، وتحريف حديث سجود الشمس يأتي في هذا السياق، حتى بلغ الحال أن حَصر الأستاذ رشيد آيات النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن فقط؛ فلا يثبت الانشقاق الحقيقي للقمر، ويتأول آية ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١﴾[1]. بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر، يشُقُّ الظلام !![2] وغيرها من المعجزات والغيبيات([3] التي لا توافق عقول الافرنج، وتنفرهم —بزعمه- من الاهتداء بالإسلام؛ فيقول غفر الله له: (ولولا حكاية القرآن لآيات الله التى أيّد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان إقبال أحرار الإفرنج عليه أكثر، واهتداؤهم به أعم وأسرع؛ لأن أساسه قد بني على العقل والعلم وموافقة الفطرة البشرية)[4]!!. ويرى أن (تلك العجائب الكونية فهى مثار شبهات وتأويلات كثيرة فى روايتها وفى صحتها، وفى دلالتها، وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين فى كل زمان، والمنقول منها عن صوفية الهنود والمسلمين أكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد، وعن مناقب القديسين، وهى من منفِّرات العلماء عن الدين فى هذا العصر)([5] !!! ولا أريد أن أستطرد فيما ليس من موضوعنا أصالة، لكن الخلاصة أن الشيخ بهجة رحمه الله لا يستقيم له جعل الأستاذ محمد رشد رضا مجتهدا بما رأى أنه الأحرى، وتكييف المسألة بجعلها من الخلاف المستساغ؛ لأنها لم تقع له فلتة مع صحة منهجه في هذا الباب، فلم يكن منهجه في باب الغيبيات وآيات الأنبياء على جادة السلف، فهو يصرح بتأصيله

---

(١) سورة القمر: ١

(٢) التعامل بهذه الطريقة مع النصوص يضعف التمسك والإيقان بها.

(٣) انظر: تفسير المنار ٢/٤٨٢-٤٨٢

(٤) الوحي المحمدي، لمحمد رشيد بن علي رضا ص٤٧

(٥) المصدر السابق.

في هذا الباب بلا مواربة —كما سبق وغيره– ويطبقه فعليا على آحاد مسائله، لكن لا يصل إلا حد تكفيره —كما افترى النبهاني–؛ لوجود الشبهة، والتأويل.

وقد أجاب الشيخ عن دعوى إجازة رشيد رضا العبادة في الكنيسة[1] بأنه أجاز التعليم في كلية نصرانية لا العبادة وأن النبهاني حرف الكلام، فقال رحمه الله[2]:

ولما أتى الأستاذ بيروت أظهرت ... له أهلها فيها المسرة والبشرا
وأقبل طلاب العلوم ليسألوا ... أندخل للتعليم كلية كبرى
فجوز لهم تعليم العلوم بها ... بشرط امتثال الأمر للشِّرْعَة الغرا
وذا يوسف النبهاني غيَّر حكمه ... برائية صغرى وقد عكس الأمرا

ثم ذم الشيخ النبهاني على عدم حيائه بتكفير العلامة رشيد رضا، فقال رحمه الله[3]:

وقال بأن الشيخ فتواه هذه ... بها هو والأبناء قد كفروا طرا
وزين للإسلام في مصر طرده ... وإبعاد رب العلم أو الفضل عن مصرا

سادسا : محب الدين الخطيب

قد ذم الرافضي محمد الخالصي محبَّ الدين الخطيب بزعم أنه مَدَحَ من ذَمَّ أعمالَه القرآنُ –يقصد الصحابة–، فرد الشيخ عليه بأن العلامة محب الدين الخطيب قد وصفهم بما يستحقونه بموجب الكتاب والسنة، وواقع أعمالهم، فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) البحث هنا في مسألتين : أولا : من حيث الحكم الوضعي : فقد نقل ابن عبد البر الإجماع على صحة الصلاة في الكنيسة إذا صلى في موضع طاهر انظر: التمهيد لابن عبد البر ٥/٢٢٩ . ثانيا من حيث الحكم الشرعي : فإن الجمهور على كراهة الصلاة فيها، والحنابلة على الجواز بلا كراهة. انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال ٢/ ٨٩ الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧ /١١٥ وقد وردت آثار عن السلف بالجواز إذا خلت عن الصور –كما في شرح ابن بطال السابق–، ولا شك أن وجود كنيسة في العصر الحاضر خالية من الصور نادر إن لم يكن متعذرا.

(٢) ست منظومات في الرد علي الصوفي يوسف النبهاني ص٢٠٠-٢٠١

(٣) المصدر السابق ص٢٠١

(.. وما ذنب الأستاذ محب الدبن الخطيب إذا وصفهم بأوصافهم التي استحقوا بها هذه المنزلة الرفيعة، فقال : " والمسلمون الأولون –الذين تولى الهادي الأعظم تربيتهم، وتوجيههم وإعدادهم بمهمة الإسلام العظمى- كانوا المثل الكامل للعمل بالإسلام في إيمانهم وطاعتهم لله ، وأخلاقهم الكريمة ، وسياستهم الحكيمة، وفتوحهم الرحيمة، وتكوينهم المجتمع الإسلامي الصالح، والدولة الإسلامية المثالية، وقد كافأهم الله على ذلك بانتشار رسالته على أيديهم ، وذيوع دعوته بين الأمم اقتداء بهم واتباعا لهم" اهـ)[(١)] .

ثم نقل الشيخ عن نصراني مدحه الصحابة، وتعجب الشيخ كيف يكون الشيعة أقل حظا في مدح صحابة النبي ﷺ من النصارى، قال الشيخ رحمه الله:

(وقد قال لي مرة الأستاذ فارس الخوري[(٢)] الشهير: "إن أصحاب رسول الله لا سيما الخلفاء، لا نظير لهم في زهدهم وإيمانهم وإيثارهم ، فقد فتحوا الدنيا ، ولم ينالوا منها كغيرهم"

أفلا يحق له أن يقول هذا القول وهم قد ملؤوا الدنيا بآثارهم، وتآليف المستشرقين وغيرهم من الأجانب طافحة بأخبارهم، فهل نكون نحن معشر المسلمين أقل حظا ونصيبا من الاعتراف بفضلهم)[(٣)] .

وفي قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [(٤)] ، صرف الخالصي الآية عن دلالتها على فضل الشيخين؛ كونها قيدت المدح بالمؤمنين، فخرج منها الشيخين

(١) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ص٨-٩

(٢) هو فارس بن يعقوب بن جبور بن يعقوب بن إبراهيم الخوري، ولد بقضاء حاصبيا في سوريا، سياسي ، نصراني، عُين وزيرا للمالية فالمعارف، فرئيسا لمجلس النواب، فرئيسا للوزراء، توفي عام١٣٨١هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٢٨/٥

(٣) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ص٨-٩

(٤) سورة الفتح:١٨

بزعمه؛ لأنهما لم يمحضا الإيمان، فقال الشيخ ناقلا عن الخالصي في رسالته التي أرسلها إلى الشيخ:

"وإن قالوا : إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم القرآن في قوله في هذه السورة : ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. (١) قلنا : لو أنه قال : لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة، أو عن الذين يبايعونك ، لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لما قال : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾ فلا دلالة فيها إلا على الرضى عمن محض الإيمان، والوصف مشعر بالعلية.

ثم قال : وعلى أيٍّ فلا دلالة لآية الرضا على شمولها لمن ارتكب معصية بعد نزولها اهـ)(٢) .

ثم ذكر الخالصي أن العلامة محب الدين الخطيب نسب إليه التشكيك بإيمان الشيخين، وادعى أنه لم يتعرض لموضوع إيمانهما من عدمه، فقال الشيخ ناقلا عن الخالصي في رسالته التي أرسلها إليه- :

(وعقبه بقوله : "هذا ما كتبته في إحياء الشريعة، فتناوله السلفي محب الدين الخطيب الذي شنع في مجلة الأزهر، وقال : إن الخالصي يشكك في إيمان أبي بكر وعمر؛ لأن معنى أن الآية لا تدل على فضل من بايع بيعة الرضوان؛ إذا لم يكونوا مؤمنين: هو أن أبا بكر وعمر يشك في إيمانهما. وإنكم لتعلمون إني لم أتطرق لتحقيق إيمانهما أو عدم إيمانهما")(٣) .

فرد عليه الشيخ بأن أقل ما يفهم من كلام الخالصي هو التشكيك، ثم قرر الشيخ صراحة الآية على إيمان أهل هذه البيعة، وأن إخراج أي أحد منها هو الذي يحتاج إلى دليل، فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) سورة الفتح:١٨

(٢) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٦-٧

(٣) المصدر السابق.

(أقول : إن تخصيهما بالذكر في معرض إثبات إيمان أهل بيعة الرضوان والرضا عنهم، وجعل إيمانهما وعدم إيمانهما في كفتي الميزان ، أقل ما يفهم منه الشك فيه!

والصواب : أن الآية الكريمة صريحة في إيمان أهل هذه البيعة، وإخراجهما هما أو غيرهما من هذا الوصف والحكم : هو الذي يحتاج إلى دليل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)[١] .

(١) المصدر السابق.

الفصل الثاني
جهوده في التحذير من البدع وتقرير كمال الدين، والرد على المبتدعة

ويتضمن مبحثين :

المبحث الأول : جهوده في التحذير من البدع، وتقرير كمال الدين.

المبحث الثاني : جهوده في الرد على المبتدعة .

المبحث الأول:جهوده في التحذير من البدع وتقرير كمال الدين.

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول:معنى البدعة والتحذير منها

البدعة : ما أحدث في الدين من غير دليل خاص .

فإن كانت أحدثت من غير دليل أصلا فبدعة حقيقية .

وإن كانت أحدثت بدليل عام فبدعة إضافية.

والبدعة ليست على درجة واحدة، بل متفاوتة بحسب مرتبة البدعة في نفسها، وحال المبتدع، وأثر مفسدتها، ومأخذها .[1]

هذا ولم أقف فيما كتبه الشيخ على تعريف صريح له للبدعة ، لكن يوجد مسألتان له فيهما كلام يُسْتَشَفُّ منهما معنى البدعة:

المسألة الأولى : حكم الأكل بالملعقة لما كان في رحلته إلى نجد، فقد قرر أن البدعة لا تكون إلا فيما يتدين ويتقرب به إلا الله ﷻ، فقال رحمه الله :

(قال[2] : أولئك يعدون الأكل بغير الكف والأصابع بدعة.

قلت : البدعة المذمومة في الشرع هي التي تحل محل السنة وتبطلها، والسنن ما كان من جنس المفروضات والواجبات، كما ترى في سنن الوضوء والصلاة والصيام مثلا، وما يظهر فيه معنى الذكر والعبادة ويتقرب فيه إلى الله ﷻ، أما وسائل الطعام والشراب

---

(١) انظر : معيار البدعة، محمد حسين الجيزاني ص٣٨-٣٩ ط١ دار ابن الجوزي عام ١٤٣١هـ

(٢) أي : شلاش النجدي –من أهل الرَّس– مبعوث الأمير فيصل بن الحسين الأول وكان مع الشيخ بهجة في الرحلة إلى الملك عبد العزيز آل سعود –رحمه الله–.

فليست من هذا الباب، وهي تختلف باختلاف البلاد والعباد، ألا ترى النبي عليه الصلاة والسلام كان يأكل مما يليه، وفي هذا من الأدب ما لا يخفي)[1]

ثم قرر ضابط البدعة التي تخالف السنة التركية، فقال رحمه الله :

(ولو كانت الملاعق في بلاده عليه الصلاة والسلام ونهى عن الأكل بها، وآثر الأكل باليد عليها؛ لتم لهم ما يريدون، ولكن كل ذلك لم يكن، والمعقول أنها لو كانت في بلد النبي صلى الله عليه وسلم لاستعملها؛ لأنها أقرب إلى آداب الطعام التي كان يرمي إليها، وإلى النظافة التي كان يحث عليها)[2] .

والمسألة الثانية : حكم جمع عمر الناسَ على إمام واحد في صلاة القيام ، وقوله ((نعمت البدعة هذه))[3] ، حيث قرر أن البدعة فيها بمعناها الزمني، لا الشرعي، وبين أن إعادة العمل بما ثبت دليله لزوال عارض ، ليس من البدع المذمومة ، قال الشيخ رحمه الله:

(.. فجدد[4] العهد النبوي الأول بجمع المصلين على إمام واحد، وعاد الأمر كما كان من دون زيادة ولا نقصان، فالبدعة هنا بمعناها الزمني لا الشرعي كما هو ظاهر، والله أعلم)[5] .

ذكر الشيخ عن شيخ الإسلام[6] ضرورة كشف الطرق المبتدعة لدقتها وخفائها، فقال رحمه الله :

(ص ١٤٤ ذكر العلماء أن الطرق المبتدعة إما أن تكون مخطرة لطولها ودقتها وإما أن تكون فاسدة ولكن من سلك الطريق المخوفة، وكانت طريقاً صحيحة فإنه يرجى له الوصول إلى المطلوب .

---

(١) الرحلة النجدية الحجازية لبهجة البيطار ص٤٢

(٢) المصدر السابق .

(٣) رواه ابن ماجه: كتاب الصلاة في رمضان باب ما جاء في قيام رمضان ح(٢٥٠).

(٤) أي : عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٦

(٦) في درء تعارض العقل والنقل ٣/١٨٤-١٨٦

ولكن لما فعل هؤلاء ما فعلوا، وصاروا يعارضون بمضمون طرقهم صحيح المنقول وصريح المعقول، ويدَّعون أن لا معرفة إلا من طريقهم، وأن لا يكون عالماً كاملاً إلا من عرف طريقهم ، احتيج إلى تبيين ما فيها دفعاً لمن يحارب الله ورسوله، ويسعى في الأرض فساداً، وبياناً للطرق النافعة غير طريقهم، وبياناً لأن أهل العلم والإيمان عالمون بحقائق ما عندهم، ليسوا عاجزين عن ذلك فإن الهدى الذي بعث الله به رسوله، لما كان فيه معنى الماء الذي يحصل به الحياة، ومعنى النور الذي يحصل به الإشراق، ذكر هذين المثلين، كما قال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. [1])[2] .

وفي ثناء الشيخ على ابن تيمية لبعده عن البدع قال رحمه الله :

(وله رحمه الله من باب التوحيد الخالص المجرد عن شوائب الوثنية والبدع والزوائد كتبٌ ورسائلُ[3] .

وفي تحذيره من البدع بأنها سبب لهبوط الأمة من مكانتها قال رحمه الله :

(فإن كانت هذه شِرْعَتُها، ولها وَرَدَت وعنها صدرت، فما تراه من عارض خَللِها، وهبوطها عن مكانتها، إنما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظِهْريا، وحدوث بدع ليست منها في شيء، أقامها المعتقدون مقام الأصول الثابتة ، وأعرضوا عما يرشد إليه الدين وعما أتى لأجله، وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه له إلا أسماء تذكر، وعبارات تقرأ، فتكون هذه المحادثات حجابا بين الأمة وبين الحق الذي يشعر بندائه أحيانا بين جوانحها)[4] .

وفي تقريره بأن اجتناب البدع سبب قوة اتحاد الأمة ورفعة حضارتها ، يقول رحمه الله:

---

(١) سورة الأنعام:١٢٢

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٩٥

(٣) المصدر السابق ص٦١

(٤) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/ ٢٨٢

(هل تعجب أيها السامع من قولي: إن الأصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع ، تنشئ للأمم قوة الاتحاد، وائتلاف الشمل، وتفضيل الشرف على لذة الحياة، وتبعثها على اقتناء الفضائل، وتوسيع دائرة المعارف، وتنتهي بها إلى اقصى غاية في المدنية ! إن عجبتَ إن عجبي من عجبك أشد)[١] .

وفي التحذير من بدع الشرق وسببها يقول الشيخ رحمه الله :

(إن الشرق يومئذ كان مسكن الأديان المتباينة كالمجوس وغيرهم، ولما فتح انْدَسَّ كثير من الزنادقة بين المسلمين وأظهروا الإسلام واخترعوا الأحاديث الموضوعة،وخلطوها بالأحاديث الصحيحة، وأسسوا من البدع التي تسعى في إحيائها ، ما زلنا نتعب في مناهضتها إلى اليوم)[٢] .

وقرر في موضع آخر -نقلا عن شخص لم يسمه- أن البدع سبب للتفرق وأن الساكت عنها كالآمر بإتيانها، فقال رحمه الله :

(وقال آخر : اعلم أن الناس أماتوا سننا ، وأحيوا بدعا، وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعا، وأظلمُ منهم : من أقرهم على أمرهم، ولم يأخذهم بقوارع زجرهم، فإن السكوت عن البدع رضا بمكانتها، وترك النهي عنها ، كالأمر بإتيانها)[٣] .

وقد أثنى على كتاب الشرح والإبانة لابن بطة في تحذيره من البدع وأهلها، فقال رحمه الله :

(فيه الدعوة الصادقة التي لا هوادة فيها إلى .. الالتزام بهدي السلف الصالح والتحذير من مخالطة أهل البدع، والبعد عن كل قول مبتدع ورأي مخترع)[٤].

---

(١) المصدر السابق ٢٨٣/١

(٢) النفخة علي النفحة والمنحة،ناصر الدين الحجازي الأثري (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص٢٩

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٣٧/١

(٤) كتاب الشرح والإبانة، لابن بطة (تعريف وتقد)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٤٩/٣٤ رمضان ١٣٧٨هـ . وانظر : رسالة الهدي ، محمد سعيد المدني (تعريف وتقد)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق شوال ١٣٧٣هـ.

وفي تقريره أهمية السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الأربعة في رد البدع والتحذير منها ،قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

(وكل من أحاط بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين خبرا، وجرى عليها عملا ، أنكر أشد الإنكار ما يضادها من البدع والضلالات ، وضروب السخف والخرافات، وتمسك بقول النبي ﷺ : ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))(١) .

لو ربط معلمو التاريخ الإسلامي في أقطار الأرض علم التاريخ الإسلامي بالتوحيد –وهما متلازمان– ولقنوا ناشئة المسلمين عقائد الصدر الأول وأعمالهم حينما كانت تدهمهم الحوادث وتشتد بهم الخطوب ، لصحت عقائد المعلمين، ولما رأينا منهم من يميلون إلى شيء من الإلحاد والتخريف)(٢) .

وكتطبيق عملي من الشيخ على الحذر من البدع ، قال –واصفا منهاج المعهد العلمي السعودي الذي تولى إدارته – :

(ودروسهم النهارية والليلية من العلوم الدينية المصفاة من الشوائب)(٣) .

ومن تحذير الشيخ من البدع تقريره أن مبنى الدين على الاتباع المحض، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(أليس مبنى الدين على الاتباع المحض)(٤) .

---

(١) سبق تخريجه ص٣٠٣

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢١١-٢١٢ وانظر منه ١/٢١٤

(٣) حفل استقبال محمد راتب النفاخ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٣/٢٣٣

(٤) نظرة في النفحة الزكية ص٦، وانظر: تتمة الربا والمعاملات المالية في الإسلام، بهجة البيطار (الأصل المتمم: لمحمد رشيد رضا) ص١٦٧، و قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام ابن تيمية (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٦/١٤٧ ذو القعدة ١٣٩٠هـ

وقد وافق الشيخ بهجة شيخه القاسمي في رفض وصف الرواة المبتدعة (الذين روى عنهم المحدِّثون) **بالمبتدِعين** ووصفهم القاسمي **بالمبَدَّعين**، وأن وصفهم بالابتداع من باب التنابز بالألقاب التي عَقَّ بها المتأخرون سلفهم، وأنه يسبب الفرقة المجتمعية، فقال الشيخ رحمه الله:

(بحث فيه[1] بحثا علميا فلسفيا تاريخيا اجتماعيا أخلاقيا، بيَّن فيه منشأ النَّبْز بالابتداع، وأنه مضر في ناموس العمران والاجتماع، وأن التحمل عن المبدَّعين مذهب كبار المحدثين، وذكر أيده الله عقوق الخلف بهجر مذهب السلف، إلى آخر ما أودعه — حفظه الله — من المسائل العلمية، والمباحث الأخلاقية الاجتماعية)[2] .

قال الباحث: إطلاق لفظ البدعة كوصف على شخص من مسائل الأسماء والأحكام التي لا بد من تحقق شروطها في الشخص وانتفاء موانعها، فمن يفعل البدعة وتتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع، فيُطلق عليه وصف البدعة، شأنها في ذلك شأن الفسق والنفاق واللعن والكفر، وإن كانت مراتبها متفاوتة، وأولى منه وصف الفرقة بذلك، أو الوصف المطلق.

والشريعة لا تأتي بالنهي عن فعل ثم تمنع وصف فاعله به، وجاءت النصوص بأن الشخص إذا حسد يوصف بالحاسد و كذلك السارق، ويلحق به الذي يبتدع إلحاقا للنظير بالنظير، فضلا عن ورود الوصف بالابتداع عن السلف سواء للفرقة المبتدعة، أو لرؤوسها .

---

(١)أي : القاسمي في كتاب ميزان الجرح والتعديل، فقد قال القاسمي فيه —بعدما عَنْون ب:عقوق الخلف بهجر مذهب السلف-: (سبق أن قلت في هذا المعنى كلمة في كتابي : "نقد النصائح الكافية" بعد أن سبرت رجال من خرج لهم الشيخان أو أحدهما في صحيحهما —ممن نبز بالابتداع- وهي قولي: فترى من هذا أن التنابز بالألقاب، والتباغض لأجلها الذي أحدثه المتأخرون بين الأمة عقوا به أئمتهم وسلفهم —أمثال : البخاري، ومسلم والإمام أحمدبن حنبل، ومن ماثلهم من الرواة الأبرار، وقطعوا به رحم الأخوة الإيمانية الذي عقده تعالى في كتابه العزيز) ص ١٠

(٢) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص٨٨

قال منصور بن المعتمر[1] في شيء: (لا أقول كما قالت المرجئة **الضالة المبتدعة**)[2]

وقال علي بن سعيد[3] ،: سمعت أبا عبد الله، يقول: قدم ثور المدينة، فقيل لمالك : ألا تأتيه، فقال: " لا يُجتمع عند رجل **مبتدع** في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: لا تأتوه "[4]

وقد سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن ابن الثلجي البغدادي الفقيه الحنفي[5] فقال: **مبتدع** صاحب هوى.[6]

وما زال العلماء خلال القرون المتطاولة يصفون من استحق بالمبتدع، ورأيُ العلامة القاسمي وتلميذه البيطار هذا لم أقف على قائل به قبلهما.

---

(١) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي: ثقة ثبت وكان لا يدلس من طبقة الأعمش توفي عام ١٣٢هـ. روى له أصحاب الكتب الستة انظر : تقريب الهذيب ٥٤٧

(٢) انظر: الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت: ٣٨٧هـ)، ٨٨٦/٢ حققه: رضا بن نعسان معطي ط: الثانية دار الراية عام ١٤١٥ هـ، **وانظر فيه كذلك وصف السلف الجهمية بالمبتدعة ١٩٥/٧، وكذا اللفظية ٣٤٥/٥،٣٤٧، ٣٥١-٣٥٢، وأيضا نفاة الصفات ٥٢/٧، ونفاة النزول ٢٥/٧**

(٣) هو علي بن سعيد بن جرير النسائي، نزيل نيسابور، صدوق، صاحب حديث، من الحادية عشرة، مات سنة بضع وخمسين، روى له النسائي، وابن ماجه في التفسير. انظر: تقريب التهذيب ص٦٩٦

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ٤٧٥/٢

(٥) هو محمد بن شجاع، أبو عبد الله، قال ابن عدي: كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يثلبهم بذلك، وكان من الواقفة في القرآن. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين الذهبي ٤٠٥/٦

(٦) انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٤٠٥/٦، **وانظر فيه وصف الإمام أحمد كذلك ليعقوب بن شيبة بالمبتدع، لقوله بالوقف في القرآن. ٤٥١/٦**

وأما أنه يسبب الفرقة، فإنا نقر بأن الله ﷻ أمرنا بالاعتصام بحبله جميعا ونهانا عن الفرقة، لكن الوحدة المنشودة هي الوحدة على التوحيد؛ فمن أصر على الابتداع، فهو الذي يتحمل إثم الفرقة عن الجماعة لا الذين حافظوا على السنة ودعوا إليها ودافعوا عنها.

ولأجل اعتبار الشيخ رحمه الله أن التبديع -وكذا التكفير واللعن- من باب التنابز بالألقاب التي يُدَّعى مخالفتها للسلف : تجد الشيخ لم يرتض طعن ابن بطة على رؤساء الفرق المبتدعة ووصفهم باللعن والتنفير منهم، فقال رحمه الله:

(وقد ذكر الفرق الإسلامية ورؤساءها وطعن ولعن وكفَّر ونفر منهم ثم قال: وإنما يعرف ما في هذا الكتاب من خطإ وصواب من كان واسع الاطلاع على النصوص ومناشئ الفرق ومذهبها وقربها من الحق أو بعدها منه، وما يذكر إلا أولو الألباب)[1] .

قال الباحث : ومع أن الشيخ لا يرتضي ما سبق إلا أن هذا لا يمنعه من بيان الحق والرد على المبتدعة في مخالفة مذهب السلف في الاعتقاد كما سيأتي في رده على الفرق المبتدعة.

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٤/ ٣٤٩-٣٥٤ رمضان ١٣٧٨هـ.

المطلب الثاني:نشأة البدع وتطورها.

تنشأ البدع عموما إذا غابت شموس علوم السنة.

ومن الأسباب المهمة أيضا لانتشار البدع الجهل بمقاصد الشريعة[1] .

ومن الأسباب أيضا أن يولِّد المبتدعة في العبادات كلاما ليس فيه أثر عن رسول الله ﷺ [2] .

وإذا نشأت البدعة ولم يؤدِّ أهل العلم واجبهم من إنكارها، فإنها تكبر وتقوى حتى يستعصي أمرها، وتعظم نكايتها في المسلمين، كالشجرة إذا نبتت في بدايتها تكون ضعيفة سهلة الاقتلاع، فإذا تركت وسقيت قويت في الأرض حتى يستعصي أمرها.

وقد قرر الشيخ أن البدعة تظهر إذا غابت شمس السنة، فقال رحمه الله –في أثناء حديثه عن ابن تيمية– :

(في أرض دمشق غُرست شجرة الإصلاح بيد ابن تيمية فأثمرت ونضجت، ومن سمائها سطعت شمس السنة الغراء، فأضاءت وعمت، وفي أجوائها علت صيحة الحق، ففزعت جيوش البدع والأوهام)[3] .

وفي تقرير الشيخ مراحل تطور البدعة نقل كلام ابن قيم الجوزية في كيفية استزلال الشيطان عباد القبور من دعاء الله تعالى عند القبور إلى دعوة الناس إلى عبادتها صريحا، بل والإنكار على من ينهى عن ذلك، فقال رحمه الله :

(ومن درس تاريخ الأمم السابقة واللاحقة، ونظر في أحوال أهل الملل السماوية وغيرها ، عرف كيف طرأ الشرك على الأمم، وسرى في عباداتهم سريان السم في الدسم

---

(١) انظر : الاعتصام، للشاطبي ٣/١١١

(٢) انظر : شرح السنة ، البربهاري ص١٠٢

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧

"ومازال الشيطان -كما قال ابن القيم في إغاثة اللهفان الكبرى[1]- يوحي إلى عباد القبور منهم أن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها مع أن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه -أي : الميت- وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنا تُعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدا ومنسكا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم. -قال: وكل هذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله- فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٥﴾[2]. وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثيرٍ ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ ۝٣٤﴾[3].

" وما ذكره هذا الإمام المحقق رحمه الله من التنقل في تعظيم الصالحين إلى عبادتهم ، هو حال أكثر الأمم من عرب وعجم في كل زمان ومكان طبقا لما أخبر الله به في القرآن : ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ۝١٠٦﴾[4].)[5] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ٢١٢/١-٢١٣

(٢) سورة الزمر:٤٥

(٣) سورة الأنفال:٣٤

(٤) سورة يوسف:١٠٦

(٥) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٦/٣٥-١٧٧ محرم ١٣٥٤هـ

المطلب الثالث:التحذير من البدع القولية.

إن البدع القولية ذات تأثير أعم وأشمل في الناس من البدع الفعلية؛ إذ انتشار القول في الناس ليس كالفعل المنحصر بمن رآى .

وقد قرر الشيخ وجوب إنكار البدع القولية المخالفة للوحيين وإجماع السلف، فقال رحمه الله :

(يجب إنكار الغش والتدليس في الديانات وإزالتها، مثل البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع السلف من الأقوال والأفعال)[1]

ثم حذر من مجموعة من البدع القولية كإظهار الصفيق والتصفير في المساجد، وسب الصحابة والسلاطين، وتجويز الخروج على الشريعة، والإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته، وتحريف الكلم، والمعارضة والتكذيب بالقدر، فقال رحمه الله :

(مثل البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع السلف من الأقوال والأفعال : مثل إظهار المكاء والتصدية –الصفيق والتصفير–في مساجد المسلمين.

ومثل : سب جمهور الصحابة، وجمهور المسلمين، أو سب أئمة المسلمين ومشايخهم، وولاة أمورهم المشهورين – عند عموم الأمة– بالخير[2].

ومثل التكذيب بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تلقاها أهل العلم بالقبول.

ومثل رواية الأحاديث الموضوعة المفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا أريد التنبيه على وضعها.

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٤٠

(٢) تقييد السب ب"المشهورين – عند عموم الأمة– بالخير" لا دليل عليه، بل مخالف للأحاديث المستفيضة بالصبر على جور الحكام ما داموا لم يخرجوا عن الإسلام بدليل واضح.

ومثل الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله.

ومثل تجويز الخروج على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم .

ومثل الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف الكلم عن مواضعه، والتكذيب بقدر الله ، ومعارضة أمره ونهيه بقضائه وقدره)[1] .

وقد أنكر الشيخ عموم ما يسمع في الموالد التي تأخذ بعقائد الناس إلى تصورات خيالية بعيدة عن الحقائق، فقال رحمه الله :

(وهنا كان حريا بحضرة المؤلف[2] أن ينكر هذه المظاهر اللاهية، والآثار الواهية التي اعتاد الناس سماعها في مثل هذه المواسم والمراسم.

إن الأخبار التي تخالف العقل والنقل الصحيحين يُخشى من ضررها على عقائد المسلمين أضعاف ما يرجى من نفعها عند بعض العوام، دع ما ورد فيها من الوعيد الشديد.

وإن في هذه القصص التي تتلى في المحافل الكبرى من غرائب النقول : ما يصرف أذهان المستمعين عن حياة الرسول إلى تصورات خالية لا أثر لها في حياة الحس والحقيقة)[3] .

وفي التحذير من بدعة قول المعتزلة –بأن الفاسق الملي إن لم يتب : بين منزلتين مخلد في النار– ، نقل عن ابن تيمية في مناظرته[4] بأنها أول بدعتهم، فقال رحمه الله :

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٤١/١

(٢) أي: الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد رشيد رضا (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٦/ ٣٧٨ شعبان ١٣٦٠هـ ، وانظر : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد عزة دروزة (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٠٨/٣٩ صفر ١٣٧٤هـ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٨٣/٣

(... وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد)[١] .

وقد حذر الشيخ من أذكار الصوفية المحدثة وتوسلاتها، فقال رحمه الله :

(وإن القرآن الكريم والسنة النبوية طافحة[٢] بالأدعية والأذكار التي تعبدنا الله بها، وقد جُمعت في كتب خاصة، فليت مشايخ الطرق يرشدون مريديهم إليها، ويُقصرون أنفسهم ومريديهم عليها، فهي هي[٣] المنقذة من الضلال، والموصلة إلى ذي العزة والجلال، لا تلك التوسلات المبتدعة التي يشرعونها ويدعون الناس إليها، ويضللون من ينكرها عليهم، وهم يعلمون أن الله قد أكمل دينه، وأتم نعمته ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[٤].)[٥] .

وقال الشيخ –في بُعد المتصوفة من تطبيق التوسلات المشروعة إلى التوسلات البدعية– :

(وأين هذا التعليم[٦] الإلهي، والتوسل الشرعي من المعامِل التوسلية التي أنشأها المبتدعة لأنفسهم ولغيرهم، وهم يُصدِرون منها كل حين من التوسلات المبتدعة أنواعا منوعة ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[٧].)[٨] .

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٢

(٢) في الأصل : طافي ، وهو خطأ .

(٣) كذا في الأصل ، ويصح التكرار هنا لغة من باب التأكيد اللفظي، وحده ثلاث مرات؛ باستقراء كلام العرب.

(٤) سورة البقرة:١٤٠

(٥) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٩/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(٦) أي : ما جعله الله ﷻ دعاءً للمؤمنين في القرآن من التوسل بالإيمان والاتباع.

(٧) سورة البقرة:١٤٠

(٨) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٧

وفي التحذير من بدعة القول بالجبر : لخص عن شيخ الإسلام[1] قول الأوزاعي بأنه لا أصل له، قال رحمه الله :

(وقال الأوزاعي : "ما أعرف للجبر أصلا في القرآن ولا في السنة، فأهاب أن أقول به"[2] .... وأما الأوزاعي فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة؛ فيفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهره إرادةُ الباطل)[3] .

ومن التحذير من البدع القولية : تحذير الشيخ من بدعة علم الكلام ومقولاته من إيجاب النظر كأول طريق في دخول الإسلام، ومعرفة الصانع بطريق الجواهر والأعراض المحدثة، وكونها قاطعة قاضية على الوحي، قال رحمه الله :

(تعال فانظر ما قاله في تفسير هذه الآية أشهر المفسرين المتكلمين الفخر الرازي "ر.ح" ، فقد فسرها[4] تفسيرا جعل به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من محترفي صناعة الكلام المبتدع، والمشتغلين بعلم الأصول المستنبط المكتسب، فاقرأ وتعجب .

قال في (ج ٥ تفسير الرازي ص١٧٢) : "وهذه الآية ﴿قل هذه سبيلي ﴾ تدل على أن حرفة الكلام وعلم الأصول ، حرفة الأنبياء عليهم السلام ، وأن الله ما بعثهم للخلق إلا لأجلها " .

وأقول : لقد علم بالضرورة أن الأنبياء عليهم السلام قد أوحي إليهم أنما الله إله واحد، وقامت الآيات الحسية والعقلية في الآفاق وفي الأنفس أن لا رب غيره ولا معبود سواه، وجاءت الكتب الإلهية كلها ناطقة بذلك، وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان -وهم خير الأمة- لم يسلكوا طريق هؤلاء المتكلمين الذين أوجبوا النظر فيما ابتدعوه، ولم يأخذوا معرفة الله وتوحيده مما نصبه فلاسفة اليونان

---

(١) الدرء ٦٦/١-٦٧

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في السنة ٥٥٥/٣ (٩٣٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٧٥/٤ (١٣٠٠)

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١٢

(٤) في مفاتيح الغيب ٢٠٥/١٨ دار إحياء التراث العربي (بيروت) ط٣ عام ١٤٢٠ هـ .

ومن دانوا ببدعتهم، مما سموه الأدلة العقلية، والموازين الكلامية زاعمين أن قوانين المنطق هي القواطع العقلية، وأن ما جاءت به الكتب وأخبرت به الكتب من صفات الله معدود من متشابه الكلام مصروف عن حقيقته.

ولا شك أن أصحاب النبي ﷺ الذين هم صفوة الأمة وخيارها، والمتبعون للرسول علما وعملا ، كانوا يدعون إلى النظر والاعتبار بالآيات والبراهين والأدلة التي بعث الله بها رسوله ﷺ وإلى تدبر القرآن وما فيه من البيان، والقرآن[1] قوله سبحانه الذي جاء فيه ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾[2]. فأين كانت هذه المذاهب الكلامية الجدلية التي تضاد صريح اللغة وفقه القرآن وأساليب البيان)[3] .

ومن البدع القولية الاستغاثة بغير الله بما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة بالأموات كذلك، وقد منع الشيخ ذلك وسبق كلامه فيه[4] .

---

(١) كذا في الأصل ولعل هناك سقطا تقديره :.. ومن القرآن قوله ...

(٢) سورة المؤمنون:٦٨

(٣) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٨٣/٣٥ محرم ١٣٥٤هـ

(٤) في الباب الأول : الفصل الأول : المبحث الثالث : المطلب الثامن.

المطلب الرابع:التحذير من البدع الفعلية.

البدع الفعلية أبلغ تأثيرا على الناس من القولية، وإن كانت أقل صراحة في نسبة الفعل لصاحبها من القول؛ لأن الاحتمال الوارد على إعذاره بالفعلية أكبر.

وقد قرر الشيخ إنكار البدع الفعلية المخالفة للوحيين، وإجماع السلف، فقال رحمه الله :

(يجب إنكار الغش والتدليس في الديانات وإزالتها، مثل البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع السلف من الأقوال والأفعال: ..)[١] .

ثم حذر من أعمال السحرة المحدثة ، فقال رحمه الله :

(...ومثل إظهار الخزعبلات السحرية، والشعبذة الطبيعية وغيرها التي يضاهى بها ما للأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات؛ ليصد بها عن سبيل الله، أو يظن بها الخير فيمن ليس من أهله)[٢] .

ومن البدع الفعلية الرقص الصوفي، فقد أنكر الشيخ على محمد رشيد رضا إثباته للرقص الصوفي وتساهله فيه، واستدلاله عليه بما لا يثبت سندا ، فقال رحمه الله :

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٤٠

(٢) المصدر السابق ١/٢٤١

(وفي ص٣٨٥ [١]: "وقال ص[٢] لجعفر : ((أشبهت خَلقي وخُلقي))[٣] فرَقَصَ جعفر لسروره بهذا الخطاب ولفرط ما أصابه من الفرح، ولم ينكر عليه ص رقصه" وجَعَل ذلك أصلا لرقص الصوفية عندما يجدون من المواجيد في مجالس الذكر والسماع !!

أقول : أما لفظ " أشبهت خَلقي وخُلقي" فمعروف من رواية الصحيحين وغيرهما، وأما زيادة : فرقص جعفر الخ فلم نرها في كتب السنة المشهورة، فهل للأستاذ أن يذكر لنا من خرجها من الثقات بهذا اللفظ؟

وما روى أن جعفر لما عاد من الحبشة[٤] ونظر إلى النبي ص حجل إعظاما له "أي : مشى على رجل واحدة فعل الحبشة تعظيما لكبرائها" ، فقال العقيلي[٥] –وقد رواه من طريق مكي بن عبد الله الرُّعَيْنِي، حدثنا سفيان بن عيينة الخ – : غير محفوظ، وقال في

---

(١) من كتاب محمد رسول الله ﷺ ، لمحمد رشيد رضا رحمه الله.

(٢) المراد بالرمز (ص) هو جملة : صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخاري: كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه ح(٢٥٥٢) وفي كتاب المغازي باب عمرة القضاء ذكره أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ح(٤٠٠٥) ورواه الإمام أحمد بن حنبل: مسند علي بن أبي طالب رضى الله ١٠٨/١ ح(٨٥٧) بزيادة الحَجْل ولفظه ، قال علي: ((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وجعفر، وزيد، قال: فقال لزيد: " أنت مولاي " فحجل، قال: وقال لجعفر: " أنت أشبهت خَلقي وخُلقي "، قال: فحَجَل وراء زيد، قال: وقال لي: " أنت مني، وأنا منك "، قال: فحجلت وراء جعفر)) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: **ولفظ الحَجْل في الحديث منكر غريب**.

(٤) الحبشة : بلاد في إفريقيا، تقع جنوب شرق السودان، أكثر أهلها نصارى ، وقد فتحها المسلمون عام ٨٣هـ، وتسمى حاليا إرتيريا . انظر: آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني ٢٠/١، وأطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص٤٦

(٥) في الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي ٢٥٧/٤

الميزان[1]: مكي له مناكيره، وقال في المغني[2] : تفرد عن ابن عيينة بحديث، وقال البيهقي[3] -وقد رواه من طريق الثوري- : في إسناده إلى الثوري من لا يعرف[4] .

وقد بنى المؤلف استدلاله على أصل منكر حتى عند رواته، ولم يُذكر الرقص في كلامهم، ولو كان هذا الفعل الحجل مشروعا لما تركه جعفر، ولعمل به الصحابة والتابعون، والأئمة المجتهدون، ولا قائل به منهم، فعلم أنه باطل وعبادة بما لم يأذن بها الله ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾(٥).)[6] .

ثم تعجب الشيخ من جِد الشيخ رضا في الرد على المستشرقين، وتساهله في قبول وإثبات ما يعد مدخلا للطاعنين في الإسلام، فقال رحمه الله :

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين الذهبي ٤/١٧٩ (٨٧٢٥)

(٢) قال الذهبي في المغني في الضعفاء: (مكي بن عبد الله الرعيني صاحب ابن عيينة له مناكير ذكره العقيلي) ٦٧٦/٣ (٦٤٠٩) **أما العبارة التي نقلها الشيخ عن الذهبي فلم أجدها**.

(٣) في دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤/٢٤٦.

(٤) انظر : منتخب كنز العمال -علي هامش المسند- ج٥ ص٥٥، وزاد المعاد ج١ ص٣١٧ (بهجة البيطار)

(٥) سورة يونس:٥٩

(٦) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد رشيد رضا (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٦/ ٢٧٩-٢٨٠ شعبان ١٣٦٠هـ

(وعجيب للمؤلف الذي يجد في الرد على كبار المستشرقين أمثال مَرْجُلْيُوث[1] ومُوير[2] ونولْدِكي[3] وغيرهم ، كيف يقبل لدينه هذه المهازل التي تثير تلك المطاعن على أصل الإسلام، ويغفل عن مثل قوله تعالى : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾[4].)[5] .

وفي إنكار الشيخ بدع القبور الفعلية لخص عن البركوي جملة من تلك البدع ، فقال رحمه الله :

(إليك ما قاله الإمام الحجة محي الدين محمد البركوي[6] صاحب الطريقة المحمدية وغيرها في رسالته التي ألفها[7] في زيارة القبور، قال رحمه الله تعالى :

ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما

(١) هو دافيد صمويل مرجليوث، ولد بلندن ، **من كبار المستشرقين**، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، زار الشرق الأوسط مرارا، امتاز بكثرة ما نشره من مؤلفات العرب، وله في لغته الإنجليزية كتب عن الإسلام والمسلمين، **لم يكن فيها مخلصا للعلم رغم توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم**، توفي عام ١٣٥٩هـ. انظر : الأعلام ٢/٣٢٩

(٢) هو وليم موير، **مستشرق بريطاني** ، اسكتلندي الأصل، **أمضى حياته في خدمة الحكومة البريطانية في الهند**، توفي عام ١٣٢٣هـ. انظر : الأعلام ٨/١٢٤

(٣) استقر تعريب هذا العلم على : (نولْدِكِهْ) وهو تيودور نولْدِكِهْ ، ولد بألمانيا، من أكابر المستشرقين الألمان، انصرف إلى اللغات الشرقية والتاريخ الإسلامي، **حتى كان يحسن اللغات الشرقية كلها فضلا عن معرفته بلغات الغرب أيضا، رسالته الدكتوراه كانت عن تاريخ القرآن الكريم**، توفي عام ١٣٤٨هـ. انظر: الأعلام ٢/٩٦-٩٨

(٤) سورة الأنعام: ٧٠

(٥) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد رشيد رضا (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٦/ ٢٧٩-٢٨٠ شعبان ١٣٦٠هـ

(٦) سبقت ترجمته ص١٥٤

(٧) في الأصل : الفها .

مضادًا للآخر مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدا فإنه عليه السلام نهى عن الصلاة إلى القبور وهم يخالفونه ويصلون عندها .

ونهى عن اتخاذ المساجد عليها وهم يخالفونه ويبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد.

ونهى عن إيقاد السُّرُج عليها وهم يخالفونه ويوقدون عليها القناديل والشموع بل يوقفون لذلك أوقافًا.

وأمر بتسويتها وهم يخالفونه ويرفعونها من الأرض كالبيت.

ونهى عن تجصيصها والبناء عليها وهم يخالفونه ويجصصونها ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن الكتابة عليها وهم يخالفونه ويتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره .

ونهى عن الزيادة عليها غير ترابها وهم يخالفونه ويزيدون عليها سوى الترابِ الآجرَّ والأحجار والجص.

ونهى عن اتخاذها عيدا وهم يخالفونه ويتخذونها عيدا ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد وأكثر[1] .

والحاصل أنهم مناقضون لما أمر به الرسول عليه السلام ونهى عنه، ومحادون لما جاء به . انتهى

أقول[2]: وكل هذه البدع القبورية التي ذكرها الإمام البركوي رحمه الله واقعة في زماننا ومشاهدة لا تخفى على ذي بصر)[3] .

---

(١) تم تخريج ما أشار إليه البركوي من الأحاديث السابقة في ص١٥٧

(٢) أي: الشيخ بهجة البيطار رحمه الله.

(٣) نظرة في النفحة الزكية في الرد علي فرقة الوهابية، لأبي اليسار الدمشقي (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص١٠-١١، وانظر : تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ٣٥/١٧٦-١٧٧ محرم ١٣٥٤هـ

وفي تقريره أن زيارة ما عدا المساجد الثلاثة أو لمجرد زيارة القبور وحدها : لم يعهد في الصدر الأول ، قال الشيخ رحمه الله :

(إن مسألة شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مفروغ منها، وأن السفر إلى ما عداها من المساجد، أو لمجرد القبور لم يعهد من الصدر الأول، ولم يقع من الأئمة الهداة)[1] .

وقد أيد الشيخ قرار رابطة العالم الإسلامي بإزالة ما أُحدث عند مقام إبراهيم من البناء الذي يسبب الضيق وإزهاق الأرواح، فقال رحمه الله :

(وكان القرار الإجماعي بإزالة جميع الزوائد الموجودة حاليا في هذا الجزء من المطاف، كالبناء القائم على مقام إبراهيم، وكالعَقد المسمى بباب بني شيبة؛ لأن جميع هذه الزوائد لا تمت لمقام إبراهيم بأي صلة، كما أن البناء الموجود حاليا فوق مقام إبراهيم لم يكن موجودا في صدر الإسلام، إنما هو من المحدثات التي حدثت فيما مضى، كما هو مدون في كتب التاريخ)[2] .

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٨-٦٩

(٢) مقام إبراهيم عليه السلام، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٨٦/٤٣ رمضان ١٣٨٧هـ .

المطلب الخامس: تقرير كمال الدين.

قال الله ﷻ : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(1).

والآية تدل على إبطال ورد البدع بدلالة الإشارة.

ونعمة إكمال الدين من أعظم النعم على البشرية.

وقد قرر الشيخ إكمال الدين، وإتمام النعمة بقولة رحمه الله :

(وقد أكمل الله لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا)(2) .

وبين الشيخ أن إكمال الدين ليس بالقرآن فقط ، بل وفي السنة أيضا، قال رحمه الله:

(...إن الله تعالى أكمل الدين بالقرآن وبيان نبيه عليه الصلاة والسلام)(3) .

وفي موضع آخر بيَّن الشيخ أن إكمال الله ﷻ لنا الدين شامل لجميع الدين : عباداته وعقائده، فقال رحمه الله :

(.. أليست العقائد والعبادات من الدين الذي أكمله الله تعالى على يد رسوله- ﷺ- ؟)(4)

---

(1) سورة المائدة:3

(2) الحوادث والبدع ، الطرطوشي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٣٩/٣٥ شوال ١٣٧٩هـ ، وانظر : الإسلام والصحابة الكرام ، بهجة البيطار ص٣٨، وتفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٧٩/٣٥محرم ١٣٥٤هـ

(3) كتاب الأسماء الحسنى، أبو الوفاء محمد درويش (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠/٤٦ ذو القعدة ١٣٩٠هـ.

(4) نظرة في النفحة الزكية ، بهجة البيطار ص٦

المبحث الثاني:جهوده في الرد على المبتدعة.

ويحتوي على خمسة مطالب:

المطلب الأول:الفلاسفة.

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية في الأصل مكونة من "فيلا" بمعنى محبة، أو إيثار، و"سوفيا" بمعنى الحكمة.

وتعريفها -على المعنى الذي استقرت عليه الفلسفة- ، هي : استخدام العقل الصِّرف في تفسير الأشياء دون خضوعه لأي سلطة بما في ذلك العُرف والدين.

وينقسم الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام رئيسة :

١. الدهريون : الذين ينكرون وجود خالق للكون، مقرين بقدم العالم.
٢. الطبيعيون الذي انشغلوا بالبحث في الطبيعة وتفسيرها من تشريح وغيره، وأوصلهم ذلك إلى الإقرار بوجود مدبر للكون.
٣. الإلهيون : الذين يقرون بوجود خالق للكون، وتصدوا للرد على الطائفتين السابقتين، وكان عندهم اهتمام عظيم بقضايا مصير الكون وأصول الأخلاق.

ولا بد من التنبيه على أن رؤوس الفلاسفة المتقدمين على أرسطو كانوا يقرون بحدوث العالم، وبمعاد الأجسام.

أما أرسطو -الذي تبعه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام- فكان مشركا يعبد الأوثان، وهو أول من قال بقدم العالم من الفلاسفة.

وسبب الفرق بينه وبين من تقدمة من رؤوس الفلاسفة : أنهم كانوا يرحلون إلى أرض الشام -مهبط الرسالات السماوية- ويلتقون بلقمان الحكيم، ومن جاء بعده من أصحاب داود وسليمان، وتأثروا بهم بخلاف أرسطو(١).

وقد قرر الشيخ -ملخصا عن ابن تيمية(٢)- أن انقطاع الفلاسفة الدهريين قطعا كليا لا يكون إلا على طريقة السلف المثبتين للصفات؛ لأنه لا يمكن إثبات صانع إلا بصفات له يوجد بها الكون، قال رحمه الله -معنونا-:

(إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله)(٣).

ثم قال : (وإذا تدبر العاقل تبين له أن إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات، لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله، ولا تنقطع الدهرية من الفلاسفة وغيرهم قطعا باتا كليا لا صلة فيه إلا على طريقة السلف أهل الإثبات للأفعال والأسماء والصفات)(٤) .

وفي رده على دهرِيِّي الفلاسفة القائلين بقِدم العالم، وأن العالم أصلا لم يحدث حتى يكون هناك من يحدثه ، لخص الشيخ كلام ابن تيمية(٥) في شدة فساده قائلا :

(فقولكم -أي الفلاسفة والدهرية(٦)- بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عمن لا فعل له ولا صفة ولا يحدث منه شيء أعظم فساداً مِن قَوْل من يقول: إنه

---

(١) انظر : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الفلاسفة ، د/ صالح بن غرم الله الغامدي ص٥٩٠،٥٩٢ ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة مؤلفين بإشراف: د/ مانع الجهني ٢/١١٠٨-١٠١١

(٢) في الدرء ١/٣٧٥

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠٣-١٠٤

(٤) المصدر السابق .

(٥) في الدرء ٤/١٢

(٦) كذا في كتاب حياة شيخ الإسلام لبهجة البيطار ، ولعل الصواب : الفلاسفة الدهرية.

تارة تصدر عنه الحوادث، وتارة لا تصدر؛ فإنه إن كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شيء فيه محالاً فصدورها دائماً عنه من غير حدوث شيء فيه أشد إحالة)[1] .

وفي السوفسطائية الذين يشككون في المسلمات ، عرفهم الشيخ بقوله :

(السوفسطائية أنكروا كلا من الحسيات والبديهيات، فقالوا بعدم الجزم في كل منهما، و "سوفا" معناه : العلم والحكمة، و"أسطا" معناه : المزخرف والغلط، ومنه اشتقت السَّفْسَطة)[2]

ثم بين الشيخ أصل اشتقاق الفلسفة ومعناها، فقال رحمه الله :

(وكما اشتقت الفلسفة من فيلا سوف أي : محب الحكمة)[3] .

وفي رد الشيخ على إلحاد جميل الزهاوي، قرر أن تشكيكه فيما يراه حولَه منزعٌ سوفسطائي؛ للتشكيك في الحقائق المسلمة ، قال رحمه الله :

(وقال ص١٦٠[4] :

شَكَكْتُ في كل شيء حولي وما أنا أحمق   وليس إلا وجودي في الكون بمحقَّقِ

وهذا منزع سوفسطائي في إنكار الحقائق الثابتة والعلم بها، فأين عقله المقرر للحقائق؟! أرأيتم كيف يخالف الحس والعقل والشرع، ويُضحِك عقلاء البشر بهذه الفلسفة الباردة، ثم يحاول أن يتكلم في العقل والدين !!)[5] .

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠٦

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٠٢

(٣) المصدر السابق.

(٤) أي: جميل صدقي الزهاوي في كتابه الرباعيات.

(٥) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٩٩

وفي تقرير شرك ووثنية فلاسفة الصابئة من عبادة الكواكب ، لخص الشيخ عن ابن تيمية[1] ذلك بقوله رحمه الله :

(وكان بِحَرَّانَ[2] هؤلاء الصابئة الفلاسفة، أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب، كما صنفه ثابت بن قرة[3] "سنة ٢٨٨" وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حران، وكما صنفه أبو معشر البلخي[4] "سنة٢٧٢"

---

(١) الدرء ٣١٣/١ وما بعدها.

(٢) مدينة قديمة في ديار مضر ، بينها وبين الرِّقة يومان، تقع حاليا جنوب شرق تركيا ، كانت إلى ما قبل معاهدة لُوزان–عام ١٩٢٣هـ–تابعة لسوريا، قيل : سُميت بهاران أخي إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، لأنه أول من بناها؛ فعربت ، فقيل: حران، وكانت منازل للصابئة، فُتحت أيام عمربن الخطاب رضي الله عنه . انظر: الإشارات إلى معرفة الزيارات لعلي بن أبي بكر بن علي ، أبو الحسن الهروي ٥٩/١ ، ومعجم البلدان ، لياقوت الحموي ٢٣٥/٢ ، ومراصد الاطلاع إلى أسماء الأمكنة والبقاع ،لعبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي، صفيّ الدين ٣٨٩/١

(٣) هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس ، أبو الحسن، طبيب فيلسوف، خرج من حران إلى بغداد، فقربه المعتضد العباسي؛ فإنه لم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة، وكان يحسن السريانية وأكثر اللغات الشائعة في عصره، فترجم عنها كثيرا إلى العربية، له مائة وخمسون كتابا، توفي : عام ٢٨٨هـ. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة ص٢٩٥ والأعلام ٩٨/٢

(٤) جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر:عالم فلكي مشهور. كان أولا من أصحاب الحديث، وتعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره، وضربه المستعين العباسي أسواطا لأنه أخبر بشئ قبل حدوثه فحدث، فكان يقول: أصبت فعوقبت! وكان أعلم الناس بتاريخ الفرس وأخبار سائر الأمم. وعمر طويلا، جاوز المئة توفي عام ٢٧٢هـ. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة ص٢٨٦ الأعلام ١٢٧/٢

وأمثاله، وكان لهم بها هيكل[١] العلة الأولى، وهيكل العقل الفعال[٢] ، وهيكل النفس الكلية[٣] ، وهيكل زحل، وهيكل المشتري وهيكل المريخ، وهيكل الشمس، وهيكل الزهرة، وهيكل عطارد، وهيكل القمر.

فالعقول عندهم عشرة ، والنفوس تسعة بعدد الأفلاك)[٤] .

وقد رد الشيخ القول بأن معاني القرآن من الله ﷻ، واللفظ من النبي ﷺ ، بأنه قول بعض فلاسفة الغرب،فنقل الشيخ أولا عن نعيم الحمصي[٥] في مقاله عن إعجاز القرآن:

(في "مج ٢٧ ص٣٤٩"[٦] : "وإذا رجعنا إلى الاعتبار الديني؛ كان فيض[٧] هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا، سواء أكنا مع القائلين من

---

(١) الهيكل : الضخم من كل شيء، والمراد بالهيكل هنا : بيت العبادة لما أضيفت إليه. انظر: المعجم الوسيط ص٩٩٠

(٢) العقل الفعال هو : العقل العاشر في نهاية العقول الفلكية ، وهو العقل العاشر الذي يدير شؤون الأرض. انظر: المعجم الفلسفي ص ١٢٠

(٣) النفس الكلية أو نفس العالم هو : قلب العالم الكبير كما أن النفس النطقة قلب الإنسان، وهي مبدأ وحدة العالم وحركته تدبره، كما تدبر النفس والجسم، وقال بها بعض أهل وحدة الوجود على أنها عند بعضهم يراد بها الإله، وعند البعض الآخر مرتبة وسطى بين الإله وسائر الكائنات، وعند أفلاطون: مصدر النظام والانسجام في العالم. انظر: التعريفات للجرجاني ص٩٦، والمعجم الفلسفي، لإبراهيم مدكور وجماعة ص٢٠٤

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١١١

(٥) من أرباب التربية والتعليم، أكاديمي، درّس في جامعتي دمشق وتشرين، واختير نقيبا للمعلمين، توفي عام : ١٤٠١هـ، انظر: الموسوعة كوم رابط:

http://alencyclopedia.com

(٦) أي : في مقاله: إعجاز القرآن، لنعيم الحمصي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٧) يريد بالفيض هنا الوحي، والصحيح تسمية الأشياء بمسمياتها في الكتاب والسنة؛ منعا للتحريف، وأصل الفيض مصطلح فلسفي يُراد به العلم الذي يفيض من العقل الفعال الذي هو مبدأ الكون. انظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٩٠٣-٩٠٤

علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة ، وأن اللفظ من النبي، أو مع القائلين بأن القرآن وبمعناه ولفظه من الله ﷻ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه")[1] .

ثم قال الشيخ رحمه الله:

(القول الثاني هو الصواب، والأول خطأ صرف، وقال به بعض فلاسفة الغرب كتوماس[2]، ودينيه[3]، ودرمنغام[4]، وأمثالهم، وقد كانوا كتبوا في السيرة النبوية شيئا حسنا، وبسطوا لأممهم حقائق منها لولاهم لطمسها الجهل والتعصب)[5] .

ثم تابع الشيخ كلامه ورد على القول بأن النبوة مكتسبة على ما هو مذهب الفلاسفة، فقال :

(غير أن هؤلاء عرضت لهم شبه وأوهام، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عموما والمحمدي خصوصا ضربا من الاستعداد النفسي والفيض الذاتي، أي أنه نابع من قلب الرسول ﷺ، غير نازل من عند الله ،ويدخل في هذه الشبهات ما جاء وصفا للقرآن "مج ٢٧ ص ٣٥٨ و ٤٣١" من قولهم :" تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر، وتغذيها -أي : الغاية الإصلاحية- عاطفة متأججة وخيال خصب".

---

(١) في إعجاز القرآن، نعيم الحمصي (تعريف، ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٦٤/٣٠ صفر ١٣٧٥هـ .

(٢) هو توماس وُوكَر آرْنُلْد، مستشرق إنجليزي، تقلد مناصب عدة كان آخرها: مدير معهد الدراسات الشرقية في بريطانيا، وكان مرجعا للشؤون الإسلامية في بلاده، له كتب عدة منها : الخلافة —وترجم للعربية-، توفي عام ١٣٤٩هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٩٤/٢

(٣) هو إتين دِينيه، مستشرق فرنسي، تعلم العربية وحذقها، أعلن إسلامه، وسمى نفسه ناصر الدين، له تصنيف في السيرة النبوية —باللغة الفرنسية -، ساعده في تأليفه الجزائري سليمان بن إبراهيم ، توفي عام ١٣٤٧هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٨٣/١-٨٤

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) في إعجاز القرآن، نعيم الحمصي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٦٤/٣٠ صفر ١٣٧٥هـ .

وقد بسط السيد الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله هذه الشبه، وأبرز معالمها، وصورها بأجلى صورها، ثم كر عليها بالنقض والإبطال، وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء"ص١٠٣-١١" من كتاب الوحي المحمدي)[١] .

وفي وصفِ الشيخِ كتابَ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، قرر أن طريقة الفلاسفة في الصفات والأفعال لا تؤيدها فطرة ولا استقامة ولا عقل ولا نقل، فقال رحمه الله :

(هذا وفي كتاب العقل والنقل للإمام ابن تيمية وسائر مصنفاته وفتاويه ، ترجيح لمذهب السلف في الاعتقاد، وبيان أن أهل الحديث هم أولى بالصواب، وفيه " أي : العقل والنقل" دفع ما يورده حذاق[٢] علماء الكلام والفلسفة في مسائل الأسماء والصفات والأفعال، ونقض قواعدهم وأقوالهم، مما لا تؤيده فطرة سليمة ولا ميزان مستقيم ولا عقل صريح، ولا نقل صحيح)[٣] .

---

(١) المصدر السابق ٥٦٥/٣٠

(٢) الحذق في الشيء : المهارة فيه . انظر: العين للخليل ٤٢/٣، والصحاح للجوهري ١٤٥٦/٤

(٣) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٥٣/٣٩ جمادى أولى ١٣٨٢هـ ، وانظر: التنكيل ، للمعلمي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٧٨/٤٢ رمضان ١٣٨٥هـ.

المطلب الثاني:الرافضة

الرافضة : هم الذين يعتقدون إمامة علي بالنص بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، ويتبرؤون ويعادون ويسبون بقية الصحابة إلا نفرا قليلا.

وقد مرت الرافضة بمراحل أربع:

المرحلة الأولى : وفيها قام ابن سبأ بالدعوة سرا إلى مبادئه -التي أصبحت أساسا للرافضة فيما بعد ذلك- في مصر والعراق والشام وبلاد فارس.

المرحلة الثانية : مرحلة إظهار العقائد المنحرفة حين انشغال الصحابة بمقتل عثمان، لكنهم كانوا أفرادا.

المرحلة الثالثة : مرحلة اشتداد قوتهم وتوحدهم تحت قيادة بعد مقتل الحسين رضي الله عنه .

المرحلة الرابعة : مرحلة التميُّز التام بعد انشقاقهم عن الزيدية عندما رفضوا زيد بن الحسين بعدما أعلن تولِّيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[(١)] [(٢)] .

وفرق الرافضة كثيرة لكن عند الاطلاق حاليا ينصرف إلى الإمامية الاثني عشرية خاصة؛ إذ هي أكبر فرق الرافضة الآن.

وعقيدة الإمامة أكثرُ أصلٍ انحرف فيه الرافضة، بل وانبنى على انحرافهم فيه انحرافهم في كثير من عقائدهم الأخرى كعقيدتهم في الصحابة والقرآن.

وأكثر عقائد الرافضة تدور حول الإمامة والقرآن والصحابة.

---

(١) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، د/ إبراهيم بن عامر الرحلي ص٢٩-٣٤

(٢) انظر الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني ص١٦٧

أولا : الإمامة

فيجب عندهم تعيين الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وامتثل الرسول ﷺ ذلك، وعيَّن للخلافة بعده بالنص علي بن أبي طالب، ولكن الصحابة كتموه.

وإن الأئمة الاثني عشر معصومون عن الذنوب، ويعلمون الغيب، وتخضع لهم ذرات الكون، ويجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم.

ولكنهم مع ذلك يكفِّرون من ينسب الخلق أو الرزق إليهم -ويسمونهم المفوضة-، أو من يصرح بألوهيتهم -ويسمونهم الغلاة-[1] .

ومحمد بن الحسن العسكري إمامهم الثاني عشر الذي دخل السرداب : سيرجع في آخر الزمان ويحكم بشريعة داوود[2] .

ثانيا : القرآن

لا يمثل القرآن الموجود الآن إلا **مقدار** ثلث قرآن فاطمة الكامل، وليس فيه من قرآن أهل السنة حرف واحد[3] .

ويحاول بعض أئمتهم تجميعه من الروايات المكذوبة على أئمة أهل البيت.

---

(١) قال المفيد العكبري (ت:٤١٣هـ) : (والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار، حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام...... والمفوضة صنف من الغلاة وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة : اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أن الله تفرد بخلقهم خاصة، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال) تصحيح اعتقادات الإمامية ص١٣١-١٣٤ هـ، وانظر : المدخل إلى أوهام الكتاب المعاصرين في البحث العقدي، لعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله الغِزِّي ص٤٧

(٢) انظر: الأصول من الكافي للكليني ١/ ٣٩٧

(٣) انظر: الأصول من الكافي للكليني ١/ ٢٣٩

لكنهم يرْوُون عن أئمتهم جواز التعبد بالقرآن الحالي إلى أن يخرج بالقرآن الكامل من السرداب الإمامُ الغائب الثاني عشر[1] !

ثالثا : الصحابة

الصحابة عندهم كتموا النص على خلافة الإمام علي بن أبي طالب بعد الرسول مباشرة، واغتصبوا الخلافة من علي رضي الله عنه فكفروا واستحقوا اللعن إلا نفرا قليلا، وعندما يخرج إمامهم المهدي المنتظر سيحيي أعداء علي ويقتلهم[2] .

وقدماء الرافضة : أتباع ابن سبأ هم أول من أظهر الشرك في الأمة بإظهارهم القول بألوهية علي رضي الله عنه[3] .

ففي الإمامة

قرر الشيخ أن جميع الدلائل تدل على أن آخر أئمتهم لم يولد ، منها : أنه لم تدَّعِ أي زوجة من زوجاته –أو أمة من إمائه– وجود ولد له، وأن سجل نقابة العلويين –الموجود إلى العصر الحاضر– ليس فيه ذكر لولد للحسن العسكري، فقال الشيخ رحمه الله:

(إن جميع الدلائل الشرعية والعقلية والتاريخية التي في أيدينا –عن آخر من يدعون عصمته– تدلُّ على أنه لم يخلق.

ويوم وقعت وفاة أبيه وحررت تركته، لم تقل زوجة من أزواج المتوفى، ولا أمة من إمائه إن لها ولد منها، وحُجزت أزواجه وإماؤه في منزل مدة العدة على احتمال أن تكون حاملا فتلد، فمضت مدة العدة ولم يولد له أحد.

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية، لناصر القفاري ص١/ ٣٠١، وأصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي ص٤١-٤٢

(٢) انظر: الروضة من الكافي للكليني ٨/ ٢٤٥ والغيبة لمحمد إبراهيم النعماني ص١٥٤

(٣) انظر: أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي ص٣٦

والمنزل الذي يزعمون أن فيه سردابا كان من يوم وفاة الحسن العسكري تحت تصرف أخيه جعفر، وكان جعفر على يقين بأنه ما كان ولم يكن لأخيه ولد، وللعلويين نقابة ونقيب وسجل للمواليد، وليس فيه أي ذكر لمولود ينسب إلى الحسن العسكري)[١] .

وقد لخص الشيخ عن ابن تيمية[٢] -خلال رده على ابن المطهر- بأن إمامهم الغائب لا تحصل به مقاصد الإمامة، فقال الشيخ رحمه الله:

(ثم الإمام الذي وصفتَه لا يوجد في زماننا، مفقود غائب عندكم، ومعدوم لا حقيقة له عند من سواكم، ومثله لا يحصل له[٣] شيء من مقاصد الإمامة، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم كما تدعون أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه، والإمام يحتاج إليه للعلم ليبلغه، وللعمل[٤] ليطاع في سلطانه)[٥] .

وقد استدل ابن المطهر الحلي على أحقية علي بالخلافة : كونه أفضل أهل زمانه، ويقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلا ونقلا، فلخص الشيخ رد ابن تيمية بنفي كونه الأفضل باعترافه على نفسه، ونفي وجوب تولية الأفضل، فقال الشيخ رحمه الله:

(م[٦] : "والإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته، وعلي فاضل أهل زمانه، فهو الإمام لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلا ونقلا"

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٩

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/ ٩٠

(٣) **كذا في أصل البيطار، والأوجه : به ، وكذا هو في أصله الملخص منه : منهاج السنة** ٤/ ٩٠

(٤) في كتاب الشيخ -حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٨-: (للعلم) وهو خطأ، والتصحيح من أصله الملخص منه -منهاج السنة ٦/ ٣٨٦-، وأرى أن عبارة الشيخ: (وللعمل ليطاع في سلطانه) فيها اختصار مخل بالمعنى ؛ فإن نص العبارة في منهاج السنة ٦/ ٣٨٦ هو : (والإمام يحتاج إليه في شيئين : إما في العلم؛ لتبليغه وتعليمه، وإما في العمل به؛ ليعين الناس على ذلك بقوته وسلطانه.)

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٩

(٦) أي : ابن المطهر الحلي.

ت[1] : قلنا : لا نسلم أنه أفضل أهل زمانه، فإنه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[2] .

ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل، ومنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية)[3] .

ثم استدل ابن المطهر على إمامة علي رضي الله عنه بالاتفاق -بزعمه- أن الآية : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾. [4] نزلت في علي رضي الله عنه، أي: بلغ ما أنزل إليك في فضل علي ﵁؛ فأخذ النبي ﷺ بيد علي ﵁وقال : (من كنت مولاه فعلي مولاه)[5] ، فلخص الشيخ رد ابن تيمية[6] بأن الحديث كذب باتفاق أهل الحديث الذين يرجع إليهم في تحقيق المرويات؛ إذ لكل فن رجال، فقال الشيخ ﵀:

---

(١) أي : ابن تيمية .

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده: مسند علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه، ١/١١٠، ح(٨٧١) عن أبي جحيفة قال خطبنا على رضى الله تعالى عنه فقال ((ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر رضى الله تعالى عنه فقال: عمر)) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٨

(٤) سورة المائدة:٦٧

(٥) أخرجه الإمام أحمدفي مسنده من حديث بريدة الأسلمي رضى الله تعالى عنه، ٥/٣٤٧، ح(٢٢٩٩٥) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.، وأخرجه أحمد كذلك من حديث البراء بن عازب ٤/٢٨١، ح(١٨٥٠٢) وأخرجه ابن ماجه في سننه من حديث سعد بن أبي وقاص : كتاب المقدمة، فضل علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه، ح(١٢١) وكذلك الترمذي في سننه : كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه، ح(٣٧١٣) وصححه الشيخ الألباني من حديث البراء وسعد.

(٦) منهاج السنة ٧/٣٤

(م :" قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾. (١) اتفقوا على نزولها على علي، روى أبو نعيم(٢) بإسناده إلخ ، ومن تفسير الثعلبي(٣) إلخ، وقد روى هذا النقَّاش(٤) في تفسيره(٥) "

ت: قولك اتفقوا في نزولها في علي ك ... بل ولا قاله عالم، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يُعَد، والمرجع في النقل إلى أمناء حديث رسول الله ﷺ، كما أن المرجع في النحو إلى أربابه، وفي القراءات إلى حذاقها، وفي اللغة إلى أئمتها، وفي الطب إلى علمائه، فلكل فن رجال، وعلماء الحديث أجل وأعظم تحريا للصدق من كل أحد، علم ذلك من علمه، فما اتفقوا على صحته فهو الحق، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو ساقط ، وما اختلفوا فيه نظر فيه بإنصاف وعدل ... ثم هذا الحديث كذب باتفاق أهل الحديث)(٦) .

واستدل ابن المطهر أيضا على إمامة علي رضي الله عنه بوجوب طاعته مطلقا بحديث : ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض))(٧) ، وحديث : ((أهل بيتي فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا ،

---

(١) سورة المائدة:٦٧

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني ٢٣/٤، ٣٦٣/٥،٢٦

(٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ٩٢/٤، ٣٥/١٠

(٤) هو: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش: عالم بالقرآن وتفسيره، قال الذهبي: (وهو في القراءات أقوى منه في الروايات ... قد اعتمد الداني في (التيسير) على رواياته للقراءات، فالله أعلم، فإن قلبي لا يسكن إليه، وهو عندي متهم، عفا الله عنه). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٧٥/١٥ ، والأعلام للزركلي ٨١/٦

(٥) تفسيره المسمى : شفاء الصدور، حقق في رسائل جامعية في جامعة الشارقة ولم يطبع إلى الآن.

(٦) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٩-١٦٠

(٧) سيأتي تخريجه ص٣٩١ .

ومن تخلف عنها غرق))[1] ؛ كون علي سيد العترة[2] ، فلخص الشيخ رد ابن تيمية[3] بأن الحديثان لا يثبتان، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ، وما كان علي يوجب طاعته على أحد، فقال الشيخ رحمه الله:

(م: "روى الجمهور قوله عليه الصلاة والسلام : ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض)) ، وقال : ((أهل بيتي فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق)) . وسيد أهل بيته علي، فيكون واجب الطاعة على الكل ، فيكون الإمام"

ت : قلنا : إنما لفظ الحديث في مسلم[4]، عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا بخُم[5]، فقال : ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٩/٤ (٣٤٧٨)، ٣٥٤/٥ (٥٥٣٦١)، والصغير ٢٤٠/١ (٣٩١) والكبير ٤٥/٣ (٢٦٣٦)، والبزار في البحر الزخار ٣٤٣/٩ (٣٩٠٠)، وقال : (وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا عن أبي ذر من هذا الوجه، ولا نعلم تابع الحسن بن أبي جعفر على هذا الحديث أحد) –والحسن بن أبي جعفر قال عنه ابن حجر في التقريب ص١٩٦ : (ضعيف الحديث مع عبادته وفضله)–، وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك ١٦٣/٣ (٤٧٢٠) وصححه على شرط مسلم، فعلق الذهبي قائلا : (مُفَضَّل (أي : ابن صالح) خرَّج له الترمذي فقط ، ضعفوه).

(٢) سيأتي تفسير العترة في الصفحة القادمة.

(٣) منهاج السنة ٧٩٣/٣-٧٩٥ ، المنتقى من منهاج الاعتدال، شمس الدين الذهبي ٤٧٥/١

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ١٨٧٣/٤ (٢٤٠٨)

(٥) موضع بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال –وقيل ميل– من الجحفة، فيها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم .انظر:مراصد الاصلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،لصفي الدين البغدادي ٤٨٢/١

الله)) ، وأما "وعترتي" فهذا رواه الترمذي[1]، وتفرد به زيد بن الحسن الأنماطي[2] عن جعفر بن محمد عن أبيه[3] ، عن جابر، والأنماطي، قال فيه أبوحاتم : منكر الحديث [ويعِدِّه الشيعة منهم، وله ترجمة عند المامقاني ٤٦٢/١[4] لكنه غير محمود عندنا ولاعندهم][5] . وأما حديث سفينه نوح، فغير صحيح، ولا هو في شيء من الكتب المعتمدة.

وقوله عليه الصلاة والسلام : "لن يتفرقا" يدل على أن إجماع العترة حجة وهو قول طائفة من أصحابنا، وذكر[6] القاضي[7] في المعتمد : والعترة هم بنو هاشم كلهم ولد علي وولد العباس وولد الحارث بن عبد المطلب، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ وكان

---

(١) باب: مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ١٣١/٦ (٣٧٨٦) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) هو زيد بن الحسن القرشي الأنماطي أبو الحسن الكوفي روى له الترمذي ، ضعفه الذهبي وابن حجر انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، لصفي الدين الخزرجي ص١٢٧، والكاشف ٤١٦/١، وتقريب التهذيب ص٣٥٢

(٣) جعفر هو جعفر بن محمد بن عمران الثعلبي الكوفي، صدوق عند ابن حجر، ثقة عند الذهبي، روى له الترمذي والنسائي . انظر: الكاشف للذهبي ٢٩٥/١ تقريب التهذيب ص ٢٠٠

(٤)في كتاب تنقيح المقال في علم الرجال ، والمامقاني هو عبد الله بن حسن بن عبد الله بن محمد باقر المامقاني النجفي: مؤرخ متأدب متفقه إمامي، من أهل النجف. الأعلام للزركلي ٧٩/٤

(٥) إضافة من الشيخ .

(٦) **كذا في كتاب الشيخ بهجة –دون هاء–، فيصبح الكلام الآتي: (والعترة...) من كلام القاضي، وهو تحريف مخل بالمعنى، وصواب العبارة** : (وذكره القاضي في المعتمد. والعترة هم ...)، ونص العبارة في منهاج السنة ٣٩٥/٧ : (وذكره القاضي في المعتمد لكن العترة هم بنو هاشم كلهم: ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن عبد المطلب، وسائر بني أبي طالب، وغيرهم، وعلي وحده ليس هو العترة، وسيد العترة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.)

(٧) المقصود القاضي أبي يعلى بن الفراء (ت:٤٥٨) في كتابه المعتمد في أصول الدين، وقد بحثت فيه عن هذا النقل فم أجده ، وبحثت أيضا في كتابه الآخر العدة في أصول الفقه، فلم أجده أيضا.

ابن عباس أفقه العترة، وكان يخالف عليا في مسائل، وعلي ما كان يوجب على أحد طاعته فيما يفتي به)[١] .

وفي ادعاء الرافضة النص على خلافة علي رضي الله عنه ، ذكر خاتمة عن ابن تيمية[٢] تقرر أن الجمهور ليس لهم غرض في التحيز لأحد من الصحابة على أحد منهم، ولا رد ما أمر به رسول الله ﷺ، وأنه لو كان أمرهم نصا على إمامة علي لكانوا أسرع الناس إلى تنفيذه، فقال الشيخ رحمه الله:

(وكل عاقل يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض –والله– لا مع علي ولا مع غيره، ولا غرضهم تكذيب نبيهم، ولا رد ما أمر به، ولو علموا أن الرسول نص لهم على علي : لكانوا أسبق شيء إلى أمره وإلى التصديق به

غاية ما يقدر أنه خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون من خفي عليه جزء من الدين مثل ....[٣] بل يكفي من وَضَعَ : قولُ المصطفى ﷺ ((من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))[٤]

نعم ومن كتم ما نص عليه الرسول مراغمة لله ورسوله؛ فهو من أصحاب النار)[٥].

وفي الصحابة

أرسل الرافضي : محمد الخالصي رسالة إلى الشيخ ، يمتنع فيها عن مدح الصحابة؛ لذم القرآن ومتواتر السنة لهم؛ ولعدم وجود فضل لهم أو مدح في الوحيين، فقال الشيخ –نقلا عن الخالصي– :

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٦٢

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ، شمس الدين الذهبي ٤٧٩/١

(٣) **كذا في** أصل البيطار ، ولا أدري مغزى هذا الحذف هنا ، ففي المنتقى من منهاج الاعتدال الذي نص الشيخ على اعتماده عليه : " مثل اليهود والنصارى" ٤٧٩/١

(٤) رواه البخاري ، كتاب : الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت ٨٠/٢ (١٢٩١)، ومسلم في مقدمة الصحيح باب: في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١٠/١ (٣)

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٦٣

(قال فضيلته في هذا الفصل ص ٤ :" لم أذكر الصحابة بخير"، وعلل ذلك بقوله: " ولأني لا أريد أن أتعرض لعذاب الله وسخطه؛ بمخالفتي كتابه وسنة رسوله في مدح من ذمه الكتاب والسنة، والإطراء على من قبح أعماله القرآن المجيد، والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ وغاية ما كنت أكتبه وأقوله هو أن كتاب الله وسنة نبيه لم تذكر الصحابة بخير، ولا تدل على فضل لهم ؛ لأنهم صحابة")[1] .

فرد عليه الشيخ بأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قد رضي الله عنهم بنص القرآن، وتعجب الشيخ من سبهم مع شهادة رب العالمين لهم، فقال الشيخ رحمه الله:

(أقول : من يسمع يخل، والكلام في مثل أبي بكر وعمر، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن، وهذه الآية الكريمة من سورة التوبة : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

أفليست هذه الآية صريحة في معناها، فلم لا نعمل بمقتضاها، وهو الترضي عمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات النعيم، وذلك هو الفوز العظيم؟!

وكيف استباح المستبيحون سبهم وشتمهم، والطعن فيهم، ولعنهم، وقد كانوا من المؤمنين الصادقين بشهادة رب العالمين، ومن أصدق من الله حديثا؟)[3] .

ثم نقل الشيخ عن إقرار أحد المستشرقين له بفضل الصحابة، وتعجب الشيخ كيف يكون الرافضة أقل حظا في ذلك من النصارى، فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) الصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٦

(٢) سورة التوبة: ١٠٠

(٣) الإسلام والصحابة الكرام ، بهجة البيطار ص٨

(وقد قال لي مرة الأستاذ فارس الخوري[1] الشهير : "إن أصحاب رسول الله لا سيما الخلفاء، لا نظير لهم في زهدهم وإيمانهم وإيثارهم؛ فقد فتحوا الدنيا، ولم ينالوا منها كغيرهم".

أفلا يحق له أن يقول هذا القول، وهم قد ملأوا الدنيا بآثارهم، وتآليف المستشرقين وغيرهم من الأجانب طافحة بأخبارهم، فهل نكون نحن معشر المسلمين أقل حظا ونصيبا من الاعتراف بفضلهم؟!)[2] .

ثم صرف الخالصي في قوله تعالى : ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾. [3] الآية عن دِلالتها على فضل الشيخين؛ كونها قيدت المدح بالمؤمنين، فخرج منها الشيخين بزعمه؛ لأنهما لم يمحضا الإيمان، فقال الشيخ ناقلا عن الخالصي في رسالته التي أرسلها إليه:

"وإن قالوا : إن أبا بكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم القرآن في قوله في هذه السورة : ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. [4] قلنا : لو أنه قال : لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة، أو عن الذين يبايعونك ، لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لما قال : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك﴾ فلا دلالة فيها إلا على الرضى عمن محض الإيمان، والوصف مشعر بالعلية.

ثم قال : وعلى أي فلا دلالة لآية الرضا على شمولها لمن ارتكب معصية بعد نزولها اهـ)[5] .

---

(١) سبقت ترجمته ص٣٤٥.

(٢) الإسلام والصحابة الكرام ، بهجة البيطار ص٨

(٣) سورة الفتح:١٨

(٤) سورة الفتح:١٨

(٥) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٦-٧

فرد الشيخ على ذلك بذكر آية الفتح التي رد الخالصي دلالتها على مدح الصحابة لاسيما الشيخين رضي الله عنهما، فذكر الشيخ أهميتها، وأبان عن معناها جملة جملة بما تدل عليه صراحة من مدح أهل بيعة الرضوان -ومنهم أبو بكر وعمر-، وما يؤيده من السنة، فقال الشيخ رحمه الله:

(وأما بيعة الرضوان، فهي بيعة مشهورة : كتب عنها علماء التفسير[١] وكتاب السيرة[٢] وكثير من المؤرخين، وقد كان لها أثر كبير في سياسة المسلمين العامة، وهذه آيتها من سورة الفتح : ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [٣]

والمعنى كما يقول المفسرون ومدونو السيرة النبوية : لقد رضي الله عن المؤمنين الراسخين في الإيمان الكاملين في الإخلاص، لقد رضي الله عنهم جميعا -إلا الجد بن قيس، وهو أخو بني سلمة؛ فقد كان منافقا ولم يبايع- ، ولأجل هذا الرضى سميت تلك البيعة بيعة الرضوان.

﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ علم الله ما استقر في قلوبهم من الإيمان والصدق والإخلاص والوفاء، والسمع والطاعة في مبايعتهم ﴿فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر، وقد كانت غنية بالزروع والثمار، وكان سكانها على جانب من الثراء، وما حصل بذلك من الخير العام، على أيدي الصحابة الكرام المتصل بفتح خيبر، وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل عليهم من العز والنصرة والرفعة في الدنيا والآخرة). [٤]

ثم ذكر الشيخ ما يؤيد خيريتهم في هذه البيعة من السنة -لاسيما عمر وعلي- ، فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) انظر ص٢٥٧

(٢) انظر ص٢٥٧

(٣) سورة الفتح:١٨

(٤) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، بهجة البيطار ص٩

(وفي صحيح مسلم[1] عن أبي الزبير عن جابر قال : ((كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة –شجرة الطلح–فبايعناه على ألا نفر)) –وفي رواية([2] : ((بايعناه على الموت))– ((ثم دعا رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه، وأملى عليه كتاب الصلح فكتبه)))[3] .

ثم تعجب الشيخ من مناقضة كلام الخالصي لما دلت عليه النصوص السابقة صراحة من الثناء على الصحابة، فقال الشيخ رحمه الله:

(أفليس في ذلك كله شيء من الخير؟!

وهل من قال بقول الله عز وجل في رضاه عنهم ورضاهم عنه ، ووعدهم بجنات النعيم، وذلك الفوز العظيم، هل يكون متعرضا لعذاب الله وسخطه، مخالفا لكتاب الله وسنة نبيه ؟!

وكيف يكون هذا المدح لهم في كتاب الله ذما؟!

وهل يسمى هذا الإطراء والثناء تقبيحا لأعمالهم في القرآن المجيد، والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار؟!)[4] .

وقد أنكر ابن المطهر الحلي انتفاع النبي ﷺ بمال أبي بكر ؛ لأنه لم يكن له مال ، فلخص الشيخ عن ابن تيمية[5] تعجبه من إنكار المتواتر المنصوص عليه في القرآن من غنى أبي بكر ، وذكر الحديث المؤيد لانتفاع النبي ﷺ بمال أبي بكر ، فقال الشيخ:

---

(١) كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش ١٤٨٣/٣ (١٨٥٦)، وتمام الحديث عنده : (ولم نبايعه على الموت).

(٢) **جملة** : (**بايعناه** على الموت) تحديدا ليست رواية من حديث جابر –كما توهم العبارة وسياقها– بل حديث آخر أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع **باب**: **استحباب مبايعة الإمام الجيش** ١٤٨٦/٣ (١٨٦٠).

(٣) الإسلام والصحابة الكرام ، بهجة البيطار ص٩-١٠

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ، شمس الدين الذهبي ٥٦٠/١

(من أعظم البلايا إنكار المتواتر المستفيض القطعي !!

فمن ذا الذي نقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمت؟

أينكر جود حاتم ،وشجاعة علي، وحلم معاوية، وغنى أبي بكر وفضله؟

بل هؤلاء لا ذكر لهم في القرآن وأما هو ففيه نص صريح بفضله وغناه، ففي الصحيحين أن مسطحا كان أبو بكر ينفق عليه وكان أحد من تكلم في الإفك، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه؛ فأنزل الله قوله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾.[1] ،فقال أبو بكر: "بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي"[2] ،فأعاد عليه النفقة .

وقد اشترى بماله سبعة من المعذبين في الله ﷻ [3] .

وقال النبي ﷺ : ((ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر))[4])[5] .

وبعد أن لخص وانتقى الشيخ أهم ما في المنتقى من منهاج الاعتدال للإمام الذهبي، وجَّه دعوة للرافضة بالرجوع إلى الحق، وأن يعملوا بتعاليم الإمام علي الثابتة عنه، فقال رحمه الله:

---

(١) سورة النور:٢٢

(٢) أخرج القصة بطولها البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ح(٢٥١٨) وكذلك مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح(٢٧٧٠)

(٣) رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم عن الأصمعي ٣٢/٢ (١٦٦)، ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن عروة ١٧٢/٢ (١٥١٣)

(٤) رواه أحمد في مسند أبي هريرة ٤١٤/٢ (٨٤٤٦) وصححه محققوه على شرط الشيخين، والترمذي في أبواب المناقب عن رسول اله ﷺ ٥٠/٦ (٣٦٦١) وقال : حديث حسن صحيح من هذا الوجه، وابن ماجه في كتاب: اتباع سنة رسول الله ﷺ، فضائل أبي بكر الصديق ٧/١ (٩٣)

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٦٨

(وبعد هذا كله ، إن لم يعمل محبوه ومواليه بنصحه وتذكيره، يتبين أنهم لا يقيمون لرأيه وزنا، ولا يرفعون به رأسا)[1] .

ثم ثمن الشيخ كتاب الذهبي : المنتقى، وأصله منهاج السنة، لابن تيمية؛ بأنه فيهما بيان الحق وإزالة الشبهة بخلاف كتب الرافضة التي تمتلئ باللعن والتكفير للصحابة، فقال الشيخ رحمه الله:

(وإنك لتجد في هذا المنتقى من منهاج السنة جوابا لكل سؤال ، وحلا لكل إشكال، وبيانا للحق في كل ما يخوض به الخائضون، مثل : الميراث من فَدَكَ (٢)، ومثل حكمه العادل في وقائع الجمل والنهراوان وصفين، ونفي سمة الكفر عنهم، على خلاف حكم من ادعى التشيع له في هذه الكتب المنتشرة التي تُبدِي وتُعيد، وتطبع وتوزع وليس فيها من جديد.

ألا وأن جواب إمام السنة ابن تيمية الحراني الدمشقي لإمام الشيعة الإمامية ابن المطهر الحلي البغدادي ، هو كاف في الموضوع.

وإني أنصح لمن يقدر وقته حق قدره، ويعرف قيمة عمره : ألا يضيعه بقراءة الكتب الطاعنة اللاعنة، فهي آثمة ظالمة، وما أثرناه عن المنتقى فهو الجواب الصحيح الذي نرجو أن تجتمع عليه كلمة الأمة إن شاء الله وبه المستعان)[3] .

هذا وقد استقر رأي الشيخ على دعوة الشيعة أن تجتمع دينيا على الحق الذي ذره شيخ الإسلام في منهاج السنة –كما في النص السابق–، وإلا فتتفق السنة والشيعة سياسيا واقتصاديا مع اختلاف الدين،فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٦٩-١٧٠

(٢) قرية في الحجاز تبعد عن المدينة مسيرةَ يومين (حوالي ٢٥٠ كم)، تتبع إداريا –في الوقت الحالي– : منطقة حائل، فيها عين فوَّارة، ونخل ، أفاءها الله عز وجل على رسوله ﷺ صلحا سنة سبع. انظر: معجم البلدان ، لياقوت الحموي ٢٣٨/٤-٢٣٩، ومراصد الاطلاع لصفي الدين البغدادي الحنبلي ١٠٢٠/٣

(٣)حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٧٠

(وبعد هذا كله لا يسعنا إلا أن نرى رأي الإمام السيد محسن الأمين[1]، وهو أن تتفق الطائفتان من سنة وشيعة اتفاقا سياسيا اقتصاديا أسوة بالدول والشعوب التي تعاهدت وتعاقدت على مثل ذلك مع اختلاف الأوطان والأديان، وبالله المستعان)[2]

وما سبق من رأي الشيخ رحمه الله في مسألة التقريب، و في نفي وجود الإمام المزعوم الثاني عشر –كما مر[3]– ، هو ما انتهى إليه موقفه[4] .

وقد كان قبل ذلك يحكي القول بعصمة الأئمة دون تعقيب؛ قصدا للتقارب بين السنة والشيعة، فقال الشيخ عند حديثه عن الأئمة الاثني عشر :

(وهم الذين يسميهم الشيعة الإمامية : الحُجج، ويعتقدون أنهم معصومون)[5] .

وكان يثني على نظم القصائد من قِبل علماء أهل السنة في مدح الأئمة الاثني عشر، وذكر أوصافهم ومفاخرهم، وأنه بمثل ذلك، يرجى زوال الإِحَن وتوحيد الكلمة بين السنة والشيعة، ويدعو إلى إنشاء دور علم دينية مشتركة بينهما !، فقال – عند وصفِ ابن طولون في كتابه الأئمةَ الاثني عشر، والشوق إلى لقائهم–:

---

(١) كان يتظاهر بالاعتدال تقية، ثم كشف عن صفحته بما كتبه عن الوهابية في :كشف الارتياب. انظر: مسألة التقريب بين السنة والشيعة، ناصر القفاري ١٩٥/٢ وهو محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين، الحسيني العاملي ثم الدمشقي، آخر عالم من الشيعة الإمامية في بلاد الشام، كان مكثرا من التأليف: يجمع ما تفرق من آثار الإمامية وسيرهم، ويؤلف في فقههم، ويذب عنهم، ويناقش، وقد يهاجم، من أشهر كتبه : أعيان الشيعة، توفي عام : ١٣٧١هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢٨٧/٥

(٢) الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة ص٦٦

(٣) انظر: ص٣٨٤

(٤) **ف**إن آخر آرائه في هذا الموضوع كانت في كتابين : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية نشره الشيخ عام١٣٩١هـ، والإسلام والصحابة الكرام ونشره بعد عام ١٣٨٠هـ، وكل ما خالف ما فيهما كان قبل ذلك، كما ترى في تاريخ نشر ما سأنقله آنفا من مقالاته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٥) الأئمة الاثنا عشر، لابن طولون (تعريف ونقد) مجلة مجمع اللغة العربية ٣٥١/٣٤ رمضان ١٣٧٨هـ.

(وقد استهل ابن طولون ذكر الأئمة الاثني عشر بقصيدة في وصفهم، وذكر أسمائهم، والشوق إلى لقائهم، من نظم أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي (م٥٥١ أو ٥٥٣) وهو مثل ابن طولون من علماء السنة)[١] .

ثم قال بعد أسطر :

(وكلمتي في الختام : هي أن السنة والشيعة وهما أكبر مظهر للإسلام، وهم المرجوون لوراثة تلك الوحدة الدينية، وتجديد ذلك المجد الدارس علما ودينا وأخلاقا، وأن أضر شيء علينا هو هذه العصبية الموروثة، والعداوة الممقوتة، والتفرق الديني الذميم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴿١٥٩﴾﴾[٢].

وبمثل هذا الكتاب والقصيدة في تراجم هؤلاء الأئمة من جانب علماء السنة، ووصف مفاخرهم ومآثرهم، يرجى زوال تلك الإحن وتوحيد الكلمة والتعاون على إنشاء دور علم مشتركة، وإحياء ذكرى أئمة البيت عليهم السلام، بتجديد هديهم وإصلاحهم إن شاء الله تعالى.)[٣] .

وهذا الموقف القديم للشيخ من التقارب بين السنة والشيعة، كان متأثرا فيه من دعاة المدرسة العقلية الحديثة، وموافقيها، كأمثال : الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا –قبل رجوعه–[٤] ، لكنَّ ظني أن ١– تجربة الشيخ لهذا التقارب مع محمد الخالصي الرافضي — الذي كان هو كذلك يدعو إلى التقارب–، ٢–وتأليف الشيخ كتابا[٥] في الرد عليه : جعله يرجع عن هذا الموقف .

---

(١) المصدر السابق ٣٥٢/٣٤

(٢) سورة الأنعام:١٥٩

(٣) الأئمة الاثنا عشر، لابن طولون (تعريف ونقد) مجلة مجمع اللغة العربية ١٥٣/٣٤ رمضان ١٣٧٨هـ.

(٤) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، للدكتور/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ١٩١/٢–١٩٥

(٥) هو كتاب : الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة .

ومن باب الإنصاف فإن الشيخ في موقفه القديم لم يكن يسكت عن كل شناعات الرافضة، قصدا للتقارب؛ فإنه لما تكلم على كتابَي: أوائل المقالات في المذاهب المختارات، وشرح عقائد الصدوق كلاهما للشيخ المفيد محمد بن النعمان الرافضي ، نقدهما الشيخ نقدا بالغا لما فيهما من تكفير ولعن للصحابة الذين حاربوا عليا رضي الله عنه، وأن مثل هذه الكتب منبع للفتن، ودعا الشيخُ دعاةَ الوحدة من الروافض، لمعالجة هذا الداء في كتبهم[1] ، فقال رحمه الله:

(وقد جاء في ص١٠ بعنوان : "القول في محاربي أمير المؤمنين (ع) " ما نصه: "واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة، والشام أجمعين : كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع) وأنهم بذلك في النار مخلدون." ا. هـ.

[قال الشيخ بعد النقل السابق]:

وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليَّ لأصفه في باب: التعريف والنقد بعض ما يراه القارئ في غيره كالكافي والتهذيب والوافي[3] وغيرهما، من لعن وتكفير وتخليد في النار لمن أورثهم الأرض والديار، ولم أر انتقادا ولا اعتراضا لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقريظه، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر، وعليه صورهم. ولا شك أن هذه الكتب تورث قرَّاءها وِغْرا وحقدا وعداء وبغضا، وتنطق ألسنتهم بأفحش

---

(١) سبق قريبا بيان أن الشيخ لما يئس من ذلك –خصوصا بعد مناقشة الرافضي محمد الخالصي– رجع عن هذا وأصبح يدعو إلى التعاون اقتصاديا وسياسيا مع اختلاف الأديان.

(٢) سورة النساء:٤٨

(٣) الكافي للكليني (ت:٣٢٩)، أما التهذيب: فإما يقصد الشيخ تهذيب الأجوبة لأبي جعفر الطوسي (ت:٤٦٠)، أو تهذيب المقال في تنقيح كتب الرجال، لمحمد علي أبطحي (معاصر)، وأما الوافي فهو للفيض الكاشاني (ت:١٠٩٠).

القول وأوحشه لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة، وبعض أمهات المؤمنين، ومن معهم من المهاجرين والأنصار، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن.

إن هذه الكتب هي منبع الفتن، فمنها يسقي كل طاعن، وعنها يصر كل لاعن، وقد دللنا الآن على مكامن الداء؛ ليعالجه دعاة الوحدة والوئام من المجتهدين الكرام، وقد انقضت عصور الأمويين والعباسيين، وأصحاب الجمل والنهراوان وصفين، وحسابهم على رب العالمين.

ثم دعا الشيخ الروافض إلى اعتبار الأولويات بتقديم محاربة المنصرين والملحدين في بلاد الإسلام على الطعن بالصدر الأول، فقال :

(كان حوار السلف مع الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصورهم، وشاعت في الناس، كالقدرية والخوارج والجبرية، والجهمية،والمرجئة، والوعيدية وغيرهم، وقد انتشرت في زماننا شبه وشكوك في دين الحق لأقوام آخرين،كدعاة التبشير والتنصير مع الدول التي تمدهم بالمال والرجال، وقد باعوا أنفسهم وغيرهم إلى الاستعمار، وكدعاة الإلحاد والفساد، فأين دعاة الإسلام وحماته لدفع باطلهم، وكبح جماحهم[١] ؟ وإلى مثل هذا نوجّه أنظار الأئمة المجتهدين[٢]، والله هو الموفق والمعين) [٣] .

---

(١) الجِماح هو : ذهاب الشيء قدما بغلبة وقوة، فإذا كان ذلك في الباطل كان مذموما يحتاج إلى كبح. انظر: العين للخليل ٣/٩٩، تهذيب اللغة ٤/١٠٠، مقاييس اللغة لابن فارس ١/٤٧٦

(٢) وقال الشيخ في موضع آخر عن أحد الرافضة كذلك: (ولقد وقف على هذا الكتاب الأستاذ الجليل والحبر النبيل الشيخ الحسين آل كاشف العطاء، أحد علماء النجف الأشرف) نقد عين الميزان ص٨٩ **قال الباحث: ترك تعظيم أهل البدع من أصول أهل السنة، ومن صور تعظيمهم التي حذر العلماء منها : إطلاق الألقاب الحسنة المشعرة بالتعظيم عليهم**. انظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، أ.د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي ٢/٧٢٠

(٣) انظر: أوائل المقالات في المذاهب المختارات، وشرح عقائد الصدوق كلاهما للشيخ المفيد محمد بن النعمان (تعريف ونقد) محمد بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٩/ ١٢٩-١٣٢ ربيع الآخر ١٣٧٣هـ.

والذي يراه الباحث ألا يحكم في التقارب الديني أو السياسي والاقتصادي بحكم عام منعا أو جوازا.

فإن التقارب الديني ينبني على استعداد علماء الروافض –تحديدا–، ولو بعضهم لترك ما هم عليه، إذا ظهر لهم الحق، فما دام **يوجد** من علمائهم من يتوب من التَّرَفُّض –ولو قليلا–، فإنه **يمكن** فتح **الحوار** معهم بالتي هي أحسن.

وأما الاحتجاج على منع التقارب مطلقا بالبون الشاسع بين مصادرنا ومصادرهم، وعقيدتنا وعقيدتهم[(١)]، فأقول :

إن الله ﷻ أمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن رغم أن مصادرهم غير مصادرنا اسما ومسمى.

وأما التقارب الاقتصادي والسياسي[(٢)] فيرجع فيه إلى باب السياسة الشرعية وتقييم أولي الأمر حسب الأحوال والظروف والمصالح المعتبرة –شرعا–.

وليسوا هم بأسوإ من غير المسلمين الذين يجوز عقد المعاهدات والمصالحات معهم حسب المصلحة وحال المسلمين.

أما منع ذلك بحجة ما رُصد في التاريخ من غدرهم، وخيانتهم[(٣)]؛ فقد وُجد مثله من اليهود؛ فقد نزل في يهود بني قريظة : ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ [(٤)]، ولا يعني وقوع هذا من اليهود في وقت حرمة إبرام المعاهدات معهم في كل الأوقات.

---

(١) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، أ.د/ناصر القفاري ١/٣٧٥-٣٩٠، ٢/٣٠٢

(٢) لم أفْصِل بين السياسة والاقتصاد؛ لأنه لا يمكن الفصل بينهما واقعيا في الزمن الحاضر، وما يُعدم حسا لا يوجب شرعا.

(٣) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، أ.د/ناصر القفاري ٢/٢٦٢-٢٦٣

(٤) سورة الأنفال:٥٦

ويوجد في التشريع الإسلامي للمعاهدات حَلٌّ إذا خشينا خيانتهم بعد معاهدتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(1).

ويوجد كذلك في السياسة الشرعية ما يسمى حديثا ب"الضمانات".

وأما إن كان عقد المصالحات معهم في السياسة والاقتصاد سيرجع بضرر أشد من مصلحة المعاهدات؛ فيمنع منه، ويرجع في تقييمه إلى أولي الأمر —كما سبق-.

وأما الاحتجاج على منع التقارب —الديني أو السياسي والاقتصادي- مطلقا بأن التقارب كان السبب في ترفُّض جماعات من أهل السنة(2)، فأقول:

ليس السبب في ذلك دعوة التقريب —بغض النظر عن حكمها-، بل السبب قوة دعوة الرافضة في مقابل ضعفها عند أهل السنة، فإذا قويت دعوة أهل السنة دخل في السنة الرافضة أنفسُهم —فضلا عن حماية أهل السنة من الرفض-؛ فإنه الحق يَعلو ولا يُعلى عليه.

---

(١) سورة الأنفال:٥٨

(٢) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، أ.د/ناصر القفاري ٢/٢٧٨-٢٧٩

المطلب الثالث:الصوفية

الصوفية: فرقة دينية ظهرت بين المسلمين كفرقة في القرن الثالث، وتعتمد في مصادر التلقي على المنامات والإلهام والأئمة ونحوها.

وهذه الفرقة غريبة عن الإسلام في اسمها ومسماها.

أما اسمها : فمأخوذ من الكلمة اليونانية والهندية القديمة "سوفيا" -ومنها أيضا اشتقت الفلسفة-، و"ثير صوفيه ": معناها الحكمة المتعلقة بالإله.

أما مسماها : فمن الهندوس؛ إذ يطلق الهندوس الصوفية على رهبان البراهمة الذين ينقطعون في الغابات والخلوات عراة بحثا عن الحكمة، وغايتهم : الفناء في ذات الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

وهذه الفرقة كان لها أثرها البالغ في انحطاط حضارة المسلمين؛ بانحرافها في مفهوم الزهد والتوكل إلى الفقر والتسول، واتخاذ الحجب[1] التي يعتقدون فيها جلب الرزق، وبإهمالها لكثير من الأعمال متعدية النفع، ولذلك لقيت دعما وتشجيعا وتعاونا قديما وحديثا مع المستعمرين والغزاة.

---

(١) الحجب جمع حجاب ، وهي : التميمة التي يحجب بها (أي: يستر بها) الطلاسم السحرية. انظر: معجم الحروز الشركية لأبي يوسف سرحان الحارثي ص١٢٨

وأعظم كفر يقول به كثير من رؤوس هذه الفرقة هو عقيدة الحلول والاتحاد[1] ، فمن وصل عن طريق المجاهدات والرياضات التي يرتبونها إلى الفناء[2] في الله –عز شأنه– ؛ فقد سقطت عنه التكاليف؛ لأن التكاليف وسيلة لغاية الحلول والاتحاد[3] .

وفي التحذير من دعاة الحلول والاتحاد ، عرفهم الشيخ بأنهم الذين يجعلون الممكن الحادث هو الواجب بنفسه ، فقال رحمه الله:

(دعاة الحلول والاتحاد : هم الذين يجعلونه –سبحانه– حقيقةَ الوجود في الموجودات، ويجعلون كل ممكن وحادث من المخلوقات هو الوجود الواجب بنفسه[4] ، أي: أن الخلق هو عين الحق ﴿سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5].)[6] .

وفي تقريره بأن عقيدة الحلول فيها إفساد للغة والفطرة والعقل ، قال الشيخ رحمه الله:

(ومن قال : إنه حال في خلقه أو هم حالون فيه ، فقد أفسد اللغة والفطرة والعقل والشرع)[7] .

وقرر في موضع آخر بأن القول بوجود ذاته سبحانه في السماوات والأرض إثبات للنقيضين ، فقال رحمه الله:

---

(١) عقيدة الحلول والاتحاد : هي الاعتقاد بأن المخلوق حل بالخالق فأصبحا شيئا واحدا. انظر: التعريفات للجرجاني ص٦٤، ١٥٧

(٢) الفناء المراد به هنا هو الفناء عن وجود السوى (أي: ما سوى الله) بأن يرى وجود الخالق هو عين وجو المخلوق . انظر: شرح العقيدة الواسطية للدكتور محمد الخميس ص٤٦٣

(٣) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، لصادق سليم صادق ص٣٨-٣٩، ٦٩ وما بعدها، ١٨٣-٢٠٢، وأصول الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة، لسفر الحوالي ص٥٨-٧٠

(٤) هو ما يستحيل عدمه بنفسه لذانه، والممكن الوجود هو ما ما جاز وجوده وعدمه، أو هو ما لا يمتنع وجوده. انظر: المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين ص٧٩-٨٠

(٥) سورة الصافات: ١٨٠

(٦) حياة شيخ الإسلام ابن تيمة ص٩٤، وانظر منه ص١٠٨

(٧) الإسلام والصحابة الكرام، بهجة البيطار ص٢٨

(والقول بأنه تعالى بذاته في السماوات والأرض إثبات للنقيضين)[1] .

وقد أنكر الشيخ حال سعيد الخالدي الترشيحي اليشرطي ؛ حيث تغير حاله – بعد اعتناقه الطريقة الترشيحية الشاذلية– من طلبه للعلم سنين طويلة إلى استباحة المحرمات، فقال الشيخ رحمه الله:

(وفي ترجمة سعيد الخالدي الترشيحي اليشرطي[2] أعجب العجب، فهو بعد دراسة المعقول والمنقول، والفروع والأصول سنين عديدة، وكانت له صفة الزهد والبعد عن الدنيا وأهلها ، أخذ الطريقة الترشيحية وسافر إلى مقرها في عكا[3] ، وعاد منها، فانقلبت حاله وساء مآله، والتزم الزندقة والإباحية المطلقة، ودعا إلى الآثام، وعدم التقيد بحلال أوحرام..)[4] .

وفي موضع آخر أنكر الشيخ إباحية بعض المنتسبين إلى الطريقة اليشرطية الشاذلية، وعرف بأصل نسبتهم، فقال رحمه الله:

(وفي ترجمة علي اليشرطي –نسبة إلى يشرط قبيلة بالمغرب،– البيزرتي Bizerte (مرفأ عسكري في تونس) ، الذي أقام في عكة وترشيحا من سواحل الشام ، وصف

---

(١) تفسير جزء تبارك ، عبد القادر المغربي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٥٣٣/٢٥ ذو الحجة ١٣٦٩هـ

(٢) توفي على هذه الحال عام ١٢٩٤هـ. انظر: حلية البشر ص٦٦٩-٦٧٣

(٣) مدينة تقع على الساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، تبعد عن القدس حوالي ١٨٠ كيلا، إلى الشمال غربي منها ،كانت ضمن الدولة البيزنطية وفتحها المسلمون عام ١٦ هـ، وتقع حاليا في الأراضي المحتلة من اليهود. انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري ٢٦/١، وأطلس تاريخ العالم الإسلامي لحسين مؤنس ص١١٠

(٤) حلية البشر ص١١٥٠

لبعض المنتسبين لطريقته لم يسمع أبشع ولا أشنع منه، ويقف عن ذكره اللسان والقلم، ويكاد ينفطر القلب من شدة الغيظ والألم[١]، وتأمله إن شئت ص١٠٦٦ و ١٠٦٧)[٢].

وقد بين الشيخ من باب الإنصاف أنه ليس كل من ينتسب إلى هذه الطريقة حاله ما سبق بل منهم أناس يحافظون على الشريعة، فقال رحمه الله:

(رأينا أناسا ممن ينتسبون إلى هذه الطريقة، يحافظون على الصلوات، ويجتنبون المحرمات، وعلمنا أن أناسا آخرين يرتكبون الفواحش والمنكرات، وقد انقرض هؤلاء الإباحيون، أو قد قلوا وسيلاقون ربهم على ما عملوا)[٣] .

وفي ترجمة يحي العمادي الشافعي البغدادي[٤]، ذكر أن صوفيا طُرد عن النقشبندية[٥] لمخالطته أكبر الرجال وجمع الحطام والأموال ! ثم أتى أحد زعمائهم نادما للرجوع فاشترط عليه حلق اللحية وتسويد الوجه، فأنكر الشيخ عليهم بأن هذا الإذلال لم يشترطه الشارع للتوبة ، فقال الشيخ رحمه الله:

(من المعلوم أن مما تتحقق به التوبة النصوح : الإقلاع عن الذب في الحال، والندم على ما فات، والاستعداد لما هو آت، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا

---

(١) من أعظم ما ذكر فيما أحال عليه الشيخ هو " ويقولون بأن الشريعة حجاب، وفعل المنكرات موصل إلى رب الأرباب، فلاطوا بالأبناء وزنوا بالأمهات، وأكلوا الحرام وانهمكوا في المنكرات"

(٢) حلية البشر ص١١٦٨

(٣) المصدر السابق ص١٠٦٧

(٤) فقيه، ناسك ، صوفي، توفي عام ١٢٤٥هـ. انظر: حلية البشر ص١٥٩٠

(٥) هي إحدى طرق الصوفية الغلاة ، تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند ٦١٨-٦٩١هـ ، وتقوم على اعتقاد وحدة الوجود ، وتصرف مشايخهم بذرات الكون، وسلسلة نسب هذه الطريقة تعود لأئمة الرافضة؛ لذلك تجد لديهم ميلا لهم، وأصول الطريقة وتعاليمها فارسية النمط. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والفرق المعاصرة ٢٦٧/١

صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.(١) وهذا الإذلال الوارد في السؤال ليس شرطا شرعيا ، ولم يذكر له مستندا)[٢] .

وفي ترجمة أبو العباس أحمد التيجاني[٣] شيخ الطريقة التيجانية[٤] : أنكر الشيخ عليهم قبولهم تسخير المستعمر لهم لقتال إخوانهم، وعلى تشجيعهم على البدع، فقال الشيخ رحمه الله:

(﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(٥). سخِرت فرنسا المستعمرة منهم، وسخَّرتهم لمصالحها، فأرسلتهم لقتال إخوانهم في الدين والعروبة، ووسوست لهم أن قراءة ورد الفاتح[٦] مرة تعدل من قراءة القرآن عشرات المرات، فساءت حالهم وأعمالهم، ولكن الله انتقم من المستعمرين، فوقعت الحرب الضروس بينهم وبين الشعب الجزائري الثائر الباسل، فانتصر الحق على الباطل، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين)[٧] .

وقد أنكر الشيخ على الصوفية تحويلهم مبدأ التوكل إلى تواكل وفقر باستدلالهم بحال أهل الصفة، فبين الشيخ أن أهل الصفة لم يتقصدوا ابتداءً فقر حالهم وهجرتهم عن

---

(١) سورة الفرقان: ٧٠

(٢) أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني، أبو العباس، شيخ الطريقة التيجانية، فقيه مالكي ، ملم بالأدب، توفي سنة ١٢٣٠هـ. انظر: حلية البشر ص١٥٩٠، والأعلام ٢٤٥/١.

(٣) حلية البشر ص٣٠٣

(٤) التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي عليه الصلاة والسلام ، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيا في هذه الدنيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة. الموسوعة الميسرة ٢٨١/١

(٥) سورة مريم:٥٩

(٦) صيغة مخصوصة مخترعة في الصلاة على النبي ﷺ ، تقال في الصلاة ، تعتقد التيجانية أنها من كلام الله تعالى. انظر: الموسوعة الميسرة ٢٨٢/١-٢٨٣

(٧) حلية البشر ص٣٠٣

أرضهم ، ثم إنهم لما وجدوا المسكن وسعة العيش لم يبقوا على حالهم، بخلاف المتصوفة الذين يقصدون فعل ذلك، قال الشيخ رحمه الله:

(أما هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فبما كان من إيذاء أهل الحق لهم، واضطهادهم، وتعذيبهم على اعتقادهم الذي تمكن من نفوسهم وعقولهم، وفي قوله تعالى ﴿ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ ﴾(١). دليل على أن الخروج من الوطن والمال ليس مقصودا للشارع، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما غادر مكة : ((والله لأنت أحب بلاد الله إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك لما خرجت))(٢) ، فأين هؤلاء الكسالى الذين يزهدون في المال والأهل والوطن، ويحبسون أنفسهم في التكايا والزوايا اقتداء بأهل الصفة فيما يزعمون، ولقد علموا أن أهل الصفة –وهي سقيفة كانت من جملة مسجده صلى الله عليه وسلم – قد أُخرِجوا من ديارهم ولم يخرجوا باختيارهم، وأَوَوْا إلى المسجد النبوي، إذ لم يجدوا في المدينة أهلا ولا مالا، وهم أضياف الإسلام ، قال الإمام الشاطبي(٣) : "والدليل أن المقصود بالصفة لم يدم، ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها، ولا عمرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان من قصد الشارع ثبوت تلك الحالة، لكانوا هم أحق بفهمها أولا، ثم بإقامتها والمكث فيها عن كل شغل، وأولى بتجديد معاهدها، لكنهم لم يفعلوا ذلك البتة.

فالتشبه بأهل الصفة إذا في إقامة ذلك المعنى، واتخاذ الزوايا والرُّبُط(٤) لا يصح، فليفهم الموفق هذا الموضع، فإنه مزلة قدم لمن لم يأخذ دينه عن السلف الأقدمين، والعلماء الراسخين.

---

(١) سورة الحشر:٨

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٣/٣١ ح (١٨٧١٧) ، وصححه محققوه، والنسائي في السنن الكبرى باب: فضل مكة ٢٤٨/٤ ح(٤٢٤٠)

(٣) في كتاب: الاعتصام، للشاطبي ٣٤٩/١

(٤) الربط جمع رِباط ، والمقصود به هنا : الملجأ الذي يبات فيه الصوفية. انظر: المصباح المنير للفيومي ص٢١٥، والمعجم الوسيط ص٣٢٣

ولا يظن العاقل أن القعود عن الكسب، ولزوم الرُّبُط مباح، أو مندوب إليه، أو أفضل من غيره، إذ ليس ذلك بصحيح، ولن يأتي آخرُ هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها".)[1] .

وفي تعريف صاحب الحدائق النقشبندية على أن الطريقة النقشبندية[2] طريقة الصحابة، أنكر الشيخ تلبيس الحقائق بابتداعهم ثم عزو ذلك للصحابة، فقال رحمه الله:

(جاء في ص٣ من كتاب الحدائق[3] بعنوان : "طليعة" ما موجزه : اعلم أن الطريقة النقشبندية ... هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها، بكمال التزام السنة ، وتمام اجتناب البدعة" اهـ

قلت: إذا كان الأمر على ما يقول ، لزمهم العمل بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أفليس بها غنى عن هذه الطرائق، وعن رفع لوائها بين الخلائق؟! ألم يكن الصحابة الكرام على هدى من ربهم؟ فلماذا نبتدع ما لم يكن موجودا في عهدهم، ثم نعزوه إليهم؟)[4] .

وفي حياة الخضر نفى الشيخ حياته بدلالة الحس والتاريخ، وأنه لو كان حيا لآمن بالنبي عليه الصلاة والسلام واتبعه، وذلك عند وصف ناصر الدين القادري[5] بأنه صحب الخضر، قال صاحب حلية البشر :

"... تلقاها عن العارف الكبير الفائز بصحبة الخضر عليه السلام الشاه ناصر الدين القادري"

فعلق الشيخ رحمه الله قائلا:

---

(١) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٨٤-٨٥

(٢) انظر ص٤٠٤.

(٣) هو كتاب: الحدائق الوردية في حقائق أجلاء الطريقة النقشبندية، لعبد المجيد محمد الخاني ص٧ باختصار، ط٢ دار ناراس –أربيل- تصحيح : عبد الرزاق عبد الله

(٤) حلية البشر ٩٢٩

(٥) لم أجد له ترجمة.

(قدَّمنا أن الخضر عليه السلام لو كان حيا لآمن بالنبي وصحبه كغيره، والتاريخ والحس ينفيان وجوده)[1] .

وفي ترجمة عبد الله الدهلوي المعروف بشاه غلام[2]، أنكر ما أورده المترجِم من طلبه أن يُحضروه بعد موته إلى جامع دلهي، ويطلبوا له الشفاعة من النبي ﷺ، وبين الشيخ أن مالك الشفاعة هو الله ﷻ، وتطلب منه لا من غيره، قال عبد الرزاق البيطار صاحب حلية البشر عن شاه غلام:

"وقال : إذا قُضِي الأمر فاحملوني إلى المكان الذي فيه الآثار النبوية التي في جامع دلهي، واطلبوا لي من صاحبها الشفاعة".

فعلق الشيخ رحمه الله قائلا:

(النبي صلوات الله عليه هو صاحب الشفاعة، ولكن مالكها هو الله تعالى، فتطلب منه، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة)[3] .

وقد قرر الشيخ أن النهضة الدينية المباركة في هذا العصر تحتاج تجنبا لنوعين من الكتب : كتب الإلحاد ، وكتب المتصوفة، فقال رحمه الله:

(ولما كانت هذه النهضة الدينية المدنية يتوخى فيها أن تكون خالية من الشوائب التي تشوه سمعتها أو تعرقل سيرها، وجب أن يُجتنب فيها نوعان:

١-كتب الإلحاد التي تُفسد عقائد الأمة وأخلاقها، وتَذهب بمقوماتها ومشخصاتها، وهما مادة حياتها :

---

(١) حلية البشر ص٢٩٢

(٢) هو عبد الله الدهلوي المعروف بشاه غلام علي بن شاه عبد اللطيف الدهلوي، ولد في بنجاب الهند، شيخ الطريقة النقشبندية فيها، شارك في علم الحديث والتفسير توفي عام ١٢٤٠هـ. انظر: حلية البشر ص٩٢٧-٩٣٨ ، ومعجم المؤلفين ٧٧/٦

(٣) حلية البشر ص٩٣٧

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا[١]

٢-كتب التحريف والتخريف التي تورث الأمة ضلالا وخبالا

والكتب الوافدة على البائعين كالسيل الطامي، تارة تقذف بالدُّر الذي يجمل قلادة النحر، وتارة يرمي بالخزف أو الجيف التي تفسد برائحتها الصحة العامة وجو البلاد الصافي)[٢] .

وقد قرر الشيخ أن لبس الخرقة[٣] لا مستند للصوفية عليه، فقال رحمه الله:

(ومنها[٤] : لبس الخرقة ، فهو شعار صوفي لا دليل شرعي [عليه])[٥] .

وقد وقف الشيخ على مجموعة من الطلبة المسنين حول شيخهم يدرسهم الفتوحات المكية[٦]، فتعجب الشيخ، ونصح مدرسَّهم بأن الفتوحات أُلفت بلسان خاص لا يقوون على فهم مراده؛ فيقعون في الضلال ونبذ الشرع، وأرشد الشيخُ مدرسَّهم إلى كتاب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، فاستجاب الشيخ له، قال الشيخ رحمه الله:

---

(١) البيت يُنسب لأحمد شوقي ، ولم أجده في ديوانه المسمى ب(الشوقيات).

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/١٩٣

(٣) لبس الخرقة: هو ما يُلبسه الشيخ لمريده بيده لأجل أن يتلبس ويتخلق بأخلاق شيخه، وللبركة بشيخه كذلك ، ولأن يكون تذكارا للمريد للثبات على حاله. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص١٧٨-١٧٩

(٤) أي: من الأمور التي نقلها جد الشيخ في كتابه حلية البشر مما هو ناقل لها غير قائل بها .

(٥) حلية البشر، المقدمة ص٢٢

(٦) لابن عربي الطائي (ت:٦٣٨هـ)

(دخلت مرة على بعض الأجلاء وقد تحلقت حوله جماعة قد وهن العظم منهم، واشتعل الرأس شيبا ! فرأيت الشيخ يقرأ لهم "الفتوحات المكية"، و"حاشية الدر"(١) من فقه الحنفية.

فتعجبت وتحيرت في الأمر، وقلت: لا أدري ! هل هذه الطبقة من الطلاب دعت الأستاذ إلى قراءة هذين الكتابين المشتملين على مجلدات كثيرة لا يفهمها من الرجال إلا من مارسها السنين الطوال ، أو أن مثل هذه الكتب قد استدعت هذه الطبقة من الطلبة؟!!

وبعد الفراغ من الدرس تقدمت من الأستاذ وذكَّرته بأن الفتوحات وأمثالها من كتب القوم، قد أُلِّفت بلسان خاص لطائفة من الناس سلكت مسالكهم ووقفت على مصطلحاتهم ومقاصدهم، وأن هؤلاء العوام ربما فهموا ما ليس مقصودا لأهلها، كما وقع لكثير منهم في عصور مختلفة، فكانت عاقبتهم أن نبذوا الشرع الشريف، ووقعوا في ضلال مبين !

ثم قلت له : إذا بدا لهم أن يقرؤوا كتابا في التصوف الإسلامي يزكي النفوس ويغذيها بلِبَان الحقائق العالية، ويحليها بالأخلاق العالية؛ فهذا كتاب "منازل السائرين"(٢) الذي شرحه الإمام ابن قيم الجوزية بكتاب قيم سماه : مدارج السالكين(٣) ، تكلم فيه بلسان الشرع الذي هو لسان الحقيقة، وأودع فيه من المباحث العالية، والحقائق الرائعة ما يندر وجود مثله في غيره.

---

(١) هي حاشية ابن عابدين المسماة : رد المحتار على الدر المختار –شرح تنوير الأبصار وجامع البحار– للحصكفي، في فروع الفقه الحنفي.

(٢) لعبد الله الأنصاري الهروي (ت:٤٨١هـ)

(٣) قال ابن قيم الجوزية فيه ١٦٨/١ عن منازل السائرين :(فرحمةُ الله على أبي إسماعيل، فتح للزنادقة باب الكفر والإلحاد، فدخلوا منه وأقسموا بالله جهد أيمانهم: إنه لمنهم، وما هو منهم، وغرَّه سراب الفَناء، فظن أنه لُجةُ بحر المعرفة، وغاية العارفين، وبالغ في تحقيقه وإثباته).

فاهتم الأستاذ بما قلت، وطلب الكتاب، فتحققت أنه متى تيسر لمثل هذا الأستاذ صنف من الطلاب لهم وقوف على حركة المطابع، ورغبة في قراءة النافع الملائم لروح الزمن، فلا يحجم عن مشاركتهم في ذلك)[١] .

وقد تكلم الشيخ عن كتابين آخرين من كتب الصوفية وهما فصوص الحكم لابن عربي ، وتائية ابن الفارض وقرر بأن فيهما نصوص كثيرة تحتوي على الكفر الصريح الذي لا يمكن تأويله، فقال في أثناء حديثه عن كتابي البقاعي: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد:

(وأما هذان الكتابان المطبوعان معا-وكلهما للمفسر البقاعي- ، ففي أولهما نصوص كثيرة من فصوص الحكم لابن عربي (الشيخ الأكبر)، وفي ثانيهما أبيات منوعة من تائية ابن الفارض (سلطان العاشقين) المسماة بنظم السلوك، وهي تقرب من ثمانمائة بيت، وفي هذا وذاك الكفر الصريح الذي لا يحتمل الجدل ولا التأويل، وبنى البقاعي حكمه هذا على النقول الكثيرة من نثر الأول ونظم الثاني)[٢] .

وفي الموقف من أبي حامد الغزالي **غلا** الشيخ في مدحه فوصفه بأنه مصلح ومجدد، فقال :

(وقد كان الإمام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الإسلام المصلحين في أصول الإسلام وفروعه وآدابه، اعترف له بذلك العلماء، وعدوه من المجددين المشار إليهم

---

(١) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٤٩-٥٠

(٢) انظر: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد، للبقاعي ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣١/٣٢ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ.

بحديث: ((إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)) رواه أبو داود والحاكم في المستدرك والبيهقي في المعرفة من حديث أبي هريرة[1])[2] .

بل نقل الشيخ قول الإسنوي في أبي حامد أنه (لا يبغضه إلا ملحد أو زنديق) مقرا له، غير معقب عليه، ودون نقل أي قول آخر([3]).

وبعد أبياتِ أحدِ المتصوفةِ أشدُّ ما فيها من إطراء هو :

منيع حصـــن لو البـدر اســـتجار بـه في ليلـة التَّم في النقصـــــان لم يضـــم
يا من إذا لاذ مـأســـور الـذنوب بـه غـداً، غـدا آمنـا كـالصـــيـد في الحرم

،علق الشيخ عليها بقوله:

جرى العلماء على مثل هذا التوسل والاستشفاع في شعرهم ونثرهم **مع اعتقادهم أن النفع والضر بيد الله** ﷻ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴿١٠٧﴾﴾([4]). وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله))(٥))[6] ثم استدل بأدلة المنع من الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته –السابق ذكرها– .

---

(١) أخرجه أبي داود في سننه : كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ح(٤٢٩١)، والحاكم في المستدرك ح(٨٥٩٢) ، والبيهيقي في معرفة السنن والآثار، باب: ذكر مولد الشافعي رحمه الله ح(٤٢٢) وصححه الشيخ الألباني في عمله على سنن أبي داوود.

(٢) حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، بهجة البيطار ص١

(٣) انظر : المصدر السابق ص٣

(٤) سورة يونس:١٠٧

(٥) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ح(٢٥١٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق وتعليق حفيده: بهجة البيطار ١٢٣٥/٣

قال الباحث: لكن كلام الشيخ هذا فيه توسع في إحسان الظن لا يساعد عليه صريح لفظهم، ففي البيت الأول استجارته بالنبي ﷺ من الضيم ، وفي الثاني اللياذ بالنبي ﷺ في غفران الذنوب!

فكيف يصدر هذا ممن يعتقد النفع والضر بيد الله؟!

ولا يلجأ إلى الاعتذار بهذه الأعذار إلا في الألفاظ غير الصريحة.

فليساعدونا هم بعدم التصريح بمثل هذا الضلال حتى نساعدهم بإحسان الظن وتأويل كلامهم.

وقد أنكر الشيخ على النبهاني الصوفي جعل الأحلام مصدرا مستقلا للحكم على الأشخاص، وذلك لما أوَّل هو رؤية بعضهم عين الشيخ محمد عبده عوراء ، بالدجال، وألزمه الشيخ تنزلا على طريقته بأنه في المقابل رأى أحد الصالحين في النبهاني أن النبي ﷺ غير راض عنه، قال الشيخ رحمه الله -ناظما-:

وأعجب من ذا ما حكاه لبعضهم … برؤية عين الإمام غدت عَوْرا
فأول أن الشيخ دجال عصره … وما زال دجالا وإن سكن القبرا
فإن كانت الأحلام تنهض حجة … ومن لفظها يستنبط الخير والشرا
فإني أخبركم برؤيا عجيبة … رآها تقي صالح يفعل البرا
وقد حج بيت الله في مكة الهدى … وزار الرسول في طيبة الغرا
رأى المصطفي في حالة النوم عنده … وأنواره كالشمس في الصحوة الكبرى
يقول ألا مبلغ كلامي ليوسف … بأن امتداحي منه ليس له ذخرا
وأني عنه غير راض وإن يكن … غدا مادحي نظما غدا مادحي نثرا
وهذا هو المعهود في سيد الورى … وهذا هو المعهود في من درى الأمرا
فإن التآليف التي قد نشرتها … بمدح إمام المرسلين أبي الزهرا
فأنت بها تبغي الدنا وحطامها … ولست بها تبغي المثوبة والأجرا[١]

---

(١) الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى، بهجة البيطار، ضمن كتا ب: ست منظومات في الرد على الصوفي يوسف النبهاني، اعتنى بها سليمان الخراشي ص١٩٨-١٩٩

وذكر جد الشيخ في ترجمة محمد المبارك الحسني الدلسي[١] أنه سمع من كثيرين أن الجن أخذوا عن المترجَم، فقرر الشيخ أن رسول الله ﷺ وهو أفضل ، لم يَعْلَم أن الجن استمعوا قراءته للقرآن حتى أعلمه الله ﷻ بذلك، فقال جد الشيخ في حلية البشر :

" وسمعت من كثير ممن كان له تردد إليه، أن طائفة من الجن أخذوا عنه واهتدوا على يديه، وكانوا يتلقون من حِكَمه ومعارفه ويأخذون عنه معاليَ نصائحه ولطائفه"

فعلق الشيخ قائلا:

(قال تعالى في أول سورة الجن من كتابه الكريم : ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ ٢﴾ [٢] فالآية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى إلى نبيه باستماع الجن للقرآن، وهو صلوات الله عليه لم يعلم ذلك إلا عن طريق الوحي، لا أنه اجتمع بهم وعلَّمهم، فكيف يكون لواحد من أمته لم يكن له ﷺ؟ وما آفة الأخبار إلا رواتها)[٣] .

هذا وقد وصف جدُّ الشيخِ أمينَ بن عبد الغني البيطار[٤] بالغوث وقطب[٥] مركز عالم التكوين في نظم له ، فبين الشيخ غلو وخطورة ذلك على عقيدة التوحيد، قال جد الشيخ –قبل رجوعه إلى مذهب السلف– في وصف الأمين السابق:

---

(١) محمد المبارك المغربي الجزائري الدلسي الحسني المالكي، صوفي على الطريقة البكرية الخلوتية، كرين جواد، جاهد ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، توف عام ١٢٦٩هـ. انظر: حلية البشر ص١٣٧٣–١٣٧٥

(٢) سورة الجن:١–٢

(٣) حلية البشر ص ١٣٧٢

(٤) هو أمين بن عبد الغني بن محمد بن إبراهيم البيطار الحنفي ، ولد بدمشق، طرقي، وفقيه حنفي، إمام جامع السنانية في دمشق، توفي عام ١٣٢٦هـ. انظر: حلية البشر ٣٤٢

(٥) للصوفية تراتيبُ لأئمتهم المستورين أعلاهم القطب : وهو الغوث حين الالتجاء إليه، والقطب يفيض بالحياة على العالم العلوي والسفلي كما يزعمون، ويتصرف في الكون، والقطب لا يكون إلا

بشــــرى دوامــا لــلـمشـــــير أمــين نال المــنى بجــوار ذي الــتـمــكــين
بحر العـلـوم العــارف الغـوث الـذي هــو قـطـب مـركـز عــالم الـتـكـويـن

فعلق الشيخ قائلا:

(بينا في مواضع من هذا الكتاب ما في هذا الغلو من خطر على عقيدة التوحيد، فإن طلب الغوث من أهل القبور أنفسهم، وجعلهم قطب مركز عالم التكوين في طلب الحوائج وزوال الشدة، وتفريج الكرب، كل هذا لا يدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال، بل هو من توسل الغلاة والجهال ، فلا تطلب هذه المطالب إلا من ذي العزة والجلال)[(١)] .

وقد عرف الشيخ البدل والوتد عند الصوفية، ونفى وجوده في الشريعة اسما ومسمى، فقال رحمه الله:

(واحده : بدل ووتد، وهو اصطلاح صوفي لمن يطلقون عليهم أوتاد الأرض، وكلما قضى واحد منهم ومضى إلى ربه، بُدِّل بواحد آخر غيره، وليس في الشريعة لذلك اسم ولا مسمى)[(٢)] .

وفي موضع آخر أبرز الشيخ الأوصاف الموافقة للشريعة من معاني الأبدال، وأظن ذلك دعوة لهم إلى أن يقتصروا عليها، دون ما لم يشهد له الشرع، قال جد الشيخ في ترجمة المرادي بن طاهر بن القطب مراد[(٣)] :

"إلى أن صار من أوتادها وأقطابها"

فعلق الشيخ قائلا:

واحدا في كل زمان. انظر: التعريفات للجرجاني ص٢٥٨، ومعجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني ص١٨٥

(١) حلية البشر ص ٣٥٠ وانظر منه ص٩٢٨

(٢) حلية البشر ص٩٢٩

(٣) هو عبد الله (المعروف بالمرادي) بن طاهر بن عبد الله بن مصطفى بن مراد، ولد بسوريا، فقيه مفتٍ، صوفي على الطريقة النقشبندية، توفي عام ١٢١٢هـ. انظر: حلية البشر: ص١٠٠٨

(أي : من أركانها وأعيانها، وللعلامة الشهير السيد محمد عابدين رسالة مطبوعة في مجموعة رسائله، اسمها : "إجابة الغوث ببيان حال النقبا والنجبا والأبدال والأوتاد والغوث[1]" وفيها صفاتهم وعاداتهم، ومراتبهم وبلدانهم، وأعمالهم، وعدد كل صنف منهم. وخير ما وصف به الأبدال : سخاء النفس، وسلامة القلوب، والنصيحة لأمتهم، ومن صفاتهم أيضا أنهم : يعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله)[2] .

هذا وقد استخدم الشيخ كلمة الأقطاب في كلامه بمعنى الذين يُرجع إليهم، ويُقتدى في الدين، ذلك بدلالة السياق، فقال رحمه الله:

(قال أبو عبد الرحمن السلمي[3] : "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد اللّه بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا ".

فهذه هي الطريقة المثمرة التي تجدد لنا عهدا بدراسة أولئك الأقطاب الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض، ومكن لهم فيها، وأورثهم علوم الأمم وحضارتهم، وهذا المنهاج القديم هو الذي يطبع الدارسين بطابع اللغة والإسلام والفضيلة)[4] .

---

(١) تدور معاني أسماء النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث على أئمة مستورين –لايعرفون– عند الصوفية، يقوم الكون في بقائه عليهم، أعلاهم الغوث، وأدناهم النقباء، ويختلف الصوفية في عددهم، وحتى ترتيبهم، وهذه التراتيب باطلة قد أخذها الصوفية من الروافض . انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ٢٠٧/١

(٢) حلية البشر ص١٠٠٨

(٣) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، تابعي، ثقة ثبت. روى له أصحاب الكتب الستة. انظر: تقريب التهذيب ص٢٩٩، والكاشف للذهبي ٥٤٤/١

(٤) تفسير القرآن الكريم ، الإمام الثوري برواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة عنه (تعريف) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥١٧/٤١ ربيع أول ١٣٨٦هـ.

المطلب الرابع:الخوارج

الخوارج : علم على الفرقة التي ظهرت بعد التحكيم، وتكفر بمجرد الذنوب، وتخرج على الإمام المسلم إذا جار[1] .

وهي فرق متعددة لكنها تجتمع على :

١-التبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما.

٢-تكفير من أذنب وتخليده في النار أبدا.

٣-الخروج على الإمام المسلم إذا جار[2].

أما حكمهم فقد اختلف أهل السنة والجماعة فيهم على قولين:

الأول : تكفيرهم ، وأشهر أدلتهم: حديث: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية))[3] و ((شر الخلق والخليقة))[4] ، ولأنهم كفَّروا بعضَ خيار الصحابة بما يتضمن تكذيب الشهادة لهم بالجنة.

---

(١) **وأسفتُ** عندما رأيت الذين قاموا بتأليف الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والفرق المعاصرة، بإشراف د/مانع الجهني ١٠٥٣/٢ = نقلوا عن الشهرستاني في الملل والنحل ص١٣٢ تعريف الخوارج : "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم علي التابعين بإحسان، **والأئمة في كل زمان**". **فحذفوا آخر جملة منه –وهي "والأئمة في كل زمان"– دون إشارة، وهذا الصنيع يخالف الأمانة في النقل**.

(٢) انظر : الملل والنحل ، الشهرستاني ص١٣٣

(٣) رواه مسلم ضمن حديث في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح(١٠٦٤)

(٤) رواه مسلم: كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة ح(١٠٦٧).

الثاني: عدم تكفيرهم، وإلحاقهم بالبغاة، بدليل سيرة الصحابة فيهم؛ حيث لم يكفروهم، وعاملوهم معاملة البغاة عندما قاتلوهم[1] .

وقد قرر الشيخ قسوتهم وجفوتهم، وفظائعهم من قتل وإهلاك للمسلمين، وإنكارهم بعض الضروريات التي أتت بها السنة، فقال رحمه الله:

(إن من سبر تاريخ الخوارج ، ودقق النظر في أمرهم علم أنهم رجال شدة وجفوة، قلوبهم قد قست، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، ولقد -والله- أتوا بفظائع تقشعر منها الأبدان، وتشيب لهولها الولدان، ويخجل لذكرها وجه الإنسانية، وتَمُجُّ سماعها الطباع البشرية، فلقد قتلوا الرجال وأهلكوا الأطفال، وذبحوا الأمهات، والبنين والبنات، حتى إنهم كفَّروا من لم يعتقد معتقدهم، أو يرى رأيهم، واستباحوا دمه وماله وأهله وعياله، ومنهم من أجاز نكاح بنت الابن والأخت، ومنهم من أنكر سورة يوسف، ومنهم من أنكر الصلوات الخمس، وقال : صلاة بالغداة وصلاة بالعشي، ومنهم من أوجب الصلاة على الحائض)[2] .

ثم نقل عن ابن حزم سبب ذلك وهو قلة فقههم، فقال رحمه الله:

(ذلك بأنهم كما قال الإمام ابن حزم[3]: "كانوا أعرابا قرؤوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمرو ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة ولا أصحاب أبي موسى ولا أصحاب معاذ بن جبل ولا أصحاب أبي الدرداء ولا أصحاب

---

(١) انظر : الخوارج ، ناصر السعوي ص٢٠٢ ، والمختصر في الأديان والفرق، عيسى السعدي ص١٥-١٨

(٢) نقد عين الميزان، بهجة البيطار، عناية : سليمان الخراشي ص١٢٩ ط١ دار الآل والصحب ١٤٣١هـ

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ١٢١/٤

سلمان ولا أصحاب زيد وابن عباس وابن عمر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها")[1] .

ثم قرر الشيخ أن **حكمة الله قضت بأن الأرض يرثها من يصلح لاستعمارها، لا** أمثال الخوارج، فقال رحمه الله:

(وقد قضت حكمة الله في خليقته أن يورث أرضه لمن صلح لها من العباد، ووفق لطريق الحكمة والسداد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. [2] ومعناه: الصالحون لاستعمارها، وتدبير شؤونها وكيفية استثمارها، العارفون كيف تُساس البلاد والسكان على وفق أصول الاجتماع ونظام العمران، والخوارج ما عرفوا شيئا من ذلك، بل كان دأبهم الحرب والطعن والضرب والسلب والنهب، فلم يقاتلوا عدوا في الدين، ولا فتحوا بلدا للمسلمين، بل كان حربهم مقصورا على إخوتهم، إذ كانوا يعتقدونهم كفارا، ويتقربون إلى ربهم بإصلائهم نارا، فلذلك كان من حكمة الله تعالى أن دمرهم عن آخرهم، وأراح المسلمين من شرهم)[3]

ثم ضرب مثالا على ما سبق بحال المسلمين أيام عز حضارتهم، وأيام انحطاطها، فقال رحمه الله:

(ألا ترى أنا لما كنا صالحين لاستعمار الأرض -أيام كان الإسلام في حضارته ونضارته- كيف امتدت سلطتنا، وعلت كلمتنا وقوي نفوذنا، وخضع العالم لقوة سلطاننا، ولما انحرفنا عن جادة الصراط السوي، كيف انقلب الحال وساء المآل، وقام أناس من بيننا أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يزعمون أنهم مصلحون، ويشهد الله أنهم مفسدون،

---

(١) نقد عين الميزان ص١٢٩-١٣٠

(٢) سورة الأنبياء:١٠٥

(٣) نقد عين الميزان ص١٢٩-١٣٠

وأنهم فيما زعموه من الإصلاح لكاذبون : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ (١))(٢) .

ثم لما ذكر الشيخ ما عليهم : ذكر ما لهم من زهدهم وتقواهم وصدقهم، وأن قتالهم لم يكن لدنيا، ولكن لأجل الدين ! فقال رحمه الله:

(وأرجع الآن إلى ذكر الخوارج ، وقد ذكرت هناك ما عليهم، فها أنا ذا أذكر ما لهم، فأقول : إنهم كانوا أصحاب زهادة ، وتقوى وعبادة، وكان بعضهم يقضي نهاره صائما ، وليله قائما، صادقين في اللهجة يرون الكذب كفرا، شديدي التحرج عن الوقوع في المأثم، ولقد **قاتلوا لأجل الدين،** ولم يكن قتالهم لتحصيل رئاسة ولا لنيل منصب، ولا فوز بوجاهة ، ولا إصابة مغنم، فإن نسكهم معروف، وزهدهم شهير)(٣) .

قال الباحث : أما تعبدهم وزهدهم، وصدقهم ، وتنزههم عن الكذب، فثابت، **أما قتالهم لأجل الدين ، فيحتاج إثباتا.**

ثم ذكر الشيخ أخبارا في زهدياتهم، وأطنب في نقل الأخبار، وأكتفِي في النقل بما يحقق المقصود من موقف الشيخ تجاه الخوارج، قال الشيخ رحمه الله:

(وأنقل من زهدياتهم شيئا مما ذكره ابن أبي حديد رحمه الله في نهج البلاغة لأمير المؤمنين رضي الله عنه، قال رحمه الله تعالى: قال أبو العباس : ولأبي بلال مرداس(٤) في الخروج أبيات اخترت منها قوله:

---

(١) سورة البقرة:١١-١٢

(٢) نقد عين الميزان ص١٢٩-١٣٠

(٣) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٣٢-١٣٣

(٤) مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظليّ التميمي، أبو بلال، ويقال له: مرداس بن أدية، وهي أمه، كانت الخوارج كلها تطيعه، لتعبده الشديد كما قال صلى الله عليه وسلم عنهم : ((تحقرون صلاتهم مع صلاتكم..)) ، شهد صفين مع علي، والنهراوان، وأنكر التحكيم، قتله وأصحابه جيشُ ابن زياد الثاني، بعد هزيمة جيشه الأول، توفي عام٦١هـ. انظر: الكامل في التاريخ ، لعز الدين ابن الأثير ٣/١١٠-١١٢ ، والأعلام للزركلي ٢٠٢/٧

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى ... ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
أحبُّ بقاء أو أُرجي سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصين ومالكا
فيا رب سلم نيتي وبصيرتي ... وهب لي التُّقى حتى أُلاقي أولئكا

وقال عيسى بن فاتك الخطي[1]:

ألا في الله لا في الناس شالت ... بداود وإخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا ... تحوم عليهم طيرا وقوع
إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع)[2]

ثم نقل الشيخ قصة عروة بن حدير مع زياد بن أبيه من كتاب الكامل ، فقال الشيخ رحمه الله:

(ذكر أبو العباس المبرد في الكتاب "الكامل"[3] : أن عروة بن أدية[4] -أحد بني ربيعة بن حنظلة-ويقال : إنه أول من حكم- حضر[5] حرب النهروان، ونجا فيها فيمن نجا، فلم يزل فيها باقياً مدة من خلافة معاوية، ثم أخذ وأُتي به زياد ومعه مولى له، فسأله عن أبي بكر وعمر، فقال خيراً، فقال له: فما تقول في عثمان بن عفان وفي أبي تراب؟ فتولى عثمان ست سنين من خلافته، ثم شهد عليه بالكفر! وفعل في أمر علي مثل ذلك إلى أن حكَّم، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاوية، فسبه سباً قبيحاً! ثم سأله عن

---

(١) لم أظفر له على ترجمة.
(٢) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٣٣
(٣) ٣/١٣٣-١٣٤
(٤) عروة بن حدير التميمي، وأدية أمه، أخو مرداس السابق ترجمته، حضر النهرواون، أول من قال: لا حكم إلا لله ، وسيفه أول سيف سُل من أباة التحكيم، توفي عام ٥٨هـ. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/١١٠، والأعلام للزركلي ٤/٢٢٦
(٥) كذا في كتاب الشيخ بهجة ، وفي الكامل: "ويقال فيما يروى من الأخبار إن أول حككم عروة بن أدية " ٣/١٣٣

نفسه؟ فقال: أولك لريبة وآخرك لدعوة، وأنت بعد عاص لربك! ثم أمر به فضربت عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صف لي أموره؟ فقال: أأطنب أم أختصر؟ فقال: بل اختصر، فقال: ما أتيته بطعام بنهار قط، ولا فرش له فراشاً بليل قط)[1] .

ثم بعدما نقل الشيخ مجموعة من أخبار زهدهم وشجاعتهم وتعبدهم قرر أنه قليل من كثير وأحال من أراد التوسع على ابن أبي حديد في نهج البلاغة، فقال رحمه الله:

(وما أوردته في هذه العجالة، فهو شذرة من أشعارهم، وقليل من زهدياتهم، وأخبارهم، ومن أراد أن يسبر غور أمرهم، ويقف على حقيقة حالهم ومقالهم، فعليه بكتب التواريخ والملل والنحل، ومن أحسن من كتب ذلك[2] وتوسع الإمام أبو العباس محمد بن يزيد بن المبرد في كتابه الكامل، والإمام عز الدين ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة)[3] .

قال الباحث: لكن لا يستحق ابن أبي الحديد وصف الإمام، وذلك لعقيدته الاعتزالية الرافضية[4] .

أما في الحكم على الخوارج فكان رأي الشيخ أن متقدميهم قد مرقوا من الدين بخلاف المتأخرين، وقد حمل الشيخ الحديث الوارد في مروقهم من الدين على متقدمي الخوارج ، فقال الشيخ رحمه الله:

(أما الحديث المروي في الصحيح، فهو نص في مروق من قاتلهم علي وقتلهم من الدين، ومن تأخر منهم لا يكون مارقا من الدين، ويشهد لذلك قوله ﷺ : ((آيتهم

---

(١) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٣٤-١٣٥

(٢) كذا ، ولعلها: في ذلك.

(٣) نقد عين الميزان ص١٣٦

(٤) وهو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: عالم بالأدب، له اطلاع واسع على التاريخ، وكان حظيا عند الوزير ابن العلقميّ الرافضي، توفي عام ٦٥٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي٣/٢٩٨، ومقدمة كتاب: تشريح نهج البلاغة ، لمحمود الملاح ص٥٦-٨٠

رجل أسود))[1] ، وهو ذو الثدية، وقد وُجِد هذا يومَ النهراوان صريعا بين القتلى، كما أخبر عنه رسول الله ﷺ)[2] .

ثم قال الشيخ رحمه الله:

(وإذا لم يكفِّر علي من خرجوا عليه وقاتلهم وقتلهم يوم النهراوان -وهم المرادون من الحديث النبوي- ولم يكفرهم من قاتلهم معه من الصحابة، فأولى وأحرى أن لا يُكَفَّر من جاء بعدهم، ولم يشهد وقعة النهراوان، وهم غير مرادين من الحديث النبوي)[3] .

قال الباحث: وهذا القول بالتفريق في الذم بين متقدمي الخوارج ومتأخريهم وحمل النصوص الواردة في ذلك على المتقدمين ، لم أقف على أحد قال به.

ثم إن الأوصاف التي جاءت في النصوص بشأن الخوارج ، لم تفرق بين متقدمين ومتأخرين، وعموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال والأمكنة **والأزمنة** والمتعلقات[4] ؛ لأن الإسلام مُصْلِح لكل زمان ومكان، ويعلم الله عز وجل ما سيكون من أمر الخوارج، ولو كان التفريق بين متقدميهم ومتأخريهم صحيحا لبُيِّن في الشرع.

ثم قرر الشيخ أن ما فعلوه بالمسلمين-:أطفالا ونساءً- من تقتيل لهم ، هم فيه مجتهدون مستدلون! فقال رحمه الله:

(ثم إن ما أتوه من تقتيل الرجال، والنساء، والصبيان ، هم فيه مجتهدون، وعلى جميع مآتيهم مستدلون -وإن أخطأوا في ذلك)[5] .

---

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ح(٣٤١٤) ورواه مسلم: كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح(١٠٦٤).

(٢) نقد عين الميزان ص١٣٦، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٥٥

(٣) المصدر السابق ص١٣٧، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، بهجة البيطار ص١٣١،٦

(٤) انظر: مختصر التحرير في أصول الفقه، لابن النجار الفتوحي ص٧١

(٥) نقد عين الميزان، بهجة البيطار ص١٣٨

قال الباحث: ليت الشيخ لم يخض في ذلك ، وهل المعتزلة والرافضة وسائر الفرق المنحرفة لا يستدلون؟!

وهل كل من استدل وخالف يكون مجتهدا معذورا ، كيف يُقال هذا –وقد أقام ابن عباس عليهم الحجة وأزال الشبهة– ؟

لا أدري هل الشيخ لم يستحضر الفرق بين المسائل الاجتهادية التي يعذر فيها المخالف –ويكون دائرا بين الأجر والأجرين– ، والمسائل الخلافية التي لا يعذر فيها المخالف ؟

ثم احتج الشيخ على أن الخوارج طلاب حق أخطؤوه بأثر –لا أصل له– عن علي بعدم قتالهم، فقال رحمه الله:

(وأنقل في هذا المقام عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما يطمئن به القلب، وينشرح له الصدر، وينحل به الإشكال، ويتبين به أنهم طلاب حق أخطؤوه، قال رضي الله عنه : ((لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الخطأ فأصابه)) ، قال الرضى: يعني : معاوية وأصحابه)(1) .

قال الباحث:لكن هذا الأثر الذي لا يدرى سنده : معارض أولا للحديث النبوي الصريح بالأمر بقتالهم، وبسيرة علي رضي الله عنه في قتالهم.

وقد استدل الشيخ أيضا على أن من لم يقاتل عليا طالب حق معذور بخبر أورده الطبري في تاريخ الأمم والملوك(2)، فقال رحمه الله:

---

(١) نقد عين الميزان ، بهجة البيطار ص١٤٣

(٢) تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر الطبري ٥/٨٩

(قال الإمام أبو جعفر الطبري : قال أبو مخنف[١] ، عن مجاهد، عن المحل[٢] بن خليفة أن رجلا منهم من بني سدوس يقال له العيزار بن الأخنس [٣] كان يرى رأي الخوارج، خرج إليهم، فاستقبل وراء المدائن عدي بن حاتم ومعه الأسود بن قيس[٤] والأسود بن يزيد[٥] المراديان، فقال له العيزار حين استقبله: أسالم غانم، أم ظالم آثم؟

فقال عدي: لا، بل سالم غانم، فقال له المراديان: ما قلت هذا إلا لشر في نفسك، وإنك لنعرفك يا عيزار برأي القوم، فلا تفارقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين فنخبره خبرك فلم يكن بأوشك أن جاء علي فأخبراه خبره، وقالا: يا أمير المؤمنين، إنه يرى رأي القوم، قد عرفناه بذلك، فقال: ما يحل لنا دمه، ولكنا نحبسه، فقال عدي بن حاتم: يا أمير المؤمنين، ادفعه إليَّ وأنا اضمن ألا يأتيك من قبله مكروه فدفعه إليه.

---

(١) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي الغامدي، أبو مخنف: راوية، عالم بالسير والأخبار، إمامي، تالف في الحديث، من أهل الكوفة. له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره وما كان قبله بيسير، توفي عام : ٥٧ . انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٤١٩/٣ ، والأعلام للزركلي ٢٤٥/٥

(٢) في نقد عين الميزان للشيخ بهجة –عناية الخراشي-: "الحل" ، والتصحيح من تاريخ الطبري، وتقريب التهذيب لابن حجر ص٩٢٤، وهو هو مُحِل بن خليفة الطائي تابعي ، ثقة، روى له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه. انظر: الكاشف للذهبي ٢٤٥/٢ وتقريب التهذيب لابن حجر ص٩٢٤

(٣) هو العيزار بن الأخنس الطائي ثم السنبسي، كان ممن شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم رجع عنه بعد التحكيم، وصار من الشُّراة، وقاتل عليا يوم النهروان مع الخوارج فقتله علي رضي الله عنه، وكان شاعرا. انظر: بغية الطلب من أخبار حلب لكمال الدين ابن العديم ١٣٢٣/٣

(٤) الأسود بن قيس العبدي، ويقال: العجلي الكوفي يكنى: أبا قيس، تابعي ثقة، روى عنه أصحاب الكتب الستة . انظر: الكاشف ٢٥١/١، وتقريب التهذيب ص١١١

(٥) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن، تابعي مخضرم ثقة مكثر فقيه، روى عنه أصحاب الكتب الستة. انظر: الكاشف للذهبي٢٥١/١، وتقريب التهذيب ١١١

قلت[١] : هذا أيضا مما يؤيد أن هناك فرقا بين من قاتله رضي الله عنه ومن لم يقاتله، وإلا فلِمَ استحل دم أولئك ولم يستحل دم هذا؟ ولماذا أمر بحبسه دون قتله؟ فقال: "ما يحل لنا دمه ولكن نحبسه"، أليس لهذه الشبهة التي دخلت عليه في الدين وهو مسلم باق على إسلامه، أفيجوز بقاؤه حيا لو كان مرتدا عن دينه؟ أليس ذلك لأنه طلب الحق فأخطأه كما قال علي رضي الله عنه فيما تقدم؟ اللهم نعم)[٢] .

قال الباحث: لكن أبا مخنف إخباري تالف[٣] ، وقد سبق الرد على ادعاء أنهم مجتهدون بطلبهم الحق، وأزيد بأن ما سبق في موقف الشيخ من الخوارج ينطبق عليه ضابط القول الشاذ بتمامه[٤] .

وفي قَوْلَيْ أهل السنة بتكفير الخوارج وعدم تكفيرهم ، حمل الشيخ قول الحاكمين بتكفيرهم على من كانوا زمان علي رضي الله عنه، قال الشيخ رحمه الله:

(وحاصل هذا البحث كله أن المتكلمين في الخوارج على قسمين :

قسم لم يحكموا بكفرهم ومروقهم من الدين، كعلي ين أبي طالب، ومن قاتلهم معه من الصحابة، كما تقدم من قوله رضي الله عنه :" هم من الشرك فروا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا"[٥] ،" لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الخطأ فأصابه"[٦] ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ذلك.

---

(١) أي :البيطار.

(٢) نقد عين الميزان ، بهجة البيطار ص١٤٤-١٤٥

(٣) قال الذهبي عنه:(إخباري تالف لا يوثق به) ميزان الاعتدال ٤١٩/٣

(٤) **القول الشاذ: هو القول الذي ينفرد به نفر قليل عن عامة أهل العلم مع ضعف المأخذ.** انظر القول الشاذ وأثره في الفتيا ، أ.د/أحمد بن علي بن سير المباركي ص٧٧

(٥) سبق بتخريجه .

(٦) لم أقف عليه مسندا بعد تكرار البحث، وأقدم من ذكره ابن أبي حديد (ت:٥٥٦ ه) في شرح نهج البلاغة ٧٨/٥-٧٩ وعنه ذكره من جاء بعده في مصنفاتهم.

وقسم أخذوا بظاهر الحديث النبوي، وحكموا بمروق من أخبر عنهم رسول الله ﷺ أنهم مارقون، وهم الذي أولهم ذو الخويصرة **وآخرهم ذو الثدية**،والله أعلم)[1] .

قال الباحث : لا يصح حمل النصوص الواردة في ذم الخوارج ومروقهم من الدين على المتقدمين الذين آخرهم ذو الثدية دون المتأخرين، ولا بد من دليل على هذا التفريق.

وقد نقل الشيخ عن أبي محمد عثمان العراقي الحنفي صاحب كتاب الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، أصل دعوتهم، وعدد فرقهم، فقال رحمه الله:

(قال : وأما أصل دعوتهم فبناؤهم على أنهم يتبرؤون من علي ويكفرونه، وبعضهم يكفر أصحاب الذنوب من هذه الأمة ويكفرون تارك الصلاة، ثم عقد فصلا فيما تشعب من هذا الأصل، وهم اثنتا عشرة فرقة وعَدَّها، وبيَّن مذاهبها وردها)[2] .

وقد قرر الشيخ وجود الخوارج في العصر الحاضر، وعددهم ما يزيد على عشرة ملايين، وأماكن وجودهم في جاوى[3] والمغرب العربي، فقال رحمه الله:

(..أن الخوارج موجودين إلى اليوم، وهم ما يزيد عن عشرة ملايين ، ولهم مذهب خاص بهم، وكتب من الفقه والتفسير، وجلهم في جاوى ومنهم الإباضية في تونس والجزائر وبقية المغرب وهم يجاهرون بمذهبهم ويطبعون منه المجلدات)[4] .

---

(١) نقد عين الميزان ، بهجة البيطار ص١٤٥

(٢) الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، أبو محمد عثمان العراقي الحنفي (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٦٤/٣٧ جمادى أولى ١٣٨٢هـ.

(٣) تسمى في كتب معاجم البلدان : جاوة، وهي بلاد على ساحل بحر الصين مما يلي بلاد الهند، وتقع حاليا ضمن أندونسيا: في الجزء الشرقي منها، وقد دخلها الإسلام ضمن بلاد الملايو في حوالي : القرن السابع. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني ٢٩/١، وأطلس التاريخ الإسلامي لحسين مؤنس ص٣٠

(٤) النفخة علي النفحة والمنحة ، ناصر الدين الحجازي الأثري (اسم مستعار لبهجة البيطار) ص٥٤-٥٥

المطلب الخامس:المتكلمون

علم الكلام : هو العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية – المأخوذة من فلسفة اليونان–.

والمتكلمون : كل من تكلم في الله ﷻ بما يخالف الكتاب والسنة، وهم : الجهمية والمعتزلة والأشاعرة[1] .

وليس كل كلام في العقائد مذموما، والكلام الذي عناه السالفون بالذم، هو الأصول والمسائل التي ابتدعوها وتكون مخالفة للكتاب والسنة[2] .

وبتحديد المعنى المذموم من الكلام؛ يكون سبب تسميتهم بالمتكلمين –عند أهل السنة– : ابتداعهم الكلام بمسائل وأصول تخالف الكتاب والسنة.

وأصناف المتكلمين متفقون على أصل المنهج الكلامي الذي يسلكونه في العقيدة، وإنما يختلفون بالتوسع فيه من عدمه[3] .

نشأة علم الكلام:

وقد بقيت رواسب الفلسفة اليونانية فيمن دخل الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى، وكانت سببا في انشقاق رؤوس المبتدعة أمثال : الجعد والجهم وواصل بن عطاء.

ومنذ أنشأ المأمون دار الترجمة لنقل كتب اليونان إلى العربية : انتشرت بدعة الكلام، وتسربت إلى العلوم الأخرى.

---

(١) انظر : تاريخ ابن خلدون ١/ ٥٨٠، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان بن صالح الغصن ١/ ١٩–٢١، ٢٨–٢٩

(٢) انظر : موقف المتكلمين، للغصن ١/٢٥

(٣) انظر : المصدر السابق ٢/٩١٧

وخير من كشف عواره : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1] .

وفي العصر الحاضر يتعرض علم الكلام إلى الانهيار لسببين:

الأول : إبطال العلم الحديث مبادئَ الفلسفة اليونانية، حتى أن الغربيين أنفسَهم لا يذكرون أفلاطون وأرسطو إلا على سبيل التأريخ.

الثاني : الصحوة الإسلامية[2] والتي هي في غالبها صحوة سلفية[3] .

وقد عرَّف الشيخ علماء الكلام بأكثر باب خالفوا فيه أهل السنة، وهو باب الصفات، وذكر أعيان بعضهم فقال الشيخ رحمه الله:

(.. ومناظرةٌ لعلماء الكلام المؤولةِ لآيات الصفات، والمعطلة لمعانيها اللغوية والشرعية، كالجهمية والمعتزلة والقدرية)[4] .

وقد نبه الشيخ على أن الكتب الكلامية لم تبن العقائد فيها على الأدلة النقلية، وعلى ما كان عليه السلف، فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) كما في كتبه : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ودرء تعارض العقل والنقل، وغيرهما.

(٢) سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حكم إطلاق مصطلح الإسلامية فإجازه؛ لأن إطلاق ذلك بناء على حال الناس قبل ذلك، واستخدمه الشيخ ابن عثيمن في مواضع أخرى. انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢٦/ ٢٥٥، ٢٥/ ٥٥٣، ٥٥٥، ولقاء الباب المفتوح لقاء رقم (٢)، ص٢٤

(٣) انظر : أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص٥٠-٥١ ط البيان عام ١٤٣٣هـ

(٤) مجموعة تفسير شيخ الإسلام صححه وعلق عليه : عبد الصمد شرف الدين (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٣٦/٣٠ صفر ١٣٧٥هـ .

(والكتب الكلامية المذهبية المتداولة لم تبين[1] العقائد فيها على قواعد الأدلة، ووصف ما كان عليه في القرون المفضلة)[2] .

وقد نقل الشيخ عن الفخر الرازي جعله الكلام حرفة الأنبياء، وأنهم لم يبعثوا للخلق إلا لأجلها !! وذلك عند تفسيره قوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].فنقل الشيخ كلامه حاكما على علم الكلام بالابتداع.

قال الشيخ رحمه الله:

(..تعال فانظر ما قاله في تفسير هذه الآية أشهر المفسرين المتكلمين الفخر الرازي رحمه الله، فقد فسرها تفسيرا جعل الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من محترفي صناعة الكلام **المبتدع**، والمشتغلين بعلم الأصول المستنبط المكتسب، فاقرأ وتعجب.

قال في ج٥ تفسير الرازي ص١٧٢ : "وهذه الآية تدل على أن حرفة الكلام وعلم الأصول حرفة الأنبياء عليهم السلام وأن الله ما بعثهم إلى الخلق إلا لأجلها"[4])[5] .

فرد عليه الشيخ بأن غاية الرسل والكتب –بالضرورة– توحيد العبادة، قال رحمه الله:

(وأقول : لقد علم بالضرورة أن الأنبياء عليهم السلام قد أوحي إليهم أنما الله إله واحد، وقامت الآيات الحسية والعقلية في الآفاق والأنفس على أنه لا رب غيره ، ولا معبود سواه، وجاءت الكتب الإلهية كلها ناطقة بذلك)[6] .

---

(١) **كذا** في الأصل : وأظن الصواب : تُبْنَ .

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢١٤-٢١٥

(٣) سورة يوسف:١٠٨

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للفخر الرازي ١٨/٥٢٠

(٥) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٨٣/٣٥محرم ١٣٥٤هـ

(٦) المصدر السابق .

ثم قرر الشيخ أن السلف لم يسلكوا في معرفة الله وتوحيده طرائق المتكلمين المأخوذة من فلسفة اليونان بتقديم العقل على النقل، ولم يجعلوا لذلك باب الصفات من المتشابه، فقال الشيخ رحمه الله:

(وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان -وهم خير الأمة- لم يسلكوا طريق هؤلاء المتكلمين الذين أوْجبوا النظر فيما ابتدعوه، ولم يأخذوا معرفة الله سبحانه وتوحيده مما نصبه فلاسفة اليونان، ومن دانوا ببدعتهم، مما سموه الأدلة العقلية، والموازين الكلامية، زاعمين أن قوانين المنطق هي القواطع العقلية، وأن ما جاءت به الكتب، وأخبرت به الرسل من صفات الله عز وجل معدود من متشابه الكلام، مصروف عن حقيقته)[1] .

ثم قرر الشيخ فساد المناهج الكلامية الجدلية، بأن السلف طبقوا المناهج القرآنية في الجدل عن العقائد، فأين كانت حينها مناهج المتكلمين الجدلية التي تضاد اللغة وأساليب القرآن، قال الشيخ رحمه الله:

(ولا شك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين هم صفوة الأمة وخيارها، المتبعون للرسول علما وعملا ، كانوا يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والبراهين والأدلة التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى تدبر القرآن وما فيه من البيان، والقرآن[2] قوله سبحانه الذي جاء فيه : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾(٣).

فأين كانت هذه المذاهب الكلامية الجدلية التي تضاد صريح اللغة وفقه القرآن وأساليب البيان)[4] .

ثم مثل الشيخ على انحراف مناهج المتكلمين بمذهبهم في تفسير كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ، فقال الشيخ رحمه الله:

---

(١) المصدر السابق .

(٢) كذا في تفسير الشيخ : (والقرآن)، ولعل الصواب: وفي القرآن.

(٣) سورة المؤمنون:٦٨

(٤) تفسير سورة يوسف، بهجة البيطار، مجلة المنار ١٨٣/٣٥محرم ١٣٥٤هـ

(وحسبك من انحرافها : أن جمهور المتكلمين من أهلها قد فسروا كلمة التوحيد "لا إله إلا الله " التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم بغير ما تدل عليه لغة وشرعا..)[١].

وقد أنكر الشيخ في موضع آخر على الفخر الرازي اقتصاره في إثبات الصفات على صفات المعاني السبع، وتأويل سائر الصفات المثبتة في النصوص على خلاف ما نص عليه الإمام الأشعري في آخر كتبه[٢] ، فقال رحمه الله في أثناء حديثه عن أمهات كتب التفسير -ما لها وما عليها- ومنها التفسير الكبير للرازي:

(إنما يؤخذ على مثل الإمام الرازي رحمه الله : تأويله النصوص القرآنية المنبئة بحقائق الصفات الإلهية، وتفريقه بين ما أثبته منها، كصفات المعاني السبع : الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام -أي: الكلام النفسي دون اللفظي- وما أوَّله : كالعلو والاستواء واليدين والعين، خلافا لما في كتاب الإبانة للإمام أبي الحسن الأشعري)[٣] .

وفي رد الشيخ على المتكلمين في صفة العلو : اعتبر القول بأنه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه فيه نفي للنقيضين، فقال رحمه الله:

(والقول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه فيه نفي للنقيضين)[٤] .

،من آثار علم الكلام المذموم إخضاع عالم الغيب على عالم الشهادة، فلم يفهم المتكلمون من معاني الصفات إلا ما هو موجود في المخلوق، فنفوها عن الله -سبحانه- تنزيها -زعموا-، فأنكر الشيخ عليهم ذلك، فقال -في سياق كلامه عن أمثال جميل الزهاوي[٥] في استهزائه بالحور-:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري ص١٢٠-١٤١

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١٥٩/١

(٤) تفسير جزء تبارك، لعبد القادر المغربي(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥٩٣/٢٥ ذو الحجة ١٣٦٩هـ .

(٥) سبقت ترجمته ص٢٣٧ .

(لقد أشبه هؤلاء الجهميةَ والمعتزلة فيما فهموه من آيات أسماء الله وصفاته، فقد قاسوا الخالق على المخلوق، وزعموا أن الوجه، واليد، والعين، والحب، والكره، والرضا، والغضب، وأشباهها من الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، زعموا أن ليس لها من المعاني إلا ما هو في المخلوق، ثم نزهوا ربهم عنها؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾[١]. ثم أثبتوا لهذه الألفاظ معاني مجازية، وجزموا بأنها المرادة لله تعالى، وأنت تعلم أن هذه المزاعم الأربعة لا يقوم على واحد منها دليل)[٢] .

---

(١) سورة الشورى: ١١

(٢) الحجج الظاهرة في ما هي ملذات الآخرة، عبد القادر المغربي (نقد وتقريظ)، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٦/ ٨١٠ ذو الحجة ١٣٦٩هـ.

الفصل الثالث
جهوده في الرد على الأديان والمذاهب والدعوات الباطلة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهوده في الرد على الأديان الباطلة.

المبحث الثاني: جهوده في الرد على المذاهب والأنظمة والدعوات الباطلة.

المبحث الأول: جهوده في الرد على الأديان الباطلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اليهودية

اليهودية: هي الدين الذي حرفه أتباعه اليهود، وخرجوا به عن الإسلام الذي جاء به نبيهم موسى ﷺ.

والتواءات اليهود وتمردهم على ربهم، وجبنهم ظهر من أيام موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك عندما امتنعوا عن قتال العمالقة[1] في بيت المقدس وقالوا: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[2]، وأيضا تعليقهم الإيمان بموسى على رؤية الله ﷻ جهرة، وعبادتهم عجل السامري في فترة أربعين يوما فقط.

---

(١) العماليق أو العمالقة هم : أولاد عُمَيْلق أو عِمْلاق بن لاوذ بن سام بن نوح، سكنوا البيت الحرام بعد –إسماعيل، وابنه–؛ فضيعوا حرمته، فأخرجهم الله منه ، فخرجوا إلى عدن والمدينة المنورة، وسكنوا أيضا بيت المقدس، وكانت خلقهم عظيمة. انظر: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، لأبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت:٣٤٦هـ) ٨٧/١ ، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: ١١١١هـ) ٢١٧/١

(٢) سورة المائدة: ٢٤

وقد أنزل الله ﷻ التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام ، فتعرضت للضياع زمان تعاقب الغزو عليهم، فجاء كاتبهم عِزْرا وكتبها بعد وفاة موسى بثمانية قرون ! ودون سند[1].

والتحريف الذي يتعلق بالعقيدة في التوراة على ثلاثة أنواع:

١. تشبيه الله ﷻ بخلقه بوقاحة عالية ! وذلك كادعائهم بأن الله ﷻ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع[2] ، وأن الله ﷻ صارع يعقوب من المساء إلى الفجر ![3]

٢. تنقصهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذلك كادعائهم بأن نوحا عليه الصلاة والسلام سكر وتعرى[4] ، وأن لوطا عليه الصلاة والسلام زنى بابنتيه وحبلتا منه[5] ، وأن سليمان عليه الصلاة والسلام مال إلى نسائه المشركات وبنى لهن هياكل لأصنامهن ![6]

٣. محوهم الأخبار التي فيها الدار الآخرة والحساب.

والتلمود : هو كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود.

ويتكون من مشنا (أصل) ، وغامارا (شروح وحواشي) .

والغرض من تأليف المشنا حسب زعمهم هو توضيح وتفسير ما أشكل والتبس من شريعة موسى عليه الصلاة والسلام وتكميله أيضا.

---

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية، أ.د/ سعود الخلف ص٨٠-٩٥

(٢) انظر: الكتاب المقدس سفر التكوين ٢: ٢-٣

(٣) انظر: المصدر السابق: سفر التكوين ٣٢: ٢٨-٢٩

(٤) انظر: المصدر السابق: سفر التكوين ٩: ٢١

(٥) انظر: المصدر السابق: سفر التكوين ١٩: ٣١-٣٧

(٦) انظر: المصدر السابق: سفر الملوك ١١: ٤، ٧، ٩

ومجموع الشروحات والحواشي (غامارا) -على المشنا- كتبه حاخاماتهم[1] في فترات متطاولة[2] .

وأبرز ما يميز التلمود هي علاقة اليهود بالأُمِّيِّين (غير اليهود)، وهو كتاب عنصري بكل ما تحويه الكلمة من معنى، وأُسُّه تحريم ما يضر باليهود ، وإجازته مع غيرهم.

أما الصهيونية فهي: حركة سياسية عنصرية ، أسسها تيودور هِرْتزِل[3] ، تهدف إلى حكم العالم بإقامة دولة يهودية من النيل إلى الفرات، وإقامة الهيكل[4] .

وقد قرر الشيخ غلو وعنصرية التلمود باستباحة دماء وأموال وأعراض الأُمِّيِّين، وهم لم يبلغوا بضعة عشر مليونا، فقال رحمه الله:

(..ثم نقل الأستاذ[5] الجواد ثمانية قوانين من تلمود اليهود، وفيها الهَلَكة للعالم كله، واستباحة دمائهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم، وتقديمها للشعب المختار، وهم جميعا لا يبلغون على وجه البسيطة بضعة عشر مليونا!)[6] .

---

(١) الحاخام : هو معلم الدين اليهودي (الحَبْر) والحاجام تسمية متأخرة ، وأول ما أطلقت على المعلمين الفريسين : بلفظ: حاخاميم. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري ٣٨٧/١٣

(٢) انظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٤٧-٤٨

(٣) اسمه عند االولادة بنيامين زئيف هرتزل، ولد بالمجر ، قانوني وحفي وناشط سياسي، ملحد يهودي، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة، ت: ١٩٠٤م. انظر: معجم أعلام المورد، لمنير البعلبكي ص٤٧٢ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والفرق المعاصرة ١/ ٥١٩

(٤) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف : د/ مانع الجهني ١/ ٥١٨-٥٢٥

(٥) أي : الجواد المرابط في كتابه المختار من كلام سيد الأبرار

(٦) المختار من كلام سيد الأبرار، الجواد المرابط (تعريف ونقد)، بهجة البيطار ٨٧١/٣٤ مجلة مجمع اللغة بدمشق رجب عام ١٣٨٨هـ.

وقد ترجم الشيخ لعُزَيْرٍ، وأعماله وكتابته التوراة ، فقال رحمه الله:

(عزير : كاهن يهودي، وكاتب شهير، سكن بابل[١] حوالي سنة ٤٥٧ ق.م، أسس المجمع الكبير[٢] ، وجمَع أسفار الكتاب المقدس، وأدخل الأحرف الكلدانية، عوضا عن العبرانية القديمة، وألف أسفار الأيام وعزرا ونحميا[٣] ، وعلى الجملة، فعصره هو ربيع الدين اليهودي، وهو جدير بأن يكون ناشر الشريعة اليهودية؛ فقد أحياها بعد أن نُسيت، ومن أجل هذا فاليهود يقدسونه، حتى إن بعض يهود المدينة أطلق عليه لقب : ابن الله !

والمشهور عند المؤرخين -حتى مؤرخي أهل الكتاب- أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام، ووضعها في تابوت العهد[٤] أو بجانبه ، قد فقدت قبل عهد سليمان عليه السلام؛ فإنه لما فتح التابوت في عهده لم يوجد فيه غيرُ اللوحين الذَيْن كتب فيهما الوصايا العشر، كما جاء في سفر الملوك الأول، وأن عزيرا هو الذي كتب التوراة وغيرها بعد السَّبْيِ بالحروف الكلدانية، ممزوجة ببقايا اللغة العبرانية التي نسي اليهود معظمها، ويقول أهل الكتاب أن عزيرا كتبها كما كانت، بوحي أو إلهام من الله)[٥] .

---

(١) بابل : اسم ناحية في العراق من ضمنها الكوفة وغيرها، مدينة السحر المعروفة، وهي الآن محافظة جنوب العاصمة بغداد. انظر: مراصد الاطلاع ١/١٢٤٥، وأطلس التاريخ الإسلامي ص٥٨

(٢) هو المكان الذي تم فيه تصريف أمور اليهود الدينية وبعض أمورهم الدنيوية المحلية ذات الطابع الإداري. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري ١٠/١٤٠

(٣) هذه الأسفار ضمن كتب التاريخ في العهد القديم . انظر: الكتاب المقدس ص٤

(٤) تابوت العهد : صندوق صنعه موسى بأمر الله تعالى ، طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف . كان يحتوي على المن، وعصا هارون، ولوحا العهد، وكان عليهما وصايا الله العشر . انظر: قاموس الكتاب المقدس ص١٤٥

(٥) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤١-٤٢

وقرر الشيخ أن أهل الكتاب يدينون لعزير في أصل دينهم ؛ لإرجاعه ما فُقد من توراة موسى عليه الصلاة والسلام ، وقرر أن مستند إرجاعه ما فقد من التوراة :لا يثبت، فقال رحمه الله:

(وخلاصة ما سلف : أن جميع أهل الكتاب يدينون لعزير في مستند دينهم، وأصلِ كتبهم المقدسة عندهم، وإن كان هذا المستند ضعيفا، فقد جاء في ترجمة عزرا من دائرة المعارف البريطانية[(١)]: أنه لم يُعِد إليهم الشريعة التي أحرقت فحسب، بل أعاد جميع الأسفار العبرية التي كانت أتُلْفت، وأعاد سبعين سفرا غير قانونية "أبو كريف" ثم قال كاتب الترجمة : وإذا كانت هذه الأسطورة الخاصة بعزرا هذا قد كَتَبَها من كتبها من المؤرخين بأقلامهم من تلقاء أنفسهم، ولم يستندوا في شيء منها إلى كتاب آخر، فكُتَّاب هذا العصر يرون أن أسطورة عزرا قد اختلقها أولئك الرواة اختلاقا)[(٢)] .

وقد قرر الشيخ أن الوحدة الدينية في التوحيد الخالص والإيمان بجميع الرسل ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم ، يكون سبيلا لتساوي أفراد المجتمع الواحد، فقال رحمه الله:

(وحسبي الآن أن أنقل شاهدا واحدا من التوراة، وآخر من الإنجيل، وكلمات قليلة من الزبور أو المزامير[(٣)] ؛ تأييدا لما جاء به القرآن من بشائر الوحدة والسلام، والهتاف ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ لكي لا يكون على المؤمنين بالكتب المقدسة حرج إذا هم صدقوا برسالة النبي العربي الذي آمن بكتب إخوانه المرسلين وصدقهم، ولتقوم الوطنية على أساس المساواة التامة بين أبناء الوطن الواحد، وهذا موضوع جليل، ومطلب خطير، يهُمُّ أهل الملل السماوية، وعلماء الاجتماع الإنساني؛ لأنه

---

(١) ١٩/١ ط١٤ سنة ١٩٢٩م.

(٢) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٢

(٣) لعله سفر المزامير ضمن كتب الحكمة في العهد القديم من الكتاب المقدس ان؟ الكتاب المقدس ص٤

يدعو إلى الوحدة الصحيحة بلسان الكتب الإلهية والعاملين بها، ومن واجب العلماء بيان هذه الوحدة الدينية من الكتب المنزلة، **لتؤيد بها وحدتنا القومية**[١])[٢] .

فالشيخ يرى أن يتوحد أهلل الملل السماوية بالإيمان بجميع الأنبياء، ويتساووا في الوطن الواحد.

وقد يكون في هذا النص ما يُشْعِر بتَبْجيل القومية العربية –التي كانت في أوج قوتها آنذاك– والتَّوَحُّد تحت رايتها على حساب الوحدة الإسلامية، وهو من آثار تأثر الشيخ بهجة رحمه الله بالمدرسة العقلية الحديثة[٣].

وقد نقل الشيخ عن التوراة ما يشهد بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، فقال رحمه الله –بعدما عنون ب : بشارة موسى بمحمد– :

(جاء في العدد الخامس عشر من الإصحاح أو الفصل كما في الطبعة اليسوعية من سفر التثنية[٤] من التوراة: "ويقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون" .

فهذه البشارة صريحة في محمد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأنه لم يقم نبي مثل موسى من وسط اليهود، ومن إخوتهم بني إسماعيل ، غير النبي العربي محمد، وأبناء العم

---

(١) القومية : نزعة فكرية تقوم على أن أساس الولاء والرابطة والتجمع بين الناس يقوم على الوطن، أو الأصل، ونشأتها كانت في الدول الأوروبية بعد ذوبان رابطة الدين. والمراد بالقومية في كلام الشيخ رحمه الله هي القومية العربية. انظر: الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، لأحمد الخلف ص٢١٣-٢١٤، وأصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي ص١١٥

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٣

(٣) انظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، للدكتور : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ١/٣٨٧-١٨٨

(٤) التثنية : اسم السفر الخامس من أسفار العهد القديم، وقد أطلق عليه التثنية ؛ لأنه ذكرت فيه الشريعة الموسوية مرة ثانية . (البيطار ، حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٤ حاشية ١) وانظر ص٢٢٢

يسمون إخوة، ومن ذلك : تسمية أبناء عمهم "عيسو" إخوة لهم كما في ٢:٤و٨ من التثنية، ولو كان المراد من هذه البشارة المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقال: أقيمه منكم أو من نسلكم، لا من إخوتكم؛ لأن يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم، كما في متَّى[١] ١:١١-١٦ فهو من نسل إسحاق لا من نسل إسماعيل عليهم السلام)[٢] .

قال الباحث : الصواب أن المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس له أب، كما هو صريح الأدلة.

ونقل الشيخ أيضا عن التوراة ما يثبت عقيدة التوحيد بعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وحده، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وأمرُه تعالى بعبادته وحده على لسان موسى عليه السلام ، جاء في مواضع من التوراة، منها أول الوصايا العشر التي جاءت في سفر الخروج "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورا مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من تحت، ولا مما في الماء تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور"[٣] إلخ)[٤]

وقد قرر الشيخ افتتان اليهود بالمال وجمعه، بدلالة القرآن فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية ١٥٦ من سورة الأعراف:

---

(١) متى من الاسم العبري (مثتيا) الذي معناه: عطية يهوه، وهو أحد الاثني عشر رسولا وكاتب الإنجيل الأول المنسوب إليه وسمي أيضا لاوي ابن حلفى، ويذكر بابياس في القرن الثاني الميلادي أن متى جمع أقوال المسيح انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٥٦٣

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٣-٧٧٤٣

(٣) الكتاب المقدس : سفر الخروج ٢٠: ٥

(٤) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٤، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/١٠٣

(﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾. [(١)]

.... ثم إنه تعالى أثبت رحمته بمشيئته للذين يتقون الكفر والمعاصي، ويؤتون الصدقة التي تتزكى بها نفوسهم، وفي ذلك إيماء إلى أن اليهود أشربوا في قلوبهم حب المال، وفتنوا بجمعه ومَنْعِ بَذْلِه في سبيل الله ﷻ)[(٢)] .

وفي تقييم رد الشيخ على شبه أهل الأديان الباطلة، أبان الشيخُ عليٌّ الطنطاويُّ رحمه الله أن الشيخ كان يوفَّق في أكثر الأحيان في الرد عليها، وفي القليل كان يقول كلاما طويلا لا يشفي، فقال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله:

(وكنت آخذ إليه كلَّ من عنده شبهة في الدين، أو كلام في الإسلام سمعه من غير المسلمين، فيزيل الشيخ الشبهة، ويدفع الاعتراض، ويوفق في أكثر الأحوال، وقد يقول في بعضها كلاما طويلا لا يشفي)[(٣)] .

وفي كلام الشيخ عن الأستاذ محمد أسد[(٤)] -أصله يهودي-، وقصته في البحث عن الدين الحق ، حكى الشيخ عنه أن اليهودية تفضِّل بني جنسها وتجعل نفسها الشعب المختار -مقارنا بينها وبين المسيحية والإسلام-، فقال رحمه الله:

---

(١) سورة الأعراف:١٥٦

(٢) الإنجيل والقرآن ، بهجة البيطار ص٢٨

(٣) رجال من التاريخ، علي الطنطاوي ص٤١٥

(٤) اسمه قبل الإسلام: ليوبولد فايس، ولد في أوكرانيا (كانت سالفا تحت الإمبراطورية المجرية النمساوية)، كاتب وصحفي ومفكر ولغوي ، وناقد اجتماعي ومصلح، ورحَّالة مسلم، يُعد أحد أكثر المسلمين تأثيرا في أوروبا، أسلم وشارك في الجهاد مع عمر المختار، ثم عمل رئيسا لمعهد الدراسات الإسلامية في لاهور، أشهر كتبه: الإسلام على مفترق طرق، والطريق إلى مكة، كما قام بترجمة معاني القرآن وصحيح البخاري إلى الإنجليزية، توفي عام ١٩٩٢م. انظر: هكذا أسلم المفكر

(وقد نظر محمد أسد في الأديان السماوية نظر استقلال واستدلال، فرأى اليهودية تفضِّل بني جنسها على سائر بني الإنسان، وتسمي نفسها شعب الله المختار، ورأى المسيحية أقرب إلى العدل في نظرتها العامة الشاملة للبشر، ولكنها تَفْصِل بين الروح والجسد.

ولما درس الإسلام دراسة واسعة رآه أعم وأشمل منهما، أو هو مكمل لهما؛ إذ جمع بين مصالح الروح والجسد معا)[1] .

ثم نقل الشيخ عن الأسد مقاومته للصهيونية، ومجادلته زعيمها في القدس، فقال رحمه الله:

(قال الأستاذ أسد: وبرغم أنني من أصل يهودي، فقد كنت أحمل من البدء مقاومة شديدة للصهيونية.

وجرى له حوار شديد مع زعيمها الدكتور حاييم[2] في القدس جعل بها أشد مزاعم خصم العرب من الوجهات القومية والتاريخية والوطنية ، هباء منثورا، ونصر الله حق محمد أسد على باطل ذلك العدو الألد)[3].

: محمد أسد، للدكتور/عبد المعطي الدالاتي، موقع صيد الفوائد ، رابط: http://www.saaid.net/Doat/dali/١٠.htm

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٩٥/١، **وقد أتممت العبارة عن المسيحية والإسلام لأن وجه المقارنة لا يظهر إلا بذلك**، وانظر : الطريق إلى مكة، محمد أسد (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٨٥/٣٣ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ.

(٢) هو حاييم وايزمان ، ولد بروسيا، أشهر شخصية صهيونية بعد هرتزل، لعب الدور الأهم في استصدار وعد بلفور عام ١٩١٧م ، كان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٢٠-١٩٤٦م)، وهو أول رئيس لدولة اليهود عام ١٩٤٩م، توفي عام ١٩٥٢م . انظر: كيف يفكر زعماء الصهيونية، أمين هويدي، ص ٥١ - ٨٠.

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٢٩٥/١، وانظر : الطريق إلى مكة، محمد أسد (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٨٦/٣٣ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ.

وفي تعريف الشيخ لكتاب محمد أسد "الطريق المكة" أبان اعتراف محمد أسد اليهودي الأصل بأن الإسلام انتشر بفضائله لا بحد السيف، وأنه أعظم دين ظهر في البشرية، قال الشيخ رحمه الله:

(وقابل بين الإسلام والنصرانية، وبيّن أن الإسلام انتشر في الشرق والغرب بفضائله لا بحد السيف)(١) .

ثم قال الشيخ رحمه الله:

(وختم حديثه معبرا عن إيمانه وإذعانه بقوله : " من وسط هذه الوِديان : انبثق أعظم دين في تاريخ الإنسان)(٢) .

وقد ذم الشيخ أهل الكتاب على مخالفتهم ميثاق الله عز وجل ببيان التوراة للناس بما في ذلك وصف محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم أهملوه وكتموا وصف محمد صلى الله عليه وسلم واشتروا بتحرفهم ثمنا قليلا، قال الشيخ رحمه الله:

(قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾(٣).

.........وقوله ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾(٤). النبذ : الطَّرْح، وقد جرت كلمة نبذه وراء ظهره مجرى المثل في ترك الشيء وعدم المبالاة به، والاهتمام بشأنه، كما يقال في مقابل ذلك جعله نُصب عينيه، أو ألقاه بين عينيه، أي : اهتم به أشد الاهتمام بحيث

(١) الطريق إلى مكة، محمد أسد (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٨٧/٣٣ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ.

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة آل عمران:١٨٧-١٨٩

(٤) سورة آل عمران:١٨٧

كأنه يراه في كل وقت، فلا ينساه ولا يغفل عنه، وفيه تنبيه إلى كون هذا هو الواجب الذي كان عليهم أن يقوموا به ، فيجعلوا الكتاب إماما لهم، ونصب أعينهم، لا شيئا مهملا ملقى وراء الظهر، لا ينظر إليه، ولا يفكر في شأنه.

﴿واشتروا به ثمنا قليلا﴾ أي : أخذوا به فائدة ومثوبة قليلة لا توازي عُشر مِعشار فوائد بيان الكتاب والعمل به، فكانوا مغبونين في هذا البيع والشراء .

وهذه الآية بمعنى آية البقرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾(١).

والمعنى: إن الذين يكتمون ما أنزل الله في الكتاب المنزل عليهم من وصف النبي ﷺ وبيان زمانه، مما يشهد بصدق نبوته وكمال رسالته : فعلوا هذا حرصا على رئاسة كاذبة وعرض زائل ، تراهم باعوا الخير والهدى بثمن بخس قليل لا ينفع، أولئك البعيدون في الضلالة ، لا يأكلون في بطونهم إلا ما هو موجب لدخولهم النار وفي معناها قوله تعالى : ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾(٢).)(٣) .

ثم بين الشيخ حرص النبي ﷺ وأصحابه على إيمان اليهود لقرب دينهم من دين المسلمين، فقص الله ﷻ من حالهم وحقيقتهم من الاستكبار والتمرد ما أَيْأسهم من إيمان اليهود، فقال الشيخ رحمه الله:

(كان النبي ﷺ وأصحابه شديدي الحرص على دخول اليهود في ساحة الدين الجديد، طامعين في انضوائهم تحت لوائه؛ لأن دينهم أقرب الأديان إلى دينهم في تعاليمه ومبادئه وأغراضه، فهم يشاركونهم في الاعتقاد بالتوحيد والتصديق بالبعث والنشور(٤)،

---

(١) سورة البقرة:١٧٤

(٢) سورة البقرة:٧٩

(٣) تبيين للناس، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ٣٨٧/٣٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ.

(٤) أخبار اليوم الآخر في كتبهم لا تكاد توجد.

وكتابهم مصدق لما معهم، فقص الله في هذه الآيات[١] على المؤمنين من أنبائهم ما أزال أطماعهم، وأيأسهم من إيمانهم بذكر ما كان يحدث من أسلافهم مع نبيهم موسى صلوات الله عليه بين آن وآخر من تمرد وعناد وجحود وإنكار، فتأتيهم الآية تلو الآية ويحل بهم من العقاب ما الله به عليم، فيطلبون من موسى أن يدعوا الله ليدفع عنهم العذاب، ويستجيبوا لدعوته التي إذا ما رفعه عنهم عادوا سيرتهم الأولى معاندين جاحدين)[٢].

ثم قرر الشيخ أن وصفهم من أيام موسى هو وصفهم إلى الآن لم يتغير، فقال رحمه الله:

(فلا عجب إذا في إعراض الحاضرين عن هدي الله الذي جئت[٣] به، فالإعراض والاستكبار دأبهم، ورثوهما من أسلافهم الذين كانوا يحرفون ويبدلون ويكابرون، وهم يشاهدون الدلائل الحسية تَتْرى بين يدي موسى عليه السلام، فأحرى[٤] بهم أن يجحدوا دينا دلائله عقلية، وآيته الكبرى معنوية، وهي القرآن الكريم بما اشتمل عليه من تشريع فيه سهولة وتيسير على الناس، وفيه فصاحة أعجزت فصحاء العرب عن محاكاته، فلجئوا إلى السيف والطعان، بعد أن أعجزتهم الحجة والبرهان، ومنها في خطاب نبي إسرائيل : ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾(٥).)[٦]

ثم فسر الشيخ الآية السابقة وأوضح خسة نفوس اليهود بتحريفهم للكتاب بثمن قليل؛ طمعا في المال والجاه، فقال الشيخ رحمه الله:

(الآيات هي الأدلة التي أيد الله بها نبيه ﷺ وأعظمها القرآن الكريم، أي: لا تعرضوا عن التصديق بالنبي وما جاء به، وتستبدلوا بهدايته هذا الثمن القليل الذي

---

(١) أي : ما سبق ذكره في الآيات السابقة.

(٢) المصدر السابق ٣٨٨/٣٣

(٣) **كذا في** الأصل ولعل الصواب : جيء به .

(٤) **في الأصل** : **فأحر، وهو خطأ.**

(٥) سورة البقرة:٤١

(٦) تبيين للناس، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ٣٨٧/٣٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ.

يستفيده الرؤساء من مرؤوسيهم من مال وجاه، ويرجوه المرءوسون من الحظوة[1] باتباع الرؤساء، ويخشونهم من سطوتهم إذا هم خالفوهم.

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾[2]. بالإيمان واتباع الحق، والإعراض عن لذات الدنيا متى شغلت عن أعمال الآخرة.

وقوله تعالى في ختام الآية التي نفسرها : ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾. [3] [4] أي : هو ذميم قبيح؛ لأنهم يجعلون هذا العرض الفاني بدلا من النعيم الباقي في الآخرة)[5] .

وقد تكلم الشيخ عن حال يهود هذا العصر؛ فقدم بمقدمة في منهج القرآن في الحكم على الأمم بأنه لا يحكم عليها بحكم عام بل يعبر بالكثير والأكثر، فقال رحمه الله:

(القرآن الحكيم يزن بالقسطاس المستقيم، ويعطي الأمم والشعوب ما تستحقه من الوصف، ويحكم لها أو عليها بما لا يمكن أن ينقض من الحكم.

وإنك لترى من دقة كتاب الله تعالى في وصفه، وعدله في حكمه ما لا يتفق مثله لأي كتاب من كتب المؤرخين والفلاسفة أو علماء الاجتماع، فهو يميز بين أصناف الناس في معتقداتهم و في أعمالهم، ويبين حقائق أوصافهم وأخلاقهم، ومن سنته تعالى أنه لا يحكم على أمة بالضلال والفسق بنص عام يستغرق جميع الأفراد، بل تارة يعبر بالكثير وتارة بالأكثر، كما قال ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ١٠٣﴾ [6] ، وقال : ﴿وَإِن

(١) **في الأصل** : الخطوة، وهو خطأ كذلك.

(٢) سورة البقرة:٤١

(٣) سورة آل عمران:١٨٧

(٤) **في الأصل** : لبئس ما يشترون .

(٥) تلبيس إبليس، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ٣٨٩/٣٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ.

(٦) سورة يوسف:١٠٣

تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ [(١)] ([٢]) .

ثم طبق الشيخ القاعدة السابقة على يهود هذا الزمان، وقسمهم الشيخ إلى قسمين: الأول -وهم الأقل- الذين هم أهل ذمتنا، والثاني: -وهم الأكثر- المحاربون البغاة، فقال رحمه الله:

(ونحن إذا جرينا على سنة القرآن الكريم -وهو الواجب المحتم-، وأرسلنا أشعة النظر والفكر في حال يهود هذا الزمان ، رأيناهم -كما كانوا في عهد التنزيل- فرقتين، فالأقل منهم هم العرب الذين يعيشون معنا، ويتفيئون العدل الإسلامي الشامل، وفي أمثال هؤلاء أوصى نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ فنحن معشر المسلمين نحافظ على جميع حقوقهم؛ لأنهم أهل ذمتنا، كما نحافظ على حقوق أهل ملتنا، وتاريخنا شاهد على ما نقول منذ بزغ فجره إلى يوم الناس هذا .

والكثير أو الأكثر منهم هم البغاة المعتدون علينا في ديارنا الذين يحاولون امتلاك الأرض المقدسة، وإخراج أهلها منها، وقد صرح بذلك أحد زعمائهم في خطبه النارية التي ألقاها أمام لجنة "شو"[٣] قائلا :

---

(١) سورة الأنعام:١١٦

(٢) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٣/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

(٣) لجنة بريطانية شُكلت للاستماع لوجهتي النظر العربية واليهودية -عقب ثورة ١٩٢٩م-، وقررت اللجنة أن سبب الاضطرابات : الأعمال الاستفزازية لليهود. انظر: لجنة شؤون موقع الموسوعة الفلسطينية، رابط:

http://www.palestinapedia.net/لجنة-شو/

"إن فلسطين يجب أن، تبقى لليهود، وإن للعرب الصحراء، وإنه يجب على الحكومة البريطانية أن تقوم بالواجب المفروض عليها في أقرب وقت –إلى أن يقول – فمن الضروري مجابهة العرب بالأمر الواقع، وإفهامهم ضرورة الجلاء إلى الصحراء")[1] .

ثم أورد الشيخ من أخلاق اليهود وأعمالهم في القرآن، فتكلم من أعمالهم وأخلاقهم عن الجبن والذلة وعدم وثوقهم بما كتب لهم، فقال الشيخ –بعدما عنون ب : جبن اليهود، وذلهم وعدم وثوقهم بما كتب لهم–:

(في سورة المائدة من آي الذكر الحكيم على لسانهم : ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٢٢﴾ [2] ، ضربت الذلة والمسكنة على **أسلاف** الصهيونيين، واستعبدهم المصريون حتى صاروا يفضلون الرق على الحرية والاستقلال، وكان بنو عناق العماليق يسكنون أمامهم في أدنى الأرض المقدسة، وهم كبار الأجسام، طوال القامات، وقصتهم مبسوطة في العضلين (١٣و١٤) من سفر العدد الذي هو السفر الرابع من أسفار التوراة، وقد قالوا لموسى وهو في ملأ بني إسرائيل : قد ذهبنا إلى الأرض المقدسة التي أرسلتنا إليها، وحقا إنها تفيض لبنا سلسبيلا، وهذا ثمرها –وقد حملوا منه– غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة عظيمة جدا، وأيضا قد رأينا بني عناق هناك ... إلى آخر ما قالوا.

وقال في الإصحاح الرابع عشر –بعد أن أمروا بدخول الأرض المقدسة– : فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمر على موسى وعلى هرون[3] جميع بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا في أرض مصر، لنسقط

---

(١) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٤/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

(٢) سورة المائدة:٢٢

(٣) **كذا في الأصل**، وأظن ذلك قبل استقرار كتابتها على الإملاء الحديث : هارون.

بالسيف، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر، فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا، ونرجع إلى مصر "العدد ١-٤".)[١] .

ثم قال الشيخ بعد ذلك :

(أفرأيت أيها القارئ الكريم هذا الجبن الموروث لهذا الشعب المستكين منذ ألوف السنين، وأنهم من بعد أن نزحوا عن أرض فلسطين لم يعودوا يودون الرجوع إليها لأن فيها قوما جبارين، أرأيت كيف تمنَّوا أن يموتوا في مصر، أو يموتوا في هذه المهْمَه[٢] الفقر[٣]، وكان ذلك أحب إليهم وآثر عندهم من أن يموتوا في فلسطين)[٤] .

ثم تكلم الشيخ عن شؤم وعد بلفور عليهم، بإيقاع العداء المستمر بينهم وبين العرب، وبالموت الزؤام[٥] ، فقال رحمه الله:

(ألا لا رحم الله وعد بلفور الذي وعدهم ذلك الوعد المشؤوم، وهو إنشاء وطن قومي في فلسطين لليهود وأوقع بينهم وبين العرب منذ ذلك العهد سنة ١٩١٧م ذلك العداء المستمر الذي انتهى بهم إلى هذا القتال المستمر، وهل جنوا من وعده إياهم هذا إلا

---

(١) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٥/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

(٢) المهْمَه: المفازة البعيدة والبلد المقفر. انظر: المعجم الوسيط ص٨٩٠

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب : في القفر، أي الصحراء.

(٤) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٥/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

(٥) موت زؤام أي: موت عاجل . انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميرى ٢٨٩١/٥، والمعجم الوسيط ص٣٨٧

الموت الزؤام ؟ وصدق فيه وفيهم قول الله تعالى في الشيطان : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ (١))(٢) .

ثم تابع الشيخ الكلام على أعمالهم، فقرر يأسهم من فلسطين بسبب تمردهم على أمر الله تعالى بقتال العمالقة ووعده بنصره لهم، وبسوء أدبهم وجرأتهم على الله ﷻ ورسوله ﷺ فقال رحمه الله -بعدما عنون ب: يأس اليهود من فلسطين-:

(في القرآن الكريم : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (٣) .

الآية الكريمة صريحة في أن القوم جبنوا عن دخول فلسطين، وعن لقاء الجبابرة من بني عناق العماليق، وأنهم حرموا على أنفسهم دخولها ما دام أولئك الأشداء مقيمين فيها، ثم إنهم يوجّهون إلى موسى عليه السلام من الكلم ما يدل على العصيان والتمرد والفسوق عن أمر الله ، وفيه من سوء التعبير وقلة الأدب، وفساد الذوق، والجرأة على الله ورسوله ما فيه، ولكن هذا لا يستكثر على عباد العجل "أبيس".)(٤) .

ثم ذكر الشيخ أثر ما سبق من مخازيهم في حرمانهم دخول الأرض المقدسة وتيهانهم دونها، فقال رحمه الله:

---

(١) سورة النساء: ١٢٠

(٢) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٥/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

(٣) سورة المائدة: ٢٤

(٤) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٦/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

(وقد حرم الله عليهم أرض فلسطين بسبب عنادهم، فأخذوا يتيهون في الأرض، أي: يسيرون تائهين متحيرين، ويقاسون أنواع المشقة والذل مدة أربعين سنة، لا يدرون أين ينتهون في سيرهم)[١] .

ثم ذكر الشيخ شاهد ذلك فقال رحمه الله:

(وفي الفصل الرابع عشر من سفر العدد "١١و١٢و٢٢و٢٣" : "وقال الرب لموسى : إلى متى يهينني هذا الشعب، وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عُمِلت في وسطهم، إني أضربهم بالوباء وأُبيدهم، وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم، إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات، ولم يسمعوا لقولي ، لن يَرَوا الأرض التي حلَّفْتُ لآبائهم، وجميع الذين أهانوني[٢] لا يرونها".

وفي الفصل الرابع عشر من سفر العدد أيضا "٢٦و٢٧" : " وكلم الرب موسى قائلا : حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليَّ؟ قد سمعت تذمر بني إسرائيل الذين يتذمرون عليَّ، قل لهم حتى أنا يقول الرب : لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني، في هذا القفر تسقط جثثكم)[٣] .

ثم وضح الشيخ دلالة ما سبق على أن اليهود لم يفعلوا شيئا لدخول فلسطين، بل طلبوا بوقاحة أن يقاتل الله ورسوله عنهم، وهكذا حالهم في هذ الزمان؛ حيث يريدون أن توفر الدول الاستعمارية لهم فلسطين لقمة سائغة، قال الشيخ رحمه الله:

(أيها المستمع الكريم : هذه طائفة من نصوص التوراة والقرآن، تدلنا على أنهم لم يعملوا شيئا ولم يقاتلوا عدوا في سبيل فلسطين، بل طلبوا من ربهم ونبيهم أن يقاتلا عنهم؛ لتكون فلسطين لقمة سائغة لهم، وهذه هي حالهم الآن مع دول الاستعمار، فهم يريدون

---

(١) المصدر السابق. قال الشيخ في الحاشية : (لم نلتفت إلى الاختلاف الواقع في النسخة العبرانية واليونانية والسامرية، والكلدانية، وهو كثير).

(٢) الله أعز وأجل من أن يهينه أحد.

(٣) اليهود في التوراة والقرآن، والصهيونيون في هذا الزمان، بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي ١٢٥/٣٣ صفر ١٣٨٦هـ.

منهم أن يملكوهم أرض العرب، وأن يخرجوا أهلها منها بالقوة، وأن ينعموا هم بالإقامة فيها والسكنى، ولكن خاب ظنهم، فالعرب بحمد الله أشداء أقوياء، وفلسطين أرضهم، قد ورثوها عن آبائهم، ولم يأخذوها من اليهود، ولم يكن حين فتحها المسلمون لليهود فيها ملك ولا سلطان، وإنما عاش من كان فيها منهم ناعمين في ظلال الإسلام، لا جئين إلى حكومته التي هي مضرب المثل في العدل بين الشعوب والأقوام، والتاريخ سيعيد نفسه بإذن الله تعالى وعونه، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين)[١] .

وفي التنبيه على أن التوراة المحرفة مملوءة من النقائص في حق الأنبياء ، قال رحمه الله:

(وإذا أراد أن يقف [المرء] على نقائص هذه المحاسن[٢]، فليقرأ بعدها "في إظهار الحق"[٣] النقائص المنسوبة زورا وبهتانا إلى أنبياء الله ورسوله منقولة عن التوراة معزوة إليها واحدة واحدة[٤] ، قال : " وهذا القدر مسلم بين اليهود والنصارى ومصرح به في كتب العهد العتيق المسلَّمة عند الفريقين"[٥].

قلت: المطالع لها يرى أنها :

تصم السميع وتعمي البصير ويُسأل من مثلها العافيةْ[٦])[٧]

وقد بين الشيخ إقحام اليهود في كتابهم ما لم ينزله الله عز وجل، فقال رحمه الله:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أي : محاسن القرآن في الموقف من الأنبياء .

(٣) ٣/٨٣٥-٨٣٧

(٤) قد ذكرت جملة من هذه النقائص موثقةً ص٤٣٨

(٥) المصدر السابق ٣/٨٣٧

(٦) هذا البيت لمصطفى لطفي لمنفلوطي ذكره في كتابه النظرات ١/٦٠

(٧) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٨، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/١٠١

(واليهود لم يقتصروا في دينهم على أحكام التوراة، بل أضافوا إليها من الشرائع ما سمعوه من رؤسائهم من قبل أن يدونوه في المشنة والتلمود، ثم دونوه فكان هو الشرع العام وعليه العمل عندهم)[1] .

وقد قرر الشيخ جفاء اليهود في المسيح عليه الصلاة والسلام ، فقال رحمه الله:

(واليهود قد كفروا بالمسيح وهو المصلح الأكبر في شريعتهم، والنصارى يعبدون المسيح وأمه عليهما السلام)[2] .

---

(١) المصدر السابق ص٤٤، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/١٠١

(٢) المصدر السابق ص٤٦، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/١١٠

المطلب الثاني:النصرانية

النصرانية: هي الديانة التي حرفها اليهود، وخرجوا بها عن الإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على عيسى عليه الصلاة والسلام بتأثير بولس.

وقد حارب اليهود المسيح عليه الصلاة والسلام وأتباعه، وسعَوا فيه عند الحاكم الروماني لقتله، لكن الله ﷻ رفعه إليه، وألقى شبهه على الجاسوس المنافق فصُلب، وبقي أتباع المسيح ﷺ في اضطهاد من قِبل الحكم الروماني –بسعاية وتعاون اليهود– مدة ثلاثة قرون مما كان له أبلغ الأثر في :

١–ضياع الإنجيل، وتفرق حواري المسيح به.

٢–وظهور دعوات غريبة لم يستطع حواريو وأتباع المسيح من صدها، للمحاربة الشديدة لهم من الحكم الروماني.

ومن الدعوات الغريبة دعوة بولس الذي عرف بعدائه الشديد للنصرانية، ثم فجأة أظهر اعتناقه النصرانية؛ ليبطلها من داخلها، فكان برسائله التي كتبها –وأصبحت ضمن الكتاب المقدس– المؤسس الحقيقي للنصرانية المحرفة .

وتقوم الديانة النصرانية المحرفة على ما يلي:

١–عقيدة الخطيئة والخلاص.

وهي أن البشرية بحاجة إلى مخلص من خطيئة آدم بأكله من الشجرة؛ فأنزل الله ﷻ ابنه الوحيد : عيسى ابن مريم، ليصلب –تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا–.

٢–عقيدة التثليث.

وهي أن الله ﷻ واحد في جوهره، ثلاثة في أقنومه –أي :صفاته–[1] ، والأقانيم الثلاثة هي : الأب والابن وروح القدس[2].
وما أدري ما هذه الفلسفة المتناقضة المصادمة لمسلمات الحقائق؟!
وهل تقوم الصفات بأنفسها؟ فكيف الأب والابن روح القدس صفات تقوم بالأب؟!
ولهذا قال أحد علمائهم : إن معنى الأقانيم لن تفهم إلا يوم القيامة حين تتجلى الحقائق!
وهم يختلفون في معنى الأقانيم وخصائها اختلافا عظيما .

٣–التوسط والتحليل والتحريم.

تجعل النصرانية المحرفة واسطة بين العباد وربهم، وهم رجال الدين الكنسي؛ فلا يدخل أحد النصرانية، ولا يقبل له استغفار، ولا صلاة إلا بهم، واستقلوا بالتشريع من تحليل وتحريم.

٤–الإيمان بالكتاب المقدس، ويتكون من :

أ– التوراة وما يلحقها من أسفار.

ب– الإنجيل وما يلحقه من رسائل بولس وأتباعه.

وتبلغ الأناجيل عندهم أكثر من سبعين، لكنهم لا يعتدون منها إلا بأربعة أناجيل: لوقا ، ومتى ، ومرقص، ويوحنا.

وقد كُتبت الإناجيل بعد رفع المسيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بزمان طويل ، وتُنوقلت من لغة إلى لغة ، ولم يُسمع بها إلا في القرن الثاني الميلادي[3].

---

(١)انظر: قاموس الكتاب المقدس ص٧٨ أما بالنسبة للجوهر الواحد عند النصارى فلم أجد تعريفا صريحا له لكن يدل كلامهم عليه في أثناء حديثهم عن تعريف طبيعة الله ، والتثليث أنه بمعنى الذات الواحدة انظر: المصدر السابق ص٧٨، ١٦٢

(٢) الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني ص٢٤٢ ط١ مؤسسة الرسالة عام ١٤٣٤هـ.

(٣) انظر : أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص٩٣–٩٨

وقد نفى القس يوسف درة الحداد[1] بنوة عيسى التناسلية والمعنوية، وأثبت البنوة الروحية[2]، فرد عليه الشيخ ناقلا كلام ابن تيمية بأن النصاري ينصون على أن النصارى جميعا أبناء الله بالمحبة، وأيضا بأن الأنبياء بنوه، فتحمل البنوة في عيسى على نظائره-أي: المختار المصطفى المحبوب لله ﷻ-، قال الشيخ رحمه الله:

(ولقد نفى الأستاذ الحداد في كتابه بنوة السيد المسيح التناسلية، والبنوة المعنوية أيضا، فقال: ولكن بنوة عيسى في الإنجيل ليست تناسلية ولا معنوية، بل هي بنوة روحية محضة من ولادة عقلية محضة .اهـ ص٣٥٦

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح[3] بعنوان : ابن الله معناه :

وقد علمتم أن من يسمى بابن الله كثير لا يحصون، فمن ذلك إقراركم بأنكم جميعا أبناء الله بالمحبة، وقول المسيح: (أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[4] ، في غير موضع من الإنجيل، ثم تسمية الله يعقوبَ وغيره بنيه خصوصا.

فالسبيل في المسيح إذا لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور ، أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الأنبياء والأبرار، ونسبة الملك إياه إلى أبيه داود ، وأن التسمية الأولى (أي: ابن الله) على جهة الاصطفاء والمحبة، وأن حلول الروح عليه على الجهة التي قالها " متى " التلميذ للشعب عن

---

(١) هو الأب يوسف درة الحداد ، ولد بقلمون سوريا ، باحث نصراني، توفي عام ١٩٧٩م. انظر: يوسف درة الحداد، بقلم: الأب جورج فاخوري البولسي موقع وكيبيديا، رابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪٩A%D٪٨٨٪٩D٪٨B٪٣D٨١٪٩

(٢) وما شهر عن النصارى من أن عيسى عليه الصلاة والسلام هو ابنه الوحيد لا يدل على هذا المفهوم للأبوة.

(٣) ١٠٣/٤

(٤) إنجيل يوحنا ٢٠: ١٧

المسـيح في الإنجيل: "لسـتم أنتم متكلمين، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم"[1] فأخبر أن الروح تحل في القوم أجمعين وتتكلم فيهم)[2] .

وفي الرد على النصارى بجعلهم المسيح ابنا واستدلالهم على ذلك بما ورد في إنجيلهم من وصـف المسـيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالابن ، قرر الشـيخ أن الابن وروح القدس لا اختصـاص لهما بالمسـيح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وأن كلمة الابن عند سـائر الأنبياء وفي سـائر الكتب كذلك : تطلق على مخلوق ومعناها المختار المصـطفي المحبوب لله عَزَّوَجَلَّ، قـال الشـيخ رَحِمَهُ اللَّهُ -بعـدمـا عنون : الابن وروح القـدس لا اختصاص لهما بالمسيح عليه السلام-:

(وقد أوضـح[3] أن الابن ليس كلمة ولا صـفة، ولا هوخاص بالمسيح، وإنما يراد به المصطفى المكرم، قال[4] :

"المراد بالابن ناسوت[5] المسيح، وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي والمَلَك الذي نزل به، فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله وبرسوله وبما أنزله على رسوله والملك الذي نزل به وبهذا أمرت الأنبياء كلهم.

قال[6] :وليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر الأنبياء ولا كلام غيرهم أن كلمة الله القائمة بذاته سبحانه و تعالى تسمى ابنا، ولا روح قدس، ولا تسمى صفته القديمة ابنا، ولا روح قدس، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعا إلا على مخلوق.

---

(١) انظر: الكتاب المقدس إنجيل متى ١٠: ٢٠

(٢) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٥٠

(٣) أي: ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) الجواب الصحيح ١٥٣/٢

(٥) الناسوت في اصطلاح النصارى هو جانب الطبيعة البشرية في المسيح. انظر: المعجم الوسيط ص٨٩٥

(٦) الجواب الصحيح ١٣٤/٣

والمراد في تلك اللغة أنه مصطفي محبوب لله، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل: (أنت ابني بكري)[1] ، ولداود (أنت ابني وحبيبي)[2] ، وأن المسيح قال للحواريين (أبي وأبيكم)[3] ، فجعله أبا للجميع، وهم كلهم مخلوقون فيكون اسم الابن واقعا على المسيح الذي هو ناسوت مخلوق

قال[4]: وفي الإنجيل في غير موضع يقول المسيح: " أبي وأبيكم "كقوله "إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" فيسميه أبا لهم كما يسميهم أبناء له، فإن كان هذا صحيحا، فالمراد بذلك أنه الرب المربي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المربى المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها فيكون المراد بالأب الرب، والمراد بالابن عنده المسيح الذي رباه.)[5] .

وقد رد الشيخ أيضا على الدعوى السابقة في موضع آخر -ناقلا عن ابن تيمية[6]- بأن في الإنجيل ما لا يحصى كثرة وصف المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه عبد مثلهم وحكى ذلك حواريوه أيضا، قال الشيخ رحمه الله:

(في ص ٣٣٢ من ج٢[7] : بل أفصح في كل الإنجيل من كلامه ومخاطبته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بأنه عبد مثلكم ومربوب معكم، ومرسل من عند ربه

---

(١) انظر: الكتاب المقدس سفر الخروج ٤: ٢٢

(٢) لم أجد هذا النص في الكتاب المقدس.

(٣)انظر: الكتاب المقدس إنجيل يوحنا ٢٠: ١٧

(٤) الجواب الصحيح ١٩٤/٣

(٥) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨١

(٦) الجواب الصحيح ١٢٠/٤

(٧) هذه الإحالة من الشيخ إلى الطبعة القديمة للجواب الصحيح، والتي اعتمدت عليها هي طبعة رشاد سالم.

وربكم، ومبدي ما أمر به فيكم، وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه .

ومن كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله عز وجل ونبي له قوة وفضل)[1] .

وقد رد الشيخ -في موضع آخر- على النصارى في مذهبهم في الابن بأن معناها كان في كتبهم المحبوب ثم جعلوها بمعنى الإله وهو من وثنية اليهود ، وأن التثليث قررته المجامع الرسمية بعد المسيح بثلاثة قرون، ولا برهان لهم عليه، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (٢) ، قال الشيخ رحمه الله:

(﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ وهذا قول القدماء منهم، كان يراد به أنه المحبوب أو المكرم ثم سَرَت إليهم وثنية اليهود، فاتفقت كلمتهم على أنه ابن الله عز وجل، حقيقة، وعلى أن ابن بمعنى "الله" وبمعنى روح القدس، إذ هذه الثلاثة عندهم واحد ، وهذا تعليم الكنائس الذي قررته المجامع الرسمية بعد المسيح وتلاميذه بثلاثة قرون، وقد خالف في ذلك خلق كثير منهم يسمّون الموحدين أو العقليين[3] ، ولكن الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستنتية لا تعتدّ بنصرانيتهم ولا بدينهم.

وكلمة (ثالوث) تطلق عندهم على وجود أقانيم ثلاثة معا في اللاهوت تعرف بالأب والابن والروح القدس، وهذا هو تعليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية والبروتستانتية وهو المطابق لنصوص الكتاب المقدس.

---

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨٢، وانظر منه ٨٥-٨٦

(٢) سورة التوبة: ٣٠

(٣) الموحدون من النصارى : هم فرقة نصرانية تؤمن بأن الله واحد، وأن عيسى رسول الله ﷺ، وترفض عقيدة التثليث، ومن أسمائهم الناصريون، وأما الاسم الذي ظلوا مشتهرين به فهو : الآريوسية، وقد جرى الخلط بينهم وبين بعض فرقهم المشهورة أدى من ضمن أسباب أخرى إلى طمس ذكرهم. انظر: بحثا موسعا عنهم بعنوان: الموحدون من النصارى : أصولهم، واقعهم، معاناتهم، لسفر الحوالي.

﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ أي هذا الذي قالوه في عزير والمسيح قول تلوكه الألسنة في الأفواه، لا يؤيده برهان ولا يتجاوز حركة اللسان، بل البرهان دال على عكسه لاستحالة إثبات الولد لمن هو بريء عن الحاجة واتخاذ الصاحبة)[1] .

ثم وضح الشيخ معجزة القرآن بإخباره أن عقيدة النصارى واليهود في عزير والمسيح مأخوذة مِن قول مَن سبقهم من الكفار ، فقال رحمه الله:

(﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ أي يشابهون فيها قول الذين كفروا من قبلهم وهم مشركو العرب الذين قالوا مثل هذا القول، إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

وقد علم من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن لله والحلول والتثليث كانت معروفة عند البراهمة والبوذيين في الهند والصين واليابان وقدماء الفرس والمصريين واليونان والرومانيين، فبيان القرآن الكريم لهذه الحقيقة التي لم يكن أحد من العرب ولا ممن حولهم يعرفها، بل لم تظهر إلا في هذا الزمان ، معجزة من معجزاته الكثيرة التي تظهر على مر الزمان، وتصدقها المشاهدة والعيان)[2] .

وبين الشيخ -أيضا- أن عقيدتهم في المسيح تخالف عقيدة التوحيد على لسان كل رسول، وتخالف العقول كذلك، فكيف ينسبون له الألوهية وهم يعلمون يقينا أنه يأكل ويشرب، قال الشيخ رحمه الله:

(كيف يصرفون توحيد الله وتنزيهه -وبه تجزم العقول، وبلغه عن الله كل رسول- إلى قول لا يقبله عقل، فما المسيح وعزير إلا مخلوقان من مخلوقات الله الذي خلق هذا الكون العظيم ودبر أمره، ولا ينبغي لواحد من هذه المخلوقات أن يجعل لخالقه ومدبر

---

(١) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٢-٤٣، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/٩٩-١٠٠

(٢) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٣، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/١٠٠

شئونه ولدا من جنسه، مع علمه بأنه كان يأكل ويشرب ويتعب ويتألم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾(١).)(٢) .

وقرر الشيخ غلو النصارى في المسيح عليه الصلاة والسلام -بعبادتهم له- بقوله رحمه الله:

(واليهود قد كفروا بالمسيح وهو المصلح الأكبر في شريعتهم، والنصارى يعبدون المسيح وأمه والقديسين، وجُلُّ عبادتهم من صلاة وصيام لم تكن في عهد المسيح)(٣) .

وقد تملك مسروق الملك اليهوديّ على اليمن، وضيق على نصارى تلك الجهة؛ ليكفروا بألوهية المسيح، فلم يفعلوا فأوسعهم قتلا، وقد جعل الشيخ الخلاف بين مسروق هذا، ونصارى تلك الجهة خلافا صوريا لا حقيقة له، بل وشهداء أيضا !!!

فعرف الشيخ أولا بكتاب "الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية" ، لأغناطيوس يعقوب الثالث(٤) ، فقال الشيخ رحمه الله:

(هذا الكتاب يحتوي تاريخ الألوف من الرجال والنساء والأطفال الذين **استشهدوا** في سبيل العقيدة والمحافظة عليها والدفاع عنها، وبذل الأرواح دونها، وقد حقق فيه المؤلف أرثوذكسية(٥) النصارى الحميريين، ورد على الأب أنطون صالحي

---

(١) سورة الأنبياء:٢٦

(٢) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٤، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠١/١٠

(٣) المصدر السابق ص٤٦، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١١٠/١٠

(٤) هو أغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس: باحث أديب. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ في دمشق، سرياني الأصل، عربي اللسان والمنبت، توفي عام : ١٣٧٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣٣٥/١

(٥) انقسم النصارى إلى ثلاث طوائف: ١-كاثوليك: تعتقد أن الابن المسيح مساو للأب في خصائص الألوهية و٢-أرثوذوكس: تعتقد أن الابن المسيح غير مساو للأب و٣- بروتستانت: أخفهن غلوا؛ إذ لا تعتقد حق الغفران لرجال الكنيسة، وكانت في نشأتها أميل للتوحيد لكنها لم

اليسوعي -ناشر تاريخ مختصر الدول لابن العِبْرى[1] - القائل إن نصارى نجران لذلك العصر كانوا مستمسكين بعروة الإيمان الكاثوليكي منتهى الاستمساك، ناقلا تحقيقه هذا عن كتابه :"تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية" ج٢ص١٩٥ وعن غيره من المؤلفين)[2]

ثم قص الشيخ ما حصل بين مسروق الملك اليهودي، وبين نصارى اليمن، فقال الشيخ رحمه الله:

(وقد ذكر المؤلف في الفصل الرابع من الباب الأول ص١٣ وفي غيره من فصول الكتاب الحوارَ المدني دواوين الشهداء من رجال ونساء، وبين مسروق اليهودي الذي تملك على اليمن، فقد كان يضطهد مسيحي تلك البلاد ويضيق عليهم؛ **ليكفروا بألوهية المسيح، ويقولوا إنه إنسان لا إله،** قائلا:" إنكم إنما تسجدون لشخص قد مات، ادعى أنه ابن الله الرحمن في حين أنه إنسان ... ها إن الروم قد أدركوا الآن أن المسيح كان إنسانا بحتا، فما بالكم الآن تضلون وراءه ؟ ألعلكم أفضل من الروم. إننا لسنا نسألكم أن تكفروا بالله خالق السماء والأرض، ولا أن تسجدوا للشمس والقمر وباقي النيرات، أو لإحدى المخلوقات، بل أن تكفروا بالمسيح الذي حسب نفسه إلها،

تصْمُد. انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، لناصر القفاري، وناصر العقل، ص٧٦-٧٨ ط١ دار الصميعي ١٤١٤هـ.

(١) هو غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرون (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العِبْري: مؤرخ سرياني مستعرب، من نصارى اليعاقبة، وفي علماء الدين المسيحي من يشكّ في عقيدة ابن العبري وينسبه إلى أخذ مأخذ الحكماء واتباع آرائهم. اشتهر بأبي الفرج تيمُّنا بهذه الكنية، ولم يكن له ولد، لأنه لم يتزوج، له ٣٥ مصنفا في علوم مختلفة، منها بالعربية " تاريخ الدول " يعرف بمختصر الدول، انتهى به إلى سنة ١٢٨٤ م، وغيرها، توفي عام: ٦٨٥ انظر: الأعلام للزركلي ١١٧/٥-١١٨

(٢) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، لأغناطيوس يعقوب الثالث (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٧١٢/٤١ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ .

وتقولوا إنه إنسان فقط، لا إله " **ولم يريدوا أن يكفروا بالمسيح**، وأن يقولوا إنه إنسان ولكنهم **قالوا في جنونهم إنه الإله وابن الرحمن**. ص١٣)[١] .

ثم قال الشيخ -مقررا أن لا خلاف حقيقي بين النصارى وملك اليمن مسروق:

(وإن من يقرأ بتدبر وإمعان قول مسروق الملك اليهودي، ومخالفة النصارى له ، **يعلم أن لا خلاف في الحقيقة بينهم**؛ إذ أن مسروقا لم يدعهم إلى عبادة نفسه ولا عبادة غيره من المخلوقات، بل دعاهم إلى عبادة خالق الأرض والسماوات رب العالمين، حيث أن "نسطور السرياني الذي جلس على كرسي بطريركية[٢] القسطنطينية[٣] في سنة ٤٢٨م وما عتم أن صرح -خلافا للتقليد الكنسي- بأن العذراء مريم لن تلد كلمة الله، بل إنسانا بحتا هو المسيح، لذلك لا يجوز أن تدعى والدة الإله، أما المسيح لم يكن إلها، ولا ابن الإله، بل إنسانا "[٤]ص١٠)[٥] .

قال الباحث : لا أدري كيف يُجعل من يقول : إن المسيح هو الإله وابن الرحمن، ويموت من أجل ذلك شهيدا، وأن الخلاف بين من يقول ذلك، وبين من يصدهم عن ألوهيته خلاف صوري ؟!

---

(١) المصدر السابق٤١/٧١٣

(٢) البطريرك: هو قائد ديني ذو صلاحيات دنيوية محدودة، يترأس اليهود. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبد الوهاب المسيري ١٠/١١٨

(٣) قُسْطُنطينة : مدينة قديمة كان اسمها بزنطية، فنزلها قسطنطين الأكبر ملك الروم؛ فسميت باسمه، وتقع شمال شرق عاصمة الجزائر على بعد ألف كيلا منها. انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد الله البكري الأندلسي ٣/١٠٧٤، ومراصد الاطلاع ٣/١٩٢

(٤) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، لأغناطيوس يعقوب الثالث ص١٠ -باختصار- ط عام ١٩٦٦م (من غير ذكر دار الطباعة)

(٥) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، لأغناطيوس يعقوب الثالث (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤١/٧١٢ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ .

لا أدري ما وجه ذلك إلا إذا عذرهم الشـيخ بذلك كونهم لم يريدوا الكفر –كما وصفهم الشيخ بذلك قبل قليل– رغم صريح قولهم عن المسيح : إن الإله وابن الرحمن

والمراد من القصد المشترَط في التكفير هو قصد الفعل أو القول الذي هو كفر – بذاته– لا قصد نفس الكفر.

قال ابن تيمية رحمه الله :

(وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كفر كفر بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرا إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله.)[1]

ولا شك أن القول بأن المسيح عليه الصلاة والسلام إله وابن الرحمن هو قول كفري بذاته.

فهل يمكن أن يكون هذا غفل عنه الشيخ، وقال ما قاله؟

فالجواب:هذا أمر وارد.

وفي مذهب النصارى في الروح القدس بأنها حياة الله عز وجل، نقل عن شيخ الإسلام[2] أنها بمعنى الملَك، أو الوحي لا كما تدعي النصارى، فقال رحمه الله:

(وأما روح القدس: فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم، بل روح القدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء الصالحين. وروح القدس: قد يراد بها الملك المقدس كجبريل، ويراد بها الوحي، والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته)[3] .

---

(١) الصارم السلول على شاتم الرسول ص١٧٨ ، وانظر: انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د/عبد الله بن محمد القرني ص٢٧٠ ١٤٣٦هـ، والتكفير وضوابطه، أ.د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي ، والتحرير في بيان أحكام التكفير، د/عصام بن عبد الله السناني ص١٣٩

(٢) الجواب الصحيح ٣/١٩٤-١٩٥

(٣) حياة شيخ الإسلام، بهجة البيطار ص٨٢

وفي الرد على عقيدة التثليث عند النصـــارى نقل الشـــيخ عن محمد رحمت الله الهندي[١] في إظهار الحق[٢] أن التثليث لو كان صـحيحا لكانت الشـريعة الموسـوية أولى ببيانها، لا سيما إن كانت عليها مدار النجاة كما تدَّعي النصارى، قال الشيخ رحمه الله:

(قال في إظهار الحق:" .. وظاهر أن ذات الله وصـفاته الكمالية قديمة غير متغيرة موجودة أزلاً وأبداً، فلو كان التثليث حتماً لكان الواجب على موســـى عليه الســـلام وأنبياء بني إســـرائيل أن يبينوه حق التبيين، فالعجب كل العجب أن تكون الشـــريعة الموسـوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسـى عليه السـلام خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها نبياً كان أو غير نبي" اهـ)[٣] .

ثم قرر الشـيخ أن البروتسـتانت رجعوا عن التثليث، وأن بطلانه من قول المسـيح هو الحكم بين فرق النصارى، فقال رحمه الله:

(قلت: إن بعض القسـيسـين[٤] لاسـيما البروتسـتانت- قد رجع عن عقيدة التثليث، واعترف بوحدانية الله تعالى، وقال : إن هذا الاعتراف لا يضـر في النصـرانية، وقد نقلت هذا عن قسـيس دانيمركي[٥] قبل صـفحات، وكان مقيما في بدمشـق، وقال لي قسيس آخر: لا تصدق قول الدانيمركي بأن السيد المسيح ليس بإله.

---

(١) هو رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي، عالم بالدين والمناظرة، أشهر كتبه : إظهار الحق في الرد على النصارى، توفي عام ١٣٠٦هـ ، وقيل : ١٤٠٨هـ.انظر: الأعلام ٢٨/٣، ومعجم المؤلفين ١٥٣/٤

(٢) ٧٢٠/٣

(٣) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص ٤٧

(٤) القَس : رئيس من رؤساء النصارى في الدين، وهو حاليا في مرتبة بين الأسقف والشماس. انظر: المعجم الوسيط ص٧٣٢

(٥) **كذا في** الأصل .

قلت: الحكم العدل في هذا، هو يسوع المسيح نفسه، فقد شهد لله بالوحدانية، وشهد لنفسه بالرسالة، فقال :

"وإن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"(١) وقد تقدم هذا ، فهل بعد وصفه لربه بالوحدانية، ولنفسه بالرسالة من شيء؟)(٢) .

وقد نقل الشيخ النص السابق عن المسيح مستدلا به على عبادة الله وحده في الإنجيل، فقال رحمه الله:

(وأمره تعالى بعبادته على لسان عيسى كثير أيضا، من ذلك ما رواه يوحنا في إنجيله " وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته"(٣))(٤) .

وفي تحريف النصارى لإنجيلهم بالتغيير وزيادة حق البابا بالمغفرة، وقولهم بعصمته، ووجوب طاعته ، قال الشيخ رحمه الله:

(والنصارى غيَّر رؤسأُوهم جميع أحكام التوراة الدينية والدنيوية واستبدلوا بها شرائع أخرى في العبادات والمعاملات جميعا، وزادوا حق مغفرة الذنوب لمن شاءوا، وحرمان من شاءوا من رحمة الله وملكوته، والله يقول: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٥) ، وزادوا

---

(١) تنبيه : ما أراه منقولا عن أحد الأناجيل الأربعة = أرجع فيه إلى الطبعة الكاثوليكية في بيروت كما تقدم (**بهجة البيطار**، الإنجيل والقرآن ص٤٨حاشية ١) قال الباحث: وهذا النص لعيسى عليه السلام في الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا ١٧: ٣

(٢) الإنجيل والقرآن ، بهجة البيطار ص٤٨ ، وانظر منه ص٥٠

(٣) انظر: الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا ١٧: ٣

(٤) المصدر السابق ص٤٤

(٥) سورة آل عمران:١٣٥

القول بعصـــمة البابا في تفســـير الكتب الإلهية، ووجوب طاعته في كل ما يأمر به من الطاعات، وينهى عنه من المحرمات)[1] .

وكان الشيخ يدعو إلى التعاون بين رجال الأديان السماوية على نصرة المظلومين ومحاربة نشر الإباحية والرذيلة والفساد، ولبى لأجل ذلك الدعوة في أمريكا من قِبل جمعية التعاون الإسلامي المسيحي، وفي روسيا من قِبل المجمع العلمي الروسي، فقال الشيخ رحمه الله:

(لما زرت الولايات المتحدة الأمريكية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٦م بدعوة من جمعية التعاون الإسلامي المسيحي ،كنت أدعو إلى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل، وفي مدينة الاسكندرية من بعد، وكنا -ولا نزال- نرجو أن يكون الاتحاد أساسا راسخا؛ لأننا ننشد من ورائه الخير العميم لهذه البشرية المهددة بالفناء، بما أحدثت المدنية في الشرق والغرب من القنابل الذرية والهيدروجينية، وغيرهما.

وإن الحرب إذا وقعت-لا قدر الله- يكون وقودها هذا العالم المعذب، ويكون من ورائها النهاية الأخيرة لعالمنا هذا.

إن أول عمل يدعونا إليه الواجب الإنساني الخالص : هو نصرة الضعفاء والمظلومين في الأرض، وهذا لا يتم إلا بالتعاون والتضامن بين أهل الملل السماوية.)[2] .

ثم تكلم الشيخ عن دعوته من قِبل المجمع العلمي الروسي، فقال رحمه الله:

(ولقد كان لحركة هذا التعاون صدى استحسان في كل مكان، وقد اهتم النصارى الروس بها كل الاهتمام، ولما دعا المجمع العلمي الروسي أربعة من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لزيارة بلادهم ومجمعهم العلمي في موسكو ١٩٥٤ =

---

(١) الإنجيل والقرآن، بهجة البيطار ص٤٤، وقد نص الشيخ في ص٤٦ بأنه لخص معظم هذه الأجوبة من تفسير المراغي ، وهو فيه في ١٠/١٠-١٠٢

(٢) الإنجيل والقرآن ص٢٣

اختار مجمعنا أربعة من أعضـــائه ، وهـم : الأمير جعفر الحَسَـــني[١]، والدكتور حســـني سبح[٢]، والدكتور سامي الدهان[٣]، وكاتب هذه السطور "محمد بهجة البيطار"، وعرفوا أني عضـــو عامل في هذا المجمع العظيم، وأننا نســـعى أن نكون يدا واحدة في ســـبيل الإنسانية؛ فسُرُّوا لذلك سرورا عظيما، ودعوا لنا بالتوفيق والنجاح.

ورأيت هنالك الشعب باقيا على دينه، وقد سألت بعض المستشرقين في لينيغراد[٤] عن عدد ســـكان تلك المدينة، فقال لي : نحو أربعة ملايين. قلت : وكم يبلغ عدد النصارى فيها ، فأجاب: أكثر من ثلاثة ملايين نسمة. وقد صليت مع إخواننا المسلمين

---

(١) جعفر بن طاهر بن أحمد ابن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، ولد بدمشق، عالم بالآثار، من أعضاء المجمع العلمي العربي، ثم اختير أمينا له ، من أعماله العلمية، تحقيقه كتاب الدارس في أخبار المدارس (للنعيمي) توفي عام ١٣٩٠هـ. انظر: الأعلام ٢/ ١٢٤

(٢) هو حسني يحيى سبح، ولد بدمشق، طبيب جراح ، وشيخ من شيوخ العربية، عُين رئيسا للجامعة السورية (دمشق حاليا) مرتين، ورئيسا لمجمع اللغة العربية بدمشق حتى وفاته، اشتهر الإخلاص والنزاهة في عمله، توفي عام ١٤٠٧هـ. ت: ١٤٠٧هـ. انظر: ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص٧٠

(٣) هو سامي (أو محمد سامي) بن إبراهيم الدهان، ولد بحلب، أديب عالم ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ألف عدة كتب منها : محمد كرد علي حياته وآثاره، وحقق عدة كتب أيضا منها / ذيل طبقات الحنابلة، توفي ١٣٩١هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٧٤

(٤) الاسم السابق لمدينة بطرسبورغ الروسية، تقع في شمال غرب روسيا ، تعتبر أحد أهم مراكز أوروبا الثقافية، وثاني أكبر مدينة في روسيا بعد موسكو. انظر: سانت بطرسبورغ، موقع وكيبيديا، رابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨

في جوامع موسكو وطشقند[1]، وسمرقند[2]، وسمعت الأذان وخطب الجمعة، وقراءة القرآن في الصلاة وغيرها، كل ذلك باللغة العربية)[3] .

وقد انتقد الشيخ علي الطنطاوي مكر الروس بالكبراء وغفلة المشايخ عن مكرهم -ومنهم الشيخ بهجة-، فقال رحمه الله:

(وأما الروس فلا يدعون الضيف يرى إلا ما يريدون هم أن يراه، ولا يمشون إلا ما يحبون هم أن يمشي، ولا يلقى من الناس إلا من يسمحون له هم بلُقْياه، ثم لا يخلون بينه وبينهم، يبثون حوله العيون، وينشرون الجواسيس، يسجلون عليه كل حركة وسكنة، وكل همسة وكلمة.

ولقد خدع أكثر من ذهب إلى روسيا من العلماء والمشايخ، **حتى شيخنا الشيخ بهجة** .

وكانت لي دروس ليلية في مسجد الجامعة في دمشق، وكنت أتكلم ليلة عن الشيوعية، فدخل شيخنا الشيخ بهجة، ففرحت، وقلت له: تفضل يا سيدي أهلا وسهلا، حدثهم عما رأيت في روسيا، فكان مما قال : إنه لم ير عورة بادية، ولا ذراعا عارية، ما رأى إلا الحجاب السابغ، فتأملت: ووجدت أنه -غفر الله له-سيهدم علي ما بنيت، وينقض ما أبرمت. فسألته لأنبه الشباب السامعين: وكم هي درجة

---

(١) الاسم الحديث لمدينة الشاش، تقع في أرض مستوية لا جبل فيها ، وهي كثيرة البساتين، وهي حاليا عاصمة أوزبكستان. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد لله بن عبد المنعم الجميري ت: ٩٠٠هـ ٣٣٥/١ تحقيق: إحسان عباس ط٢ مؤسسة ناصر للثقافة عام ١٩٨٠م.

(٢) مدينة في شرق أوزبكستان حاليا ، تعتبر ثاني أكبر مدنها، اشتهرت قديما بأنها من أجمل البلدان عمارة ، وأشدها امتناعا، وأكثرها رجالا، افتتحها قتيبة بن مسلم أيام الوليد بن عبد الملك، وصالح مَلِكها. انظر: البلدان لليعقوبي، أحمد بن إسحاق) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: بعد ٢٩٢هـ) ١٢٤/١، وآكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، لإسحاق بن الحسين المنجم (ت:ق٤) ٨٤/١

(٣) الإنجيل والقرآن ص٢٤

الحرارة هناك يا سيدي؟ فقال : عشرون تحت الصفر. فأفهمتهم أن هذا الحجاب للخوف من البرد، لا للحرص على الفضيلة.

وفي كثير من مشايخنا الكبار مثل هذا البعد عن المكر، حتى أن الواحد منهم يُمكر به فلا يشعر مع أن عمر كان يقول : "لست بالخِبِّ ولكن الخب لا يخدعني"[(١)] ، من ذلك أنه لما كان الحاج أمين الحسيني[(٢)] يناضل الإنكليز في فلسطين، سألوا مفتي مصر عن وظيفة المفتي فأجابهم. قالوا له: وهل من عمله الاشتغال بالسياسة؟ فأجاب القائلين : لا ، فأخذوا من جواب مفتي مصر حجة على مفتي فلسطين)[(٣)].

وقد دعا الشيخ أهل الملل السماوية إلى إقامة ما أنزل إليهم دون ما حُرف، وأنه به تتم الوحدة والمودة بينهم، فقال رحمه الله:

(وختام القول إن هذه النصوص الصحيحة الصريحة بوحدانية الله تعالى، وبرسالة السيد المسيح، قد ألفت بين الأديان الثلاثة، وهذا هو الإخاء الصحيح بين محمد وموسى والمسيح، عليهم الصلاة والسلام، ولو اقتصر رجال الكنيسة الأكارم على ما بين أيديهم من الكتب المقدسة، دون عقائد وعوائد ليست في هذه الأناجيل التي هي أصل العقيدة ومستندها؛ لاجتمعت الكلمة، وأحكمت عرى المودة القلبية، بين أهل العقائد السماوية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[(٤)] .

---

(١) لم أجده مسندا عن عمر ، ووجدته مسندا عن إياس بن معاوية من قوله، فقد أسنده عنه المزي في تهذيب الكمال ٤١٧/٣-٤١٨

(٢) هو محمد أمين (أو الحاج أمين) بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني، ولد بالقدس، مفتي فلسطين وزعمها السياي في عصره، كان أول من نبه على خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور (١٩١٧م)، وجاء بلفور مع المندوب السامي البريطاني يريدان دخول الحرم القدسي فمنعهما، ولم تقم حركة مقاومة في فلسطين في حياته إلا كان هو مدبرها في الخفاء أو العلن، توفي عام ١٣٩٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٤٥/٦

(٣) رجال من التاريخ ٤١٨/١-٤١٩

(٤) الإنجيل والقرآن ص٥١ ، وانظر: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٧٨، ومجلة مجمع اللغة العربية١٤٣/٢٥ ربيع أول ١٣٦٩هـ.

المطلب الثالث:عبدة الشيطان

عبادة الشيطان ليست وليدة العصر، فقد ظهرت في الفلسفات القديمة، كالغنوصية[1]، والفرعونية، وأيضا في التراث اليهودي والنصراني.

وإن لليهود دور خفي في شيوع عبادة الشيطان بدليل :

١. وجود بعض الطقوس الشيطانية في التراث اليهودي.
٢. والتأثير الماسوني في التراث النصراني في القرون الوسطى، والذي أدى إلى انحراف فرقة الكثَّاريين[2] إلى عبادة الشيطان.
٣. وأيضا ما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن مؤسس اليزيدية عدي بن مسافر يهودي الأصل[3].
٤. وظهور عبادة الشيطان في أواخر القرن العشرين بأمريكا من خلال مؤسسها اليهودي الأمريكي: أنطوان ليفي[4] .

---

(١) هي الفرقة التي تدعي أن وسيلة المعرفة هي الحدس والظن الذاتي لا العقل مثلا، ومنهم أخذ الصوفية الذوق وأحلوه محل الحدس، وأصلهم أفلاطوني. انظر: المعجم الوجيز، لسفر الحوالي ص٩٠

(٢) لم أجد لهذه الفرقة تعريفا.

(٣) المشهور أن نسبه يرجع إلى مروان بن الحكم الأموي، وقد أملى بعض قرابة عديٍّ نسبه على ابن المستوفي صاحب تاريخ إربل ١/١١٦ فقال: (وهو عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى عليَّ نسبَه بعضُ ذي قرابته.) ، وهو من شيوخ الصوفية، قال معاصره ابن المستوفي: (وكان أكثر وقته مشغولا بالسماع والرقص على طريق الفقراء، وحضرته أنا وهم على ذلك من غير دف وشبابة) ، وسيأتي ترجمة للشيخ له في الصفحة القادمة مع بيان حاله. وانظر: تاريخ إربل، للمبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت: ٦٣٧هـ) ١/١١٦، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٢٥٤

(٤) أنتون ليفي، ولد بشيكاغو من أبوين يهوديين، كان موسيقيا وممثلا ومحبا للخوارق، المؤسس الأول لفرقة عبدة الشيطان، هلك عام ١٩٩٧هـ. انظر: أنتون ليفي، موقع ويكيبيديا، رابط:

٥. ووجود جماعة في تل أبيب تسمى إخوان الشياطين[١] .

واليزيدية إحدى هذه الفرق على مدار التاريخ الإنساني التي ألهت الشيطان .

فهي فرقة أُنشأت في عام ١٣٢هـ إثر انهيار الخلافة الأموية تُؤله عدي بن مسافر، ويزيد بن معاوية، وإبليس (طاووس الملائكة على تسميتهم) .

وتعداد هذه الطائفة : ١٢٠ ألفا ، منهم ٧٠ ألفا في العراق، والبقية في سوريا وتركيا وإيران وروسيا ، وأقليات في لبنان وألمانيا وبلجيكا.

وقد مرت هذه الطائفة بعدة أدوار:

الدور الأول: حركة سياسية أموية ، تتبلور حول يزيد بن معاوية

الدور الثاني: تحولها إلى طريقة عدوية صوفية.

الدور الثالث: الدور الذي انحرفت فيه من حب عدي ويزيد إلى تقديسهما وتقديس إبليس، وذلك في القرن السابع أيام رئيسهم : أبو محمد ابن أبي البركات المعروف بالشيخ حسن .

الدور الرابع : خروجهم التام من الإسلام وتحريم القراءة والكتابة ودخول المعقدات الفاسدة في تعاليمهم[٢].

وقد بين الشيخ أن بذرة انحراف اليزيدية كانت بسبب عدم اقتران صلاح عدي بن مسافر بالعلم الصحيح، ثم غَلَوا بعد ذلك فيه وفي يزيد الأموي، وإبليس إلى حد التأليه، قال الشيخ رحمه الله:

(الصلاح أو التصوف إن لم يقترن بعلم صحيح : كان فتنة لصاحبه وللناس أيضا.

---

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨A٣

(١) الجذور التاريخية لعبدة الشيطان، د/محمود يوسف الشوبكي، ود/يحيى علي الدجني، مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، ١١/٢٧٧، ٣١١-٣١٢، عدد :٢ عام ٢٠٠٣م

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والفوق والمذاهب المعاصرة ١/٣٧٢

وإمام اليزيدية عدي بن مسافر العلوي مولدا ، الهَكَّاري –نسبة إلى جبال هَكَّار من أعمال الموصل– موطنا ومدفنا، المتوفى في منتصف القرن السادس للهجرة ، كان على ما وصفنا، فقد أجمع المؤرخون على صلاحه[1] ، وافتتن الألوف بتقشفه وزهده، وغلو غلوا كبيرا في حبه، ثم تراخى العهد على موته فألهوه.

وكان ينهى في حياته عن لعن إبليس؛ تفاديا عن لعن غيره؛ فألهوا إبليس من بعده وعبدوه، وقال بصلاح يزيد فألهوا يزيد وعبدوه أيضا؛ وهذا هو سبب تسميتهم على الأرجح)[2] ؟.

---

(١) سبق في بداية هذا المطلب أن معاصِرَه: ابن المستوفي وقف بنفسه على عدي بن مسافر وهو مشغول بالسماع والرقص، وأظن أن الشيخ رحمه الله لم يقف على ترجمته عند ابن المستوفي.

(٢) عبدة الشيطان في العراق، للسيد عبد الرزاق الحسني (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ١٨٩/١٣ رمضان ١٣٥١هـ.

المبحث الثاني:جهوده في الرد على المذاهب والأنظمة والدعوات الباطلة

ويحتوي على سبعة مطالب:

المطلب الأول:المادية

المادية: هي فكرة تحاول تفسير كل ما في الكون بوجهة مادية.

ففي العلم والمعرفة لا يقبل في إثباتها إلا التجربة، ولا دور للوحي في ذلك.

وبناء على مادية الإنسان؛ فإن أخلاقه تكون تابعة لوضعه الاقتصادي،وهذه الأخلاق ليست ثابتة، بل تابعة لما يحكمه التفسير المادي للتاريخ.

والنظرة بمادية إلى الكون بكل ما فيه تجعل النفس تفكر بخسة.

والمادة لها أصولها في التاريخ الإنساني، فقد أرجع الفلاسفة الطبيعيون[1] أسباب الوجود إلى أربعة عناصر : الماء والتراب والهواء والنار.

والمادية قامت عليها الحضارة الغربية، وتسللت إلى داعين لها في العالم الإسلامي، أمثال : زكي نجيب محفوظ[2]، وعبد الرحمن بدوي[3] [4] .

---

(١) انظر في التعريف بالفلاسفة الطبيعيين ص٢٢٣

(٢) ولد بدمياط مصر، فيلسوف ومفكر، عده أنور الجندي من دعاة التغريب، ومن دعاة الفلسفة الوضعية الملحدة وله فيها المنطق الوضعي توفي عام ١٤١٣هـ. انظر: ذيل الأعلام للعلاونة ص٨٨، والموسوعة الميسرة ٨٧/٢، وللاستزادة انظر: دراسات شرعية في فكر منحرف لسليمان الخراشي ص٣٩٩-٤٣٧

(٣) ولد بمصر، كان فيلسوفا وجوديا، ثم تاب منها، وله في الفلسفة كتب يستفيد منها المختصون، وله أيضا جهود في صد عدوان المستشرقين على الإسلام، توفي عام ٢٠٠٢هـ. انظر: عبد الرحمن بن بدوي ومذهبه الفلسفي، ومنهجه في دراسة المذاهب عرض ونقد (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه) ، لعبد القادر بن محمد الغامدي ١٩٠/٢

(٤) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ١١٣٧/٢-١١٣٩

وقد بين الشيخ أن النظرة المادية لا تصلح للروح والعكس صحيح، فقال الشيخ رحمه الله:

(إن إصلاح المادة لا يمكن أن يصلح الروح الجموح الطموح، ولكن إصلاح الروح هو الذي سيصلح المادة)[1] .

ثم ضرب الشيخ مثالا من حال الغرب ، كيف أنهم بلغوا في المادية مرتبة عالية، ولكنها لم تخلصهم من مشاكلهم الاجتماعية ومجازرهم، فقال رحمه الله:

(ألم تروا إلى تلك الأمم : أمم الغرب، الذين علموا أسرار المادة؛ فدرسوها وحللوها تحليلا كيماويا، ولم يتركوا شيئا منها إلا أتقنوه وعملوا به، هل خلصتهم علومهم وفنونهم المادية من المشاكل الاجتماعية التي نراهم يتخبطون في دَيْجُورها؟)[2] .

وقد قرر الشيخ أن للمادية قسوة لا تغذي الروح فلذلك فإنه عند تطبيقها ينفر عنها مجموعة من الناس، فقال رحمه الله:

(لقد ذاق الناس من ظلم المدنية المادية ما جعل أشد الناس إيمانا بها من قبل ، أشدهم بغضا لها ، وكراهية للمستبدين الظالمين من أهلها)[3] .

وقد ذكر الشيخ -في موضع آخر- مثالا على الذين نفروا وقاسوا من المدنية المادية من خلال حديث مع أستاذ ألماني قاسى من المدنية وأراد ما يغذي الروح بالوصول إلى الله عز وجل، فقال الشيخ رحمه الله:

(منذ أيام قليلة زارني أستاذ ألماني يصحبه أستاذ عربي درس في إحدى الجامعات الألمانية، فتولى أمر الترجمة بيننا، قال الأستاذ الجامعي:

"إني شغلت بالمادة عن الروح، وبعلم الأرض عن علم السماء، الآن أريد الوصول إلى الله فكيف العمل؟"

---

(١) كلمات وأحاديث، لبهجة البيطار ص٨٩

(٢) المصدر السابق.

(٣) التربية الإسلامية ، بهجة البيطار ، مجلة التمدن الإسلامي٣٣/٦٣٠ عام ١٣٨٦هـ

فقلت: إن الوصول إلى الله عند الحكماء عن طريق النظر والاستدلال العقلي، وعند الروحانيين عن طريق الرياضة والعبادة والمجاهدة، وعند أهل الملل السماوية عن طريق الكتب المنزلة، والنظر في ملكوت السماوات والأرض)[١] .

ثم وصف الألماني قسوة المادية في الغرب، بما ينذر بهلاكهم وانحطاطهم فيها، فقال الشيخ رحمه الله:

(وأخذنا نجول جولات في الموضوع ، فكان مما قلته له:

(إنكم أيها الغربيون أنشأتم مجامع روحانية، وعندكم علماء روحانيون، أفلست متصلا بهم أيها الأستاذ؟

قال: "دعني من الغرب وأهله؛ إن هؤلاء الغربيون قد فُتنوا بالمادة فأضلتهم، إنها أوقدت في صدورهم، نار العداوة والبغضاء، فنرى العِداء مستحكما بين كثير من أفرادهم ، وأسرهم وحكوماتهم، فأنا في أشد سَأْمٍ من الغرب ومن الغربيين ، وأبتغي حياة سعيدة في الشرق و بين الشرقيين.

إن أبناء الغرب قوم ماديون يقدرون وقتهم بالدقائق، وكلها أوقات مادية مأجورة، ويخشى أن يفضي التطاحن بينهم إلى حرب أشد هولا وفظاعة من كل ما سبقها من الحروب العامة !)[٢] .

ثم قرر الألماني في حواره مع الشيخ أن الغرب ينتظر نهضة خلقية من أهل مهبط الوحي : الشرقيين ؛ لينقذوهم من فوضى المدنية، فتابع الشيخ نقله عن الألماني في حواره له:("...إن بلادكم مهبط الوحي، ومصدر النور، وموطن الرسل [صوات الله عليهم وسلامه][٣] ، فالغرب ينتظر منكم نهضة خلُقية تعم الشرق والغرب، وتنقذ الأوروبيين من فوضى المدنية ومفاسدها" .

---

(١) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٩٠

(٢) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٩١

(٣) زيادة من الشيخ.

هذا ما قاله غربي ألماني)[1] .

ثم تعجب الشيخ من المفارقة بين إنصاف الألماني، وموقف بعضنا من قيم الإسلام ، فقال رحمه الله:

(وهذا هو نظر الأجانب المنصفين فينا، فما هو نظرنا في أنفسنا يا ترى؟

إننا عن هذا في شغل شاغل من أنفسنا : طوائفُ ونزعاتٌ تلهينا عما يُرجَى منا من خير نقدمه لهذه الإنسانية المنكوبة)[2] .

وقد قرر الشيخ أن من أسباب انتشار وظهور المادية : الاعتقاد بأنه لا يمكن الجمع بين الروح والجسد، فقال في تلخيصه للنظام الروحاني في رسالة :" نظام الحياة في الإسلام " للمودودي[3] :

(وأما النظام الروحاني ، فالفكرة التي ما زالت مسيطرة في الفلسفة والديانات : أن الروح والجسد نقيضان لا يجتمعان معا، فهذا في واد وذاك في واد، فمن المستحيل إذا رقيُّهما وازدهارهما جنبا إلى جنب، فكان من النتيجة اللازمة لهذه الفكرة أن تبددت طرق الروحانية والمادية، وتفرقت بينهما السبل والمناهج)[4] .

ثم ذكر الشيخ من خلال السياق السابق : مفاسد الإيغال في المادية، فقال رحمه الله:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أبو الأعلى أحمد حسن المودودي، ولد بباكستان ، مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية، نافح من أجل تطبيق الإسلام، مجاهدا ضد الاحتلال، وثقافته الاستعمارية العلمانية، منحت له جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، تأثر وأثر بدعوة الإخوان المسلمين، وكذا بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، توفي عام ١٩٧٩م. انظر: الموسوعة الميسرة ١/٢٠٦-٢٠٧ ، ٢١٢، وعلماء ومفكرون عرفتهم لعبد الله المجذوب ٢/٥

(٤) رسالة نظام الحياة في الإسلام، أبو الأعلى المودودي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٧/٢٩٤ ربيع الآخر ١٣٧١هـ .

(فالذين آثروا المادة انغمسوا في عبوديتها كل الانغماس، وانسلخت مجتمعاتهم ومدنيتهم وسياستهم ومعيشتهم، وسائر أركان حياتهم الدنيوية من الروحانية، وتجردت من معالمها حتى امتلأت الأرض ظلما وعدوانا)[١] .

وقد بين الشيخ أن البديل عن النظريات المادية هو الدعوة إلى التربية الإسلامية الأولى في عهد السلف ، فقال رحمه الله:

(التربية الإسلامية الأولى هي التي هدت السلف إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد، فالمسلمون بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدها الإسلام من الفروض، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس)[٢] .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التربية الإسلامية ، بهجة البيطار ، مجلة التمدن الإسلامي٣٣/٦٣٠ عام ١٣٨٦هـ

المطلب الثاني:التغريب

التغريب : هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

وقد بدأت حركة التغريب **كظاهرة** مع ضعف الخلافة العثمانية، والافتتان بتطور حضارة الغرب.

وللأسف ساهمت المدرسة العقلية الحديثة -جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده- في المساهمة بطريقة أو بأخرى في هذا الاتجاه؛ إذ كانت هذه المدرسة تدعو إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل؛ بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب(١).

ومن أهم الأفكار التغريبية :

١. إحياء الحضارات القديمة .
٢. تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربيةَ، ومحوُ الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغيةَ إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه.
٣. الدعوة إلى الالتفاف حول العالمية الإنسانية دون مراعاة للثقافة الدينية.
٤. وإحياء الدعوة إلى القومية والوطنية على حساب رابط الدين(٢).

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والفوق والمذاهب المعاصرة ٦٩٨/٢ ، ٧٠٠

(٢) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، د/ غالب عواجي ١٦٥/١-٤٦٦، الموسوعة الميسرة في الأديان والفوق والمذاهب المعاصرة ٧٠٢/٢-٧٠٣

وقد بين الشيخ أن صد حركة التغريب لا تعني عدم الانتفاع بمخترعات الحضارة الغربية ، فقال رحمه الله:

(يظن بعض الناس أن دعاة الإصلاح والتجديد لأمر الدين والتوحيد على أساس الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة ، إنما يحاولون إحياء الدين وإماتة ما عداه من علوم السلف وحضارتهم، أو عدم الانتفاع بما تدعو إليه الحاجة من مخترعات الغربيين ومدنيتهم، إن تعجب فعجب هذا الزعم الباطل ! ..)[١] .

ومن مظنة التغريب الهجرة إلى ديار الغرب؛ فقسم الشيخ الهجرة إلى تلك الديار إلى محمودة ومذمومة، وجعل من المحمودة : الهجرة لنشر الدعوة، والمطالبة بحقوق البلاد، وتعلم الصناعات التي يتوقف عليها رقي البلاد، وجعل من المذمومة : الهجرة للتهتُّك، وليكون من مطايا الاستعمار، قال الشيخ رحمه الله:

(والهجرة في عصرنا منها ممدوح ومذموم، فمن الهجرة الحسنة : الهجرة إلى ديار الغرب؛ لنشر الدعوة وإقامة الحجة، والإنقاذ من فوضى الأخلاق والآداب، ومنها الهجرة للمطالبة بحقوق البلاد، والدفاع عن حريتها واستقلالها، ومنها الهجرة لتعلم الفنون والصناعات التي تتوقف عليها حياة البلاد ورقيها.

ومن الهجرة المذمومة: السفر إلى تلك الديار للتهتك والاستهتار، أو ليكون المهاجر من مطايا الاستعمار)[٢] .

وقد قرر الشيخ أن الدين واللغة والتقاليد والجنسية، من المقومات التي لا قيام للأمة دونها –ويشير الشيخ إلى أهمية هذه الرباعية في تفاعلنا مع غيرنا من الأمم والحضارات، قال الشيخ رحمه الله:

(إن من موجبات الأسف، ومُدْمِيات القلوب : أن نرى في أمتنا العربية من قُطِّعَت الروابط بيننا وبينهم تقطيعا، فانقلبوا يمشون في أرضنا أعداء ألداء، وقد كانوا بالأمس الأخوة الأوفياء، ذلك بأنهم فقدوا كل مميزاتهم المِلِّية والقومية من دين ولغة وتقاليد وجنسية،

(١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص٦٠

(٢) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٨٤

تلك المقومات التي لا بقاء لأمة على وجه الأرض -معتصمة بحبل وحدتها، مستمسكة بعرى وطنيتها- بدونها، ولما فقدوا حلقة الاتصال التي تربطهم بنا -وبسلفهم أيضا- صاروا شرّاً من الأعداء)[١] .

وقد جعل الشيخ مبدأ العلمانية بفصل الدين عن الدولة، وشؤون المجتمع : من آثار التَّفَرْنج والتغريب، ويحقق مقصودهم غفلة بعض المتدينين عندما يمتنعون عن المشاركة في المسائل العمومية، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إن تعجب فعجب قول بعض المتفرنجين الجاهلين : يجب أن يبقى الدين محصورا في المعابد ، ما كان لرجال الدين أن يتداخلوا في المسائل العمومية !!

ويعد ذلك بعض المتدينين الجامدين قضية مسلمة، فَيُدعى إلى المشاركة في عمل خيري عمومي، يوجب الدين أن يشترك في مثله، فيقول : أنا لا أشتغل فيما لا يعنيني !!

وقد فات هذا وذاك أن القيام بالمشاريع العامة النافعة من الدين، وأن حب الوطن -بالعمل لخيره وخير أهله- من الإيمان[٢].

وألم يروا كيف اجتمع الدين والوطنية في شخص الإمام ابن تيمية، فدَعاهُ للدفاع عن وطنه، والذود عن حوضه بالحجة والبرهان، أو القلم واللسان تارة ، وبالسيف والسنان تارة أخرى؟!!)[٣] .

وقد بين الشيخ انفتاح العالم بعضه على بعض : شرقه وغربه، بعلومه ورذائله -التي يعدها البعض من لوازم المدنية- ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ :

---

(١) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٣٣٩/١

(٢) حديث : ((حب الوطن من الإيمان)) لا أصل له ، وحكم بوضعه : الصغاني في الموضوعات ص٥٣ (٨١) ، والألباني في السلسلة الضعيفة ١١٠/١، **واختلف العلماء في صحة معناه**، فصحَّح معناه السخاوي في المقاصد الحسنة ص٢٩٧ (٣٨٦)، وأتى بأدلة تفيد بأن حنين الرجل إلى وطنه مما يُمدح، وليس هو مأخذ النزاع، فالنزاع في جعل حب الوطن من الإيمان، وممن نفى صحة معناه الألباني في المصدر السابق.

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ٣٣٩/١

(وناهيك بهذا العصر الذي كثر فيه اختلاط الأمم بعضها ببعض، وتنوعت فيه مطالب الحياة، واقتبس الشرق من الغرب مزايا ورزايا، وفُتحت أبواب العلوم والفضائل، كما فُتحت أبواب الرذائل والفواحش التي يعدُّها فساق المتفرنجيين من محسنات[1] هذا العصر، ولوازم المدنية الحديثة!)[2] .

وعند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[3]. وقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[4]. ، بين الشيخ أن جميع ما استحدثه الغرب من القوى العسكرية تدخل تحت أنواع التسخير الوارد في الآية، فقال الشيخ رحمه الله:

(فالمسلمون بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدها الإسلام من الفروض، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس، وساسوا الأمم سياسة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، وقد قال سبحانه : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[5]. وهذا التسخير : تسخير تمكين وانتفاع، واكتشاف واختراع، وقال : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[6]. وهذا الخطاب عام لأمة القرآن يدعوهم ويوجه نظرهم إلى ما خلق تعالى في جوف الأرض من كنوز ومعادن، ويرشدهم إلى الاستفادة منها، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب من القوى البرية والبحرية والجوية : هو مما أرشد إليه الإسلام، فردُّه

(١) كذا في المصدر ، ولعلها : حسنات.

(٢) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٤٧، وانظر : الدستور القرآني في شؤون الحياة، لمحمد عزة دروزة (تعريف ونقد) ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥٩٢/٣٢ جمادى الأولى ١٣٧٦هـ .

(٣) سورة الجاثية:١٣

(٤) سورة البقرة:٢٩

(٥) سورة الجاثية:١٣

(٦) سورة البقرة:٢٩

رد لنصوص القرآن، وتعطيل لأحكامه، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزّز قوتها، وينمي ثروتها، ويحمي حوزتها ويدفع عوادي الشر عنها)[١] .

وفي التحذير من التغريب بأن الثقافة والآداب الغربية لن تقدم للمسلم أفضل مما قدمه له دينه وثقافته : نقل الشيخ وصية المسلم -يهودي الأصل- :محمد أسد[٢] إلى المسلمين، فقال الشيخ رحمه الله:

(نصح المؤلف لإخوانه في الإسلام بأنهم إذا تبنوا -وهم في غير حاجة أن يفعلوا ذلك- أشكال الحياة الغربية ، والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية، فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئا، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار : لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسُها، ومما يدلُّهم عليه دينهم نفسه)[٣] .

وفي تقييم الشيخ لمدنية الغرب قرر أنها مع تقدمها في الصناعات التي تخدم الإنسان، لكنها في المقابل أهلكت الحرث والنسل في أمكنة أخرى، بسبب عدم مراعاتها القيمَ والأخلاق، وتوغلها في المادية، قال الشيخ رحمه الله:

(إذا كانت المدنية الحديثة -التي غرَّت كثيرا من شبابنا بزخارفها- : سخَّرت من الأوهام والأهواء -كما يقولون- وسبَحت بطياراتها في أجواء الفضاء، وغاصت بغواصاتها في قعور البحور، وأتت من ضروب الإبداع والاختراع بما يقضي بالعجب العجاب، ويكون آية لأولي الألباب، فإنها هي التي سفكت بأطماعها دماء ملايين البشر في أقطار الأرض، وأهلكت بحروبها الحرث والنسل، وشلت الأيدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة، وسطت على الأمم المستضعفة؛ فأذاقتهم أنواع العذاب، واستعبدتهم وقد خلقتهم أمهاتهم احرارا !!

---

(١) عمدة التفسير، لأحمد شاكر (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٦٩/٣٢ جمادى الأولى ١٣٧٦هـ .

(٢) سبقت ترجمته ص٤٤٠

(٣) الطريق إلى مكة، لمحمد أسد (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٨٧/٣٣ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ .

ذلك بأن هذه المدنية قد عَرِيت من لباس الحق والعدل والأخلاق، كما قال الحكيم الاجتماعي الإنكليزي هربرت سبنسر[1] : مُحِي الحق من عقول أهل أوروبا، واستحوذت عليها الأفكار المادية، فذهبت بالفضيلة.

وأمير الشعراء في هذا العصر يقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا[2]

ما أحوجنا -نحن معشر العرب المسلمين اليوم- إلى تربية جسمية عقلية، تتكون مع تربيتنا الخلقية؛ لنستعيد بها عهد السلف الصالح، ومحلنا الممتاز بين الأمم أجمع)[3] .

وقد سبق التنبيه بأن من أفكار التغريب تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور – حسب زعمهم- يبرر الأنماط الغربية، وقد نجح التغريبيون في غرس هذا الفكر مع شاب جاء إلى الشيخ، وشرع ترك الصلاة بحجة أنها وسيلة إلى النهي عن الفحشاء وليست غاية، فرد الشيخ بأن الصلاة مقصد بذاتها وإن كانت وسيلة لغيرها، وقد فعلها من كان أبعد عن الفواحش، وأكثر فعلا للخيرات، ﷺ، قال الشيخ رحمه الله:

(وقال شاب متفرنِج : " إن الصلاة وسيلة إلى فعل الخير والانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وليس هي مقصد في نفسها، وهي موضوعة للعامة لتأمرهم بالخير وتنهاهم عن الشر، ومثلي في غنى عنها؛ لأني أفعل الخير لذاته، وأجتنب الشر لذاته"

فقلت: إنها غاية ومقصد في نفسها، وإن كانت أيضا وسيلة إلى غيرها! وقد أقام الصلاة خاتم النبيين -صلوات الله عليه وعلى آله- الذي جاء بما أعجز العالمين، وصلى أصحابه معه، فهل بلغت أنت وأصحابك أعلى من هذه المنزلة؟؟!)[4] .

---

(١) ولد في بريطانيا، فيلسوف اجتماعي ملحد، متطرف في الليبرالية، أوجد مصطلح البقاء للأصلح، توفي عام ١٩٠٣م. انظر: الموسوعة العربية العالمية، حرف السين، سبنسر

(٢) البيت يُنسب لأحمد شوقي ، ولم أجده في ديوانه المسمى ب(الشوقيات).

(٣) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٥٠-٢٥١

(٤) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٥٢

ثم أكد الشيخ رده بأن هذه الفلسفة التغريبية في الصلاة مشابهة للباطنية التي عاشت في الظلمات، فقال رحمه الله:

(ثم قلت له: إن بعض فرق الباطنية التي عاشت في القرون الوسطى –التي تسمى عصور الظلمات– زعمت أنها وصلت إلى درجة من القرب والرقي ارتفعت بها عنها التكاليف الشرعية، ونحن الآن في العصر العشرين –المسمى بعصر الحقائق والنور– فكيف نجدد عصور الظلمات والخرافات؟!)[1] .

وجاء الشيخ آخر يكرر الفلسفة التغريبية السابقة في العبادات بأنها لا تفيد في عصر القوة والمادة، فرد الشيخ عليه بأن جميع التكاليف مبنية على درء المفاسد : فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام يعلم الثبات على المبادئ، فقال الشيخ رحمه الله:

(وقال لي آخر : " لا يخفى أن هذا العصر هو عصر مادة وقوة، فما فائدة العبادات في معترك الحياة العملي، والجهاد القومي؟"

فذكرت له ما كنت قلته في غير هذا الموضع لمثله، وهو : أن من سبر غور الإسلام، ودرس حكمة العبادات ، علم أن جميع التكاليف الشرعية : من روحية، وبدنية، ومالية مبني على درء المفاسد:

فالصلاة الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف، تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأشد الفواحش والمنكرات فتكا وهتكا : هي تلك الجيوش المعنوية التي مهدت بها أوروبا السبيل لفتح بلاد الشرق، وهي : الخمر والميسر والزنا والربا والانتحار، فكثير ممن أضاع الصلاة، واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو المنُون، فكان ذلك من أشد المصائب على الوطن.

والصيام الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام، وسائر الأعضاء عن الآثام، وصرف جميع المواهب والقوى فيما صرفت له ، يعلم الثبات على خلق –أي: مبدأ– قويم

---

(١) المصدر السابق .

لا محيد عنه : فالصائم الذي يغلب عقلُه شهوتَه، ولا يخون دينه بالأكل نهارا، سرا وعلانية ، لا يمكن أن يخون وطنه أو يُخدع في أمره، فيبيعه بثمن بخس من غير أهله)[1].

وقد ذكر الشيخ بعد ذلك وجه كون الزكاة والحج مبنيتان على درء المفاسد، تركت ذكره لكفاية الأمثلة السابقة على ما يريد الشيخ إثباته من كون التكاليف مبنية على درء المفاسد.

---

(١) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص٥٣-٥٤

المطلب الثالث:التنصير

التنصير : حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب(١).

وأبرز عوامل انتشار التنصير :

١. انتشار الفقر والمرض في بعض البلدان الإسلامية .
٢. والجهل بحقيقة الدين الصحيح.
٣. والجهل بحقيقة التنصير.
٤. ونفوذ الدول الغربية .
٥. وانبهار كثير من المسلمين بحضارة الغرب(٢).

وأهم الوسائل المستخدمة في التنصير :

١. الخدمات الطبية.
٢. المؤسسات التعلمية.
٣. الخدمات الاجتماعية .
٤. المساعدات المادية.
٥. والصناعات .
٦. والتجارة .
٧. والإعلام.
٨. وإنشاء الجمعيات .

---

(١) الموسوعة الميسرة ٦٦٥/٢

(٢) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ، د/ غالب عواجي ٣٢٦/١-٣٢٨

٩. واستغلال المرأة.

١٠. وتشجيع الحروب ثم المبادرة بحلها[١].

والتنصير في أساسه يهدف إلى تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية وهو مقدمة أساسية للاستعمار وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها[٢].

سبق التنبيه على أن من وسائل التنصير : التعليم ، وقد كان في سوريا أيام الشيخ مدارسُ تنصيريةٌ، ومع عدم تمكن الشيخ من إيقاف دخول المسلمين في مثل هذه المدارس[٣] ، إلا أنه لم ييأس من استخدام الوسائل المتاحة، بتشجيع أولئك المسلمين على المعرفة بدينهم والمحافظة عليه، فقال الشيخ –عند تعريفه بكتاب جوهر الدين ، ومنظومة إلى عموم المسلمين، لعبد الحميد الخطيب[٤] – :

(وقد أهدى رسالته إلى الشباب الناهض المتعلم، وإلى الرجل الطيب القلب السليم النية، وغرضه من إهدائها إلى هذين الصنفين : أن ينشأ الطلاب –لا سيما الذين **يتربون** ويتعلمون في **المدارس الإلحادية أو التبشيرية**– على معرفة الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، ومن ذلك التوكل عليه، والإنابة إليه، والاستعانة به، والدعاء له، والخوف منه، والرجاء فيه)[٥] .

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ، د/ غالب عواجي ٣٢٦/١-٣٢٨ ، والموسوعة الميسرة ٣٧٦/٢

(٢) الموسوعة الميسرة ٦٧٦/٢

(٣) إذ يحرم دخول المسلمين إلى المدارس النصرانية؛ لتعلم الدين. أما العلوم الدنيوية فيجوز بعد إذن ولي الأمر. انظر : التعامل مع غير المسلمين، لعبدالله الطريقي ص١٧٨

(٤) عبد الحميد بن أحمد بن عبد اللطيف الخطيب: متأدب متفقه، عمل في خدمة الملك حسين بن علي الهاشمي إلى أن خرج هذا من الحجاز وحل محله الملك عبد العزيز آل سعود فجاهر عبد الحميد بمخالفة الملك عبد العزيز، ثم أطاع وشمله عفو ابن سعود، وكان سفيرا للمملكة العربية السعودية في باكستان توفي عام : ١٣٨١هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢٨٤/٣

(٥) جوهر الدين ومنظومة إلى عموم المسلمين، لعبد الحميد الخطيب (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٧٢/٣٢ جمادة الأولى ١٣٧٦هـ .

وقد قرر الشيخ علو همة النصارى في التنصير، ودعا المسلمين إلى علو الهمة في الدعوة، وأرجع الشيخ سبب استمرار بعض الفرق الباطنية إلى تقصير المسلمين في دعوتهم، فقال رحمه الله:

(ولو كان لنا –معشر المسلمين– مثل همة دعاة التبشير، والتنصير ، لرددنا أهل المذهبين الأخيرين الباطنيين إلى أحضان أمتهم الإسلامية)[1] .

وقد تكلم الشيخ عن أهمية كتاب طبع في وقته، وهو كتاب: التبشير والاستعمار في البلاد العربية[2]، لمؤلفيه : د/مصطفى الخالدي[3] ، ود/عمر فروخ[4] ، بأنهما من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، وأن الخالدي عمل أستاذا فيها، وقد ألفا هذا الكتاب بعد أن وقفا على خبايا حركة التنصير؛ لإذلال الشرق، فقال الشيخ رحمه الله:

(... ولكن المؤلفين الكريمين من متخرجي الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان الدكتور الخالدي أستاذا فيها، والدكتور الفروخ عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وقد ألفا هذا الكتاب بعد أن وقفا على دقائق حركات المبشرين وأعمالهم، وشهدا ما رسموه من خطط في جمعياتهم وجامعاتهم؛ لإذلال الشرق وأهله)[5] .

---

(١) الأسرة في الشرع الإسلامي، لعمر فروخ (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٧٨/٢٨ رجب ١٣٧٢هـ .

(٢) **هذا الكتاب يعتبر المرجع الأول في فضح مخططات الاستعمار في العصر الحاضر**. انظر: ذيل الأعلام للعلاونة ص١٤٤، والكتاب من منشورات المكتبة العصرية (صيدا–بيروت) عام ١٣٧٢م.

(٣) مصطفى الخالدي، ولد ببيروت، طبيب وأديب، عرف بدفاعه عن القضايا القومية والإسلامية، كان دمث الخلق، توفي عام ١٣٩٧هـ. انظر: ذيل العلام ص٢٠٩، وإتمام الأعلام ص٢٨٦

(٤) عمر بن عبد الحمن فروخ ، ولد ببيروت، علامة في اللغة والأدب والفلسفة والتاريخ، وعضو المجامع العلمية والعربية بدمشق والمصر والعراق، له أكثر من ستين كتابا: منها التبشير والاستعمار، والتصوف في الإسلام، توفي عام ١٤٠٨هـ. انظر: ذيل الأعلام للعلاونة ص١٤٤

(٥) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/صلاح الخالدي ، ود/عمر فروخ (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٧٣/٢٨ رجب ١٣٧٢هـ .

وقد أثنى الشيخ على منهجية الاستقاء من المصادر الأجنبية للمبشرين أنفسهم في هذا النوع من الكتب؛ لأنه يكشف الوجه الحقيقي لهم، فقال الشيخ رحمه الله -في وصف الكتاب السابق ذكره- :

(..وعللا اقتصارهما على الكتب الأجنبية -نقلا منها وعزوا إلى مجلداتها وصفحاتها- بقولهما : "لأن المهم أن نرى ما يقوله الأجانب لأنفسهم عنا ، لا أن نرى ما نقول نحن عن أنفسنا، وقد أثبتنا الشواهد من كتب المبشرين المعروفين، ومن الكتب التي تصرح بغاياتها تصريحا لا التواء فيه ولا غموض"

فموقف الأستاذين في مؤلفهما هذا موقف المؤرخ المنصف الذي يسجل الحوادث وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾[1].)[2].

وفي عرض الأفكار الرئيسة في الكتاب قرر الشيخ : الوجه الاستعماري للمنصرين بتعاونهم مع دول الاستعمار، فقال :

(..ففيها ما بيته دعاة التبشير والتنصير، بالتعاون مع الدول التي تمدهم بالمال والرجال، وفيها أن هؤلاء المبشرين باعوا أنفسهم وغيرهم للاستعمار، وأن أمريكة قد غطت نصف الأرض بالمبشرين، عدا بعثات التبشير الأوروبية، وأن دينهم يخدم سياستهم)[3] .

ثم قرر الشيخ أن الجامعة الأمريكية في بيروت جامعة تنصيرية -بشهادة مؤلفي الكتاب السابق الذين درسا فيها- ، فقال رحمه الله:

(..ووصف الجامعة الأمريكية في بيروت بهيئاتها ورؤسائها واحدا واحدا، وأنهم كلهم مبشرون)[4] .

---

(١) سورة الإسراء:١٤

(٢) المصدر السابق ٤٧٤/٢٨

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/صلاح الخالدي ، ود/عمر فروخ (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٧٣/٢٨ رجب ١٣٧٢هـ .

(٤) المصدر السابق.

ثم قرر الشيخ أن إذكاء الفتن بين أتباع الديانات والمذاهب في البلاد الإسلامية ، من وسائل التنصير، وأن التنصير وكيلُ جيش المستعمر، فقال رحمه الله:

(وقد برهن الكتاب في الفصل الخامس الذي عقده لبيان التعاون بين التبشير والسياسة ص١٥ : " أن رجال الدين الأجانب هم المسؤولون عن نكبات الشرق السياسية والخلقية، وعن الفتن التي كانت تثور بين أهل الأديان والمذاهب" .

وفي هذا الفصل قولهم :" ألم نكن نحن ورثة الصليبيين، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب المسيحي".

ولا غرو ، فالمبشر يسبق الجيش إلى كل مكان)[١] .

وتابع الشيخ عرض الأفكار والعناوين الرئيسة في الكتاب السابق فقرر التعاون الوثيق بين التنصير واليهود ، وتعاون أمريكا وفرنسا في التنصير، وحرصهم على إفساد العربية بالدعوة إلى العامية، والحروف اللاتينية، فقال الشيخ رحمه الله:

(..التعاون الوثيق بين فرنسا والولايات المتحدة على التبشير والتنصير،..التبشير بتعاون مع الصهيونية، زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة العامية، وبالحروف اللاتينية)[٢] .

وفي التنصير في سوريا : نقل الشيخ عن الكتاب السابق كثرة الفرق التنصيرية فيها، وتعاونها على جعل التوراة الكتاب المدرسي الأساسي، وأن التبشير مقصود به المسلمين خاصة، فقال رحمه الله:

(.. ففي عام ١٩١٢ كان في سورية كلها ثمان وثلاثون مؤسسة تبشيرية ما بين إنكليزية وإسكوتلندية وإيرلندية وألمانية وسويدية ودنماركية وأمريكية طبعا، لها مدارس كثيرة.

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/صلاح الخالدي ، ود/عمر فروخ (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٧٣/٢٨ رجب ١٣٧٢هـ .

(٢) المصدر السابق ٤٧٥/٢٨

وقد كانت هذه المؤسسات، مع تضارب سياساتها ومع كل ما بينها من التنافس، متفقة على وضع التوراة في العربية بين أيدي الطلاب على أنه كتاب تدريس أساسي)[1] .

وفي أهمية وسيلة التعليم عند المنصرين لتحقيق أهدافهم : نقل الشيخ عن الكتاب السابق اتفاق المنصرين في العالم على تنصير المسلمين بالتعليم، فقال ﵀:

("...ولقد اتفقت المؤتمرات المحلية التي عقدت عام ١٩٢٤ في القدس وبرمانا[2] (لبنان) و [قسنطينة] (الجزائر) وحلوان[3] (مصر) وفي بغداد على التعاون بين المبشرين كلهم للوصول إلى أهدافهم في العالم الإسلامي والتبشير من طريق التعليم مقصود به المسلمون خاصة" اهـ ص٧٨)[4] .

وتابع الشيخ تقرير أهمية التعليم عند المنصرين، ومثل بالجامعة الأمريكية في بيروت، وعنايتها بتعليم التوراة في تلك الجامعة، فقال الشيخ ﵀:

(علمنا مما قرأنا ورأينا مقاصد المبشرين ومحاولة إخراج الناس عن دينهم بوسيلة التعليم، حتى أن المستر بنروز رئيس الجامعة الأمريكية الجديد يقول :

" ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان"

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/صلاح الخالدي ، ود/عمر فروخ (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٧٣/٢٨ رجب ١٣٧٢هـ . .

(٢) برمانا أو برومانا : قرية في الشام وتقع حاليا ضمن قضاء المتن في محافظة جبل لبنان، على بعد أربعين كيلا شرق العاصمة، وتعتبر حاليا منظقة سياحية. انظر: خطط الشام لمحمد كرد علي ١٧٣/٤

(٣) حُلْوان تطلق على عدة مواضع، والمقصود هنا : قرية في مصر مطلة على شرق النيل ، وهي تابعة حاليا لمحافظة القاهرة تبعد عنها ثلاثين كيلا تقريبا. انظر: البلدان لليعقوبي ٧٥/١، ومراصد الاطلاع ٤١٨/١، وأطلس تاريخ الإسلام لحسين مؤنس ص١١٩

(٤) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/صلاح الخالدي ، ود/عمر فروخ (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٧٤/٢٨ رجب ١٣٧٢هـ .

واعتمدوا في مدارسهم العهدين : القديم والجديد، أو التوراة والإنجيل ص٦٧ ، ومن أولى غايات الجامعة أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ص١٠٩)[1]

(١) المصدر السابق ٢٨/٤٧٦

المطلب الرابع:الشيوعية

الشيوعية : مذهب فكري أسسه كارل ماركس[1] اليهودي، ويقوم على إنكار وجود الله ﷻ، والكفر بجميع الأديان والرسل.

والمنابع التي استقى منها هذا المذهب هي: المادية، والجدلية الديالكتية[2]، ونظرية التطور[3].

ونظرتها إلى الأديان سبقت في التعريف.

ونظرتها إلى الأسرة، يقوم على تفككها، وعمل المرأة في الخارج والاستهانة بعرضها.

ونظرتها إلى الاقتصاد يرتكز على إنكار الملكية الفردية، والغلو في تطبيق الملكية الجماعية .

وقد انهارت الشيوعية بانهيار الاتحاد السوفيتي[4].

---

(١) كارل هنريك ماركس، ولد بألمانيا، فيلسوف يهودي الأصل، ملحد، اقتصادي ، وعالم اجتماع واشتراكي ثوري، نشر مع صديقه فريدريك إنجلز كتاب: البيان الشيوعي، وأشهر آثاره: كتاب رأس المال توفي عام ١٨٨٣م. انظر: معجم أعلام المورد، لمنير البعلبكي ص٤٠٥-٤٠٦

(٢) هي فلسفة خالية: تقوم على أن كل قوة تحمل نقيضها معها، ويتولد من كِلْتي القوتين قوة ثالثة، وقد طبقها ماركس على الحياة فزعم أن قوة الرأسمالية نقيضها قوة طبقة العمال، ويتولد من الصراع بينهما القوة الثالثة الشيوعية.. انظر : أصول الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة، لسفر الحوالي ص١٣١-١٣٢٣ والمذاهب الفكرية المعاصرة، د/غالب عواجي ص١٠٨٦-١٠٨٨

(٣) هي النظرية التي أفكها داروين والتي تزعم أن أصل النوع الإنساني يرجع إلى جرثومة في مستنقع قبل ملايين السنين، وأن القرد مرحلة من مراحل تطور النوع الإنساني، والجدير بالذكر أن أصحاب هذه النظرية يعترفون بأنها نظرية وليست بحقيقة، وأن إحدى حلقاتها مفقودة. انظر: الموسوعة الميسرة ٦٨٠/٢

(٤) انظر : المذاهب الفكرية المعاصرة، د/غالب عواجي ١٠٨١/٢-١٠٩٦

وفي رد الشيخ على مذهب الشيوعية الاقتصادي ، بين أولا نظرة الإسلام للملكية وطرق الكسب، وحدود حيازة المال بأن الإسلام لا يساوي بين الناس في الرزق كالشيوعية، بل في فرص كسبه، وغايته : إزالة العقبات عن تعمير الأرض، فقال –عند تلخيصه للنظام الاقتصادي في رسالة :" نظام الحياة في الإسلام " للمودودي– :

(وأما النظام الاقتصادي :

فما خلق الله في الأرض من المتاع، فهو لمصلحة عامة الناس وانتفاعهم، فلا يجوز أن يهمل و يعطل، والإسلام لا يقول بالمساواة في الرزق نفسه، وإنما يقول بها في فرص الجد و السعي في اكتساب المعاش والتماس الرزق، والغاية التي يقصدها الإسلام : ألا يبقى في المجتمع البشري حواجز وعقبات قانونية أو تقليدية تعوق الإنسان وتقعده عن بذل الجهد واستطاعته في سبيل اكتساب الرزق، كما يريد أن تنعدم عنه الامتيازات والفوارق التي تضمن لبعض الطبقات أو السلالات أو البيوتات سعادتها المتوارثة، وتحوطها بسياج من التحفظ القانوني)[(١)] .

ثم قابل ما سبق بمذهب الشيوعية الاقتصادي، فقال الشيخ من خلال السياق السابق:

(والذين يريدون أن يسووا بين العباد حتى في وسائل السعي ونتائجه إكراها وقهرا؛ لا يعاضدهم الإسلام، بل يخالفهم كل المخالفة، فإنهم يريدون أن يحولوا التباين الفطري إلى المساواة غير الفطرية، وأقرب نظام إلى الفطرة هو الذي يتسنى فيه لكل فرد من الأفراد البشر أن يبدأ سعيه في حلبة المعاش من المقام والمحل الذي أعده الله له، والحالة التي فطر عليها)[(٢)] .

---

(١) رسالة : نظام الحياة في الإسلام، أبو الأعلى المودودي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٩٤/٢٧ ربيع الآخر ١٣٧١هـ .

(٢) المصدر السابق، وانظر: الخلافة للسير توماس (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٨٠/٢٣

وقد قرر الشيخ أن الحكم على معتنق الشيوعية واضح حكمه - بخروجه عن الإسلام-؛ لاعتقاده إنكار وجود الله ﷻ، ورسالة الرسل، وأن هذا قدر كاف في التعريف بالشيوعية، ثم قرر رجوع الشيوعية عن موقفها من الأسرة والملكية الفردية، فقال رحمه الله:

(وأما الأستاذ العطار[(١)] فقد حارب الشيوعية حربا لا هوادة فيه، ولما سأله بعض الإخوان عن رأيه في فيمن ينقلب شيوعيا من المسلمين؟ أجاب بأن الشيوعية تنكر وجود الله ورسالة الرسل عليهم السلام .

قال في ص٨ : "وهذا وحده كاف لأن يهدينا إلى الحكم على معتنقها".

قلت: وهذا القدر معرِّف بالحكم، وهو يغني عن كل ما سبقه من سب وشتم، لا سيما بعد أن عادت الشيوعية واعترفت بالأسرة، وبالملكية الفردية)[(٢)] .

وقد قرر الشيخ بأن الإسلام والفلسفتين : الديمقراطية والشيوعية لا تجتمعان، وأنه لا بد للشباب من أن يستعدوا في كافة المجالات ويتحصنوا ضد أفكار الشيوعية والديمقراطية، فقال الشيخ واصفا حال أبي الحسن الندوي :

(.. وكان يوجه الأنظار إلى الصراع الذي أصبح منحصرا بين الحضارة الغربية وفلسفة حياتها بمعسكريها : الديموقراطي[(٣)]، والشيوعي، وبين الدين الإسلامي والأمة الإسلامية، وعلى الشبان أن يجاهدوا في هذه السبيل كما فعله الشيوعيون واليابانيون في سبيل وطنهم ومبادئهم، ويضرب أمثلة جميلة للتضحية البطولية التي ظهرت في شباب

---

(١) أي: أحمد عبد الغفور العطار في كتاب الشيوعية والإسلام الذي ألفه بالمشاركة مع عباس العقاد.

(٢) الشيوعية والإسلام، تأليف : عباس محمود العقاد، وأحمد العطار(تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية بدمشق ٦٦٩/٣٤ ربيع الأول ١٣٧٩هـ .

(٣) كذا في الأصل . والديمقراطية: معناها الحرفي : حكم الشعب،وأن السيادة له لا لله تعالى، وأول ما ظهرت في بلاد اليونان، ثم في بلاد الغرب بعد انتشار العلمانية فيهم، وقد نقدها كثيرون في الغرب نفسه، وتأثر بها كثيرون أيضا في الشرق. من أبرز مساوئها استمرار المنكرات دون إنكار ما دام أكثر الشعب يريدها. انظر: المعجم الوجيز، لسفر الحوالي ص٥٩، والوجيز في المذاهب الفكرية، لأحمد الخلف ص١١٣-١١٤

الإسلام من أهل الهند، ولا بد لذلك من الاستعداد والتربية الدينية والخلقية والروحية والعلمية، وإن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية، والعقل الصحيح)[1] .

---

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، لأبي الحسن الندوي (تعريف ونقد)، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة العربية مدمشق ١٢٥/٣٠ جمادى الأولى ١٣٧٤هـ .

المطلب الخامس:الاستشراق

الاستشراق: تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

وأهداف المستشرقين :

١. أهداف دنيوية تجارية؛ للتمكن من الاستفادة من ثروات البلاد الشرقية.
٢. وأهداف سياسية، لبسط نفوذها في صنع القرار.
٣. وأهداف دينية، بتشويه الإسلام، وبث الفرقة بين أبنائه[١].

والأهداف السابقة أهداف كثير من المستشرقين -كأمثال المتعصبين: شاخت[٢] ، **وألفريد جيوم**[٣]-، لكن قلة منهم كان هدفهم -سواء في الابتداء أو

---

(١) انظر : المذاهب الفكرية المعاصرة، د/غالب عواجي ٤١٢/١-٤١٣

(٢) يوسف شاخت، مستشرق ألماني، تنقل أستاذا ومحاضرا في جامعات كثيرة، وكان من كتاب دائرة المعارف الإسلامية، ومنها في أصول الفقه ، فرد على مزاعمه فيها الدكتور أمين الخولي كحاشية في نفس الكتاب، توفي عام ١٩٦٩م. انظر: المقدمة (لكتاب أصول الفقه، ليوسف شاخت) لإبراهيم زكي خورشيد ص١١-١٣

(٣) سيترجم له الشيخ في الصفحة القادمة حين رده عليه.

الانتهاء- هو الهدف العلمي؛ للوصول إلى الحقيقة بموضوعية -كأمثال المنصفين : غوستاف لوبون(١)، ورينيه(٢) -(٣).

وفي النهاية هنالك ترابطا قويا بين الاستعمار، والاستشراق، والتنصير، بحيث يساند بعضهم بعضا.

وقد ألف المستشرق: **ألفريد جيوم** كتاب : الإسلام، ضمنه مطاعن في الدين، والقرآن، والعقيدة، وحكمة تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام، فتصدى الشيخ للرد عليه ردا يفيد المنصفين، قال الشيخ رحمه الله:

(كتب هذا المستشرق كتابه : الإسلام، وضمنه مطاعن في الدين الخالص، والقرآن الحكيم، وعقيدة السلف الصالح، وفي حكمة تعدد الزوجات، والطلاق في الإسلام، وغير هذا مما ستراه، فرأينا إثبات هذا الرد في هذه الترجمة؛ بيانا للحقيقة التي يحرص عليها، وردا على المنحرفين عنها، لا سيما الطاعنين فيها ظلما وعدوانا ردا لا هوادة فيه، وهذه الأجوبة على افتئات مؤلف كتاب الإسلام وتخرصاته : تفيد المنصفين، والدارسين في المدارس الأجنبية، وغيرهم من طلاب الحقيقة)(٤) .

---

(١) جوستاف (أو غوستاف) لوبون، مستشرق فرنسي منصف، طبيب ومؤرخ، لم يسر غوستاف على منحي معظم مؤرخي الغرب حيث اعتقد وجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي، من كتبه : سر تقدم الأمم، توفي عام ١٩٣١هـ.

(٢) هو رينيه باسيه: مستشرق فرنسي. عضو في كثير من المجامع العلمية منها :المجمع العلمي العربيّ بدمشق، وله بالفرنسية مقالات في المجلات الشرقية في فرنسة والجزائر وتونس، وفصول في دائرة المعارف الإسلامية، وتصانيف. توفي بالجزائر عام ١٣٤٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٣٩

(٣) انظر الموسوعة الميسرة ٢/٦٨٩-٦٩٢

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤١ ، و وانظر: الإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٥/٦٨٣ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

فبدأ الشيخ رده بتوصيف حال هذا المستشرق، فذكر منصبه في الاستشراق عن مترجمي الكتاب : محمد مصطفى هدارة[١] ، ود/شوقي السكري[٢] ، فقال الشيخ رحمه الله:

(وقد قدما له مقدمة عرفا فيها القارئ بالمؤلف[٣]، وأنه رئيس قسم الشرقين الأدنى والأوسط بمدرسة اللغات الشرقية، وأستاذ اللغة العربية بجامعة لندن، وأنه خدم في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، ثم عمل بالمكتب العربي بالقاهرة)[٤].

ثم قيم الشيخ حال المستشرقين **بأن عدم إيمانهم وعدم أخذهم العلم عن أهله هو سبب ضعفهم في فهم الإسلام**، وأن ذلك أدى بهم إلى بناء الأحكام على الروايات الشاذة مع عدم ذكر مصدرها، فقال الشيخ رحمه الله:

(ولا يخفى أن الأجنبي الذي لا يؤمن بالقرآن، ولا يدين بالإسلام، ولا يتلقى العلم عن أهله، يبقى علمه فيهما ضعيفا، فكيف إذا بدا له أن يعترض على ما ورد في القرآن من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة؟

وهذا هو الذي لاحظه الأستاذان المترجمان، فقد قالا في المقدمة :

"وقد لاحظنا في هذا الكتاب خروج غيوم عن المنهج العلمي السليم في كثير من الأحيان؛ لأنه كان يثبت بعض الروايات المفردة الشاذة، ويبني عليها أحكاما، ويرتب

---

(١) محمد مصفى محمد هداره، باحث ، أكاديمي، ناقد ، أديب مترجم، تقلب في وظائف تعليمية وثقافية، عرف بجرأته مما سبب له متاعب، توفي عام : ١٤١٧هـ. انظر: إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد رياض المالح ص٢١٩

(٢) هو شوقي اليماني السكري ناقد مسرحي ، ومترجِم ، مصري، له محاضرات في منجزات الحضارة الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأعد القاموس السياسسي الدبلوماسي عام : ١٩٦٠هـ، توفي عام : ١٤٣٠هـ. انظر: ورحل شوقي السكري .. آخر العنقود في جيل الريادة، د/ حسام عقل، موقع جريدة الأهرام المصرية : http://www.ahram.org.eg

(٣) أي: المستشرق: ألفريد غيوم.

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤١ ، و وانظر :الإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

عليها نتائج، فيقع بذلك في أغراض ظاهرة، وهو من جهة أخرى لا يذكر المصدر الذي أخذ منه هذه الرواية أو تلك، وهذا -إلى جانب خروجه عن المنهج العلمي- قد سبب لنا متاعب كثيرة في البحث عن هذه المصادر، من أجل ذلك قام بالتعليق على الكتاب أحد المترجمين ، وهو الأستاذ : محمد مصطفى هدارة")[1] .

ثم قرر الشيخ معلقا على الكلام السابق بأن هذا الخلل المنهجي في دراسة الإسلام يفيد المنصفين من المستشرقين، فقال رحمه الله:

(ولعمري إنها مآخذ على المصنف لا يستغني عنها مستشرق تهمه معرفة الحقيقة، والوقوف عندها)[2] .

ثم ذكر الشيخ أغلاط هذا المستشرق التي لم يتنبه لها المعلق على الكتاب، سأنتقي منها ما يتعلق بالعقيدة.

ادعى المستشرق أن أسلاف الرسول ﷺ وأجداده كانوا من الوثنيين، فرد عليه الشيخ بأنهم لم يعرفوا بعبادة الأوثان ، بل بسدنة البيت الحرام، فقال :

(ص٦: "كان أجداد الرسول وأسلافه من الوثنيين "

ج: إنهم لم يعرفوا بعبادة الأوثان، بل كانوا سادة قريش، ،وسدنة البيت الحرام، وقد قال تعالى : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾.[3])[4] .

---

(١) المصدر السابق ص١٤٣ ، وانظر : الإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

(٢) المصدر السابق، و وانظر : الإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

(٣) سورة يس:٦

(٤) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤١ ، والإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

وفي استشكال المستشرق الصلة بين "الله" و"الإله" –أي:في كلام العرب قبل الإسلام– أجاب الشيخ بأن "الله" علم عليه –سبحانه– : خالق الكون ومسخره، و"الإله" يطلق على ما يعبد من دون الله تعالى، فقال الشيخ رحمه الله:

(ص٨: " والصلة غير واضحة بين هذا الاسم "الله" ، وبين كلمة "إله".

ج: إن لفظ "الله" هو علم على خالق الكون ومسخره لعباده، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾. (١) ، وأما لفظ "الإله" فهم يطلقونه على ما يعبدونه من دون الله، كما قال : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.(٢))(٣) .

وقد زعم هذا المستشرق بأن لفظ "المشرك" يطلق في القرآن على اليهود والنصارى، فرد عليه الشيخ بأن لفظ المشرك في القرآن يدل في الأصل على شرك الوثنيين، وبشكل طارئ على غيره كشرك النصارى في التثليث، فقال رحمه الله :

(ص٥٢: "والنتيجة المؤسفة التي تخرج بها من هذه الآيات أنها تجيز إطلاق لفظ "مشرك" البغيض على اليهود والنصارى، وكانت –حتى ذلك الوقت– تطلق على الكفار الذين يعبدون الملائكة، ويسموهم بنات الله ، ويشركون معه آلهة آخرين"

ج: لم يكن لفظ المشرك في القرآن عنوانا على أهل الكتاب، وإنما هو عنوان على الوثنيين، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٤). وإنما وعظهم وزجرهم عن الشرك الذي طرأ عليهم بقوله عز وجل :﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) سورة العنكبوت:٦١

(٢) سورة يونس:١٨

(٣)حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤٣-١٤٤، والإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

(٤) سورة الحج:١٧

وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.(١))(٢) .

وقد زعم المستشرق السابق بأن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب وهابي، وأنه هو السائد في المملكة العربية السعودية، فرد عليه الشيخ بأن الإمام ليس له مذهب خالص به، بل هو مجدد لدعوة الأنبياء النقية، ومتبعٌ في الفقه مذهبَ الإمام أحمد، فقال الشيخ رحمه الله:

(ص ١٠٠ : " في المملكة الوهابية حيث يسود المذهب الوهابي".

ج: ليس للوهابية ، ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رحمه الله كان مجددا لدعوة الإسلام، ومتبعا لمذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل)(٣) .

وفي دعوى المستشرقين بأن تدوين السنة قد تأخر حتى ضاع أكثره أو تغير ، رد الشيخ بأن تدوينه بدأ في عهد الصحابة وأن نواة التدوين الأولى كانت في عهده صلى الله عليه وسلم وبأمره، فقال رحمه الله -عند حديثه عن علوم مصطلح الحديث، للدكتور/ صبحي الصالح(٤)-:

---

(١) سورة النساء: ١٧١

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤٤-١٤٥، والإسلام لألفريد جيوم (تعريف ونقد)، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٨٣/٣٥ ربيع آخر ١٣٨٠هـ.

(٣) المصدر السابق ص١٤٥

(٤) هو صبحي إبراهيم الصالح ، ولد بلبنان من عائلة تركية، عُين نائبا لرئيس المجلس الأعلى بلبنان، كان ذا شخصية قوية مع حضور بديهة، وكانت له منزلة تؤهله لأن يكون له دور في لبنان؛ فسارع أعداء الإسلام لاغتياله، له عدة كتب منها: تجربة التعريب في الشرق الإسلامي، توفي عام ١٤٠٧هـ. انظر: ذيل الأعلام للعلاونة ص١٠٣

(وقد بين المؤلف أن تدوين السنة بدأ في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، لا كما يدعي بعض المستشرقين أن تدوينها قد تأخر، حتى ضاع قسم كبير منها أو تغير، وكيف يعقل ذلك، وقد كان الصحابة يكتبونها بأمر النبي ﷺ لمن لم يكتب منهم)(١).

وفي ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم فرق الشيخ بين المنصف منهم، والمتعصب الذي غرضه المعارضة، فقال الشيخ رحمه الله:

(وإن المترجمين الأجانب منهم من هدفه العام : هو نشر هذا الركن القويم من أركان الحضارة الإسلامية التي سادت العالم مدة ألف عام، ومنهم طائفة غرضهم من ترجمته الاعتراض على ما ورد فيه من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة)(٢) .

وقد قرر الشيخ استقلال الشريعة الإسلامية عن فقه الرومان -بخلاف ادعاء المستشرقين- ، بل قرر الشيخ استمداد كثير من قوانين الغرب من الشريعة الإسلامية، فقال رحمه الله -عند حديثه عن كتاب : مقدمة في إحياء علوم الشريعة ، لصبحي المحمصاني(٣)-:

(وإنا لنشكر للدكتور المحمصاني إثباته في كتبه استقلال شريعة الإسلام عن فقه الرومان، بل واستمداد كثير من الحقوق والأحكام الأجنبية من الدستور القرآني)(٤) .

---

(١) علوم الحديث مصطلحه، د/ صبحي الصالح (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٨٥/٣٦ محرم ١٣٨١هـ .

(٢) القرآن والترجمة، عبد الرحيم محمد علي النجفي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧٠/٣٢ جمادى أولى ١٣٧٦هـ .

(٣) هو صبحي محمد رجب المحمصاني، ولد ببيروت، حقوقي، عمل في السياسة زمنا، واختير وزيرا للاقتصاد لكن السياسة كانت تسير على غير ما يشتهي؛ فترك السياسة، وانصرف إلى العمل العلمي والجامعي ، وكان في المجامع العلمية العربية بدمشق والقاهرة والعراق، توفي عام ١٤٠٧هـ. انظر: ذيل الأعلام للعلاونة ص١٠٤

(٤) مقدمة في إحياء علوم الشريعة ، لصبحي المحمصاني (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧/ ٤٧٧ محرم ١٣٨٢هـ .

المطلب السادس:القوانين الوضعية

القوانين الوضعية: هي القواعد التي تحكم أعمال الناس الظاهرة بشكل ملزم، ويكون مصدرها البشر.

ولا يدخل فيها الترتيبات الإدارية التي لا تحل حراما، ولا تحرم حلالا.

وأوجه مخالفة القوانين الوضعية للشريعة الإسلامية : بتحريم الحلال ، كمنع تعدد الزوجات، أو تحليل الحرام كإباحة الزنا ، أو السكوت على ما يجرمه الإسلام كالردة[1] .

أما بداية دخول القوانين الوضعية بلاد المسلمين في العصر الحاضر :

فجزئيا : عام ١٨٤٠م عندما صدر أول قانون عقوبات في بلد إسلامي –الدولة العثمانية– مستمدا من القانون الفرنسي، وألغى عقوبات التعزير والرجم.

وكليا : عام ١٩٢٣م لما قبلت تركيا الكَمَاليَّة شروط الصلح الذي عقده الحلفاء معها، وهي:

١. قطع الصلة بالإسلام.
٢. إلغاء الخلافة.
٣. إخراج أنصار الخلافة من البلاد.
٤. استبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية، واتخاذ دستور مدني بدلاً من الشريعة الإسلامية.

وقد استخدمت أساليبُ متعددةٌ لتنحية الشريعة الإسلامية، وإحلال الوضعية محلَّها فمنها:

١. رفع شعار الإصلاح.

---

(١) الموسوعة الميسرة ٢/١١١٩

٢. التدرج.

٣. تشويه القضاء الإسلامي.

٤. إثارة الشبهات.

٥. ضرب المؤسسات الدينية وإضعاف العلاقة بالعلماء.

أما أسباب دخول القوانين الوضعية بلاد المسلمين، فهي:

١. ظهور المذاهب الفكرية المنحرفة.

٢. تولي المنحرفين زمام الأمور في البلاد الإسلامية.

٣. ظهور الفكر التغريبي.

٤. افتتاح كليات الحقوق.

٥. الضغوط الغربية.

٦. .إدخال دراسة القانون الوضعي في الكليات الشرعية.

٧. علماء السوء ودعاة الضلال.

٨. .ظهور الشخصيات الماسونية المشبوهة.

٩. الامتيازات الأجنبية، والاتفاقات الدولية.

١٠. ضعف حكام المسلمين وانحرافهم(١).

وقد كان الشيخ يرى أن من قَطْعِ الطريق على الذين يريدون أن يستبدلوا الذي هو أدنى (القوانين الوضعية) بالذي هو خير (التشريع الإلهي) أن يتم الأخذ والترجيح من أقوال الفقهاء بما يكون أوفق لحكمة التشريع، ومصلحة الأمة، فقال -مثنيا على الشيخ مصطفى الزرقا(٢) في الترجيح بما سبق في كتابه : نظرة عامة- :

---

(١) انظر: القضاء في العالم الإسلامي من الشريعة إلى القانون -الأسباب والممهدات-، د/عبد العزيز بن أحمد البداح

(٢) هو مصطفى بن أحمد بن محمد بن مصطفى الزرقا، ولد بحلب، فقيه مُنَظِّر، وقانوني، وخبير الموسوعة الفقهية الكويتية حتى عام ١٩٧١م، ناضل ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا، تقلد وزارة

(أقول : لعمري إن ما جرى عليه المؤلف الزرقا ههنا من بيان الحكم مع دليله هو الحق المبين، وبه تتبين وجهات نظر الأئمة، وما في اختلافهم من اليسر والرحمة، وإنما يُرجح قول بعضهم على بعض بقوة الدليل، وبما ينطبق على مصلحة الأمة، وحكمة التشريع، ألا وإن أئمتنا قد أوصوا ألا يؤخذ بقولهم حتى يعلم دليلهم، وقد رأى أهل القانون المدني اليوم -الذين قضوا بضمان أجر المثل للعقارات على من يشغلها بدون عقد- أن حكمهم هذا خرج عن قيود المذهب الحنفي، ولكنه لم يخرج عن دائرة الفقه الإسلامي، وأن اختلاف علماءنا رحمة، وأن الأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة.

وهذا وإن لنا رجاء كبيرا في أخينا الأستاذ الزرقا -وهو سليل علم ديني، ونابغة فقه شرعي- أن يجري في أجزائه الباقية على هذه الطريق المثلى؛ لتبقى حجة هذا الفقه السماوي قائمة على الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)[1] .

وقد بين الشيخ أن حق التشريع لله ﷻ وحده، فقال -عند حديثه على كتاب : نظرية الإسلام السياسية، للمودودي[2]- :

(أما غرض هذه الرسالة النفيسة التي تقع في ٥٢ صفحة : فهو بيان أن الركن الأول في سياسة الإسلام، وقطب رحاه الذي يدور حوله، أن ينتزع جميع حقوق الأمر والتشريع من أيدي البشر منفردين ومجتمعين، ولا يُؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله؛ فيطيعوه، أو يَسُنَّ دستورا لهم فينقادوا له ويتبعوه؛ فإن ذلك أمر مختص بالله وحده، لا يشاركه فيه أحد غيره)[3] .

الأوقاف والعدل مرتين، وحاز على جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٤هـ، توفي عام ١٩٩٩م. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ٣٤٣/٢-٣٦٩

(١) نظرة عامة ، مصطفى الزرقا (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٥٤/٢٤ رمضان ١٣٦٨هـ .

(٢) سبقت ترجمته ص٤٧٦

(٣) نظرية الإسلام السياسية، للمودودي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٦٠١/٢٤-٦٠٢ ، ذو الحجة ١٣٦٨هـ .

ووضح الشيخ أنه ولأجل ما سبق -من حصر حق التشريع لله وحده- ، قامت الجماعة الإسلامية في الهند، وللدعوة إلى ذلك قامت دار العروبة التابعة لتلك الجماعة، فقال الشيخ رحمه الله:

(..أقول : ومن أجل إنشاء هذه المدينة الفاضلة في الأرض، وإقامة الحكومة العادلة لسكانها ، تأسست الجماعة الإسلامية في الهند سنة ١٣٦٠هـ، ولإبلاغ هذه الدعوة الإسلامية إلى العالم الإسلامي عامة، وبلاد العرب خاصة ، تأسست دار العروبة للدعوة الإسلامية منذ أربع سنين، فكانت فرعا لها، وشرعوا في كتب الدعوة ونشرها بلغة القرآن الكريم، وهذه أُولى رسائلهم)[١] .

ثم قارن الشيخ ما سبق بالعرب الذين نزل فيهم القرآن : كيف أعرضوا عن تحكيم الشرع فأعرض الله عنهم؛ فكانوا من أذل الناس، فقال رحمه الله:

(فما قول العرب وحكوماتهم في هذا الانقلاب العظيم ؟

أما العرب ففيهم نزل القرآن، ومنهم بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم أعرضوا عن دعوته وشريعته فأعرض الله عنهم، وسلط عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم؛ فاستخذوا[٢] لذلك واستكانوا، ولا يزال بعضهم[٣] لبعض عدوا)[٤] .

وفي المعنى السابق أنكر الشيخ في موضعٍ آخرَ ما أصدرته بعض الدول العربية من القوانين رغم عدم اعتبارهم باهتمام الأجانب بالفقه الإسلامي، وترجمته، فقال رحمه الله- عند حديثه عن كتاب : مقدمة في إحياء علوم الشريعة ، لصبحي المحمصاني-:

(وهنا يعجب القارئ لما أصدرته بعض الحكومات العربية من القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية، كما تراه في ص١٣١ وما وراءها، مع أن علماء الأجانب قد اهتموا

---

(١) المصدر السابق .

(٢) كذا في المصدر، ولا أدري ما وجهُها .

(٣) في الأصل : بغضهم ، وهو خطأ طباعي.

(٤) نظرية الإسلام السياسية، للمودودي (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٢٤/٦٠١-٦٠٢ ، ذو الحجة ١٣٦٨هـ .

بدراسة الفقه الإسلامي، وترجموا كثيرا منه إلى لغاتهم، ووضعوا فيه كتبا متعددة، كالفرنسية،والإنكليزية، والإيطالية والألمانية، وقد قلنا من قبل : إن في ذلك لعظةً بالغة، وبرهانا حسيا على أصالة الفقه الإسلامي واستقلاله)[1] .

(١) مقدمة في إحياء علوم الشريعة ، لصبحي المحمصاني (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٣٧/ ٤٧٨ محرم ١٣٨٢هـ .

المطلب السابع:الدعوات الباطلة المتعلقة بالمرأة

الدعوات الباطلة المتعلقة بالمرأة بدأت مع حملة التغريب -عموما- ؛ إذ المرأة المسلمة كانت من أهم المجالات التي ركز عليها التغريبيون؛ لأنها من أكثر المجالات التي يظهر فيها تميز الحضارة الإسلامية، وأيضا لارتباط المرأة بفطرة الشهوة التي تفتن بعض الناس، وبذلك يتحقق مقصود التغريب من إبعاد المجتمع عن دينه.

وأهم الأعمال التغريبية الخاصة بالمرأة في التاريخ المعاصر كان من قبل :

١. قاسم أمين[1] (ت:١٩٠٨م) وقد عرف بالدعوة إلى تحرير المرأة وتمكينها من العمل في الوظائف العامة، وله من الكتب في هذا الشأن :تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة.
٢. وقدم منصور فهمي[2] (ت:١٩٥٩م) أول أطروحة للدكتوراه على أستاذه ليفي بريل مهاجماً نظام الزواج في الإسلام التي موضوعها حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها .
٣. وفي سبتمبر ١٩٩٤م عقد بالقاهرة مؤتمر السكان والتنمية بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي "الغربية" بين المسلمين : من إتاحة للاتصالات غير

---

(١) هو قاسم بن محمد بك أمين، ولد بمصر، حقوقي، وباحث اجتماعي، كان رأسا في الذكاء، دافع في بداية أمره عن حشمة المرأة المصرية؛ حمية عن مصر لا اقتناعا بالمرجعية الإسلامية، ثم نكص على عقبه، فألف كتاب : تحرير المرأة، توفي عام ١٣٢٦هـ. انظر: نظرات شرعية في فكر منحرف (المجموعة الأولى)٢/٨٠٠-٨٥٠، للدكتور سليمان بن صالح الخراشي ، والأعلام للزركلي ١٨٤/٥، ومعجم المؤلفين لكحالة ١١٤/٨

(٢) هو منصور فهمي بن علي فهمي بن عبد المتعال، من آل البقلي، ولد بمصر، مغربي الأصل، له علم بالسياسة والفلسفة والأدب، تغريبي، عضو المجامع العلمية العربية الثلاث، عين مديرا لجامعة الإسكندرية، توفي عام ١٣٧٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٣٠٢/٧

المشروعة بين المراهقين والإجهاض والزواج الحر والسفاح والتدريب على موانع الحمل[1].

وقد ادعى المستشرق ألفريد غيوم في كتابه: الإسلام أن نظام الإسلام في المرأة يشكل قيدا لها يورثها الجهل والخيبة، ودعا إلى خروجها من قرارها؛ لتأخذ مكانها اللائق بها، فرد عليه الشيخ بأن الرجل يشارك المرأة في الحقوق والواجبات مع إعطاء الرجل الرياسة المناسبة لطبيعته ومهامه، فقال الشيخ رحمه الله:

(ص : ١٨٠ "فيجب[2] أن يحرر النساء من هذا الأسار الذي فرض عليهن حياة الجهل والخيبة، وأن يؤذن لهن بالخروج إلى العالم، ليأخذن المكان اللائق بهن في المجتمع".

ج: المرأة إنسان كامل كالرجل، لها من الحقوق مثل ما له، وعليها من الواجبات مثل ما له، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾.[3] ، وتلك الدرجة واضحة في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴾[4]. وقد فضل بعضهم على بعض بما خص به الرجال من مزيد صبر وجلد، وبما ينفقون من أموالهم على الأهل والولد)[5] .

ثم قرر الشيخ بأن نساء المسلمين في هذا العصر قد حصلن على أعلى الشهادات الأكاديمية، وعملن في مجالات كثيرة تناسب طبيعتهن، فقال الشيخ رحمه الله:

(ثم الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية في العلوم والحقوق والأدب والطب، ويحملن الدكتوراة في فن التربية والفلسفة، وقد شاركن الرجال

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والفوق والمذاهب المعاصرة ٢/٧٠٠-٧٠٢

(٢) بداية كلام المستشرق : ألفريد غيوم.

(٣) سورة البقرة:٢٢٨

(٤) سورة النساء:٣٤

(٥) كلمات وأحاديث، بهجة البيطار ص١٤٨-١٤٩

في أكثر الأعمال، وأخذن المكان اللائق بهن في الأسرة والمجتمع، فما يطلبه المؤلف لهن هو تحصيل حاصل)[1] .

وفي الدعوة إلى عهد الأمومة -بانتساب الابن لأمه لجهله بأبيه - ، بين الشيخ أن هذه الدعوة التغربية لم تعرفها العرب حتى في أيام جاهليتها، وأن العرب يحافظون على أنسابهم من قديم، فقال رحمه الله:

(...وبإيضاح أن عهد الأمومة -وهو انتساب الأبناء إلى الأمهات؛ لضياع الأنساب والجهل بالآباء- لم تعهده العرب في جاهليتها، بل كانت ممتازة بين الأمم في معرفة أصولها، وحفظ أنسابها وأحسابها، فكيف يحاول دعاة الفوضى والانحلال في هذا العصر أن تلبس المرأة المسلمة عار هذه الأمومة بعد إسلامها؟)[2]

ثم قرر الشيخ إمكانية صد الدعوات التغريبية المتعلقة بالمرأة، وتعميم التربية الدينية- حتى مع قوة وانتشار تيار التغريب- مستشهدا بحال الراهبات اللاتي ما زلن محافظات على الحشمة -بشكل عام-، فقال الشيخ رحمه الله:

(ولا نبالي بقول بعض المرجفين : "التيار جارف لا يرحم" ؛ لأن التيار يجرفهم وأمثالهم من عباد الشهوات، لكن الراسخون في التدين لا ينالهم شيء.

وإذا تعممت التربية الدينية غُلِبت التربية اللادينية، وحلت محلها.

وكيف استطاعت الراهبات المبشرات في القرن العشرين أن يحافظن على حجابهن وآدابهن، وأن لا يرى أحد منهن غيرَ وجوههن وأكفهن، وأن يكُنَّ فوق نساء المتفرنجين علما ومعرفة بحال العصر، وبأيديهن تدار المؤسسات الدينية، والمستشفيات الخيرية العمومية في الشرق والغرب؟!

فهل تكون المرأة المسلمة المتعلمة أقل حظا منهن في حجابها وآدابها؟)[3] .

---

(١) المصدر السابق، وانظر: مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية ١/٢٧٢-٢٧٣

(٢) كلمات وأحاديث ، بهجة البيطار ص٧٢-٧٣

(٣) المصدر السابق ص٧٣

وفي منع القانون التونسي تعدد الزواج للرجال ، قرر الشيخ حكمة الإسلام من هذا التشريع : بأسباب شخصية، وسبب اجتماعي عام، فالأول : ككون المرأة عقيما، أو مانع مرضها، أو دخولها سن اليأس، والثاني: هو أن النساء في العالم تزيد على الرجال، قال الشيخ رحمه الله:

(وقال[١] ص٢٤٦ :" أما القانون التونسي فإنه نص صراحة على أن تعدد الزوجات ممنوع" .

أقول : ذكرت في ص ٢٠١ من حياة شيخ الإسلام ما مجمله :

أما التعدد الصحيح فله ضرورات، منها : أن تكون الزوج عقيما لا تلد، أو عندها مانع من مرض أو زهد في الرجال، أو تكون دخلت في سن اليأس، وهذه أسباب شخصية.

قلت : وأما السبب الاجتماعي العام في جميع الشعوب والأقوام، فهو زيادة النساء على الرجال، لا سيما بعد الحروب العامة التي يهلك فيها الملايين من المحاربين، وتبقى الملايين من النساء بلا رجال، فتعدد الزوجات هنا ضرورة اجتماعية؛ لتجديد النسل وتكثير الأيدي العاملة، وهو من مصالح النساء التي تبقى محرومة من نعمة الحياة الزوجية والأمومة، وتقع في المهاوي والمهالك)[٢] .

---

(١) أي : صبحي المحمصاني في كتابه : مقدمة في إحياء علوم الشريعة

(٢) مقدمة في إحياء علوم الشريعة، لصبحي المحمصاني (تعريف ونقد) ، بهجة البيطار، مجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٧٩/٣٧ محرم ١٣٨٢هـ .

الخاتمة

أحمد الله ﷻ على توفيقه وفضله بإنهاء البحث، وفيما يلي أعرض أهم نتائج البحث :

١. عاش الشيخ في بيئة علم وتدين وصيانة، وتربى في ظل عائلة البيطار المعروفة في الشام .

٢. كان الشيخ مثالا نادرا للأخلاق العالية التي انفرد بها عن كثير من أهل طبقته؛ لعلمه بأهمية الأخلاق في الإصلاح، وقد تولى تدريس مادة الأخلاق في الكلية الشرعية بدمشق عام ١٣٦١هـ، وقدكان لأخلاقه، وزهده الأثر البالغ في تأثر واحترام الناس والملوك له.

٣. وكان الشيخ مثالا كذلك لمن جمع العلم والعمل، والخلق الرفيع، والدعوة إلى التوحيد وإصلاح الناس، بشتى الوسائل المشروعة.

٤. كثرت أخطاء مُتَرجِميه، فبلغت في جوانب متعددة : سبعة أخطاء.

٥. كان الشيخ كذلك واسعَ الاطلاع على المصادر، مجتهدا مستجمعا لفنون عديده، متقنا لجملة منها.

٦. كان الشيخ رحمه الله حريصا جدا على العمل والدعوة إلى التوحيد مستغلا ما أمكنه للدعوة في أفراح الناس وأتراحهم، والإذاعات والمحاضرات والخطب والرحلات، وإنشاء المعاهد، والكتابة في الصحف والمجلات الكثيرة.

٧. معتقد الشيخ يسير على عقيدة أهل السنة والجماعة ، "وكان إماما من أئمة السلفية الحقة" لكن مع تأثر يسير بالمدرسة العقلية الحديثة التي كان يمثلها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده -رحمهما الله- .

٨. كان الشيخ على اتصال وثيق بالملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وكانت له منه منزلة خاصة.

٩. يعتبر الشيخ أول منشئ للمؤسسات السلفية التعليمية في الدولة السعودية الثالثة –بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله–؛ فقد قام على عاتق الشيخ إنشاء أول معهد شرعي في مكة باسم : المعهد العلمي السعودي، ثم أنشأ دار التوحيد بالطائف.

١٠. كان للشيخ شرف المشورة في إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية ، وكذا وضع أول منهاج دراسي لها.

١١. اهتم الشيخ اهتماما خاصا بالعقيدة، ومن أدلة ذلك : أن أكثر الكتب التي كان يدرسها هي كتب العقيدة، وأكثر كتبه المستقلة في العقيدة، واهتمامه الملحوظ بنقد المخالفات العقدية في الكتب التي كان يعرِّف بها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٢. مع سير الشيخ على عقيدة السلف الصالح في عموم أبواب العقيدة، إلا أنه خالف في مسائل قليلة في : الموقف من الخوارج والنصارى، وآيات الأنبياء، ووصف المبتدعة بالابتداع ، ومجاوزة الحد في الثناء على بعضهم، وتمجيد الرابطة القومية على الدينية، وحديث سجود الشمس، والإمامة.

١٣. من العبر المستفادة من حياة الشيخ رحمه الله أن الداعية والعالم لا يهاب، ولا يتقاعس عن تبليغ الحق، والدعوة إليه؛ لكون بيئته ينتشر فيها البدع المخالفات، بل يجتهد قدر المستطاع، لكن مع الحكمة، والميزان الشرعي في المصالح والمفاسد.

وأوصي في الختام أن تجمع مقالات الشيخ المتناثرة في بطون المجلات والصحف؛ تحقيقا لرغبة الشيخ قبل وفاته رحمه الله.

الفهارس

١- فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	١- سورة الفاتحة		
١	﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾	٥	١٣٠
	٢- سورة البقرة		
٢	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ ..﴾	١١-١٢	٤١٨
٣	﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾	٢٥	٢٣٥
٤	﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾	٢٩	٤٨١
٥	﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾	٤١	٤٤٤
٦	﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ ..﴾	٧٩	٤٤٣
٧	﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ ..﴾	١١٧	٢٤٥
٨	﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ۝١٣٨﴾	١٣٨	٨٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩	﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴿١٤٠﴾﴾	١٤٠	١٧٢
١٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ..﴾	١٧٤	٤٤٣
١١	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا ..﴾	١٨٦	١٠٣
١٢	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن ..﴾	٢٣٢	٢٢٣
١٣	﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴿٢٥٥﴾﴾	٢٥٥	١٧١
١٤	﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن ..﴾	٢٧٢	٢٤٦

٣- سورة آل عمران

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾	٢	١٠٢
١٦	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ..﴾	٣-٤	١٩٣
١٧	﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ..﴾	١٦	١٦٣
١٨	﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	٢٠١
١٩	﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	١٧١
٢٠	﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا ..﴾	٤٧	٢٤٥
٢١	﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا﴾	٥٣	١٦٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢	﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ..﴾	١١٤	٢٢٣
٢٣	﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٣٥	٤٦٥
٢٤	﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	١٧٥	٢٩١
٢٥	﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ ..﴾	١٨٧-١٨٩	٤٤٢
٢٦	﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾	١٨٧	٤٤٢
٢٧	﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ ..﴾	١٩٣	١٦٣

٤- سورة النساء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن ..﴾	٤٨	٢٨٦
٢٩	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ..﴾	٦٤	١٤٧
٣٠	﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا ..﴾	٩٣	٢٧٩
٣١	﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا ..﴾	١٢٠	٤٤٩
٣٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ ..﴾	١٧١	٢٧٩

٥- سورة المائدة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣	﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ ..﴾	٣	٣٧٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٤	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ ..﴾	٢٢	٤٤٧
٣٥	﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا ..﴾	٢٤	٤٤٩
٣٦	﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ..﴾	٣٣	٢٨٢
٣٧	﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ..﴾	٤٢	٢٧٣
٣٨	﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن ..﴾	٤٩	٢٧٣
٣٩	﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾	٦٧	٣٨٢

٦- سورة الأنعام

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٠	﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ..﴾	٣٥	٢٤٥
٤١	﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾	٧٠	٣٦٧
٤٢	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾	١١٢	٢٤٣
٤٣	﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ..﴾	١١٦	٤٤٥
٤٤	﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ ..﴾	١٢٢	٣٥١
٤٥	﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾	١٤٩	٢٤٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴿١٥٩﴾﴾	١٥٩	٣٩٤

٧- سورة الأعراف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٧	﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾	٦	٢٧٦
٤٨	﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ٩٧ ..﴾	٩٧-١٠٠	١٤٢
٤٩	﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴿١٣٨﴾﴾	١٣٨	١٣٤
٥٠	﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ..﴾	١٥٦	٢٣١
٥١	﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ ..﴾	١٥٧	٢٠٨
٥٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..﴾	١٧٢	٨٣
٥٣	﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾﴾	١٨٠	١٠٢
٥٤	﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ..﴾	١٨٧	٢٢٧

٨- سورة الأنفال

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٥	﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾﴾	٣٤	١٦٠
٥٦	﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا ..﴾	٥٦	٣٩٧
٥٧	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا ..﴾	٥٨	٣٩٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٨	﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ..﴾	٦٧	٢١٧

٩- سورة التوبة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٩	﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾	١٠	٢٥٦
٦٠	﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ ٣٠﴾	٣٠	٢٠٢
٦١	﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ..﴾	٣٠-٣١	٢٧٩
٦٢	﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ..﴾	٣١	١٣٣
٦٣	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ..﴾	٣٣	٢٠٤
٦٤	﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ٤٣﴾	٤٣	٢١٨
٦٥	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ٦٥﴾	٦٥	٩٢
٦٦	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ..﴾	١٠٠	٣٠٣

١٠- سورة يونس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٦٧	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ..﴾	١٨	٩٣
٦٨	﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ٣١﴾	٣١	٩٢
٦٩	﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ﴾	٥٩	٣٦٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٠	﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ ..﴾	٦٢-٦٣	٢٨٩
٧١	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾	٦٣	٢٩٠
٧٢	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾	٩٩	٢٤٥
٧٣	﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن ..﴾	١٠٧	١٣٧

١١- سورة هود

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٤	﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ٧﴾	٧	٩٩
٧٥	﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ ..﴾	٤٩	٢٠١
٧٦	﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ..﴾	١٢٠	٢٠١

١٢- سورة يوسف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٧	﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ ..﴾	٦	٤٨
٧٨	﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾	١٠٣	٤٤٥
٧٩	﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ ..﴾	١٠٥	٩٤
٨٠	﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾	١٠٦	٩٤
٨١	﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ ..﴾	١٠٧	١٤٢
٨٢	﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ..﴾	١٠٨	١٤٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

١٣- سورة الرعد

٨٣	﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾	٧	٢٤٧
٨٤	﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ..﴾	١١	٣٠٠

١٥- سورة الحجر

٨٥	﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	٩	١٩٢

١٦- سورة النحل

٨٦	﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ..﴾	٤٥-٤٧	١٤٢
٨٧	﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ٦٨﴾	٦٨	١٩٦
٨٨	﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ..﴾	٩٧	١٧٠
٨٩	﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ ..﴾	١٠٣	٢٠١

١٧- سورة الإسراء

٩٠	﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾	١٤	٤٨٩
٩١	﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ..﴾	١٩	١٣٠
٩٢	﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ ..﴾	٣٦	٢٧٨
٩٣	﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ ..﴾	٤٤	١٤٣
٩٤	﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ..﴾	٥٦-٥٧	١٦٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	١٨- سورة الكهف		
٩٥	﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾	٤٩	٢٢٦
٩٦	﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ ..﴾	٦١	٢١٤
٩٧	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ١١٠﴾	١١٠	٢١٥
	١٩- سورة مريم		
٩٨	﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ..﴾	٥٩	٤٠٣
	٢٠- سورة طه		
٩٩	﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾	٧	٢٤٦
١٠٠	﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا ..﴾	١١٢	٢٤٤
	٢١- سورة الأنبياء		
١٠١	﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ..﴾	١٨	٣١٨
١٠٢	﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ٢٢﴾	٢٢	٨٦
١٠٣	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ ..﴾	٢٦	٤٦٠
١٠٤	﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ٢٨﴾	٢٨	١٧٢
١٠٥	﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ..﴾	١٠٥	٢٤٢

٢٢- سورة الحج

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ ..﴾	١٧	٢٧٩
١٠٧	﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ..﴾	٤١	٢٦٨

٢٣- سورة المؤمنون

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٨	﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	٢٠٢
١٠٩	﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾	٦٨	٣٦٣
١١٠	﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ..﴾	٨٤-٨٥	٩٢
١١١	﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ..﴾	٨٦-٨٧	١١٤
١١٢	﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا ..﴾	٩١	٨٦
١١٣	﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا ..﴾	١١٥	٢٢٥
١١٤	﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ..﴾	١١٦	١١٤

٢٤- سورة النور

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٥	﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ..﴾	٢٢	٣٩١

٢٥- سورة الفرقان

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٦	﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ ..﴾	٧٠	٤٠٢

٢٧- سورة النمل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٧	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ﴿١٤﴾﴾	١٤	١٩٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٩	﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا..﴾	١٧	٢٣٣

٣٦- سورة يس

١٣٠	﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾	٦	٤٧٧
١٣١	﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾	٦٥	٢٣٨
١٣٢	﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ﴾	٦٨	٢٣٦

٣٧- سورة الصافات

١٣٣	﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧﴾	٤٧	٢٣٤
١٣٤	﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٠	٤٠٠

٣٨- سورة ص

١٣٥	﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾	٥	٩٤
١٣٦	﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ..﴾	٢٨	٢٨٠
١٣٧	﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ إِن ..﴾	٦٩-٧٠	٢٠١

٣٩- سورة الزمر

١٣٨	﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ..﴾	٣	٩٣
١٣٩	﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾	٢٠	٢٣٦
١٤٠	﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا ..﴾	٤٥	١٥٩
١٤١	﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ٧٥﴾	٧٥	١١٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٤٠- سورة غافر		
١٤٢	﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ..﴾	٧	١١٢
١٤٣	﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ ..﴾	١٥	١١٠
١٤٤	﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾	١٩	٢٤٦
١٤٥	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ ..﴾	٦٠	١٦٧
	٤١- سورة فصلت		
١٤٦	﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ١٧﴾	١٧	١٩٩
١٤٧	﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ ..﴾	٤٢	١٩٧
١٤٨	﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ ..﴾	٥٣	٨٤
	٤٢- سورة الشورى		
١٤٩	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾	١١	٩٨
١٥٠	﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ ..﴾	١٣	١٩٠
١٥١	﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ ١٥﴾	١٥	١٩٣
١٥٢	﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن ..﴾	٥١	١٩٤
١٥٣	﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	٥٢	٢٤٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٤	﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾	٥٣	٢٤٧

٤٥- سورة الجاثية

١٥٥	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾	١٣	٤٨١
١٥٦	﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ..﴾	٢١	٢٨٠
١٥٧	﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ..﴾	٣٧	١٠٨

٤٨- سورة الفتح

١٥٨	﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ..﴾	١٨	٢٥٧
١٥٩	﴿ۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ..﴾	٢٩	٢١١

٤٩- سورة الحجرات

١٦٠	﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾	٨	٣٣٢
١٦١	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾	١٠	٢٦٣
١٦٢	﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ١٢﴾	١٢	١٧١

٥٢- سورة الطور

١٦٣	﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾	٢٣	٢٣٤

٥٣- سورة النجم

١٦٤	﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾	٤	٢١١

٥٤- سورة القمر

١٦٥	﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾	١	٢٢٦

٥٦- سورة الواقعة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٦	﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠﴾	٦٠-٦١	٢٣٢
١٦٧	﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾	٦٢	٢٣٢

٥٩- سورة الحشر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٨	﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾	٨	٤٠٤
١٦٩	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ..﴾	٢٢	١٠٢
١٧٠	﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ٢٣﴾	٢٣	١٠٨

٦١- سورة الصف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧١	﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم ..﴾	٦	٢٠٩

٦٢- سورة الجمعة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٢	﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾	٣	٢٠٢

٦٦- سورة التحريم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ٦﴾	٦	١١٩

٦٩- سورة الحاقة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٤	﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ..﴾	١٧	١١٢
١٧٥	﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾	١٩-٢٠	٢٢٨
١٧٦	﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ..﴾	٢٥-٢٦	٢٢٨

٧٢- سورة الجن

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٧	﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا ..﴾	١-٢	٤١٢
١٧٨	﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾	١٨	١٤٩

٧٥- سورة القيامة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٩	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾	١٧	٢١٤
١٨٠	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾	٢٢-٢٣	٢٣٨
١٨١	﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾	٣٦	٢٢٥

٨٠- سورة عبس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٢	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾	١	٢١٨
١٨٣	﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾	١١	٢١٨

٨٣- سورة المطففين

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٤	﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾	٢٥-٢٦	٢١٧
١٨٥	﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾	٢٦	٢٣٤

٨٥- سورة البروج

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٦	﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾	١٤-١٥	١٠٥

٨٧- سورة الأعلى

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٧	﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾	٦	٢٢١

٨٨- سورة الغاشية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٨	﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾	١	١٤٢

٩٩- سورة الزلزلة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٩	﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾	٧-٨	٢٤١

٢- فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله))	١٤٩
٢	((أشبهت خَلقي وخُلقي))	٣٦٥
٣	((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))	١٥٢
٤	((أعددتُّ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ..))	٢٣٣
٥	((إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من ..))	٤١٠
٦	((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات ..))	٢٤٢
٧	((أن تجعل لله ندا وهو خلقك))	٩٥
٨	((إن رأيتم فيَّ اعوجاجا فقوِّموني بألسنتكم))	٢٦٦
٩	((إن روح القدس قد نفخ في روعي))	١٩٦
١٠	((إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها ..))	١٠٤
١١	((انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن))	١٩٦
١٢	((إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته ..))	٢١٤
١٣	((إنما أنا بشر مثلكم ، وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما ..))	٢١٥
١٤	((إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ..))	٢١٥
١٥	((إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، ..))	٢١٥
١٦	((إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي))	٨٧
١٧	((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي..))	٣٨٥
١٨	((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي..))	٣٨٥
١٩	((إني تارك فيكم نا إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله))	٣٨٤
٢٠	((أهل بيتي فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف ..))	٣٦٣
٢١	((أهل بيتي فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف ..))	٣٨٣
٢٢	((آيتهم رجل أسود))	٤٢١
٢٣	((الأئمة من قريش))	٢٦٢

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر	م
٢٥٨	((بايعناه على الموت))	٢٤
١٦٧	((بحق نبيك والأنبياء من قبلي))	٢٥
١٣٣	((بني الإسلام على أن يعبد الله ويكفر بما دونه))	٢٦
١٣٣	((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن ..))	٢٧
٢٥٨	((ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه وأملى عليه ..))	٢٨
٢٦٦	((الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد من الذي إذا ..))	٢٩
٣٠٣	((خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))	٣٠
٢٠٤	((دخلت على رسول الله ٦ فقال ياعدي أتعرف الحيرة؟ قلت ..))	٣١
٤١٥	((شر الخلق والخليقة))	٣٢
٢٢٠	((صلى بنا رسول الله ٥ خمسا ، فقلنا يا رسول الله أزيد ..))	٣٣
٣٠٣	((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا ..))	٣٤
٢٨٦	((فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئا من ذلك ..))	٣٥
٢٢٢	((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا ..))	٣٦
٩٥	((قد ، قد))	٣٧
١١٣	((كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب ..))	٣٨
١١٣	((كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم ..))	٣٩
١١٣	((كان الله ولم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء ثم كتب ..))	٤٠
٣٩٠	((كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه ، وعمر آخذ بيده ..))	٤١
١١٤	((لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم، ..))	٤٢
٣٠٤	((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ..))	٤٣
١٤٦	((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ..))	٤٤
١٤٦	((لا تَشُدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد))	٤٥
٤٢٤	((لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه ..))	٤٦
٢٦٤	((لا ضرر ولا ضرار))	٤٧
٢٨٣	((لا يبغضك إلا منافق))	٤٨
٢٥٠	((لا يحبك إلا مؤمن))	٤٩

٣- فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١	إبراهيم هلال	٦١
٢	ابن أبي الحديد= عبد الحميد بن هبة الله	٤٢٠
٣	ابن الثلجي	٣٥٥
٤	ابن العِبْري	٤٦١
٥	ابن المطهر الحلي	٣١٩
٦	ابن جزي الكلبي	٣١٥
٧	ابن هشام	٢٤، ٢٨، ٨٩
٨	أبو معشر البلخي=جعفر بن محمد	٣٧٤
٩	أبو الحسن التميمي	٣٠٧
١٠	أبو عبد الرحمن السلمي = عبد الله بن حبيب بن ربيعة	٤١٤
١١	أبو مخنف=لوط بن يحيى	٤٢٣
١٢	الأثري= محمد بهجة الأثري	١٨
١٣	الأخفش الأوسط	١٢٤
١٤	وأرمياء أو إرميا	١٩٢
١٥	أسد رستم	٢٩
١٦	إسماعيل باشا	١٨١
١٧	الأسود بن قيس	٤٢٣
١٨	ألفريد جيوم	٦٦
١٩	أمينَ بن عبد الغني البيطار	٤١٢
٢٠	أمين الحسيني	٤٦٩
٢١	أنتون ليفي	٤٧٠
٢٢	الأنماطي=زيد بن الحسين	٣٨٥
٢٣	البرزنجي= محمد بن رسول	٢٢٥
٢٤	البركوي=محمد بن بير	١٥٤

م	العلم	الصفحة
١٠٣	محمد بن سعود	٣١١، ٣١٣
١٠٤	محمد سعيد حسين كمال	٣٢
١٠٥	محمد درويش	٦٢
١٠٦	محمد بن عبد الرزاق حمزة	٣١٨
١٠٧	محمد علي باشا	١٨٢
١٠٨	المرادي	٤١٣
١٠٩	المراغي	٥٥
١١٠	مَرْجُلْيُوث	٣٦٧
١١١	مرداس بن حدير	٤١٨
١١٢	مروان بن الحكم	٣١٦، ٤٤٨
١١٣	المروذي=أبو بكر أحمد بن محمد	٣٠٧
١١٤	مسروق=أغناطيوس	٤٦٠
١١٥	مسلم الغنيمي الميداني	٣٢
١١٦	مصطفى الخالدي	٦١
١١٧	مصطفى الزرقا	٥٠٥
١١٨	مصطفي كامل باشا	١٨٤
١١٩	المفيد= محمد بن النعمان	٦٥
١٢٠	المنصور=علي بن العباس	٣٣١
١٢١	منصور فهمي	٥٠٩
١٢٢	منصور بن المعتمر	٣٥٥
١٢٣	المودودي	٤٧٦
١٢٤	ومُويِر	٣٦٧
١٢٥	النبهاني=يوسف بن إسماعيل	٣٣٤
١٢٦	نصر المنْبِجي	٣١٥
١٢٧	نعيم الحمصي	٣٧٥
١٢٨	النفاخ=أحمد بن موسى النفاخ	٢٢

٤- فهرس القصائد العامة

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
	حرف الباء		
١	وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت	وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا	٤٠٧، ٤٨٣
	حرف التاء		
٢	فلا تنصبوا للناس تمثال عبده	وإن كان ذكرى حكمة وثبات	١٨٣
٣	سئمت كل قديم	عرفته في حياتي	٣٠٩
	حرف الحاء		
٤	مثل ريح المسك ذاك ريحها	صبَّها الساقي إذا قيل توَح	١٩٥
	حرف الراء		
٥	وأما الألوسي حبر بغداد فهو من	أئمة هذا العصر أعظم به حبرا	٣٣٦
٦	متفرد بخلائق غرر	بجمالها يتفاخر الفخر	٢١
٧	ولما أتى الأستاذ بيروت أظهرت	له أهلها فيها المسرة والبشرا	٣٤٤
٨	وقال بأن الشيخ فتواه هذه	بها هو والأبناء قد كفروا طرا	٣٤٤
٩	وإن تلاميذ الإمام تواطؤوا	على نهج ذلك الليث واستسهلوا الوعرا	٣٤١
١٠	كم نزه الإسلام من بدع	قد باضها الشيطان والكفر	١٨
١١	وهذا منار العلم قد صاح في الورى	ففي سائر الأقطار قد زلزل الكفرا	٣٤١
١٢	أبقية السلف الكرام زهت	بجلالك الحرمات والذكر	١٨
١٣	وقد نقد النبهاني بعض مباحث	بأجزائه أبدى المنار لها ذكرا	٣٤٢
١٤	ألست ترى من آل نبهان يوسفا	يصرح في تضليل أهل الهدى جهرا	٣٣٥
١٥	وأعجب من ذا ما حكاه لبعضهم	برؤية عين الإمام غدت عَوْرا	٤١١

م	الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
	حرف العين		
١٦	ألا في الله لا في الناس شـــالت	بـــداود وإخـــوتـــه الجـــذوع	٤١٩
	حرف الفاء		
١٧	وكل خير في اتباع من ســلف	وكـل شـــر في ابتـداع من خلف	٣٠٥
	حرف القاف		
١٨	شككت في كل شيء حولي وما أنا أحمـــــــــق	وليس إلا وجودي في الكون بمحقق	٣٧٣
	حرف الكاف		
١٩	أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى	ومن خاض في تلك الحروب المهالكا	٤١٩
	حرف اللام		
٢٠	أمـــا الجـــنـــان فـــإنهـــا	مـــقصــــــودة المـــتـــبـــتـــل	٢٣٧
٢١	إذا ضـــاقت بك الأيام فالجأ	بحســـن وســـيلـة لحمى الرســـول	١٦٢
	حرف الميم		
٢٢	ولله أبصـــــار ترى الله جـهـرة	فلا الضَّـيم يغشــاها ولا هي تَسْـأم	٢٣٨
٢٣	منيع حصـن لو البدر استجار به	في ليلة التم في النقصـــان لم يضـــم	١٧٦
٢٤	واصـــلــتِ ثُم هجرتِ والهجر	-يا نـفـس- مَـسُّ مـذاقـه مُـرُّ	١٨
	حرف النون		
٢٥	أو كـان لـلـذكر الحكيم بقيـة	لم تأت بـعـد ذكـرت في الـقـرآن	١٨٤
٢٦	بشـــرى دوامـا للمشـــير أمين	نال المـنى بجـوار ذي الـتـمـكـين	٤١٣
	حرف الهاء		
٢٧	لله در الـــغـــنـــيـــات المـــده	ســـبحـن واســـترجعـن من تألهي	١٣٢
	حرف الياء		
٢٨	تصـــم الســـميع وتعمي البصـــير	ويُســـــأل من مـثـلـهـا الـعـافـيـة	٤٥١

٥- فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، (رواية حفص عن عاصم)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(أ)

- آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق سعود العريفي، ط١ لعالم الفوائد عام ١٤٢٦هـ.
- آراء أبي الحسن السبكي الاعتقادية، عجلان بن محمد العجلان ط١ دار كنوز إشبيليا عام ١٤٣٠هـ.
- آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، دار صادر – بيروت(دون ذكر عدد الطبعة وسَنَتِها).
- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، لإسحاق بن الحسين المنجم (ت ق٤) ط١ عالم الكتب ١٤٠٨هـ .
- الإبانة الكبرى ،لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، حققه رضا بن نعسان معطي ط الثانية دار الراية عام ١٤١٥ هـ.
- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، ط١ عام ١٣٩٧هـ.
- إبطال نظرية سيادة الأمة ونقض شبهات القائلين بها، عبد العزيز محمد السعيد ط١ دار اللؤلؤة ١٤٣٥هـ.
- ابن تيمية –حياته وعصره وآراؤه وفقهه-، لمحمد أبو زهرة ط١ دار الفكر العربي عام ١٩٧٤م.
- إتمام الأعلام لنزار أباظة ومحمد رياض صالح دار صادر ط١ عام ١٩٩٩م.

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله محمد طالب الإبراهيمي ط ١ لدار الغرب.
- أحكام التصوير في الفقه الإسلامي ، لمحمد أحمد علي واصل ط٣ دار طيبة عام ١٤٢٧هـ.
- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، لأبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) دار الأندلس عام ١٤١٦هـ.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار،لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت: ٢٥٠هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت.
- الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (ت: ٦٨٣هـ) عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا)، مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، عام ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل محمد ناصر الدين الألباني (ت : ١٤٢٠هـ) ط٢ المكتب الإسلامي عام ١٤٠٥هـ.
- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة، محمد بهجة البيطار (الطبعة التي عندي ليس عليها معلومات النشر).
- الإشارات إلى معرفة الزيارات لعلي بن أبي بكر بن علي ، أبو الحسن الهروي (ت: ٦١١هـ) ٥٩/١ ط١ مكتبة الثقافة الدينية ١٤٢٣هـ
- أشراط الساعة ، ليوسف الوابل ط٢٥ دار ابن الجوزي عام ١٤٢٨هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١ دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ.
- الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، لعبد القادر محمد عطا صوفي، دار أضواء السلف ط٢ عام ١٤٢٦هـ.
- أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ط البيان عام ١٤٣٣هـ.
- أصول الفقه، ليوسف شاخت، تعليق وعناية: إبراهيم زكي خورشيد، رئيس تحرير النسخة العربية من دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني عام ١٩٨١هـ.
- الأصول من الكافي، لمحمد يعقوب الكليني ، دار الكتب العلمية –طهران– ط٣ ١٣٨٨هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ) ، ط١ دار عالم الفوائد عام ١٤٢٦هـ.
- إظهار الحق لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت : ١٣٠٨هـ) ، تحقيق د/محمد ملكاوي ط١ الرئاسة العامة –الرياض– عام ١٤١٠هـ .
- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي ، الشهير بالشاطبي (ت:٧٩٠)، تحقيق: سعد الحميد وآخرين ط١ دار ابن الجوزي عام ١٤٢٩هـ.
- اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ناصر بن علي آل الشيخ ط١ الرشد عام ١٣١٤هـ.
- أعلام (من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر) المكيين لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي ط١ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي عام ١٤٢١هـ.
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ط١٥ لدار العلم للملايين عام ٢٠٠٢م .
- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تقديم وتحقيق الدكتور محمد عمارة ط١ دار الشروق ١٤١٤هـ.

- أعيان العصر وأعوان النصر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق د/علي أبو زيد، د نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، د محمود سالم محمد، قدم له :د مازن عبد القادر المبارك، ط١ دار الفكر المعاصر- بيروت- ، دار الفكر -دمشق.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، ط المعارف (الرياض).
- الإقناع في مسائل الإجماع ، لعلي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ) ، تحقيق فاروق حمادة ط١ دار البشائر عام ١٤٢٤هـ.
- الإمامة العظمى، إعداد عبد العزيز الريس ط١ دار الإمام مسلم عام ١٤٣٧هـ.
- إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي لمحمد ناصر العجمي ط١ لدار البشائر.
- الإمام في بيان أدلة الأحكام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية — بيروت، ط١ عام ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- الأم، للشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة — بيروت، عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، د/ إبراهيم بن عامر الرحلي ط١ دار الإمام أحمد عام ١٤٢٨هـ.
- الإنجيل والقرآن في كفتي الميزان، لمحمد بهجة البيطار، (الطبعة التي عندي بدون بيانات للطباعة والنشر).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١ دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ.

- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى بن المفضل الحسني، المعروف بابن الوزير درا الكتب العلمية ط٢ عام ١٩٨٧م.

(ب)

- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١ عام ١٤١٨ هـ .
- البدر الطالع لحل جمع الجوامع لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المحلي (ت:٩٢٣هـ) ط١ مؤسسة الرسالة عام ١٤٢٩هـ.
- البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد، د/ عبد المحسن العسكر ط ١ المنهاج (الرياض) عام ١٤٣٥هـ.
- البلدان لليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) ط١ دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، دار الفلق للنشر والتوزيع، ط٧ عام ١٤٢٤هـ.
- ابن قيم الجوزية :حياته ، آثاره ، موراده ، لبكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ط٢ عام ١٤٢٣هـ.
- بين الاشتقاق والتعريب، لمحمد بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية- المؤتمر-، عام ١٩٦١م.

(ت)

- تاريخ إربل، للمبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ط عام ١٩٨٠م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق د بشار عوّاد معروف دار الغرب الإسلامي.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ومعه: صلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعد القرطبي، (ت: ٣٦٩هـ)، دار التراث – بيروت، ط٢ عام ١٣٨٧ هـ.
- تاريخ أمة في سير أئمة لصالح بن حميد ط مركز تاريخ مكة.
- تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر ليونس الشيخ إبراهيم السامرائي مطبعة وزارة الأوقاف ببغداد عام ١٣٩٨هـ.
- تتمة الربا والمعاملات المالية في الإسلام، بهجة البيطار (الأصل المتمم لمحمد رشيد رضا) ط١ دار ابن زيدون عام ١٤٠٦هـ.
- تتمة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان اليوسف ط ١ ، دار ابن حزم عام ١٤١٨هـ.
- تثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني ، أبو الحسين المعتزلي (ت ٤١٥) دار المصفى (شُبرا القاهرة).
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مِسكويه (ت:٤٢١هـ)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، الناشر : سروش، طهران ط٢ عام ٢٠٠٠م.
- التحرير في بيان أحكام التكفير، د/عصام بن عبد الله السناني ط١ مكتبة الإمام الذهبي عام ١٤٣٧هـ.
- التدمرية ،لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمية (ت:٧٢٨هـ) تحقيق محمد عودة السعوي، مكتبة العبيكان ط٨ عام ١٤٢٤هـ.\ التذكرة في الفقه الشافعي لابن الملقن، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ عام ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية ط١ ١٤١٩هـ.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا.

- تشريح نهج البلاغة ، لمحمود الملاح تحقيق سليمان الخراشي ط١ دار الآل والصحب عام ١٤٣٠هـ.
- تصحيح اعتقادات الإمامية ط١ مؤسسة الإمام لصادق-قم عام ١٤١٣هـ.
- التعامل مع غير المسلمين، أ.د/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي ط١ دار الفضيلة عام ١٤٢٩هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: الدكتور/ محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار النفائس-بيروت ط٢ ١٣٢٨هـ.
- تفسير الجلالين المحلي والسيوطي، ط٢ دار السلام عام ١٤٢٢هـ.
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت:٤٨٨هـ)،تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، ط١ عام ١٤١٥م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ عام ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرطبي تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ط٢ لدار الكتاب العربي ١٣٨٤هـ.
- تفسير المراغي ط١ البابي الحلبي عام ١٣٦٥هـ.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، وقدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ عام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- تقريب التهذيب لابن حجر، تحقيق محمد عوامة ط ٢ من الإخراج الجديد، دار المنهاج (جدة) ١٤٣٠هـ.
- التكفير وضوابطه، أ.د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي ط١ دار الإمام البخاري (قطر) عام ١٤٢٦هـ.
- تكملة معجم المؤلفين، لمحمد خير رمضان اليوسف ، دار ابن حزم ط١ عام ١٤١٨هـ.

- التكوين التاريخي الحديث للجزيرة السورية، محمد جمال باروب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١ عام ٢٠١٣م.
- تلبيس إبليس، محمد بهجة البيطار، مجلة التمدن الإسلامي جمادى الأولى ١٣٨٦هـ.
- تهذيب التهذيب لابن حجر ط١ مطبعة دائرة المعارف النظامية ١٣٢٦هـ.
- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- توحيد الألوهية، د/عواد المعتق، ضمن بحوث محكمة في العقيدة الإسلامية ط١، مكتبة الرشد عام ١٤٣٠هـ.
- التوسل المشروع والممنوع، للدكتور/عواد المعتق (ضمن كتاب بحوث محكمة في العقيدة الإسلامية).

(ج)

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري تحقيق د/ عبد الله التركي، ط١ دار هجر عام ١٤٢٢هـ.
- الجذور التاريخية لعبدة الشيطان، د/محمود يوسف الشوبكي، ود/يحيى علي الدجني، مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، عدد ٢ عام ٢٠٠٣م.
- جمال الدين القاسمي وعصره لظافر بن جمال الدين القاسمي ط١ دون ذكر اسم الدار.
- جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١هـ (ضمن مجموع مهمات المتون) ط٤ مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٩هـ.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت ط١ عام ١٩٨٧م.
- الجواب عن شبهة الاستدلال بالقبر النبوي على جواز اتخاذ القبور مساجد، صالح بن عبد العزيز سندي ط١ دار اللؤلؤة عام ١٤٣٥هـ.
- الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان ، لزكريا بن بيلا بالمشاركة ط الفرقان عام ١٤٢٧هـ.

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد القرشي، أبو محمد ت ٧٧٥ الناشر مير محمد مكتب خان، ط كراتشي.

(ح)

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ عام ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م
- حجة الإسلام : أبو حامد الغزالي، لمحمد بهجة البيطار (النسخة التي عندي ليس عليها معلومات للنشر والطباعة).
- الحدائق الوردية في حقائق أجلاء الطريقة النقشبندية، لعبد المجيد محمد الخاني ط٢ دار ناراس –أربيل– تصحيح عبد الرزاق عبد الله
- حقوق الصحابة على الأمة، صالح سندي، ط (لم يذكر اسم الدار) عام ١٤٣٥هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، لأحمد بن عبد الله بن إسحاق بن مهران، أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠) دار السعادة ١٣٩٤هـ.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق بن حسن البيطار مع تعليق محققه الشيخ بهجة عليه ط ٢ لدار صادر.
- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية محاضرات ومقالات ودراسات، بقلم علامة الشام محمد بهجة البيطار ، ط ١ للمكتب الإسلامي ١٣٩١هـ.

(خ)

- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، لأحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين (ت: بعد ٩٢٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ودار البشائر – حلب / بيروت، ط١ عام ١٤١٦ هـ
- الخوارج ، ناصر بن عبد الله السعوي ط١ دار المعراج الدولية عام ١٤١٧هـ.

(د)

- الداء والدواء، لابن قيم الجوزية تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، ط١ دار عالم الفوائد عام ١٤٢٩هـ.
- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت ٩٢٧هـ) ط١ لدار الكتب العلمية عام ١٤١٠هـ.
- الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، د/ هادي أحمد فرحان الشجيري ط١ لدار البشائر عام ١٤٢٢هـ.
- درء تعارض العقل والنقل تحقيق رشاد سالم ط٢ لجامعة الإمام عام ١٤١١هـ.
- دراسات شرعية في فكر منحرف لسليمان الخراشي
- دراسات في اليهودية والنصرانية، أ.د/ سعود الخلف ص٨٠-٩٥ ط٥ دار أضواء السلف عام ١٤٢٧هـ.
- الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ط٢ دار العاصمة عام ١٤٢٩هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦ عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- الدرر الكامنة لأحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط٢ مجلس المعارف العثمانية ١٣٩٢هـ.
- الدرر في اختصار المغازي والسير، للحافظ يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣) تحقيق شوقي ضيف، ط٢ دارالمعارف (مصر) عام ١٤٠٢هـ.
- دعوة التقريب بين الأديان –دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية–، للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي ٢ط دار ابن الجوزي.
- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ تحقيق عبد المعطي قلعجي ط١ دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ولي الدين الإشبيلي (ت ٨٠٨) دار الفكر-بيروت ط٣ عام ١٤٠٨هـ.

(ذ)

- الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢) تحقيق أبواليزيد العجمي، دار السلام- القاهرة عام ١٤٢٨هـ.
- ذكريات لعلي الطنطاوي، راجعه وصححه وعلق عليه حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية، ط٥ دار المنارة عام١٤٢٧هـ.
- ذيل الأعلام لأحمد العلاونة دار المنارة ط١ عام ١٤١٨هـ.

(ر)

- الربا والمعاملات في الإسلام، تأليف محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، وإكمال: محمد بهجة البيطار (ت:١٣٩٦هـ) ط١ دار ابن زيدون ١٤٠٦هـ.
- رجال من التاريخ للطنطاوي ط المنارة عام ١٤١١هـ.
- الرحلة النجدية الحجازية، صور من حياة البادية بقلم محمد بهجة البيطار، ضمن كتاب رحلتان إلى الحجاز ونجد بعناية تيسير خلف، ط التكوين للتأليف والنشر عام ٢٠٠٩م.
- الرد على الأخنائي لابن تيمية، تحقيق: أحمد موسى العنزي دار الخراز جدة ط١ ١٤٢٠هـ.
- رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، ط٢ عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- الرسالة العرشية لابن تيمية المطبعة السلفية ط١ عام ١٣٩٩هـ.
- الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي عناية محمد ناصر العجمي ط ١ للبشائر.
- الرسالة، للشافعي: أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي-مصر، ط١ عام ١٣٥٨هـ

- الرسل والرسالات ، أ.د/ عمر سليمان الأشقر ط١٣ عام ١٤٢٥هـ دار النفائس (الأردن).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الجميري ت ٩٠٠هـ تحقيق إحسان عباس ط٢ مؤسسة ناصر للثقافة عام ١٩٨٠م.

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت ٧٩٥) تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١ دار الكتاب العربي ١٤٢٢هـ.

(س)

- ست منظومات في الرد على الصوفي يوسف النبهاني، اعتنى بها سليمان الخراشي، وطبعتها الدار الأثرية (عمّان) عام ١٤٢٩هـ.
- سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، لمحمد هشام البرهاني دار الفكر ط٢ عام ١٤٠٦هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة ط ١ مكتبة المعارف –السعودية– عام ١٤١٥هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض – الممكلة العربية السعودية، ط١ عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (ت: ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، ط٣ عام ١٤٠٨ هـ
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ) تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ط١ دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (ت: ٣١١هـ) تحقيق:د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، ط١ عام ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
- سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط٣ عام ١٤٠٥هـ.

- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط٣ ١٣٧٥هـ.
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية – بيروت، ط٣ عام ١٤١٧ هـ.

(ش)

- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، ط١ عام ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٤ م
- شبهات عصرانية مع أجوبتها، لسليمان بن صالح الخراشي ط١ دار الوحيين عام ١٤٣٠هـ.
- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، تعليق : أحمد بن الحسين بن أحمد ، تحقيق: عبد الكريم ين عثمان، دار النهضة، ط٣ عام ١٤١٦هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)،تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط٨ ١٤٢٣هـ .
- شرح التدمرية، أ.د/ محمد عبد الرحمن الخميس ، ط١ لمكتبة المعارف (السعودية) عام ١٤٢٦هـ.
- شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، ومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، لعبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (ت: ١٠٩٩هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، : مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط١ ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
- شرح السنة ، البربهاري تحقيق عبد الرحمن بن أحمد الجميزي ط٢ مكتبة دار المنهاج عام ١٤٢٨هـ .

- شرح صحيح البخارى لابن بطال، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط٢ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
- شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة ط١٠ عام ١٤١٧هـ.
- شروط قبول العمل الصالح، صالح عبد العزيز سندي ط١ عام ١٤٣٤هـ.
- شريط القواعد الشرعية في التعامل مع الناس، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.
- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط ١ عام١٤٢٣ هـ .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفي تحقيق عبده كوشك ط١جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ١٤٣٤هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- شهادة أن لا إله إلا الله، صالح السندي ط٢ دار الإمام مسلم عام ١٤٣٢هـ
- الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية ، لأغناطيوس يعقوب الثالث ط عام ١٩٦٦م (من غير ذكر دار الطباعة).
- الشوقيات، لأحمد شوقي ، دار العودة -بيروت ط١ عام ١٩٨٨م.

(ص)

- الصارم السلول على شاتم الرسول تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الناشر الحرس الوطني السعودي.

- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط١ مكتبة المعارف –السعودية– عام ١٤٢١ هـ.
- الصواعق المرسلة لابن القيم ط١ لدار العاصمة عام ١٤٠٦هـ.

(ض)

- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي ت ٣٢٢هـ تحقيق عبد المعطي قلعجي ط١ دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ.
- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د/عبد الله بن محمد القرني ط٣ مركز تكوين عام ١٤٣٦هـ.
- ضوابط معاملة الحكام عند أهل السنة والجماعة، خالد ضحوي الظفيري ط١ عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٤٣٠هـ.

(ط)

- الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى، لمحمد بهجة البيطار، اعتنى بها: سليمان الخراشي، الدار الأثرية ط١ عام ١٤٢٩هـ.
- الطبقات، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: ، تحقيق إحسان عباس ط١ دار صادر ١٩٦٨م .
- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلّام بن عبيد الله الجُمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت: ٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة (دون ذكر سنة الطباعة).

(ع)

- عبد الرحمن بن بدوي ومذهبه الفلسفي، ومنهجه في دراسة المذاهب عرض ونقد (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه) ، لعبد القادر بن محمد الغامدي ط١ مكتبة الرشد عام١٤٢٩١هـ.
- عبد الله خياط في لمحات من الماضي ط ١ لدارة الملك عبد العزيز.
- العبودية لابن تيمية ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ط٥ دار المغني عام ١٤٣٠هـ.

- العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى بن الفراء (ت:٤٥٨) تحقيق: أحمد سير المباركي ط٢ ١٤١٠هـ.
- العرش وما روي فيه، لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (ت ٢٩٧هـ) تحقيق محمد خليفة التميمي مكتبة الرشد، ط١ عام ١٤١٨هـ.
- العقد الثمين في بيان مسائل أصول الدين تأليف: علي ابن الشيخ أبي السعود محمد ابن الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي ين ناصر الدين العباسي الشهير بالسويدي، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٢٢٥هـ.
- العقيدة الطحاوية أبي جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١)، تحقيق وتعليق : علي بن حسن الحلبي، الدار الأثرية ، ط١ عام ١٤٢٨هـ.
- العقيدة الواسطية، لأحمد بن عبد السلام بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق:علوي السقاف، الدرر السنية ط٢ عام ١٤٣٥هـ.
- علم شرح الحديث وروافد البحث فيه، محمد عمر بازمول ط١ لمعهد البحوث في جامعة أم القرى عام١٤٣٠هـ.
- علماء الشام في القرن العشرين لمحمد حامد الناصر ط المعالي .
- علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب ط٤ دار الشواف عام ١٩٩٢م.
- علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح الشهرزوري ت ٦٤٣هـ تحقيق نور الدين عتر، ط٣ دار الفكر عام ٢٠٠٤م.
- عنوان المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي ، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، دارة الملك عبد العزيز ط٤ ١٤٠٣هـ.
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي دار ومكتبة هلال.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لأحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

(غ)

- غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، ط١ عام ١٣٩٧م .
- الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت:٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط١ عام ١٤١٩ هـ .
- الغيبة لمحمد إبراهيم النعماني ، الأعلى للمطبوعات بيروت، ط١ عام ١٤٠٣هـ.

(ف)

- الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)،تحقيق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية دار الكتب العلمية ط١ ١٤٠٨هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وإخراج محب الدين الخطيب مع تعليقات العلامة ابن باز دار المعرفة (السلفية) عام ١٣٧٩هـ.
- الفتنة ووقعة الجمل، لسيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي (ت: ٢٠٠هـ)، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط٧ عام ١٤١٣هـ
- فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام ١٩٨٨ م
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)ط الخانجي.
- الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين لمحمد جما ل الدين القاسمي(ت: ١٣٣٢هـ)، تقديم : عاصم محمد بهجة البيطار، دار النفائس اللبنانية ط١ عام ١٤١٨هـ.

- فقه السيرة، لمحمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ)، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم – دمشق، ط١ عام ١٤٢٧ هـ.

(ق)

- القاسمي في محاسن التأويل تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ط١ عام ١٤١٨هـ.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، بتحقيق ربيع بن هادي المدخلي ط٢ مكتبة الفرقان جمان ١٤٢٢هـ.
- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين (لم تذكر أسماؤهم) ، وهيئة التحرير: هيئة التحرير الدكتور بطرس عبد الملك.والدكتور جون ألكسندر طمسن.والأستاذ إبراهيم مطر. طبعة صادرة عن شركة Compubraill.
- القضاء في العالم الإسلامي من الشريعة إلى القانون –الأسباب والممهدات–، د/عبد العزيز بن أحمد البداح ط١ دار القيم الإسلامية (القاهرة) عام ١٤٣٤هـ .
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، جمال الدين القاسمي، تحقيق وتعليق بهجة البيطار ط٢ دار إحياء الكتب العربية عام ١٣٨٠هـ.
- القول الشاذ وأثره في الفتيا ، أ.د/أحمد بن علي بن سير المباركي ص٧٧ ط١ دار العزة عام ١٤٣٢هـ.

(ك)

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١ عام ١٤١٣ هـ.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، ط١ عام ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م

- الكامل في التاريخ ، لعز الدين ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠) ٣/١١٠-١١٢ تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ دار الكتاب العربي عام ١٤١٧هـ.
- الكامل في اللغة الأدب محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣/١٣٣-١٣٤ ط١ دار الفكر العربي عام ١٤١٧هـ .
- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٣ عام ١٤٠٨ هـ.
- كتاب الاستغاثة لابن تيمية تحقيق: الدكتور عبد الله بن دُجين السهلي ط١ مكتبة دار المنهاج ١٤٢٦هـ.
- كتاب أسرار العربية، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت: ٥٧٧)، عني بتحقيقه: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٧٧هـ.
- كتاب البخلاء، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تخريج : محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي بدمشق.
- كتاب التعريفات الاعتقادية ، سعد بن عمر بن محمد آل عبد اللطيف ط١ الوطن ١٤٢٢هـ.
- كتاب الصلاة لابن قيم الجوزية، تحقيق عدنان البخاري ط١ دار عا لم الفوائد عام ١٤٣١هـ.
- الكتاب المقدس ، (الطبعة اليسوعية الثانية) دار المشرق ط٣ عام ١٩٩٤م .
- كتاب ميزان الجرح والتعديل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٩هـ.
- كتاب نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبة النسر لعبد الرزاق بن حسن البيطار ط ١ لدار البشائر.
- كرامات الأولياء –دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة– ، للدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري ط١ دار التوحيد للنشر (الرياض) عام ١٤٣٣هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨) ٢/١٧٦ دار الكتاب العربي–بيروت ط٣ عام ١٤٠٧هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) ٩٢/٤، ٣٥/١٠ ط١ دار إحياء التراث العربي عام ١٤٢٢هـ.
- كلمات وأحاديث لبهجة البيطار ط٢ للمكتب الإسلامي عام١٤٠٢هـ
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت
- الكنز اللغوي في اللَسَن العربي، لابن السكيت، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: ٢٤٤هـ)، تحقيق: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي - القاهرة
- الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة يوسف نصر الله، ط ٢ دار القلم عام ١٤٢٠هـ.
- الكوثري وتعديه على التراث، وبيان حاله في مؤلفاته وتعليقاته، لمحمد بهجة البيطار، وعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ومحمد عب الرزاق حمزة، وحسام الدين القدسي، ومحمد ناصر الدين الألباني، دار الحرمين بالقاهرة، ط١ عام ١٤١٩هـ.
- كيف يفكر زعماء الصهيونية، لأمين هويدي، ط دار المعارف المصرية عام ١٩٧٤م.

(ل)

- لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط٢ عام ١٣٩٠هـ /١٩٧١م
- لقاء الباب المفتوح، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، والكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم اللقاء، عدد اللقاءات ٢٣٦ لقاء، واللقاء رقم ١٩٥ غير موجود بموقع الشبكة الإسلامية.
- لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبد الله خياط)، دارة الملك عبد العزيز- الرياض ط١ عام ١٤٢٥هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي الأثري (ت١٢٨٢) ط٢ الخافقين (دمشق) عام ١٤٠٢هـ.

(م)

- مادة التوحيد، د/أبو زيد محمد مكي، ط١ دار الخراز عام ١٤٢٩هـ
- المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، لسيف الدين الآمدي (ت:٦٣١هـ)، مكتبة وهبة، ط٢ عام ١٤١٣هـ.
- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : ٣٣٣هـ) تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان عام ١٤١٩هـ، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)
- مجمع الزوائد ومنبع لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام ١٤١٤ هـ.
- مجلة التمدن الإسلامي بدمشق.
- مجلة الحج السعودية.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.
- مجلة المنار المصرية .
- مجلة المنهل السعودية.
- مجموع أشعار العرب (وهو يشتمل على الأصمعيات وديوان العجاج والزفيان ورؤبة بن العجاج) عناية وترتيب : ويليم بن الورد البروسيّ، طُبع في مدينة ليبسيغ الألمانية عام ١٩٠٣م.
- المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر، (طبعة كاملة)
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد ط١ عام ١٤٢٥هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، ط : الأخيرة – ١٤١٣ هـ..
- مجموع مهمات المتون، ليوسف بديوي دار المكتبي ، ط٢ ١٤٢٤هـ.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١ عام ١٤٢٠ هـ.
- محمد بهجة البيطار حياته وآثاره لعدنان الخطيب ط مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٦م.
- مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر، تحقيق وضبط محمد فتح الله ط١١ مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ.
- مختصر التحرير في أصول الفقه، لابن النجار الفتوحي، تحقيق محمد سليمان مال الله تقديم بوميه محمد السعيد الشنقيطي ط١ مكتبة أهل الأثر عام ١٤٢٩هـ .
- مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ط٢ توزيع مكتبة الرشد عام ١٤٢٩هـ

- مختصر التحرير في أصول الفقه، لابن النجار الفتوحي، تحقيق محمد سليمان مال الله تقديم بوميه محمد السعيد الشنقيطي ط١ مكتبة أهل الأثر عام ١٤٢٩هـ .
- مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ط٢ توزيع مكتبة الرشد عام ١٤٢٩هـ

- المختصر في الأديان والفرق، عيسى السعدي ط١ دار الأوراق الثقافية عام ١٤٣٥هـ.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، عام ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
- المدخل إلى أوهام الكتاب المعاصرين في البحث العقدي، لعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله الغِزِّي ص٤٧ ط١ مركز التأصيل للدراسات والبحوث عام ١٤٣٦هـ .
- المذاهب الفكرية المعاصرة، د/غالب عواجي ط الدار العصرية عام ١٤٣١هـ .
- مذكرة أصول الفقه ، محمد الأمين الشنقيطي ط١ دار عالم الفوائد عام ١٤٢٦هـ
- مراصد الاطلاع إلى أسماء الأمكنة والبقاع ،لعبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي، صفيّ الدين (ت ٧٣٩هـ) ط١ دار الجيل ١٤١٢هـ.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها،لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ عام ١٤١٨هـ
- مسائل الإمام أحمد ، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، وقف على طبعه وصحح مشكلاته: محمد رشيد رضا، تحقيق، وتعليق: محمد بهجة البيطار، الطبعة الأولى على تفقة جماعة من الحجازيين والنجديين عام ١٣٥٣هـ، تصوير : دار المعرفة.
- المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، لخالد مسعود الجعيد دار الفضيلة ط١ عام ١٤٢٨هـ.
- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، للدكتور/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ط٢ دار طيبة للنشر ١٤١٣هـ.
- مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية–خلال القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر– ، د/ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ط١مدار الوطن عام ١٤٣٥هـ.
- المستشرقون ، لنجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، ط٣ عام ١٩٦٤م
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط١ ، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- مصطلحات ترد في كتب العقائد ، د/محمد إبراهيم الحمد ط ١ دار ابن خزيمة ١٤٢٧هـ.
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي– الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢ عام ١٤٠٣هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري (ت: ٣١١)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، دار عالم الكتب الرياض عام ١٤٠٨هـ.
- المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى بن الفراء (ت ٤٥٨) ، تحقيق وديع زيدان حداد، دار المشرق –بيروت– عام ١٩٨٦م.
- معجم أسماء المستشرقين، ليحيى مراد (لم تُذكر بيانات الطبع).
- معجم الأدباء الأردنيين، وزارة الثقافة الأردنية.
- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، لعبد الفتاح الصعيدي، دار الكتب العلمية ط١ عام ٢٠٠٣م.
- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ،تحقيق :طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين – القاهرة.
- معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد اله الرومس الحموي (ت ٦٢٦هـ) درا صادر ط٢ عام ١٩٩٥م.
- معيار البدعة، محمد حسين الجيزاني ط١ دار ابن الجوزي عام ١٤٣١هـ.
- معجم الحروز الشركية المناقضة للتوحيد والسنة النبوية، لأبي سيف سرحان بن عبد الله التعمري الحارثي، قدم له : أبو أنس محمد بن موسى آل نصر، دار غراس، ط١ ١٤٣٥هـ.
- معاني القرآن، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتور فائز فارس، دار البشير ودار الأمل.
- معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، للدكتور/ ف.عبد الرحيم، دار القلم–دمشق ط١ عام ١٤٣٢هـ.
- معجم اصطلاحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (ت:٧٣٠)، تحقيق: الدكتور عبد العال شاهين، دار المنار–القاهرة ط١ عام ١٤١٣هـ.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ عام ١٤٠٨ هـ .

- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية عام ١٤٠١هـ.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣ عام ١٤٠٣ هـ.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ط الرسالة الأولى عام ١٤١٤هـ.
- معجم المناهي اللفظية ويليه فوائد في الألفاظ ، لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، ط٣ ١٤١٧هـ.
- المعجم الوجيز، لسفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار منابر الفكر ط١ ١٤٣٧هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية ط٤ عام ١٤٢٥م.
- المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، أبو عبد الله الواقدي (ت ٢٠٧) تحقيق: مارسدن جونس، ط٣ دار الأعلمي ١٤٠٩هـ.
- المغني لابن قدامة: أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة (بدون ذكر الطبعة)
- المغني في الضعفاء، لشمس الدين ابن قايماز الذهبي (ت:٨٤٧)، تحقيق نور الدين عتر، عُني بطبعه : عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر عام ١٤٠٧هـ
- مفاتيح الغيب ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ط٣ دار إحياء التراث العربي (بيروت) ١٤٢٠هـ
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق:صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط١ عام ١٤١٢ هـ
- مفهوم الحصر، د/ خالد صالح تواني، تقديم أ.د/ محمد فركوس ط١ دار ابن حزم عام ١٤٣٥هـ.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت:٩٠٢هـ)، تحقيق : محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ عام ١٤٠٥ هـ.
- مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية، المجموعة الثانية، جمع وترتيب أحمد الجماز وعبد العزيز الطويل ط١ لدار أطلس الخضراء عام ١٤٣٥هـ.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون ط الجيل ١٤٢٠هـ.
- مقدمات وقواعد في منهج السلف في العقيدة، أ.د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ط١ دار الفضيلة والهدي النبوي عام ١٤٣٦هـ .
- المغني في الضعفاء، للذهبي ،تحقيق : نور الدين عتر، عني بطبعه عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر عام ١٤٠٧هـ.
- الملل والنحل ، الشهرستاني، تحقيق أمير مهنا، وعلي فاعور ط٣ دار المعرفة عام ١٤١٤هـ.
- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لابن بدران (ت: ١٣٤٦هـ)، كتب مقدمة له وترجم لمؤلفه: محمد بهجة البيطار، طبع على نفقة حاكم قطر: علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني، ط المكتب الإسلامي عام ١٣٧٩هـ.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، لأبي عبد الله شمس الدين أحمد بن محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٨هـ.
- منحة العلام في شرح بلوغ المرام، لعبد الله الفوزان ط ٢ دار ابن الجوزي عام ١٤٣٠هـ.
- منع الموانع عن جمع الجوامع، لابن السبكي ط٢ دار البشائر عام ١٤٣٢هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي — بيروت ط٢ ١٣٩٢هـ.
- منهج المدرسة العقلية في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ط٢ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٣هـ .

- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار السلفية – الكويت، ط٤ عام ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م
- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، لناصر القفاري، وناصر العقل، ط١ دار الصميعي ١٤١٤هـ.
- موسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي ط٣ دار العلم للملايين عام ١٩٩٣م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من عام ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ١ – ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت، والأجزاء ٢٤ – ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، والأجزاء ٣٩ – ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة مؤلفين بإشراف د/ مانع الجهني ط٥ الندوة العالمية للطباعة عام ١٤٢٤هـ .
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، للدكتور عبد الوهاب المسيري (ت:١٤٣٠هـ)، دار الشرروق–مصر عام ١٩٩٩م
- الموضوعات، لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي الصغاني الحنفي (ت: ٦٥٠هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار المأمون للتراث – دمشق، ط٢ عام ١٤٠٥ هـ..
- الموفي في النحو الكوفي، للسيد صدر الدين الكنغراوي الإستانبولي الحنفي(ت: ١٣٤٩هـ)، علق عليه الأستاذ : محمد بهجة البيطار (ليس عليها بيانات النشر)
- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان بن صالح الغصن ط دار العاصمة.
- موقف أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، للدكتور محمد خليفة التميمي أضواء السلف ط١ عام ١٤١٩هـ.
- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، أ.د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي ط١ مكتبة العلوم والحكم عام ١٤٢٣هـ.

- موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، للدكتور صالح بن غرم الله الغامدي مكتبة المعارف السعودية ط١ عام١٤٢٤هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨ تحقيق على البجاوي ط١ دار المعرفة (تصوير بالأوفيست).

(ن)

- نتيجة الفكر فيمن درس تحت قبة النسر، لعبد الرزاق بن حسن البيطار، اعتناء: محمد ناصر العجمي، تقديم: عاصم بن محمد بهجة البيطار، دار البشائر الإسلامية ط١ عام ١٤١٨هـ.
- نشر الرياحين في تأريخ البلد الأمين ، لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة ط١ عام ١٤١٥هـ.
- نظرات شرعية في فكر منحرف (المجموعة الأولى)، للدكتور سليمان بن صالح الخراشي ط١ مكتبة التوحيد.
- نظرة في النفحة الزكية في الرد على فرقة الوهابية، لأبي اليسار الدمشقي (اسم مستعار لبهجة البيطار) مطبعة الترقي عام ١٤٣٠هـ.
- النفخة على النفحة والمنحة ، ناصر الدين الحجازي الأثري (اسم مستعار لبهجة البيطار)، مطبعة الترقي عام ١٣٤٠هـ .
- نقد عين الميزان، بهجة البيطار ط١ دار الآل والصحب عام ١٤٣٠هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ط١ لمكتبة ابن تيمية ١٤٣٢هـ.
- نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١ عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

(هـ)

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين أبي بكر السيوطي (ت:٩١١)، شرح وتحقيق: عبد العال سال مكرم، دار البحوث العلمية-الكويت، عام ١٣٩٩هـ.

(و)

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) المحقق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث – بيروت عام ١٤٢٠هـ.
- الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، للدكتور أحمد بن عبد العزيز الخلف، دار الإمام مسلم دار سطور للبحث العلمي ط١ عام ١٤٣٧هـ.
- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) ط١ دار الكتب العلمية عام ١٤٢٦هـ.
- وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق، للدكتور محمد باكريم عبد الله، دار الراية ط١ عام ١٤١٥هـ.
- وظيفة العلماء، لمحمد بشير الإبراهيمي نُشر مستقلا عن دار الصميعي ط١ عام ١٤٢٧هـ.

المواقع العنكبوتية

- قناة المجد.
- موقع أهل الحديث
- موقع الألوكة
- موقع الشاملة
- موقع الموسوعة الفلسطينية
- موقع جامعة البنجاب.
- موقع رابطة الأدباء السوريين.
- الموقع الرسمي لولاية البليدة في الجزائر.
- موقع صيد الفوائد
- موقع وكيبيديا

فهرس الموضوعات